الكاتب الفلسطيني

العدد ١
شباط ـ فبراير ١٩٧٨

الكاتب الفلسطيني

العدد ١ شباط - فبراير ١٩٧٨

«الكاتب الفلسطيني» تصدر عن : الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير **رشاد ابو شاور**

امانة التحرير **حنا مقبل** **يحيى يخلف**
هاني مندس **جميل هلال**

المستشارون عبد الكريم الكرمي (ابو سلمي) د. احسان عباس
محمود درويش معين بسيسو
بسام ابو شريف ناصيف عواد
عبد القادر ياسين علي اسحق
خالد ابو خالد د. سعيد حمود
معن بشور

- ☐ **المواد التي تنشر تعبر عن وجهات نظر اصحابها**
- ☐ **ترتيب المواضيع خاضع لضرورات الاخراج الفني**
- ☐ **الاشتراكات يتفق بشأنها مع ادارة المجلة**

المحتويات

كلمة الكاتب

عودة الى موضوعات الثورة العربية

ناجي علوش

— ١ —

الوضع العربي اليوم اكثر وضوحا من ذي قبل . وعلى الرغم من ان احتمالات المستقبل كثيرة ، فان سمات التردي بارزة . وبروزها يساعدنا الان على أن نجلس ، ونصدق مع انفسنا ، ونستخلص الحقائق المفيدة والصحيحة ...

ولكن لماذا الآن ؟ والآن فقط ؟ وليس قبل سنوات ، سنة ٤٨ — ٤٩ مثلا ، او سنة ١٩٥٦ او سنة ١٩٦٧ ؟ ونقول الآن فقط لاسباب عديدة ، ومن هذه الاسباب :

١ — نحن الآن ، لسنا كما كنا سنة ٤٩ ، او ٥٦ او ٦٧ او حتى ٧٣ . لقد عشنا تجارب مرة ، وتعلمنا . ويفترض ان نكون قد تعلمنا كثيرا . ان التجارب التي عشناها كبيرة ، وكبيرة جدا . خذلنا مرارا وتكرارا ، فقدنا اجزاء من وطننا ، شردنا ، جعنا ، عذبنا ، علقنا امالنا على رجال واحزاب وقوى ، فلم تتحقق الآمال ... تجارب مرة ، ولكنها غنية ، عشنا فيها اشكالا من الصراع السياسي والمسلح ، الايديولوجي والتنظيمي وصراع التخلف مع الحضارة ، وهذه التجارب يفترض ان تكون قد راكمت خبرات هامة ووعيا جذريا ... وبهذا الوعي وهذه الخبرات يمكننا اليوم ان نواجه الحقيقة شجعان ، قادرين ، وغير هيابين .

٢ — ونحن الان امام حقائق عارية وقاسية . سقطت « الاحلام » التي كنا نسقط عليها امانينا . هذا لا يعني ان ابواب « الاحلام » اغلقت نهائيا ، فهي ما زالت مفتوحة ، ولكننا الان بلا « احلام » . لقد مات الرئيس عبد الناصر ، فطارد السادات

اصول الناصرية وفروعها ، واخذ « الحلم الناصري » يتلاشى ، وجاءت الثورة الفلسطينية ، فأسقطت عليها الجماهير العربية امانيها ، واعتبرتها ثورة العصر ، واستعدت ان تحمل السلاح معها ، وتقاتل . وها هي منظمة التحرير الفلسطينية الان ، مثل اي من الانظمة العربية ، عاجزة كعجزها . لقد كانت الناصرية ثورة كبيرة ، ولكنها لم تستطع تنفيذ برنامجها والاستمرار . وكانت الثورة الفلسطينية حركة كبيرة ، وها هي اليوم محاصرة ، وعاجزة ... فلسطين لم تحرر ، وكذلك الجولان وسيناء ، وعربستان والاسكندرون مغتصبتان ، وفوق ذلك هناك أراض اخرى مهددة . ومع ذلك فهناك مشكلة التخلف والتجزئة ، ومشكلة التبعية للامبريالية . كل المشاكل التي حلها ، او حل بعضا منها القرنان التاسع عشر والعشرون لم تحل في بلادنا ... وكل الثورات التي انجزها القرنان الاخيران لم تنجز عندنا . وما زلنا لم نحدد طريق ثورتنا بعد ... !

هل نحلم من جديد ؟ سيبقى الحلم طريق الهروب لمن لا يريدون مواجهة الحقيقة ، ولمن يعجزون عن مواجهتها . ستبقى قطاعات من الناس مستعدة لان تسقط احلامها على رجال حقيقيين او على دمى ، على ثورات وطنية عفوية او على فقاعات ... ولكن على الذين عانوا وذاقوا العلقم ، وتعلموا ان يجهروا بالحقيقة ، وان يغلقوا ابواب الهروب ، ليتم السير على الطريق القويم ، طريق الخلاص ، طريق الحقيقة . وهي ليست الا طريق الثورة .

كيف ؟ ولماذا ؟ ...

لان الوطن العربي يعاني اشكالا من التخلف متداخلة وان كانت مختلفة . ولان هناك الان ايضا ، نمطين من التخلف يلتقيان فيه : أولهما : بقايا التراث السياسي والاجتماعي ، ومن ثم الاقتصادي ، المنحدر من عصور الانحطاط عامة والعصر العثماني خاصة . وهو تراث مؤثر وفعال وموجود سياسيا واجتماعيا واقتصاديا على نطاق واسع ، انه ، ولنقل ، جزء اساسي من النظام السائد ، ومن التركيبة القائمة . وثانيهما : تراث عهد الاستعمار الذي ادخل تعديلات على البنى السياسية والاجتماعية والتقليدية ، سمحت لها ان تبقى ، ولكن متلائمة الى حد كبير مع عهد الامبريالية ، وهكذا تتزاوج العلاقات العشائرية بالعلاقات الرأسمالية، والغيبية الآسيوية بالميتافيزياء البرجوازية ، ويولد مجتمع متخلف هجين ، متخلف وتابع ، متخلف ولكنه يملك بعض وسائل العصر المتقدمة . وتنشأ عن ذلك انماط من السلطة متخلفة جدا ، ولكن قوية ، تملك ادوات الرأسمالية المتقدمة في القمع ، وخبرات الدول الامبريالية في سحق ارادة الشعوب ، كما تملك الى جانب ذلك كل رصيد العلاقات العشائرية ، وكل عوامل التخلف ...

ان هذا يجعلنا نعيش التخلف مركبا . فنحن لسنا اليمن في القرن الثامن عشر او التاسع عشر . ولو كان الامر كذلك لكنا امام نمط بسيط من التخلف ، ونمط معاد للسيطرة الخارجية ، ونتيجة كون اقتصاده اقتصاد كفاف ، وبسبب وجود مجتمع بدائي منغلق على الخارج ، لا يرضى بالتبعية الخارجية . اننا اليوم امام نمط ، او انماط اخرى ، متخلفة الى ابعد الحدود ، ولكنها تحاول ان تحل اشكال تخلفها بالالتحاق بالسوق الامبريالية العالمية . وهي لذلك ، وبالاتفاق مع الدوائر الامبريالية عينها ، تنسف عوامل ترابط المجتمع التقليدي الاساسية ، ولكنها لا تنسف قيمه ومثله وكل علاقاته . وتدخل هذا المجتمع المنحل ضمن شبكة العلاقات الامبريالية العالمية ، فيصبح متخلفا وتابعا ، ويزيد من تخلفه انه مرتبط بالامبريالية ، في حالة

تدهورها وانحلالها ...

ان هذا الوضع يجعل امر التغيير معقدا . ذلك ان هناك خيارين : المجتمع التقليدي او المجتمع الاوروبي ، وهما في الجوهر متناقضان تناقضا عدائيا . فلقد اسقطت البرجوازية الاوروبية انماطا كالتي عندنا خلال الثلاثماية سنة الماضية ، ولم تبق منها شيئا . ولكن البرجوازية الاوروبية في حالة انحلالها تتزاوج مع انماطنا التقليدية ، وتعمل كل ما تستطيع لابقائها ، ولتكييفها مع السوق الامبريالية العالمية ، لماذا ؟ لان البرجوازية الاوروبية لا تسمح باحداث ثورة برجوازية في بلادنا ، لان قيام مثل هذه الثورة يزيد التناقض مع برجوازية الغرب ، ويفتح الطريق امام تطور حقيقي واستقلال حقيقي ، لو تم . وبالطبع لن يتم الان لان زمنه انقضى . ثم لان الانماط التقليدية في مجتمعنا معادية لاي تحول حقيقي ، وهي ضمانة بقاء التخلف . ولذلك يجب ان تبقى جوهريا ، الشارع يصبح عصريا ، والسيارة ، واللباس الخ ولكن الافكار والتقاليد والعلاقات يجب ان تبقى كما هي . وحيث ترى انها اخذت تضعف ، لسبب او لآخر ، تهب الدوائر الامبريالية المعنية باعطائها شحنات قوة وانتعاش . وترى الامبريالية في هذا الانماط السياسية والاجتماعية اقوى عوائق التحول والتغيير .

الا ان الامبريالية لا تترك هذه الانماط وحدها . انها تزودها بكل مقومات القوة : فهي من جهة تعطيها العلم البرجوازي الضروري لها ... تسندها في غيبيتها وشرقيتها ، وتعطيها العلم البرجوازي ، الا انها تحجب عنها الوجه الاخر الاكثر اشراقا للبرجوازية ، وهو الثورة الديمقراطية ، حرية الامم والافراد ، كما جسدتها الفلسفات البرجوازية في اوروبة واميركا منذ القرن السابع عشر .

وهي تعطيها التكنولوجيا مصنعة ، ولا تعطيها علم التكنولوجيا والقدرة على الانتاج . وهي بالمقابل تخضع السوق المحلية كلها للسوق الامبريالية ، وتنهب ثروات الشعب كلها ، وتلحق اقطارنا بها ، الحاقا مباشرا ، كما كانت الحال منذ اواخر القرن الماضي ، او الحاقا مباشرا وغير مباشر ، كما هي الحال الان ... وتقوم الامبريالية ، وهذا هام جدا ، بضرب اي اتجاه حقيقي للتحولات السياسية والاجتماعية . وهي لذلك تستثير كل عوامل التخلف ضد عوامل التقدم ، وتدعم البنى السياسية والاجتماعية المتخلفة السائدة بكل عوامل البقاء ، بما فيها التدخل العسكري المباشر . وهنا تلعب الايديولوجيا الرجعية دورها ، وتلعب وسائل الاعلام المختلفة ، كما يلعب الفكر والادب والفن ادوارا هامة جدا ، ومؤثرة الى ابعد الحدود .

ولقد سعت القوى الامبريالية ، منذ اوائل القرن الماضي لاعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للوطن العربي . فتصارعت على اقتسامه واحتلال ارضه . وهكذا كان فبدأت فرنسا بمصر ١٧٩٨ ، ثم خرجت مهزومة ، واحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ وبريطانيا عدن ١٨٣٦ ، ثم عادت بريطانيا فاحتلت مصر سنة ١٨٨٢ . وكانت القوى الامبريالية قد اتفقت على محاصرة مساعي محمد علي باشا ، ومنعه من اقامة امبراطورية عربية سنة ١٨٣٨ . وتبلورت لدى البريطانيين في هذا الوقت فكرة اقامة دولة صهيونية في فلسطين . واشتدت مطامع القوى الامبريالية ، مع اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، فبدأت الدول الامبريالية تسعى لانتزاع اجزاء جديدة . وهكذا فرضت فرنسا معاهدة على المغرب سنة ١٩٠٨ ، واحتلت ايطاليا ليبيا سنة ١٩١٢ ، وجاء اتفاق سايكس — بيكو سنة ١٩١٦ لاقتسام المشرق العربي ، ليمثل مرحلة جديدة

من مراحل السيطرة الامبريالية . وقد تلا ذلك اعلان وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، ثم اقامة الكيانات المعروفة حاليا بأسماء فلسطين ولبنان وسورية والعراق .

ولم يكن هذا الاحتلال مجرد احتلال ، فلقد اعاد رسم خريطة المنطقة سياسيا وجغرافيا ، فوضع حدود كيانات ، وبالتالي حدود دول . وهكذا نشأت مع السيطرة الامبريالية الكاملة « كيانات » جديدة انبثقت عنها دول . ان التجزئة السياسية ولدت مع الاحتلال ، وكانت من صنعه ، وظلت بحمايته حتى الان ...

وهكذا التقت اقانيم اربعة : (١) الاحتلال والسيطرة المباشرة وغير المباشرة . (٢) التبعية . (٣) التجزئة . (٤) التخلف ... انها اقانيم اربعة ، ولكنها تكون شيئا واحدا ، حالة واحدة ، تعبر عن نفسها بالخضوع السياسي للقوى المعادية . ويسند كل اقنوم من هذه الاقانيم الاربعة الاقنوم الاخر ويعززه . فالاحتلال يسند التخلف ، والتخلف يعزز التبعية ، والتبعية تدعم التجزئة ، والتجزئة توفر اسباب التبعية وهكذا ... ان اسباب الخضوع تتكامل وتتداخل .

ولقد اسمر تنفيذ المخطط الامبريالي بعد الحرب العالمية الاولى ، واقرار برنامج الانتدابات والمستعمرات . بدأت الهجرة الصهيونية تتدفق الى فلسطين ، وقسمت سورية الى سورية ولبنان ، وقسمت سورية الى دول ، وكذلك شرق الاردن (١) . وبينما احتفظ الاستعمار الفرنسي بالعائلة الحاكمة في مراكش ، احتفظ البريطانيون بأسرة محمد علي في مصر ، وزرعوا احد ابناء الشريف حسين في العراق والثاني في شرق الاردن . وعمل الخبراء والمختصون من اجل تثبيت الكيانات الجغرافية الجديدة ، فثبتوا فيها عائلات حاكمة ، وخلقوا حولها فئات مستفيدة . ثم انهم ارادوا ان يمعنوا في التقسيم ، فشجعوا الطائفية ، ودعموا مبررات بقائها . ثم لم يكتفوا بذلك ، فأثاروا قضية الفروعنية والفينيقية . وزادوا على ذلك بأن شجعوا الاقليات القومية . كان هدف هذا كله الغاء ارادة الوحدة ، وتجزئة الامة الواحدة ، وخلق هويات متصارعة ضائعة غير قادرة على الفعل السياسي .

وعندما بدأت القيادات من ممثلي الاقطاع والبرجوازية (٢) مواجهتها دعت الى الاصلاح . كان هدفها مثلثا : ١) انهاء الاحتلال العثماني وتحويل العلاقة الى اتحاد متفق عليه . ٢) انجاز شكل من الوحدة العربية وتحقيق الهوية القومية . ٣) اقتفاء اثار اوروبة في الثقافة والزراعة والصناعة .

واقتضى هذا الاعتماد على التيار الاصلاحي في السلطنة ، والاتصال بالغرب ، وعقد تحالفات محلية . كان التيار الاصلاحي العثماني يصارع ، وكان يعمل على بث افكار الاصلاح في كل ارجاء السلطنة . اما الغرب ، اوروبة ، فلم يكن مع بقاء وحدة السلطنة ، وكان مع انفصال الشعوب المرتبطة بها . كما ان وضع السلطنة ، وعدم قدرتها على التحول ، ونظرتها الى البلدان الخاضعة لها على انها مستعمرات ، قاد الى مزيد من الشقاق ، تكرس بعد استيلاء حزب الاتحاد الترقي على السلطنة . لقد انهى حزب الاتحاد والترقي امكانيات الائتلاف والاتحاد ، وبذلك زادت قوة التوجه نحو اوروبة . وهكذا بدأت هذه العناصر الاقطاعية البرجوازية اول تجربة لها في التحالف مع اوروبة . وكانت تجربة حركة الشريف حسين سنة ١٩١٦ ، المعتمدة على مساندة بريطانيا ، والتي رافقتها سرا اتفاقية سايكس — بيكو . وفي الداخل اتجهت العناصر الوطنية من ممثلي الاقطاع والبرجوازية المشار اليها الى التحالف مع الشريف حسين وابنائه : ممثلي اكثر انماط الانتاج تخلفا في الجزيرة العربية .

وهكذا كانت بداية الحركة الوطنية تحالفا مع اوروبة الاستعمارية من جهة ، وتحالفا مع ممثلي بعض العشائر العربية من جهة اخرى . وكانت النتيجة ما حدث : احتلالا اوروبيا وتجزئة وتبعية .

ان هذه المرحلة من التاريخ العربي هامة ، وهي تمتد منذ ١٨٧٥ الى ١٩٢٠ . لقد رسمت فيها اوروبة معالم الحياة العربية الحديثة ، حدود الكيانا ت، الطبقات الحاكمة ، منحى التطور ، العلاقة مع السوق الامبريالية ، ومنذ ذلك الحين ، ونحن ندور ضمن هذه الحلقات او حولها ، ونادرا ما عرفنا كيف نخرج من دوائرها . وهنا جوهر المشكلة .

ثم جاءت المرحلة التالية (١٩٢٠ — ١٩٥٢) . وفي هذه المرحلة حاولت القوى الامبريالية الحاكمة الاساسية والثانوية (بريطانيا ، فرنسا ، اسبانيا ، تركيا ، ايران) ان تحدد ملامح ومعالم الواقع الجديد من خلال الامور التالية :

(١) اكدت واقع التقسيم الجغرافي الذي تم الاتفاق عليه في اتفاقية سايكس — بيكو ، والذي اعطي شرعية دولية باتفاقية سان ريمو . وباتت هنالك حدود دول بين الاقطار العربية المختلفة ، وجوازات وجمارك الخ ..

(٢) عملت على تغيير الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، بما يضمن السيطرة الامبريالية . ولذلك تم العمل باتجاهات مختلفة :

أ — تشجيع الاستيطان ، وتركز ذلك في تونس والجزائر ومراكش وليبيا وفلسطين . وكان قد بدأ في الجزائر من القرن الماضي (١٨٣٠) . وكانت ظاهرة الاستيطان هذه ، جزء من ظاهرة الاستعمار ، وأحد وسائله لتغيير التركيبة الاجتماعية — الاقتصادية — السكانية المحلية . اذ ان وجود المستوطنين والمستوطنات يعزز السيطرة الامبريالية بقواعد في البلدان المستعمرة . وينحصر دور هؤلاء المستوطنين بتكوين امتداد للقوة الامبريالية الخارجية ، واداة تفتيت وقمع للقوى الداخلية .

ولقد استحوذ المستوطنون على افضل الاراضي ، وكونوا القطاع الاقتصادي الاكثر تقدما ، كما كانوا العين الساهرة للقوة الامبريالية واليد الضاربة ...

ولن نبحث هنا بالطبع الخلافات والفروق بين بلد واخر ، وقوة واخرى ، لانه ليس هنا مجال بحثها .

ب — تعهد قوى محلية ، لتكون حليفا مضمونا وقادرا ، ولذلك تم اختيار بعض العائلات الحاكمة ، التي اعطيت اسباب السلطان لتكون قوة قمع داخلية ، اسرة محمد علي في مصر ، الامير فيصل في بغداد ، والامير عبد الله في شرق الاردن ، عبد العزيز آل سعود في الجزيرة العربية ، عائلة البابات في ليبيا والدايات في تونس وسلاطين مراكش . هذا بالاضافة الى بعض امراء الخليج العربي . ان اختيار هذه العائلات جاء ضمن خطة مدروسة هدفها ايجاد سلطة رجعية معادية للشعب ، مرتبطة بالقوة الامبريالية .

ولقد اسندت هذه « الاسرة الحاكمة » بطبقة من الاقطاعيين ، واخرى من البرجوازية الوسيطة . وكان تحالف هذه القوى الاساس الذي تستند اليه السيطرة الامبريالية ...

ج — ضرب الحياة الوطنية بتكريس التبعية السياسية والاقتصادية ، وبتشويه الثقافة . ولذلك جرت تنمية قطاعات سياسية واقتصادية وثقافية على هامش الوجود الاستعماري . السلطة مربوطة بالقوة الاستعمارية وبالسلطة المحلية

وخاصة اهمية « قوميتها » ... ولم تستطع ان تندمج بالحركة الشعبية ، وان تساهم في توحيدها وتوعيتها .

ولقد سيطرت على هذه الحركة افكار طفولية احيانا ، اصلاحية في احيان اخرى ، وكانت كلها تؤدي الى ضعف دورها في تأجيج النضال القومي الديمقراطي الشعبي ، وان كانت تشارك في النضالات القطرية بشكل او بآخر .

ولقد قاد هذا كله الى بقاء حركة الطبقة العاملة العربية « قطرية » ، وضمن اطار النضال البرجوازي بشكل عام : استقلال ، انتخابات ، برلمانية ، ولم تتعد برامجها ذلك الا في فترات عابرة ، وغير ذات تأثير .

كما قاد الى بقاء حركات الفلاحين في هذه المرحلة استقلالية ، ولكن دون مضمون ديمقراطي ثوري ، وبالتالي عاجزة عن تحقيق اهدافها .

وقاد ايضا الى بقاء البرجوازية الصغيرة ضعيفة التأثير في الحركة الشعبية عامة .

ولهذا تحقق الاستقلال في بعض الاقطار : مصر ، العراق ، شرق الاردن ، سورية ، لبنان ، ولكنه لم يكن استقلالا حقيقيا . وقد ظلت مصر مرتبطة بالاستعمار البريطاني ، وظلت فيها قواعد عسكرية الى سنة ١٩٥٦ ، وظلت الاردن خاضعة للسيطرة البريطانية حتى سنة ١٩٥٦ ايضا ، من خلال قيادة الانجليز الجيش ، واستيلائهم على مقاليد السياسة ، اما في العراق فقد كان هناك معاهدة وقاعدتان عسكريتان منذ سنة ١٩٣٢ ، ثم احتلت القوات البريطانية العراق مرة اخرى سنة ١٩٤١ ، وعلى الرغم من خروج القوات البريطانية فيما بعد ، الا ان النظام ظل تابعا .

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، على الرغم من التدخل الرسمي لمصر والعراق والاردن وسورية ولبنان .

وظل الاستقلال شكليا ، والوطن مجزأ تابعا خاضعا ، ولم تتحقق الثورة القومية الديمقراطية على اي جزء من ارض الوطن ...

وتبلورت خلال هذه المرحلة المشاكل التالية :

أ — الاحتلاب والسيطرة الاجنبية مباشرة وغير مباشرة . وقد تحول احتلال فلسطين من احتلال عسكري بريطاني الى احتلال صهيوني استيطاني .

ب — التبعية اذ ظلت البلدان العربية تابعة ، على الرغم من الاستقلال الشكلي ، وكانت تزداد تبعية بازدياد ارتباطها بالسوق الامبريالية .

ج — التجزئة : وكان ظهور دول لها علم ودستور ومجلس امة وملوك ورؤساء ، وقيام الحدود والجمارك والجوازات يجعل التجزئة مؤسسة قانونية .

د — التخلف : وكان التخلف في البدء ناتجا عن وجود علاقات انتاج بدائية ، فأصبح ناتجا عن وجود علاقات انتاج بدائية تابعة للسوق الامبريالية العالمية .

وظلت الحركة الشعبية عاجزة عن مواجهة هذا كله . لانها ظلت في معظمها تدور ضمن اطار الحدود التي رسمتها الامبريالية ، والقوى الرجعية المرتبطة بها . ولانها لم تستطع ان تكون حركة شعبية ثورية قادرة على احداث التغييرات الشاملة.

الا ان التحولات التي حدثت في البنية الاقتصادية ، واهمها اتساع نطاق العلاقة مع السوق الامبريالية ، وانتشار السلع المستوردة على نطاق دائم الاتساع ، وتحول الاقتصاد المحلي الى جزء من الاقتصاد الامبريالي ، وقيام الدول والعواصم ، وما اقتضاه من قيام مؤسسات واجهزة وقوات عسكرية ومدارس وجامعات وانتشار التعليم نسبيا ، زاد من نمو الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، وبالتالي من

الحاكمة والمحكومة ، والاقتصاد مرهون بالسوق الامبريالية والثقافة مرتبطة ، اما بالعاملين في اجهزة القوة الغازية ، او بالاجهزة الرجعية التقليدية . وهكذا .... كانت القطاعات المرتبطة بالسيطرة الاستعمارية تنمو ، بينما كانت كل مقومات الحياة الوطنية تضرب .

(٣) — اقامت حكما عسكريا او قواعد عسكرية حيث رأت ذلك مناسبا . فهي قوة احتلال اولا ، ولكنها على استعداد لتقليص حجم الاحتلال ، اذا كانت هناك قوة محلية قادرة على تنفيذ سياسة مضمونة في الداخل . ولكنها مع ذلك تحتفظ بقواعد عسكرية ، كما جرى في مصر حتى سنة ١٩٥٦ .

(٤) — سلخت بعض المناطق الهامة من ارض الوطن : عربستان سنة ١٩٢٥ واسكندرون سنة ١٩٣٧ ، والاجزاء الاساسية من فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وبقية فلسطين وسيناء والجولان سنة ١٩٦٧ . وهدف هذا كله احتلال مواقع استراتيجية ، ونهب ثروات ، وخلق ظروف تعقد نمو الثورة وعملية التطور .

ان احتلال ايران عربستان سلخ جزء من ارض الوطن ، واخضع المواطنين العرب هناك لسلطة اجنبية غاشمة ، ولكنه سلخ ثروات اقتصادية هامة ، منها النفط ، واعطى ايران مداخل الخليج وشط العرب .

اما احتلال فلسطين ، فقد كانت له اثار هامة على الوضع العربي كله ، اذ ان هذا الاحتلال لم يفصل مشرق الوطن عن مغربه فحسب ، بل اوجد قوة معادية قادرة وسط الوطن ، هدفها منع وحدته ، وضرب قواه الثورية ، والمحافظة على عوامل تخلفه .

ان عمليات السلخ هذه مترابطة مع عمليات السيطرة والاستيطان والنهب الاقتصادي ، واهدافها جزء من اهدافها .

(٥) — ركزت على تنمية التناقضات الطائفية والاثنية واستغلالها . ففي سورية انشئت دول ، وعلى اساس طائفي . وفي لبنان جرى خلق دولة واحدة ، ولكن مع استثارة عوامل الصراع الطائفي . وكان الهدف دائما اثارة التناقضات لتفتيت ارادة الوحدة ، ولمواجهة خط التقدم التاريخي .

وكان الهدف من هذا كله تقسيم الوطن العربي جغرافيا ، وخلق ركائز سياسية واقتصادية واجتماعية لهذا التقسيم ... وتقسيم الوطن العربي سكانيا ، وبلورة عصبيات « قومية » وطائفية . كما كان الهدف ضرب عوامل التقدم ، وتكريس عوامل التخلف .

وكانت الحركة الوطنية تقف عاجزة امام هذا كله . ويعود عجزها الى ما يلي :

اولا : كانت القيادات الاقطاعية — البرجوازية تطرح موضوع الاستقلال ، وتطالب به . وكانت شرائح من ممثلي الاقطاع والبرجوازية تعمل من اجل استقلال يتم بالاتفاق مع السلطة المنتدبة او المحتلة ، ويكون من نتيجته عقد معاهدة مع القوة الاستعمارية . ولهذا كان طريق الاستقلال طريق المعارضة السياسية : احتجاجات ، عرائض ، وفود ، وحين تنظم المظاهرات فلاسماع الراي فقط . ولم يكن هذا الاستقلال يعني بالنسبة للمطالبين به اكثر من تعديل في الوضع الداخلي ، وضمن اطار قطري ، يسمح لفئات من ممثلي الاقطاع والبرجوازية ان يحكموا الشعب بالتحالف مع القوة الاستعمارية .

وكان ذلك يعود الى ان مصالح هذه القوى المحلية ، لم تكن متناقضة كليا مع مصالح القوة الاستعمارية . ذلك ان الاقطاع لم يكن يطمح بغير سلطته على

ارضه ، وكانت هذه متاحة له . وكان يريد مشاركة في السلطة تعزز مواقعه الداخلية ، ولم يكن يرى هذا متناقضا تناقضا تاما مع وجود قوة استعمارية على ارض الوطن ، وكانت مصالحة تتعزز بزيادة فعله في السياسة الداخلية ، وبدخول السوق العالمية عن طريق القوة الاستعمارية .

اما البرجوازية فقد كان حلمها ان تكون ممثلة المصالح الامبريالية ، وان تخلق واقعا محليا مرتبطا بالوجود الامبريالي . كانت تريد ان تكون الوسيطة بين السوق الامبريالية والسوق المحلية ، وان تنمي « صناعات » على هامش السوق الامبريالية. ولم تكن لديها المطامح ولا القدرات لان تفعل المزيد ، لانها كانت تعلم انها لا تستطيع ان تدخل سوق المنافسة . ولكنها كانت تريد ان تحسن شروط تعاملها مع القوة الاستعمارية . ولذلك كان التعارض جزئيا .

ولهذا لم تطرح هذه القيادات موضوع الصدام مع القوى الاستعمارية ، ولا خاضت معارك طاحنة معه ، كانت تعارض ، تطالب ، تفاوض ، تساوم على الحركات الجماهيرية ، ولكنها لم تكن تقاتل ، حتى في فلسطين ، مثلا ، عندما كانت بيوتها معرضة للاحتلال .

كما ان هذه القوى لم تطرح قضية الوحدة العربية طرحا جديا بعد سنة ١٩١٧ لان مصالحها كانت محلية ، ولان قضية الوحدة كانت قضية الجماهير الكادحة وقواها الوطنية والديمقراطية ولم تكن قضية الاقطاع والبرجوازية .

ومن هنا اتخذ النضال من اجل الاستقلال على يد هذه القيادات طريقا « قطريا » ، من جهة ، وطريقا مساوما تفاوضيا من جهة اخرى .

ثانيا : وكانت الحركة الشعبية ضعيفة ومفككة . ذلك ان الوعي الثوري كان محدود الانتشار ، والاحزاب الثورية كانت « جنينية » ، ولم تكن قادرة على قيادة الجماهير الشعبية الناقمة .

ونستطيع ان نقول ان البرجوازية الصغيرة المدنية بشكل عام كانت تتبع البرجوازية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وانها كانت تنمو على هامش الوجود الاستعماري وعلاقاته المحلية ، ولكن معارضتها بعد الحرب اخذت تشتد .

قاد ذلك كله الى التالي :

أ — ان تبقى حركة الفلاحين عفوية ، وبلا ترابط فعلي مع الحركة الثورية في المدن ، لان القاعدة المكونة من العمال والبرجوازية الصغيرة كانت ضعيفة وعيا وتنظيما ، وغير قادرة على قيادة الجماهير الفلاحية من جهة اخرى .

ولهذا قامت ثورات فلاحية هامة : في سورية ١٩١٩ الشيخ صالح العلي ، ١٩٢٥ جبل العرب ، ١٩١٩ — ١٩٢٠ العراق ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٥ — ١٩٣٩ فلسطين، ١٩٢٧ مراكش . ولكن هذه الثورات الهامة الواسعة كانت تتبدد امام قوة القوى الاستعمارية ، ونتيجة ضعف دور المدن الثوري ، ولان ممثلي الاقطاع والبرجوازية الوطنيون كانوا يساومون عليها ، اما غير الوطنيين فكانوا يقفون ضدها ، ومع القوة الاستعمارية .

هذا بالاضافة الى ان قيادة هذه الثورات الفلاحية كانت بيد « وجاهاتها » « وشيوخها » ، ولم تكن بيد جماهيرها وطلائعها .

ب — ان يبقى دور العناصر الديمقراطية والديمقراطية الثورية محدودا ، لان القوى المحافظة هي المسيطرة ولان هذه القوى لم تكن لها قاعدة طبقية واسعة وواعية ، ولا تنظيمات ثورية تمثلها . ولذلك لم تطرح قضايا الثورة الديمقراطية ولم تصبح مطالب نضالية الا في اواخر هذه المرحلة . ومن هنا بقيت قضية الاصلاح

الزراعي والحريات الديمقراطية قضية ثانوية كل هذه الفترة ، لان ممثلي الاقطاع والبرجوازية الوسيطة ، لم يكونوا معنيين بهذه القضايا ، بل كانوا ضدها ، ولان حركة الجماهير الديمقراطية كانت تتبع قياداتها الاقطاعية والبرجوازية التي تطالب بالاستقلال ، ولو مع البؤس والفقر (٣) . وكانت بالطبع تعمل لصرف الجماهير عن كل شيء ، ما عدا « الاستقلال المنشود » .

ب — ان يبقى دور الطبقة العاملة ايضا هـامشيا ، لان وجودها المادي والسياسي كان ضعيفا ، ولان « احزابها » لم تستطع ان تفهم طبيعة الثورة ، انتشار الوعي القومي والثوري ، وقاد الى تحولات نوعية في بنية الحركة الشعبية ووعيهـا .

كان ممثلو الاقطاع والبرجوازية يوجهون الحركة الشعبية باتجاه الاستقلال الوطنـي ، وكانـوا في الوقـت عينـه يزيـدون مـن اضطهـادهم الجمـاهير واستغـلالهم اياها ... ومن ارتبـاطهم بالسـيطرة الامبريالية والاستغـلال الامبريالي ، وكانوا يريدون ان تظل الجماهير الشعبية وراءهم وان تكتفي بمطلب الاستقـلال مع البـؤس والفقر .. الا ان الجمـاهير الشعبية اخـذت تكشف يوما بعد يوم ان الاستقلال الذي تدعو اليه قيادتها ليس استقلالا حقيقيا ، وان هذه القيادات حريصة على دوام العبودية والاستغلال . ولذلك بدأت الحـركة الشعبية صراعاتها مع هذه القيادات . ومن هنا بدأت الحركة الشعبية تنحو منحى جديدا . واخذ الصراع مع الاستعمار يرتبط بالصراع مع القوى الرجعية المحليـة المتعاونة معه ، او القائمة على هامشه .

وجاءت هزيمة فلسطين لتؤكد للجماهير العربية ان الصراع مع الاستعمار الصهيوني ، ومع القوى الامبريالية ، لا يمكن ان يقود الى الانتصار في ظل القيادات الرجعيـة ...

مرحلة جديدة تبدأ ...

المرحلة الجديدة ١٩٥٢ — ١٩٧٧ :

كان وضع الاستعمار القديم يتدهور مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وكانت القوى المرتبطة به تتداعى بتدهوره . ولذلك فقد تصاعد النضال العارم منذ نهاية الحرب الثانية في كل العالم الثالث ، ومنه الوطن العربي .

اتخذ هذا النضال خطين :

الاول : الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاجنبي ، الفرنسي البريطاني خاصة . ومن ذلك ثورات المغرب الثلاث : مراكش ، الجزائر ، تـونس ، وثورة اليمن الجنوبيـة .

وكانت ثورات المغرب قد تأخرت عن ثورات المشرق التي حدثت في العشرينات والثلاثينات . وكان تدهور وضع الاستعمار القديم يغري بخوض المعارك ضده . كما كان وضع البلدان المعنية قد وصل حدا من الاذلال والافقار لا يمكن الصبر عليه .

الثاني : النضال ضد القوى الرجعية ، في البلدان التي حصلت على استقلال ولكنها ظلت مرتبطة بالقوى الاستعمارية . وقد اتخذ هذا النضال اشكالا مختلفة ، منها المظاهرات والاضرابات والانتفاضات ، ومنها الانقلابات والتحركات العسكرية التي قامت بها عناصر وطنية في الجيوش .

ولذلك شهدت سورية ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٨ عددا من التحركات والانتفاضات والانقلابات كما شهدت مصر نضالات ١٩٤٧ — ١٩٥١ ، ثم ثـورة ٢٣ يوليو .

والاردن التحركات الشعبية من ١٩٥٢ الى ١٩٥٧ ، والعراق كذلك .

وكان من نتيجة ذلك ان سقطت الانظمة الرجعية شبه الاقطاعية — شبه البرجوازية في سورية والعراق ومصر ، واستقلت الجزائر واليمن الديمقراطية ، واسقط النظام الملكي في ليبيا .

ولقد رحل الاستعمار البريطاني عن محمياته في الخليج العربي ، وان ظـل الشيوخ والامراء حاكمين . واخـذ الصراع يتفاقم بين القوى القومية والثورية والديمقراطية من جهة ، والقوى الرجعية من جهة اخرى . واتخذ هذا الصراع ايضا اشكالا مختلفة . وكانت القوى الوطنية تشدد فيه على ما يلي : أ — الصراع ضد الاحتلال والسيطرة الاجنبية . ب — الصراع ضد القوى الرجعية المحلية . وكانت قضية الوحدة العربية تطرح في هذا الصراع ، وان لم تكن محرك كل القـوى فيه .

ولكن هذا الصراع كان يتصاعد ثم يتراجع ، وينمو ثم يتفتت وكان دور القوى الجماهيرية فيه يتزايد حينا ، ويخفت احيانا ..

الا ان هذا النضال قاد الى ما يلي :

١ — استقـلال معظم اجزاء الوطن العربـي ، ما عدا الاراضي المحتلة (فلسطين ، اسكندرون ، الجولان ، سيناء ، عربستان عمان ، سبته ومليله — جزر الخليج العربي) . وان كان هذا الاستقلال يختلف قوة وضعفا من بلـد الى اخر ، وكانت جـذور التبعية ما زالت قائمة ، بسبب اشكال الارتباط المختلـفة بالسوق الامبريالية .

٢ — ضرب الاقطاع والكمبرادور في مصر وسورية والعراق واليمن الديمقراطية والجماهيرية والجزائر ، واقامة انظمـة القطاع العام . وان كانت التطورات السياسية اللاحقة قد اعادت الحياة الى بقايا الاقطاع والكمبرادور ، ونمت مظاهر طفيلية جديدة في بعض هذه البلدان .

وعلى الرغم من ذلك ، فان الاشكالات الاساسية لم تحل . لقد بقيت اجزاء محتلة من ارض الوطن ، وبقي سائره تابعا بشكل او بآخر ، بدرجة او اخرى . ثم لم تتحقق الوحدة العربية ، ووحدة مصر وسورية التي انجزت سنة ١٩٥٨ ما لبثت ان انهارت ، والاشكال الاخرى التي قامـت مثل الاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية وليبيا لم تكن اشكالا حقيقية . اما التخلف فما زال قائما ، وما زالت اشكالاته تتعقـد .

لماذا هذا كلـه ؟

انه نتيجة ما يلي :

اولا : عدم وجود الحركة العربية الشعبية الواحدة ، الممتدة في كل ارجاء الوطن العربي . انها لم تقم حتى الان . وعندما استطاع عبد الناصر ان يستقطب قطاعات واسعة من حركة الجماهير العربية ، ابقاها بلا تنظيم .

ثانيا : غياب الجبهة القومية المتحدة التي تضم كل القوى القومية والثورية والديمقراطية ، والتي تحشد اوسع قوى الجماهير حول برنامجها القومي الديمقراطي الشعبي .

ثالثا : غياب البرنامج الذي يطرح قضايا الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، المتجهة نحو الاشتراكية .

ولهذا كله ، لم تتحقق الاهداف الاساسية للثورة العربية . ولهذا كله تتراجع قوانا اليوم امام الهجوم الامبريالي — الصهيوني — الرجعي المضاد ...

— ٢ —

ان احاطتنا بهذا كله يقودنا الى معرفة ترابط الظواهر ومعرفة كيفية مواجهتها . انه يساعدنا على الخروج من دوائر الحلول الوهمية ، او الحلول التي تخدم مصالح طبقات وفئات معادية ، او مصالح فئات هامشية ووسطية في مجتمعنا لا تخرج مصالحها ، وبالتالي مطامحها ، عن اطار الواقع الراهن .

واحاطتنا هذه بالوضع تجعلنا نرى التركيبة المعادية واضحة جلية . وهي تتكون من التالي : التبعية للامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة ، الكيان الصهيوني باعتباره قوة احتلال واستيطان وعدوان ارتبط وجودها بخضوع المنطقة للامبريالية ، ويرتبط بقاؤها ببقاء الامبريالية وبقاء مصالحها .. التخلف والتجزئة المرتبطين بالتبعية للامبريالية ، وبوجود الكيان الصهيوني والقوى الرجعية العربية .

ان هذه التركيبة هي التركيبة المعادية . ويلعب النظام الامبريالي العالمي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية الدور الاساسي فيه على الصعيد البعيد — المدى ، والدور الرئيسي الان . ولكن هذا لا يعني ان القوى الاخرى قوى ثانوية ، انها جزء من العدو الرئيسي ، وادواته ، الا ان هزيمة العدو الرئيسي يعني هزيمة هذه القوى حتما . ان مواقع الاحتلال الصهيوني والرجعية العربية ، سوف تسير نحو الاضمحلال ، باضمحلال قوة الامبريالية الاميركية وانحلالها باعتبار قوتها القوة الاساسية في النظام الامبريالي العالمي . وهذا الذي حدث في فيتنام بالضبط ، وان كانت فيتنام لم تشهد وجود قوة استيطانية رجعية كما يشهد الوطن العربي . ولذلك فان مثل الجزائر اقرب في هذه الحالة . لقد انحلت قوة المستوطنين عندما هزمت قوة فرنسا ، قوة المتربول .

مع ذلك فان علينا ان نؤكد أن وضع القوة الصهيونية ليس له مثيل ، حتى روديسيا وجنوب افريقيا . فالصهيونية تجند القسم الاساسي من قوة اليهود المادية والمعنوية في العالم . وهي تحظى بتأييد الدوائر الامبريالية عامة ، واكثرها رجعية بشكل خاص ، وبعض الاوساط « الديمقراطية » و « الاشتراكية » .

الا ان هذا الوضع الخاص ، لا يجعل وجود الكيان الصهيوني خارج ظاهرة الامبريالية ، وان كان لا يعني سقوطه هذا الكيان آليا بسقوطها ... ولهذا فان سقوط الامبريالية الامريكية وانحلالها ، هو الشرط الضروري لسقوط الكيان الصهيوني وانحلاله .

ومن هنا يجب ان نخوض المعركة مع هذه التركيبة المعقدة ، وأن نشدد الهجوم على الامبريالية عامة ، والامبريالية الامريكية خاصة ، لان هذه هي طريق الخلاص.

كيف نخوض المعركة مع هذه التركيبة المعقدة ؟ من نهاجم اولا ؟ من العدو الاساسي ؟ ومن العدو الرئيسي ؟ هل نخوض المعركة مع أكثر من عدو في وقت واحد ؟ أسئلة بحاجة الى اجوبة ...

وقبل ان نبدأ بالاجابة لا بد لنا من بعض المقدمات .

١ — لقد اخطأت القوى الثورية التي حاولت ان تجزىء المعركة ، فاقترحت الصراع مع الامبريالية مرة ، ومع الكيان الصهيوني اخرى ، ومع القوى الرجعية ثالثة . ان المعركة لا تجزأ . فلم يكن ممكنا خوض الصراع الحاسم مع الوجود الاستيطاني الصهيوني قبل سنة ١٩٤٨ ، بوجود القوى الامبريالية في بلادنا مباشرا او غير مباشر . كما لم يكن ممكنا خوض الصراع الحاسم مع المواقع الامبريالية البريطانية والفرنسية بوجود القوى الرجعية العربية ومهادنتها ...

ولقد تأكد هذا بعد تحول الاستيطان الصهيوني الى دولة معترف بها دوليا .

لقد كانت المعركة واحدة ، وما زالت كذلك . والاحداث تؤكد كل يوم ان اي توجه جدي لمحاربة الامبريالية تتصدى له الرجعية العربية وقوة الاستيطان الصهيونية . كما ان اي تحرك لمواجهة الرجعية العربية تواجهه الامبريالية الاميركية والكيان الصهيوني .

ومن هنا كانت كل الشعارات التي رفعت ، مركزة على احد هذه الاقانيم فقط ، شعارات تعبر عن الوهم والعجز ، اذا كانت القوى التي رفعتها من قوى الثورة ، من قوى العمال والفلاحين والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة .

٢ — ولقد نجحت بعض القوى الرجعية ، او الرجعية الملتحفة ببرود اليسار ، في ايهام قطاعات من جماهيرنا ان معركتنا قائمة مع الكيان الصهيوني او الامبريالية فحسب . ولقد كان تركيز القوى الرجعية منصبا على توجيه الانظار نحو الاستيطان الصهيوني . اولا ، ثم الكيان الصهيوني فيما بعد . وكان ذلك ينطلق من التالي :

أ — ان توجيه الانظار الى الاستيطان الصهيوني ، يلفت الانظار عن القوى الرجعية العربية ، وعن القوى الامبريالية .

ب — ان توجيه العداء نحو الصهيونية ، يستنفد طاقات الجماهير الشعبية ، في الوقت الذي لا يؤدي هذا التوجيه الى عمل فعال ، لان الوطن خاضع للامبريالية ، وواقع تحت السيطرة المباشرة للقوى الرجعية العربية .

ب — ان هذه النظرة الجزئية تشغل عن الرؤية الشاملة ، وتغرق الجماهير الشعبية والقوى الثورية في الجزئيات ، وتجعلها ، او تجعل قسما منها ، حليفا واقعيا للقوى التي تحمي الكيان الصهيوني .

وبسبب ذلك كله لم تخض جماهيرنا المعركة الشاملة ، وكانت قواها دائما مشتتة ، وفي معظم الاحيان بقيادة القوى الرجعية ، او تحت تأثيراتها المختلفة .

ان هذا الوضع قاد الى عدم تحديد الصورة الحقيقية للمعركة ، والى الاعتماد على قوى هشه للمواجهة ، كما قاد ايضا الى عدم اعداد العدة للمواجهة الشاملة . ولذلك لم يبلور برنامج سياسي ثوري على الصعيد العربي ، ولم تخلق الحالة التنظيمية الثورية القادرة ، ولا وحدت قوى الجماهير القومية والثورية والديمقراطية.

وكان ذلك كله من الاسباب الاساسية لبقاء الاحتلال والتبعية واستمرار التجزئة والتخلف وبقاء القوى الرجعية مسيطرة .

كيف نواجه اذن ؟

ان الانطلاق من الفرضيات السابقة يقود الى تحديد طبيعة المعركة . فهي من الناحية المبدئية معركة شاملة ، ضد هذه التركيبة جميعا ، ضد التبعية للامبريالية والتخلف والتجزئة والكيان الصهيوني والاحتلال الاجنبي . ولا خيار لنا في ذلك ، لأننا لا نستطيع ان نحالف الكيان الصهيوني لنحارب الرجعية العربية ، او الامبريالية الاميركية أو التخلف والتجزئة . ولا نستطيع ان نحالف القوى والانظمة الرجعية العربية لنحارب الكيان الصهيوني او الخ ... ولا نستطيع ان نحالف التخلف والتجزئة لمحاربة : الكيان الصهيوني والامبريالية ... انها حلقات متداخلة ، وان كانت الامبريالية الاميركية والنظام الامبريالي العالمي يلعبان الدور الاساسي فيها على الصعيد البعيد المدى ، والدور الرئيسي الان ، ولكن محاربة هذا العدو الاساسي على المدى البعيد — الرئيسي حاليا تقتضي الصدام المستمر مع الكيان الصهيوني والرجعية العربية ، لانه ، وحتى الان يتجسد من خلالهما على الارض ، ويرتكز اليهما وينفذ سياسته بواسطتهما . أما اذا تدخل ، كما حصل في فياتنام ، فسيكون الموضوع اكثر خطورة ، ولكن المعركة ستبقى كما هي : التحالف الامبريالي عامة والاميركي

خاصة مع الكيان الصهيوني والقوى الرجعية العربية .

وهذه المعركة الشاملة ستكون ذات طبيعة قومية ديمقراطية شعبية .

اولا : وهي قومية لانها معركة ضد الاحتلال والتبعية ومن اجل الوحدة . التبعية والتجزئة وجهان لعملة واحدة ، نقيضهما الاستقلال والوحدة ، وهما وجهان لعملة واحدة ايضا ، ومظهران لقضية واحدة . القضية القومية هنا مزدوجة : الاستقلال ، والذي يتضمن :

(١) انهاء الاحتلال للاراضي المحتلة : فلسطين وسيناء والجولان ، الاسكندرون وعربستان ، سبته ومليله وجزر الخليج العربي .

(٢) انهاء السيطرة غير المباشرة على أرض الوطن ، والمتمثلة في التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية .

واذا كانت هناك أجزاء هامة وكبيرة من ارض الوطن محتلة :

فان لهذه الاراضي أهمية استراتيجية من جهة : موقع فلسطين على البحر الابيض المتوسط ، وكونها بين آسيا العربية وافريقيا العربية . وموقع عربستان على الخليج العربي الخ ... أما من الناحية الاقتصادية فان هناك نفط عربستان وأرضها ونخيلها ... وبهذا تزداد اهمية هذه الاجزاء المحتلة في حركة التحرير السياسي والاقتصادي .

أما من الناحية الاخرى فان التبعية غير المباشرة تحتل مكانا اهم ، وتشمل رقعة أوسع ...

وتأخذ التبعية غير المباشرة شكلين اساسيين :

الاول : **الارتباط بالسياسة الامبريالية عامة والامريكية خاصة ، وهي تشمل**

دولا مثل : المغرب ، موريتانيا ، تونس ، السودان ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الاردن ، لبنان ، الكويت ، وامارات الخليج العربي ، عمان والجمهورية العربية اليمنية .

الثاني : اعتماد السوق المحلية على السوق العالمية في الميادين الاساسية والثانوية : بحيث تكون حركة الاستيراد هي الاساس في العملية الاقتصادية ، وبحيث يشمل الاستيراد كل شيء تقريبا من القمح الى الدبابات ... وبحيث يعتمد التصدير على تصدير المواد الخام ، حسب حاجة الامبريالية ، وعلى ضوء السعر الفعلي الذي تحدده ، ان هناك ترابطا بين الاحتلال والتبعية . ان مواقع الاحتلال موجودة لضمان بقاء التبعية ، سيان بايجاد مراكز عسكرية لحماية مواقع الامبريالية في المنطقة العربية ، أو بأضعاف الامة العربية بشكل عام ...

أما التبعية فتضمن بقاء الاحتلال لان الاجزاء التابعة بشكل أو بآخر ، لا تستطيع المساهمة في النضال لتحرير الاجزاء المحتلة . وهي فوق ذلك تساهم في محاربة حركة التحرير ، لانها تعلم أن مصادمة الاحتلال تعني العمل لتغيير الواقع كله . ولأن القوى المحتلة ، مرتبطة بالقوى التي تفرض التبعية على الوطن العربي .

ولهذا يصبح موضوع الاحتلال وموضوع التبعية واحدا ، ويصبح موضوع النضال ضد الاحتلال مرهونا بموضوع النضال ضد التبعية .

ولهذا يصبح النضال ضد الاحتلال والتبعية واحدا ، فلا يمكن ان نستطيع مباشرة النضال ضد الاحتلال بمهادنة التبعية ، ولا يمكن مهادنة الاحتلال لمحاربة التبعية ...

ولكن النضال من اجل الاستقلال القومي ، يصطدم بالتجزئة . والتجزئة هي من نتاج : (١) الارث الاقطاعي للعهد العثماني (٢) وارث التبعية للامبريالية . وان كان الشق الثاني هو الرئيسي الان . ولهذا فان النضال ضد التجزئة يصبح راهنا وملحا ... لا لأن التجزئة هي نقيض الوحدة ، بل لأن الاستقلال القومي لا يتم بنضال مجزأ ، ولأن التجزئة من قواعد التبعية .

وهكذا تتجسد القضية القومية في قضايا ثلاث :

(١) النضال ضد الاحتلال .

(٢) النضال ضد التبعية المباشرة وغير المباشرة .

(٣) النضال ضد التجزئة .

من اجل الاستقلال الوطني والتحرر القومي الديمقراطي والوحدة العربية .

والمعركة هنا متعددة الاطراف والجوانب ، وان كان العدو الاساسي — الرئيسي واحدا : الامبريالية عامة والامبريالية الاميركية خاصة . ولكن كون العدو الاساسي — الرئيسي واحدا لا يلغي هذه القائمة الطويلة من الاعداء :

١ — الكيان الصهيوني .

٢ — تركيا — بسبب احتلال اسكندرون .

٣ — ايران — بسبب احتلال عربستان والجزر ، وتهديد الخليج العربي والعراق

٤ — اسبانيا : احتلال سبته ومليله .

٥ — القوى الرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية ، والمعادية للوحدة ، والمحافظة على التجزئة .

ومع ان الامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة هي العدو الاول والاكبر ، الا ان لكل عدو من هؤلاء قوته ، وخاصة الكيان الصهيوني وايران والقوى الرجعية العربية .

ولهذا فستكون المعركة طويلة ومعقدة وضارية ... وعلى جبهات مختلفة ، في الوقت عينه ، لا لأننا أردناها كذلك ، بل لأنها كذلك . وهي كذلك مبدئيا ، وان كان هذا لا يمنع بذل الجهود لتحديد القوة الاخطر في لحظة معينة وتوجيه الضربة اليها ، بمعزل عن القوى الاخرى ان أمكن ... ولكننا الان لا نتحدث عن «التكتيك» .

ثانيا : وهي ديمقراطية ، لانها مطالبة بانجاز التالي :

أ — اسقاط الانظمة الرجعية شبه الاقطاعية — الكمبرادورية الغاشمة ، وانهاء تسلط الطبقات او الفئات الرجعية على السلطة ، من اجل اقامة سلطة الشعب الديمقراطية القائمة على تحالف العمال والفلاحين الفقراء ، والبرجوازية الصغيرة الثورية والديمقراطية وكل الوطنيين الديمقراطيين .

ب — المهمات المتعلقة بتصفية بقايا الاقطاع والحياة العشائرية ومخلفات القرون الوسطى .. وهذا يستلزم تحقيق اصلاح زراعي جذري في الريف ، واسكان البوادي ، وانهاء الحياة العشائرية : الرحيل ، القضاء العشائري ، أعراف العهود الاقطاعية والعشائرية وتقاليدها ...

جـ — المهمات المتعلقة بتصفية الكمبرادور والاحتكار البرجوازي والسيطرة الاجنبية على الاقتصاد . وبناء اقتصاد وطني مستقل ومتطور .

جـ — انجاز الحريات الديمقراطية ، بتوفير حرية الرأي والاجتماع والتظاهر ، وتكوين الاحزاب وألغاء الاعتقال التعسفي وانهاء كل اشكال التعذيب ...

هـ — تحقيق المساواة التامة لكل المواطنين بغض النظر عن المذهب او الهوية

القومية ، وتوفير المساواة التامة للاقليات القومية وضمان حقوقها والعمل على توفير الاستقلال الذاتي لها .

و — الغاء كل عوامل الاضطهاد الواقعة على المرأة ، وتأمين المساواة التامة لها ، بما في ذلك حق العمل المتساوي الاجر ، وانهاء كل اشكال استغلالها واضطهادها ، وتوفير كل المساعدات اللازمة للحوامل والوالدات والمطفلات .

ان جوهر الثورة الديمقراطية يتمثل في الثورة الزراعية وحل مشكلة الارض والبداوة ، وفي انهاء سلطة بقايا الاقطاع ومخلفات القرون الوسطى والكمبرادور والبرجوازية واقامة سلطة الشعب الديمقراطية ...

ولهذا فان هذه الثورة تصطدم بالقوى المعادية كلها : بالاحتلال والتبعية والقوى الرجعية العربية ... ومن هنا تلتقي الثورة القومية بالثورة الديمقراطية .

ثالثا : وهي ثورة شعبية ، لان جماهير الشعب الكادحة كلها ستخوضها دفاعا عن مصالحها . ستخوضها الطبقة العاملة والفلاحون الفقراء وشرائح ثورية من البرجوازية الصغيرة ، ولكل الجماهير مصلحة فيها ، ما عدا الفئات الرجعية المشار اليها سابقا . ان شعبيتها ناتجة عما يلي :

أ — لن تستطيع البرجوازية ان تقود الثورة الديمقراطية ، لان البرجوازية مرتبطة بالاقطاع في بلادنا ، وتربطها به مصالح وصلات قربى ، والتناقضات بين بعض شرائحها وبينه ليست تناقضات جذرية .

ب — ولأن البرجوازية ترعرت في بلادنا في ظل العلاقة مع القوى الامبريالية ، وفي ظل هيمنتها واحتلالها . وبما ان البرجوازيات الاوروبية كانت الاقوى والاكثر تقدما ، وبرجوازيتنا متخلفة وضعيفة ظلت هامشية في النظام الامبريالي العالمي .

ج — ولأن الثورات الاشتراكية التي حدثت في العالم ، وانتصارات حركات التحرر الوطني ، والحركات الديمقراطية جعل البرجوازية في البلدان المتخلفة عاجزة عن قيادة الثورة الديمقراطية البرجوازية . ولقد باتت متحالفة مع الاقطاع وبقاياه ، والامبريالية وهيمنتها ضد جماهيرها وقواها الثورية .

د — ولأن البرجوازية الصغيرة وحدها لا تستطيع انجاز المهمات المطروحة القومية والديمقراطية ، لأنها طبقة غير متماسكة اساسا ، ولأن تذبذب اقسام منها ، وتأرجحها بين الثورة والمساومة ، يجعل قدرتها على التصدي للمهمات الكبيرة المطروحة محدودة جدا ...

ولهذا كله فلا بد من ان يتحالف العمال والفلاحون الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة لاداء هذه المهمة ...

ان اتساع هذه القاعدة ذات المصلحة في المواجهة ، هو الذي يعطي للثورة صفة الشعبية ... انها تحشد جماهير واسعة من الشعب دفاعا عن مصالحها .

وهنا تطرح عدة أسئلة نفسها ... ومن هذه الاسئلة :

١ — هل الثورة القومية الديمقراطية الشعبية بديل للثورة الاشتراكية ؟

٢ — هل هي مرحلة تاريخية كاملة ، ومتى تبدأ ومتى تنتهي ؟

٣ — وهل يجب الانتظار لتحقيقها كاملة على أرض الوطن كله ، ليكون ممكنا الانتقال الى الاشتراكية ...

٤ — من يحقق هذه الثورة ، من يناضل من اجلها ، ومن يقودها الان ومستقبلا ...

انها اسئلة جديرة بالبحث والاجابة . ولقد قاد عدم الاجابة عليها الى سوء فهم لدى بعض الاوساط اليسارية ...

ولنبدأ الاجابة :

١ — ان الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ليست بديلا للثورة الاشتراكية ، وهي ليست مطروحة لتكون بديلا . انها مطروحة لان هناك مهمات متعددة ، بعضها متخلفة من مراحل سابقة ، تحتاج الى الانجاز ، وتتطلب النضال من اجلها . وهذه المهمات من طبيعة قومية ديمقراطية شعبية . ولما كان الانتقال الكامل على صعيد الوطن العربي الى الاشتراكية مستحيلا الان ، لغياب امكانيات بناء السلطة في ظل الاحتلال والتجزئة والتبعية ، فان النضال من اجل انجاز مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية يصبح ضرورة ملحة .

وبهذا تصبح هذه الثورة المشار اليها عتبة التحول الى الاشتراكية ، لانها تضرب حلقات التبعية والتخلف الاساسية وتتيح المجال امام القوى الثورية للنمو ، وتسمح لعشرات الملايين من العمال والفلاحين الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية ان تكتسب الخبرات اللازمة للقتال والنضال وتحقيق النصر ... وفي هذا المناخ تستطيع الطبقة العاملة ان تبلور برنامجها السياسي ووحدتها التنظيمية ، وان تلعب دورا متزايدا في عملية الصراع والتحول هذه ...

٢ — والثورة القومية الديمقراطية الشعبية ليست مرحلة كاملة ، تبدأ اليوم وتنتهي بعد عشر سنوات او عشرين مثلا . انها عملية تحول ، مرتبطة بمدى نمو القوى الثورية الجذرية فقط ، وبمدى قدرتها على احداث التحولات الاكثر جذرية . وهي بذلك ليست مرحلة زمنية ، انها مرحلة سياسية ، لا اكثر ولا اقل تطول او تقصر على ضوء قدرة القوى الثورية والجذرية التى تعمل داخلها على تجاوزها ...

٣ — ولذلك فان عملية الانتقال الى الاشتراكية لا تحتاج الى انجاز كل مهمات الثورة القومية الديمقراطية . ذلك ان بعض مهماتها سوف لا تتحقق الا في ظل السلطة الاشتراكية . ذلك ان هذا التحالف سيستطيع حتما ان ينجز بعض المهمات الاساسية من المهمات المشار اليها ، ولكنه لن يستطيع حتما انجازها كلها ...

ان تحرير فيانتام الجنوبية مثلا ، احتاج الى انتقال الشمال الى الاشتراكية ، بينما لم يستطع حتى الانتقال الى الاشتراكية في الصين ان يحرر تيوان حتى الان ، وان كان قد خلق الظروف الملائمة لحلها ...

٤ — أما من ينجز هذه الثورة ، فان القوى المشار اليها آنفا هي المطالبة بالتصدي لانجازها ... وهي جميعا مطالبة بهذه المهمة . ولذلك لا بد من قيام جبهتها . ولا بد لها من زيادة فعاليتها التنظيمية وكفايتها النضالية ... وهي بدون ذلك لا تستطيع ...

ويبقى موضوع القيادة . ان القيادة الان لها جميعا ، من حيث المبدأ ، ولأكثرها شعبية وقوة من حيث الواقع . وسيظل الامر كذلك حتى تنمو الطبقة العاملة ، وتصبح لديها القدرة على قيادة هذا التحالف ، ومن ثم قيادة التحول نحو الاشتراكية .

ان هذه الاجابات ، توضح بعض الاشكالات التي تثار حول الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، ولقد كان ضروريا ايضاحها ، لضمان الرد على المتسائلين والمتشككين .

– ٣ –

لقد تبلور وضع الرجعية العربية وموقفها ، لتصبح مثل اية رجعية اخرى في العالم ، تساوم العدو علنا ، وتخون في وضح النهار . وبات مطلوبا ان يتبلور وضع الحركة الشعبية العربية وموقفها . أن استمرار الوضع ، كما هو الان ، سيقود الى المزيد من الكوارث ، لان القوى الامبريالية والرجعية تريد الوطن ان يبقى مجزأ تابعا متخلفا ، وان يزداد تفتتا وتخلفا وتبعية . ولا مجال للخلاص الا بحركة شعبية ثورية واسعة وفعالة ، قادرة على المواجهة وقادرة على قيادة عملية التحويل الثوري العظيم ...

وهذا كله لا يتم من خلال حالة الضياع القائمة ، والتي تشارك القوى الرجعية والامبريالية والصهيونية في تعقيدها ، لنبقى في شبكة التخلف والتبعية التي صنعت لنـــا ..

ولهذا فان علينا أن نخرج من حالة الضياع القائمة ، ان نحسم امرنا ، أن نحدد برنامجنا ، واهدافنا ، وان نعد العدة للمواجهة الحاسمة .

ان هذا يتطلب :

١ — حسم عدد من القضايا الاساسية ، امة عربية واحدة او امم ، حركة شعبية ثورية واحدة أم حركات عفوية قطرية ، ثورة ام اصلاحات ، تحول ثوري ام تخلف ، وحدة أم تجزئة ، استقلال ام تبعية ، ديمقراطية ام قمع ، ونحن نرى اننا يجب ان نكون مع الحركة الشعبية الثورية الواحدة ، مع الثورة ، مع التحول الثوري ، مع الوحدة ، مع الاستقلال والديمقراطية .

٢ — حسم قضية اسلوب المواجهة مع الاعداء : وهي مواجهة مسلحة اساسا ، لان التناقضات العدائية لا تحسم الا بالعنف الثوري ، وهذه طبيعة تناقضنا مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية . ومن هنا فان الاسلوب هو الحرب الشعبية ، وليس سياسة التسويات والمراهنة على ميزان القوى الدولي . ان حسم هذه القضية يضعنا على عتبة عملية التحرير الحقيقية . اما بقاؤنا معتمدين على المساومات والمراهنات الحالمة ، فلا يمكن ان يقدم لنا غير الهزائم ...

٣ — حسم قضية الجبهة القومية المتحدة وضرورتها . ان القناعة بوجود امـــة واحدة ، وبحاجة هذه الامة للوحدة والتحرر والديمقراطية الشعبية ، يتطلب وحدة القوى ذات المصلحة في ذلك . وهـــذه القوى هي قوى الجماهير الكادحة ، الطبقات والفئات الكادحة الشعبية المضطهدة والديمقراطيـــة الثورية . وهذه الجماهير لا تتحد الا في جبهة ، ولا تجمعها حاليا الا قضية الثورة القومية الديمقراطية الشعبية . ومن هنا فنحن ، مع الجبهة ضد التشرذم وضيق الافق والحزبية الطفولية .

٤ — تحديد العدو وطبيعته ، لان بقاء العدو وطبيعته بلا تحديد ، يبعثر الجهود ، ويحمي العدو فعلا . أن معسكر العدو يتكون من التركيبة التي اشرنا اليها ، ولا مجال للتفريق بينها من حيث المبدأ ، وفي هذه المرحلة ، ولذلك فان تعبئة الجماهير ضد معسكر العدو ، وليس ضد طرف منه فقط قضية ضرورية وصحيحة نظريا وعمليا . وبدونها سيبقى الجهد مبعثرا ، وسيتم التركيز على

جزء ، وليس على الكل ، وسيكون تركيزا وهميا ، لا تركيزاً فعليا .

اننا نطرح هذه القضايا على كل الثوريين العرب ، ونحن نطالبهم بالعمل اولا ، وبالحوار ثانيا . العمل للدفاع عن الوطن والشعب ، والحوار لتحقيق المزيد من التفاهم ، ولاغناء الحركة الثورية العربية ، وتخليصها من عوامل الجدب وضيق الافق ...

---

(١) — امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالث ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

(٢) عندما نشير هنا الى الاقطاع والبرجوازية ، فاننا نعلم ان اقطاع من نوع خاص ، وانها برجوازية من نوع محدد . ولا نرى داعيا لاختلاق اسماء . ومن واجب اية دراسة خاصة بنمط الانتاج عندنا ان تحدد هذه الفروق والخصوصيات .

(٣) — مالك بن نبي : شروط النهضة ومشكلات الحضارة .

نفرتيتي

معين بسيسو

يَصعد' الآن حصان' البحرِ حاملا في جناحه
خوذة جندي
يُلقي بها على الشطِّ تصير زورقا
الهرم' الأكبر ليس فندقا
وأبو الهول لا يذيع نشرة الطقس والأخبارِ
ليس شاعراً مرتزقا
والنيل طالب في الجامعه
وجسدي مطبعه
وأنا ساعة الحائط صرت' طائرا
يُلقي المناشير على القاهره
ونفرتيتي عضوة في حزبها الشيوعي
فسافري في ضلوعي
وعودي بقلب مصر يا سمينه
عرشت على سفينه

أنا الشجر' القادم' من شواطيء المحرقه
أنا المطر القادم من موانيء المشنقه
أنا المجداف صرت ورقه
وجسدي مطبعه
فكوني معي الآن أو كوني معه
يا طائر السنونو
تكون الآن أو لا تكون

□

يصعد' الآن طائر' النورسِ
من زهرةِ اللوتسِ
يَحمل' في منقاره خواتما
يلقي بها على مراكب المقاومه
عمال حلوان وبحارة بورسعيد
والغزالة التي على الشاطيء تُرضع الاسكندريه
وعرائس النيل في المراكب السريه
يصنعن القنابل اليدويه
يصعد الآن من ضريحه جمال
والنيل يصير' بندقيه
وكل شباك يصير منشورا
وقلب مصر ساعة حائط الزمن
عقرباها ذراعان يضمان الوطن
يخرج الآن من آنية الزهور
من حواصل الطيور
من مدرسة القبور
جنود مصر

أيها المظليون
هذا قصر عابدين
يلتف حوله النيل
فاهبطوا مراكبا
شجر القطن متاريس والجرحى مرايا
ووجهي يصعد الكواكبا
مسافر ونفرتيتي في دمي مسافره
أنا الآن في شوارع القاهره
هذا الشارع الذي يصهل فيه الذئب
ليس شارعي
هذا الشارع الذي يبيع أصابع الأطفال
عيدان ثقاب
ليس شارعي
هذا الشارع الذي يبيع الصحف التي تكتبها الشرطة
بالعصي والأسنان
ليس شارعي
هذا الشارع الذي يبيع في خان الخليلي
قلب مصر خلخالا من النحاس
ليس شارعي
هذا الشارع الذي يبيع عنقودا
من الدموع أضلعي
ليس شارعي

يا مصر أنا يوسف الفلسطينيُّ في البئر
وأنتِ في البئر نخلتي
وأنتَ نافورتي
جَدلتَها حبلا

أيها النّيل الذي يطفو على وجهيَ سيفا
آه ما أبعدَ حيفا
آه ما أقربَ حيفا
أعطني كفك مرآة
أرى البرق على جرحي تجمد
وأرى البرق على صوتي تجمد
وأرى البرق على اسمي تجمد
ثم أصعد
ثم أصعد

انني كليم مصر فوق صخرة المقاومه
فنادني باسمي الذي ينتظر المحاكمه
والنيل طول العمر يجري فوق ظهره الأهرام
والملوك والنبي والالـه
والنيل يجري لا يقول آه
والنيل قال ليست هذه جرائدي
وليست هذه شوارعي

رأيت في مصر الرغيف محمولا على الأكتافِ
هذا شارعي
هذا هو الشيخ امام عوده بالرصاص مثقوب

وهو لم يزل يغني
يا زنزانتي وغصني
يا بيت حبيبتي وزمني
يا نافذتي وكفني
يا وطني • يا وطني • يا وطنيِ

فآهِ يا مصرُ التي تعطي الغريب
قلبهَا رغيفا
وذراعها شمعدانا
رأيت في خان الخليلي ترجمانا
يقول للسياح قلب مصر كان هذه الرمانه
فقطعوا لسانه
رأيت وردة تخرج من زنزانه
رأيت حدادا على سندانه النيل
يطرق النيل طوفانا
رأيتُ فريد حداد كيس الرمل فوق ظهره
يقيم متراسا
رأيت سيد درويش
يصهر الهواء أجراسا
رأيت مصر برمل سيناء مكحله
تكسر عنقودا على ركبتها وسنبله
وتغسل المقصله

يا بنت مصر ما أجمل المنديل
حينما يكون نهر النيل
يا بنت مصر ما أجمل الحمامه
حينما تكون فوق الصدر شامه
ما أجمل المومياء في التابوت
ترفض أن تموت
والعصافير تبني للملائكه
أعشاشها في الغصون الشائكه

وحجر في سد أسوان
وهدهد ضد سليمان
وشجر الرمان
وجرائد الحيطان
وزهرة اللوتس
التي ترضع طائر النورس
والعصفور
وشجر الكافور
وألف قرية سريه
وألف خليه
وكل مجداف وخاتم وصيدليه
وورق البردى في انتظار قصيدة مصريه
تكتبها بندقيه

بيروت — يناير ١٩٧٨

الثورة الفلسطينية والصراع الطبقي *

عبد القادر ياسين

ثمة من ردد أن الثورة الفلسطينية خالية تماما من الصراعات الطبقية . على أن هذا القول نفسه هو تأكيد على وجود هذه الصراعات ، وعلى انتماء من ردد هذا القول الى البرجوازية ، ذلك أن البرجوازية شديدة الحرص على اخفاء ملامح الصراع الطبقي ، وانكاره .

وما دام المجتمع الفلسطيني مجتمعا طبقيا ، فالصراع الطبقي فيه حتمي ، وان احتل مرتبة التناقض الثانوي ، مبقيا مرتبة التناقض الرئيسي للصراع الوطني ، الذي تخوضه طبقات الشعب الفلسطيني ، منذ اكثر من نصف قرن ، ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

لقد تضررت طبقات الشعب الفلسطيني كافة من ضياع وطنها ، واستحواذ الصهيونية عليه (١٩٤٨) . لكن مواقف هذه الطبقات وردود فعلها على هذا الضياع جاءت مختلفة ومتفاوتة . كما أن المدى الذي ستواصل فيه كل طبقة الكفاح سيختلف من طبقة اخرى . وفي الوقت الذي ستواصل الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة مسيرتها النضالية الى ما بعد تحرير فلسطين ، فان البرجوازية الكبيرة ستزداد تحولا الى صف الامبريالية ، مع اقتراب الثورة من تحقيق هدفها الاستراتيجي الوطني ، كما ان شرائح من البرجوازية الوطنية — خاصة الزراعية والتجارية والربوية — ستزداد فزعا من حركة الجماهير ، فتتحول الى مواقع الثورة المضادة .

وتفاوت ردود فعل مختلف طبقات الشعب الفلسطيني على ضياع الوطن يعكس نفسه على درجة استعداد كل طبقة منها للكفاح والتضحية . وفي الوقت الذي تفوق الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والشرائح الثورية من البرجوازية غيرها من الطبقات في هذا الصدد ، فاننا نجد التردد والاستعداد الضئيل والمتواضع للكفاح والتضحية يطبع حركة البرجوازية الوطنية والكبيرة الفلسطينية . وفي

فلسطين المحتلة — سواء التي احتلت عام ١٩٤٨ او عام ١٩٦٧ — نلحظ ميل هاتين الطبقتين للمساومة وعقد الصفقات مع المحتل الاسرائيلي ، بالغ الوضوح .

مرحلتان وبرنامجان

ان مفتاح فهم الطابع الحقيقي للثورة الفلسطينية متضمن في الماركسية اللينينية ، التي تفسر امتزاج الكفاحين الوطني والطبقي .

فالماركسية اللينينية تؤكد الطابع الوطني لهذه الثورة ، بالاضافة الى مضمونها الطبقي المتغير . على ان **الطابع الوطني يظل هو الرئيسي في كفاحنا ، في حين يحتل الجانب الطبقي موقعا ثانويا** . وفي الوقت الذي يتطلب كفاحنا الوطني الحسم والثورية ، فان الصراع الطبقي ، بين المستغلين والمستغلين من الشعب الفلسطيني، يتسم بالاصلاحية ، فهو لا يرمي الى احداث ثورة اجتماعية في المرحلة الراهنة من كفاحنا الوطني ، بل الى تحسين اوضاع عمل الكادحين ، برفع اجورهم وتقليل ساعات عملهم وتوفير الضمان الاجتماعي لهم ... وما اليه .

وثورتنا ليست ديمقراطية برجوازية بل هي وطنية ديمقراطية . ذلك ان الغالبية العظمى من فلاحينا اغتصبت الصهيونية اراضيهم ، مما اخرجهم من صفوف البرجوازية الصغيرة ، واقترب بهم من الطبقة العاملة ، في الموقع الاقتصادي والموقف السياسي بالتالي . كما ان الدعم المادي والمعنوي الذي قدمته ، ولا زالت ، الدول الاشتراكية لثورتنا الراهنة لعب دورا غير هين في تجذير هذه الثورة وتعميق عدائها للراسمالية والامبريالية ، وزادها اقترابا من الاشتراكية . ويمكن اكتشاف هذا الامر لدى المنظمات القاعدية في الثورة بشكل اوضح منه في صفوف القيادة ! كما ان اتساع تأثير قوى الاشتراكية في صنع أحداث العالم لعب ، في تزايد ملحوظ ، دوره في شل ذبذبة البرجوازية الصغيرة الفلسطينية لصالح التقدم والاشتراكية ، الى حد بعيد .

وسيادة البرجوازية الصغيرة في قيادة ثورتنا اليوم ، انما اتى بسبب خلخلة وتشوه البنية الاقتصادية — الاجتماعية للشعب الفلسطيني ، مما اضعف دور الطبقة العاملة الفلسطينية في قيادة الثورة .

وبعد التحرير فان المواقع ستتغير ، ويندفع الصراع الطبقي الى السطح ، ليحتل موقع التناقض الرئيسي ، ويكتسب الطابع الثوري ، ويلقي عنه الطابع الاصلاحي ، ولا ينتهي الا بالحسم ، بالثورة الاجتماعية .

وحتى بعد انجاز التحرير ، فان الاساس الموضوعي للكفاح الوطني يظل قائما، بالرغم من انتقال مركز الثقل — من المجال السياسي الى المجال الاقتصادي ، حيث يتركز الكفاح من اجل الاستقلال الاقتصادي .

ويعني الاستقلال الاقتصادي انهاء سيطرة الاحتكارات الاجنبية ، وتقييد رأس المال الاجنبي ، وتحقيق تغييرات عميقة في الملكية الزراعية ، بتطبيق اصلاح زراعي جذري ، واقامة صناعات ثقيلة ، وتعزيز القطاع العام . بما يؤهلنا للانتقال الى الاشتراكية .

وعليه فانه يمكننا الحديث عن الطابع الوطني الديمقراطي لثورتنا الراهنة .

وبسبب هذا تموج الحركة الوطنية الفلسطينية ، اليوم ، بالصراعات الطبقية . **فالثورة الوطنية الديمقراطية ليست الا شكلا من القهر الطبقي والصراع الطبقي ، اوسع واوضح واكثر حرية ،** على حد قول لينين .

وهذا الصراع الطبقي يجعل اطراف التحالف الوطني غير ثابتة ولا سرمدية ، اذ أن مضمون هذا التحالف يتوقف على طبيعة المرحلة الثورية ، وعلى ميزان القوى الطبقية داخل الحركة الوطنية ، وعلى مدى اندماج البرجوازية الوطنية في الثورة الوطنيـــة الديمقراطية .

وبذا تتغير ، باستمرار ، القوى المشاركة في التحالف ، مما يغير — بالتالي — المضمون الطبقي لهذا التحالف .

الجبهـــة الوطنيـــة

واذا كان تحرير فلسطين هو المهمة الرئيسية للثورة الفلسطينية اليوم ، فان هذه المهمة تصلح اساسا لقيام جبهة وطنية متحدة ، كما يستحيل تحقيق هذه المهمة بدون تلك الجبهة ، التي تحقق حشد وتعبئة طبقات الشعب الفلسطيني كافة ، في اتجاه تحقيق الهدف الاستراتيجي للمرحلة : تحرير فلسطين .

ونقطة البدء في الصراع الطبقي في الثورة الفلسطينية ، هي في التسليم بتعدد قوى هذه الثورة ، وتمايز منطلقاتها ، وافكارها ، وبرامجها ، اضافة الى مصالحها المشتركة وهدفها الواحد .

والجبهة الوطنية هي صيغة التحالف بين هذه القوى . التي يجمعها برنامج سياسي مرحلي مشترك ، لا ايديولوجية واحدة .

وتعالج هذه الجبهة المسائل الناشئة عـــن الصراع الطبقي بين اطرافها ، وتخضع هذه المسائل للتناقض الوطني الرئيسي ، وتحول دون اندفاعها الى مرتبة التناقض الرئيسي ، ولكن — في الوقت نفسه — دون حلها على حساب الطبقات الكادحة ، او بما يضر بقضية التحالف .

وتقوم العلاقات بين اطراف الجبهة على الروح الرفاقية ، وليست العدائية . كما أن التناقضات بين هذه الاطراف تحل بالطرق السلمية ، « بالاساليب الديمقراطية ، بالمناقشة ، بالنقد ، بالاقناع والتثقيف ، ولا يمكن حلها بأساليب الاكراه والضغط » . بما يجعل حل التناقضات هذه يأخذ صيغة **« وحدة — صراع — وحدة »** ، اي الانطلاق من الرغبة في الحفاظ على الوحدة من اجل حل التناقضات فيما بين اطراف الجبهة ، لينتهي الامر الى وحدة وطنية جديدة ، على أساس جديد ، أقوى وأشد . ويمكن لهذه التناقضات غير العدائية ان تتحول الـــى تناقضات عدائية ، في حالة معالجتها بطريقة خاطئة ، او ضعف يقظة اطراف الجبهة تجاه مؤامرات الاعداء (1) .

وتفتح الجبهة ابوابها لكل القوى الوطنيـــة الفلسطينية المعادية للامبريالية والصهيونية . ويجب أن لا نمل من تكرار كون **نواة الجبهة هي الطبقات الكادحة ،** من عمال وفلاحين فقراء ومثقفين ثوريين والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة . وحول هذه النواة تلتقي البرجوازية الوطنية والمثقفون الثوريون والمقاتلون الثوريون. وبلغة السياسة ، فان الجبهة الوطنية الفلسطينية يجب أن تضم التنظيمات الوطنية

الديمقراطية والمنظمات الجماهيرية والحركات الشعبية .

والبرجوازية الصغيرة — التي تحتل موقعا وسطا بين العمال والبرجوازية — هي انشط قوى الثورة الوطنية الديمقراطية ، خلال مرحلتها الاولى . على اننا يجب أن نحذر من ميل بعض شرائحها الـــى الفوضوية والمغامرة ، ومن تذبذب شرائح اخرى في مواقفها ، مما يجعلها تقترب من البرجوازية ، وتتحول الى معسكر الثورة المضادة .

أما البرجوازية الوطنية فهي ليست متجانسة ، اذ تضم شرائح وفئات اجتماعية مختلفة . وان كانت كتلتها الرئيسية هي البرجوازية المتوسطة . وتضم البرجوازية الوطنية الشريحة العليا من البرجوازية الصغيرة والشريحة الدنيا من البرجوازيـــة الكبيرة . ومن هنا فان البرجوازية الصغيرة هي يسار البرجوازية الوطنية ، في حين تحتل البرجوازية الكبيرة الجناح الايمن ، ويبقى موقع الوسط للبرجوازيـــة المتوسطـــة .

وقد اكتسبت هذه البرجوازية صفتها الوطنية بسبب معاداتها للامبريالية ، لعدم ارتباطها بالسوق الراسمالية العالمية ، ولرغبتها في الانفراد بسوقها المحلية . لكن مواقفها تتسم بالازدواجية ، اذ هي تعادي الامبريالية والشعب معا . تقترب من هذا اذا ما اشتد ضغط ذاك عليهـــا . فمع ازدياد الخطـــر الامبريالي تنتمي البرجوازية الوطنية الى معسكر الثورة ، ومع ابتعاد هذا الخطر وتنامي حـــركة الجماهير فان هذه البرجوازية تبادر الى الانسحاب من معسكر الثورة ، وتستدير الى جماهير الشعب تقمعها ، وتقاتل ضدها .

وهذا الخطر يضع على عاتقنا مهمة مزدوجـــة : فأولا ، لا بد من اشراك البرجوازية الوطنية في الجبهة الوطنية ، وثانيا ، لا بد من الحذر من انحرافـــاتها وتقلباتها ، والحيلولة دون سيادة فكرها وبرنامجها في هذه الجبهة ، مع السعي لتغليب الطبقة العاملة ، فكرا وبرنامجا ، في قيادة الجبهة .

ويعتبر المثقفون قوة وسطية ، تسير وراء الطبقة التـــي تمنحها امتيازات اوسع ، على أن المثقفين الثوريين يتصدرون الثورة الوطنية الديمقراطية ، ويلتحمون بمواقف الطبقة العاملـــة .

وايا كان الامر ، **فان الموقف من الامبريالية هو المعيار** في التعامـــل مع هذه الطبقة او تلك في مجال الكفاح الوطني .

وعلينا أن لا نصدم اذا ما خرجت هذه الطبقة او تلك من الجبهة الوطنيـــة ، فوجود اي طبقة هو رهن بمدى حدة الصراع بين البرجوازية المحلية والامبريالية ، وبمدى حدة الصراع الطبقي المحلي ، وقوة تأثير حزب الطبقة العاملة . ومن جهة اخرى ، فان اي طبقة تحس بأن مصالحها قد تحققت تسارع الى الخروج مـــن الجبهة .. وهذا أمر طبيعي ، ومنطقي .

البعـــد العـــربي

وقضيتنا الوطنية هي قضية عربية ، اذ هي ضمـــن واجبات ومهـــام الثورة العربية ، بفصائلها التقدمية وجماهيرها الشعبية العريضة ، وفي مقدمتها شعبنا

العربي الفلسطيني ، الذي يأتي العمل الفدائي تعبيرا عن طليعيته في التحرير .

كما أن **قضيتنا الفلسطينية هي جوهر القضية العربية** ، بدون حلها تظل الثورة العربية تراوح في مكانها ، بل تهدر طاقاتها وامكاناتها ، باستمرار .

وانتصارنا رهن بحدوث تغييرات جذرية في الاقطار العربية . لذا فنحن مع كل خطوة تقدمية يخطوها اي قطر عربي ، ومع أية خطوة وحدوية عربية ديمقراطية ، تتصدى للمهام الوطنية الديمقراطية للثورة العربية . ونحن مع العمل ، بدأب ، من أجل وحدة القوى التقدمية العربية كافة .

الارتباط بالاممية البروليتارية

وحركتنا الوطنية هي جزء من حركة التحرر الوطني العالمية ، التي تشكل اليوم مع النظام الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية ، طابع عصرنا الراهن .

ويتوقف مضمون النضال الوطني على الطابع العام للعصر والقوى الدافعة للثورة العالمية . ومن هنا فان فهم الارتباط بين الوطني والطبقي يتطلب النظر الى الثورة الفلسطينية في ارتباط حميم مع العملية الثورية العالمية .

وتعجز الطبقة العاملة في كل قطر عن فصل نضالها عن نضال الطبقات العاملة في بقية اقطار العالم ، فعدو الطبقة العاملة لا يتمثل في برجوازية قطرها فحسب ، وانما في برجوازية الاقطار الاخرى كذلك . ومن هنا تنشأ المصالح الاساسية المشتركة بين الطبقة العاملة في العالم اجمع .

ومن خلال التضامن والوحدة في النضال البروليتاري الاممي فان الطبقة العاملة توفر لنفسها السند والتأييد الضروريين لانتصارها .

ان تصفية الامبريالية هدف طبقي للبروليتاريا العالمية والنظام الاشتراكي ، تماما كما هي هدف وطني للشعوب المستعمرة .

ومن جهة ثانية ، فان تعاظم قوة النظام الاشتراكي العالمي ، ونهوض حركة الطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية ، من شأنهما اضعاف الامبريالية ، مما يسهم مع الثورات الوطنية في دحر الامبريالية . فالصراع الطبقي الذي يقوض الرأسمالية العالمية ، يعزز الاستقلال السياسي لشعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات والدول المستقلة حديثا .

وعليه ، فانه يجب على حزب الطبقة العاملة ، عندما يضع برنامجه السياسي ، الا يهمل عنصر التضامن الاممي ، اذ ان نضال اي حزب شيوعي ليس مقطوع الصلة بما يدور حوله في العالم . « والتفكير في صراع الطبقات استراتيجيا ، انما يعني ، في نظر لينين ، التفكير فيه على مقياس عالمي ، على مقياس تاريخي . وعلى هذا المقياس تلتقط الحركات الاجمالية لكلا الجيشين ، والقطاعات الهادئة ، وتراخي هذا الجيش او ذاك ، والهجمات والدفاع ، وليس من سلم مطلق في هذا الصراع ، وثمة — على الاكثر — فترات هادئة ، هدنات ، وصراع طبقات ، بمراحله من سلم وحرب » (٢) .

ان العصر الراهن — ومضمونه الرئيسي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية — هو عصر الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطني ، عصر انحسار الاستعمار والغاء النظام الكولونيالي ، عصر تحول الشعوب ، المتزايد ، نحو الطريق الاشتراكي ، عصر انتصار الاشتراكية .

وهذا التعريف العلمي لمضمون العصر واتجاهه ، يصف ، بدقة ، العلاقات بين قوى الاشتراكية وقوى الرأسمالية ، في المجال الدولي ، ويشير الى التغييرات في ميزان القوى ، لصالح الاشتراكية ، ويؤكد التناقض الرئيسي في عالم اليوم ، وهو التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية .

ويغطي هذا التعريف العملية الثورية العالمية في مجملها ، ويكشف عن تعقيداتها ، ويشير الى القوى الرئيسية الفاعلة في هذه العملية . انه يؤكد الحاجة الى ادماج حركة التحرر الوطني وسائر الحركات الثورية والديمقراطية والمعادية للامبريالية مع نضال الطبقة العاملة ، في مجرى ثوري واحد . وبدون التقليل من اهمية أي من القوى المشتركة في العملية الثورية العالمية ، وبدون التعدي على سيادة اي منها ، بل المساواة بينها جميعا . ولا تهمل الماركسية — اللينينية السمات النوعية للثورات الوطنية ، كما لا تبالغ فيها . وبينما يعمل الشيوعيون على تعزيز عرى الروابط بين النظام الاشتراكي العالمي وحركة الطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية وحركة التحرر الوطني العالمية ، فانهم يقرون باستقلال كل من هذه القوى الثلاث .

والاحزاب الشيوعية وحركات التحرر الوطني وشعوب المستعمرات واشباه المستعمرات هي ، جميعا ، الحليف الرئيسي الخارجي للطبقة العاملة في كل قطر .

ويؤكد لنا التاريخ بأن انتصار ثورات التحرر الوطني هو رهن بنجاح وقوة الاشتراكية — القوة المركزية في عالم اليوم — والطبقة العاملة العالمية .

وعليه ، فلا بد من **المزج الصحيح بين المهام الوطنية والمهام الاممية** ، فالواجبات الاممية لا يمكن انجازها في ظل اهمال الواجبات الوطنية . ولا تتحقق المهام الوطنية بدون ايلائها الاهتمام الكافي ، مع المشاركة النشطة في حل المشكلات الجماعية للحركة الشيوعية في العالم .

وعلى الاممية البروليتارية أن « تلائم نفسها » ، وأن تضرب بجذور عميقة في التربة الوطنية . وحسب قول ديمتروف « لن تكون ثمة وطنية شعبية اصيلة بدون تضامن اممي ، كما لن يكون ثمة تضامن اممي اصيل بدون وطنية شعبية اصيلة » .

المرحلة الثانية

صحيح ان الحديث عن المرحلة التالية من كفاحنا الوطني هو امر سابق لأوانه ، الا أن الوعي بهذه المرحلة امر ضروري وحيوي للمناضلين الوطنيين الفلسطينيين في المرحلة الراهنة ، حتى لا تتقاذفهم الاحداث ، ولا تباغتهم المرحلة الثانية ، فتدور رؤوسهم بما تحمله من مفاجآت في المواقف السياسية لمختلف الطبقات الاجتماعية .

فاذا ما واصلت ثورتنا الراهنة كفاحها في ثبات ، فانها ستتجاوز مرحلة الثورة

الوطنية ، وتتطور الى ثورة اشتراكية ، بمجرد انجاز التحرير . ذلك ان تجذر العداء للامبريالية في اوساط الشعب الفلسطيني من شأنه تعميق عداء ثورتنا الوطنية للرأسمالية ، مما يدفعها اكثر فأكثر في اتجاه الاشتراكية . وان كان ذلك يتوقف — الى حد بعيد — على مدى نمو وقوة وتأثير الحزب الشيوعي الفلسطيني وبقية الفصائل اليسارية في حركة المقاومة الفلسطينية .

والبرجوازية الصغيرة السائدة في قيادة الثورة الفلسطينية اليوم ، تتأرجح في مواقفها الاجتماعية فيما بين العمال والبرجوازية . وهذه البرجوازية الصغيرة قلقة ، طالما فاجأتنا ، وستفاجئنا دوما ، بانعطافات سياسية ، وان اظهرت استعدادا للاستجابة الى المطالب الشعبية اكثر من البرجوازية الوطنية .

وواجبنا هو تعزيز الاتجاه الديمقراطي الثوري داخل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، وفضح ودحر الاتجاهات الرجعية داخل هذه القيادة .

ومجموعة الاجراءات التقدمية المطروحة ، عقب التحرير ، لا يمكن ان يدفع بها سوى تحالف واسع من القوى التقدمية ، يشكل العمال والفلاحون الفقراء قلبه الخفاق .

ويوفر الصراع الطبقي المتزايد ، واتساع حركة الجماهير المعادية للامبريالية اساسا لتكوين جبهة تقدمية متحدة ، تضم العمال والفلاحين الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة . ومع اقامة مثل هذه الجبهة فان الثورة تكون قد انجزت احدى أهم مهامها .

وكلما ازداد اتضاح الطابع الطبقي للثورة فان التحامها بالحركة الثورية العالمية يشتد ويتعمق .

على ان الامر لن يسير في سهولة ويسر . وربما نشأت الصعوبات والتعقيدات بسبب ضعف الطبقة العاملة الفلسطينية ، وهيمنة البرجوازية الصغيرة على قيادة الحركه الوطنية الفلسطينية .

والى المتشائمين ، والى الذين لا يتصورون امكانية حدوث هذه التحولات في الثورة الفلسطينية ، نقول : الم تبدأ الثورة الفلسطينية الراهنة بمجموعة من العناصر السلفية المحافظة الشديدة العداء للماركسية — اللينينية ، ومع ذلك اين افكارها واين برنامجها اليوم ، وقد غدت الماركسية — اللينينية هي فكر الغالبية العظمى لقواعد الثورة والكوادر الوسطى فيها . بل عجز بعض القادة عن النأي بنفسه عن تأثيرات هذا الفكر ؟!

الخلاصة

١) الصراع الوطني هو — ايضا — صراع طبقي .

٢) يستند كفاحنا الوطني الى اساس طبقي عريض . والجبهة الوطنية هي شعار المرحلة .

٣) لا يفتعل اليسار الصدام مع يمين التحالف ، ولا يمارسه ضده « على الحامي والبارد » ، بل لا بد وان يكون هذا « الصدام » مبررا ، ومفيدا ، ومحدودا .

٤) يلتزم التحالف الوطني بالمضي في طريق التحرير والكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

٥) منطلقات احزاب الطبقة العاملة وطنية ، بينما توجهاتها اممية . وتسترشد الرابطة الاممية البروليتارية بالمصلحة الوطنية ، حيث يندمج الوطني بالاممي .

٦) ثمة برنامجان للثورة الفلسطينية الراهنة : الاول وطني يهدف الى تحرير فلسطين ، بينما الثاني اجتماعي ، يرمي الى تحقيق الاشتراكية في فلسطين . ولا فاصل بين البرنامجين ، كما ان المرحلتين مندمجتان متصلتان .

★ يشكل هذا المقال فصلا من الدراسة التي اعدها كاتبه بعنوان « فن قيادة الصراع الطبقي » ، وستصدر قريبا عن دار الآداب ببيروت .

(١) ماوتسي تونغ . حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب . ص ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ (انظر : اربع مقالات فلسفية . بكين ، دار النشر باللغات الاجنبية ، ١٩٦٨) .

(٢) لوفيفر . فكر لينين . دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٠ ، ترجمة اديب اللجمي وكمال الغالي ، ص ٣٦٠ .

وجهة نظر
في اتحاد الصحفيين العرب

بقلم حنا مقبل

اذا كانت المنظمات الشعبية العربية بشكل عام ، لم تستطع ان تتحرر من سيطرة الانظمة عليها ، الا ما ندر ، الامر الذي شل الكثير من فاعليتها ، وافقدها احيانا مبرر وجودها . فان هذا القول ينطبق اكثر ما ينطبق على اتحاد الصحفيين العرب ، الذي فتحت ملفاته مؤخرا اكثر من نقابة عربية ، بعد ان كنا في اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين اول من فتح هذه الملفات ، بشكل اغضب حتى بعض اصدقائنا !..

ومع اننا لا نفرق بين اتحاد شعبي واخر ، ما دام الهدف منها جميعا خدمة القضايا القومية ، او هكذا يفترض فيها ، فان اتحاد الصحفيين العرب له اهمية خاصة لعدة اسباب ، ابرزها ، انه اكثر الاتحادات تعاطيا بالعمل السياسي ، لان كل اعضائه يعملون بالسياسة ، والكثير منهم يحتل مواقع سياسية بارزة ، كما انه اكثر الاتحادات تماسا بالحياة اليومية للجماهير ، وهو ايضا اكثر الاتحادات تحملا لمسؤولية التصدي لقضية قضايا وطننا ، وهي انعدام الحريات الديمقراطية .

ان اتحاد الصحفيين العرب هو اتحاد الذين يتعاطون بالكلمة المباشرة . والكلمة المباشرة هي اكثر ما يداس في هذا الوطن !.

ووضع ، كهذا ، اذا كان يعطي للاتحاد اهمية خاصة ومكانة متميزة ، فهو ايضا يحمله اعباء فريدة وجسيمة جدا .. تقتضي ان يكون هناك من هو قادر على قول اللا ... وللجميع اذا اقتضت الظروف !

ويقتضي أن يكون هناك من يعلن رأيا في كل القضايا ، وان يكون مستعدا لفضح اية جهة ، اذا كان ذلك منسجما مع ميثاق الاتحاد واهدافه .

ويقتضي ايضا وجود من هو على استعداد لان يعتبر العمل في الاتحاد مهمة مقدسة لا مجرد وظيفة فخرية ..!

فهل كان اتحاد الصحفيين العرب على هذا المستوى ؟!

بدأ الاتحاد نشاطه الحقيقي في مؤتمره الثاني الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٨ . ولكنه ظل نشاطا يغلب عليه طابع التأسيس الى ان كان عام ١٩٧٢ حيث عقد المؤتمر الثالث في بغداد بين ١٧ و ٢١ نيسان .

وبدأت علاقة اتحادنا باتحاد الصحفيين العرب اعتبارا من ذلك التاريخ . وكنا لا نزال وقتها لجنة تحضيرية ...

منذ ذلك الحين ، شارك اتحادنا في كل الاجتماعات بلا استثناء .. وكان ، وباعتراف الجميع ، فعالا في كل الاجتماعات . بل اكثر من ذلك ظل اتحادنا (مشاكسا) دائما على حد تعبير امين عام الاتحاد الذي اصبح فيما بعد رئيسه !..

كنا نرى ان اتحاد الصحفيين العرب يمكن ان يكون قوة شعبية بالغة الاهمية ، فيما لو طبق الاهداف الثلاثة التي انشىء من اجلها ، وهي :

اولا : — الدفاع عن القضايا الوطنية للامة العربية .

ثانيا : — الدفاع عن قضايا الحريات .

ثالثا : — الدفاع عن حقوق الصحفيين والمساهمة في تطوير المهنة .

وفي اجتماعات المكتب الدائم في القاهرة في ١٨ تشرين اول ١٩٧١ وفي عدن في شباط ١٩٧٢ .

وفي مؤتمر بغداد في نيسان ١٩٧٢ ، ثم في دمشق في آب ١٩٧٤ ، واجتماعات المكتب الدائم في بيروت في اذار ١٩٧٥ وفي طرابلس في الجماهيرية الليبية في كانون اول ١٩٧٥ . وحتى في مؤتمر الجزائر (سيء الصيت) في كانون اول ١٩٧٦ ..

في كل هذه المؤتمرات والاجتماعات اتخذت سلسلة قرارات مهمة :

في المجال السياسي ظل موقف الاتحاد ثابتا : — تحرير كامل التراب الفلسطيني وتحرير كل الارض العربية المحتلة ، والتأكيد على ان الكفاح المسلح هو طريق التحرير ورفض مبدأ التعايش مع العدو الصهيوني بأي شكل من الاشكال .

اكثر من ذلك ، تقرر في مؤتمر دمشق ، بناء على اقتراح من اتحادنا ، ادخال تعديلات على نص النظام الداخلي تعزز الموقف السياسي للاتحاد (1) .

والى جانب القضية الفلسطينية وتأييد نضالات شعبها اتخذت مؤتمرات الاتحاد مواقف مبدئية ثابتة ضد الرجعية العربية وضد كل اشكال الاستعمار والتبعية وضد القهر والاستعباد . وكان جريئا في معالجة كل قضايا الوطن ، ووقف بحزم ضد كل انحراف .

---

(1) تقول المادة الثانية من الفصل الثاني من النظام الاساسي لاتحاد الصحفيين العرب :

« يهدف اتحاد الصحفيين العرب في المجال السياسي الى :

١ — تعبئة كافة امكانات الشعب العربي من اجل معركة الصمود والتحرير من كافة اشكال الوجود الاستعماري ومصالحه الاستغلالية والاحتكارية وعلى رأسه الوجود الصهيوني في الاراضي العربية المحتلة ، وفضح القوى الاستعمارية والرجعية المعادية لتحرر الشعب العربي ووحدته والمتآمرة على قواه الوطنية والتقدمية ، واعتماد كل الوسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تساعد على تحقيق هذه الاهداف .

٢ — فضح وتعرية الوجود الصهيوني الاستيطاني باعتباره يمثل حركة صهيونية عنصرية عدوانية مرتبطة بالامبريالية .

←

في مؤتمر دمشق ادخلت التعديلات التالية :

ادان اتفاقية سيناء بنفس القوة التي ادان فيها المؤامرة على الثورة الفلسطينية في الاردن وفي لبنان .

وفي مجال الحريات الديمقراطية اتخذ عشرات القرارات ، وطور ذلك الى لجنة للدفاع عن الحريات ، كلفها بمتابعة كل القضايا المتعلقة باضطهاد الصحفيين .

وفي المجال النقابي قرر الاتحاد انشاء صندوق تضامن لمساعدة الصحفيين المضطهدين ، وقرر تشكيل لجنة لاحياء تراث شهداء الصحافة العربية ، وقرر اصدار مجلة الصحفي العربي . وفي اجتماع المكتب الدائم في بيروت في مطلع عام ١٩٧٥ ، شكل هيئة تحريرها على ان يصدر العدد الاول خلال شهرين من ذلك التاريخ !!

هذا بالاضافة الى عشرات القرارات المهنية الاخرى !

فماذا كانت حصيلة كل ذلك ؟!

* الدور السياسي للاتحاد ظل غائبا دائما .. ولو عدنا الى ملفات هذا الاتحاد ، فلا نكاد نجد بيانا واحدا صادرا عن رئاسته ، اللهم الا اذا كانت قضية لا تغضب احدا ... من قريب او بعيد !!

لقد اكتفوا بقرارات المؤتمرات .. وكفى الله المؤمنين شر القتال !

هذا على الرغم من ان الاتحاد يؤكد في مقدمة نظامه الاساسي ان دوره سياسي اولا ، كما انه ينص في الفصل الثالث من المادة السادسة فقرة ٦ على عقد مؤتمرات سياسية للصحفيين العرب ، في المناسبات والظروف ، التي تتطلب موقفا موحدا للصحفيين العرب ازاء القضايا القومية ...

هذا النظام اقر في مؤتمر بغداد عام ١٩٧٢ اي قبل ست سنوات ..

فهل كانت هذه السنوات الست هادئة الى حد لم يستدع عقد اي لقاء ؟!!

* قضية الدفاع عن الحريات ضاعت ايضا في ادراج غرفة اتحاد الصحفيين العرب التي يشغلها في مقر نقابة الصحفيين المصريين !!

اتخذ القرار بانشائها في مؤتمر بغداد عام ١٩٧٢ .

وفي اجتماعات المكتب الدائم في القاهرة عام ١٩٧٣م تم تسمية اعضائها ...

وفي مؤتمر دمشق ١٩٧٤ أعلن رسميا عن قيامها على أن تجتمع في بيروت خلال شهرين !

بعد عامين على ذلك التاريخ اجتمعت في الاسكندرية اجتماعا يتيما .. في غياب معظم اعضائها !

وما عدا ذلك لم نسمع عن خطوة واحدة قام بها الاتحاد دفاعا عن الحريات الصحفية !

* في لبنان استشهد العشرات من الكتاب والصحفيين والعاملين في الحقل الصحفي .. ونحرت الصحافة اكثر من مرة .. ولم يكلف الاتحاد نفسه عناء اصدار كلمة واحدة !

لقد احترق لبنان واحترقت صحافته .. واحترق صحفيون لبنانيون وفلسطينيون

١ — اضيفت كلمة فلسطين على الفقرة ١ قبل الاراضي العربية المحتلة بحيث اصبحت : « الوجود الصهيوني في فلسطين وسائر الاراضي العربية المحتلة » .

٢ — اضيفت على الفقرة ٢ عبارة : « ومقاومة اية محاولة للتعايش معه واعتبار ذلك خيانة للامة العربية وتاريخها ولكل نضالات اجيالها » .

وعرب اخرون ...

ولم يسمع هؤلاء كلمة مواساة من اتحادهم ..!

ولم نسمع ان رئيس الاتحاد او امينه العام قد مرا ولو لساعات ، ليسألا : ماذا نستطيع ان نفعل ؟

لم يصل اتحادنا ، ولم يصل لزملائنا اللبنانيين .. اية برقية .. اية كلمة ... ولو للتضامن اللفظي فقط !!.

لم يكن هناك ابدا في اتحاد الصحفيين العرب من يقول : ماذا تريدون ؟. في الوقت الذي وصلت فيه من اتحادات صحفية عالمية كثيرة اكثر من برقية .. واكثر من سؤال ... واكثر من عرض لمد يد العون !

وفي نفس الوقت الذي منحت فيه المنظمة العالمية للصحفيين ارفع اوسمتها لاتحادنا وسط مظاهرة عالية في هلسنكي ، ما زالت رئاسة الاتحاد تماطل في تنفيذ قرار المؤتمر الخامس بتخصيص وسام باسم الشهيد كمال ناصر !

* الصحافة في الكويت ايضا وجهت لها الضربات وحل مجلس نقابتها الشرعي ! امانة اتحاد الصحفيين العرب لم تكتف بعدم اتخاذ موقف ..

اكثر من ذلك ، وجهت الدعوة لجمعية الصحفيين الكويتية المعينة على اشلاء الجمعية المنتخبة لحضور مؤتمر الجزائر .

واذا كان ممثل هذه الجمعية لم يشارك المؤتمر ، فلان ذلك لم يكن بيد الامانة العامة !

* في البحرين جرت اعتقالات واسعة للصحفيين وناشدنا رئاسة الاتحاد ان تفعل شيئا .. ان تقول شيئا .. ولا حياة لمن تنادي !

اتحاد الصحفيين العرب كرم السلطة التي اقترفت كل هذه الجرائم بأن اختار ممثلها لعضوية الامانة العامة للاتحاد !.

وكذلك فعلوا مع النظام الاردني !

* حتى عندما اضطهدت السلطات المصرية رئيس الاتحاد السابق احمد بهاء الدين ، وكان لا زال رئيسا .. وعندما صدرت القرارات المشهورة بنقل اكثر من مائة من الصحفيين المصريين الى شركات تجارية والى مصانع للاحذية .. لم تتخذ امانة اتحاد الصحفيين العرب موقفا ، رغم انها كانت مشمولة بهذه الاجراءات !..

وعندما تداعت النقابات العربية لمساندة الصحفيين المصريين لم تجد حماسا كبيرا .!!

** اما في المجال النقابي فحدث ولا حرج !!

الانجاز الوحيد هو الدورات التدريبية .. وجميعها باستثناء واحدة ، عقدت في القاهرة وجميعها تحولت الى رحلات سياحية ..

ولقد فشلت كل الجهود لتطوير هذه الدورات .

لقد قدمت عشرات الاقتراحات .. وعين مدير عام للمعهد المشرف عليها ...

وفي اجتماعات المكتب الدائم ببيروت قضينا يومين كاملين ونحن نناقش هذه القضية واتخذت قرارات مهمة .. كان مصيرها هو ايضا مصير صندوق التضامن مع الصحفيين .. ومصير مجلة « الصحفي العربي » والنشرة الاخبارية رغم ان هناك من تبرع بتكاليف طباعتها ... وكان هو ايضا مصير اللجان الاختصاصية والروابط المهنية ، وكل القرارات المهنية والنقابية وغيرها !

اين العلة اذن ..؟!

المؤتمرات والمكاتب الدائمة تتخذ قرارات مهمـــة وتعالج كل القضايا بجراة ووضوح وفاعلية .. فلماذا يبقى الاتحاد مشلولا .. ولماذا انتهى به الامر الان مدافعا عن الخونة من الصحفيين الذين يروجون للتعايش مع العدو الصهيوني ؟!

الصورة من الخارج قد لا تبدو مفهومة ، خاصة وان قيادة الاتحاد ظلت فترة طويلة محسوبة على الخط القومي والتقدمي ..

دون ان نتجنى على احد ، ومن موقع الحرص على كـل زملائنا المصريين ، وبعضهم كان رائدا في النضال والوطنية وكان مدرسة لاجيال كثيرة من الصحفيين والمثقفين العـــرب ..

نقول ان السبب هو نفسه الذي اعلنه اتحادنا في مؤتمر الجـزائر الاخير . والذي دفعنا ثمنا له الخروج من الهيئات القيادية للاتحاد ؟!

ولنتحدث بصراحة ..

لقد حضرت كل مؤتمرات الاتحاد واجتماعاته منذ مؤتمر بغداد ... وطيلة هذه الفترة لم التق ولو مرة بالاستاذ احمد بهاء الدين رئيس الاتحاد حتى نهاية عام ١٩٧٦ ...

والسبب بسيط :

ان رئيس الاتحاد لم يحضر اي اجتماع على الاطلاق !

ومع ذلك ظل رئيسا .. وعندما كان هناك من يعترض ، كان يقال له : ومن يخلفـــه ...؟

وكانوا يأتون بأسماء كلها مصرية .. وكلها رجعية !

وفي غياب رئيس الاتحاد جير الامين العام كل الصلاحيات لنفسه ، واصبـح الحاكم الناهي في كل شؤون الاتحاد !..

وكواليس الاتحاد تعرف ان احمد بهاء الدين ، وهذا ليس دفاعا عنه ، كثيرا ما كان يتغيب بسبب خلافاته مع الامين العام كامل الزهيري ..

اختلفا فشلت نشاطات الاتحاد ... ليجيء الزهيري الى اجتماعات المكتـب الدائم يطلب توسيع صلاحياته للتعويض عن غياب الرئيس . وهكذا كان !

الخلافات نفسها حدثت ذات يوم بين امين عام الاتحاد وبين الامين المالي حينذاك صبري ابو المجد ...!

نتيجة الخلافات لم يكن يتفق الرجلان على توقيع سند صرف واحد .. وما دامت ليست هناك امكانيات للصرف .. فليتوقف العمل !

وكم منا ذهب الى مقر الاتحاد يسأل عن الامين العام .. عن اي مسؤول .. فلا يجد احدا !!

كل هذه الامور عرضت على مؤتمر دمشق .. وكان هناك احساس بضرورة تغيير القيادة ...

الكل اجمع على ذلك .. ولكن الكل عاد فوافق على التجديد لاحمد بهاء الدين رئيسا ، رغم انه لم يحضر المؤتمر .. وتم التجديد ايضا لكامل الزهيري امينا عاما ..

التغيير الوحيد كان استبدال الامين المالي بأمين اخر ...

وانتخب ثلاثة نواب للرئيس وقرر لهم المكتب الدائم صلاحيات .. ظلـت صلاحيات على الورق .!

كان الشعار دائما : « قرروا ما تريدون ونحن نفعل ما نريد ...! » .

وكي لا يقال اننا نكيل التهم جزافا سنورد ثلاثة امثلة لعلها تشير الى العقلية

التي تحكمت بالاتحاد .

* عندما أغلقت السلطات المصرية مقر الاتحـــاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في القاهرة ، توجه وفد من اتحادنا لمقابلة رئيس اتحاد الصحفييـن العرب ، لبحث الموضوع معه ، كما ابرقت نقابات عربية كثيرة تطالبه بالتدخل !

في اليوم التالي صدر عن رئيس الاتحاد بيان يقول ان مقر الاتحاد مفتوح !

وسقطت من البيان ان المقر قد اغلق فعلا وان العاملين به طردوا وختم بالشمع الاحمـر ..!

وعندما عرضنا هذا الموضوع على اجتماعات المكتب الدائم في طرابلس ، واتخذ المكتب قرارا بذلك ، سقط القرار بقدرة قادرة في الطباعة !!

* قرر المكتب الدائم في طرابلس احالة الملف الذي قدمه اتحادنا والمتعلـق بكتابات الصحفيين المصريين الذين يسيئون للنضال العربـي ويشوهون القضية الفلسطينية الى نقابة الصحفيين المصريين ، مطالبا باتخاذ الاجراءات التأديبية بحقهم، على ان يبلغ اتحاد الصحفيين العرب النقابات الاعضاء بنتائج ذلك خلال شهـر واحـد .

ومن الذين طالب المكتب الدائم باتخاذ اجراءات بحقهم : مصطفى امين ، علي امـين ، احسان عبد القـدوس ، محـمد سعيد احمد ، موسـى صبري ، صالح جودت ، انيس منصور ، وغيرهم ..!

كان ذلك قبل ثلاث سنوات من الان ، عمم اتحاد الصحفيين خلالها رسالـة واحدة ، حول الموضوع ، هي تلك التي احتج فيها محمد سيد احمد على القرار !!

ولا شيء غير هذا ..

* كان من الامور التي اعطتها قيادة اتحاد الصحفيين العرب اهتمامها الاول موضوع الحوار العربي الاوروبي للصحفيين . ولنا في اتحـاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين قصة مع هذا الحوار :

سمعنا عبر الصحف بدء اجراءات الحوار .. ولما كنا معنيين بهذا الحوار ربما اكثر من غيرنا ، قررنا ان نبادر فنتصل نحن باتحاد الصحفيين العرب ما دام هو لم يقدم على ذلك (علمنا فيما بعد ان الامانـــة العامة في اجتماعها ببغداد في ١٩٧٧/٨/٣١ قد طلبت من رئيس الاتحاد التشاور معنا حول الموضوع ، ولكنـه لم يفعـل) .

وقد سافرت الى القاهرة ، واجتمعت برئيس الاتحاد وبالامين العام وحضر اللقاء الامين المالي ، واتفقنا على عدة خطوات ... لعل من بديهياتها ان يختار اتحادنا الوفد الفلسطيني المحاور ..

بعد ايام وصلتنا رسميا قرارات اتحاد الصحفيين العرب حول الموضوع ومن ضمنها الوفود المحاورة ... بما في ذلك اعضاء الوفد الفلسطيني !!

وفي نفس الوقت نشرت الصحف المصرية نص هذه القرارات ..

وأبرقنا للقاهرة نسأل رئاسة الاتحاد .. فكانت هذه البرقية الجوابية :

« نؤكد لكم انه نتيجة مناقشتنا في القاهرة مع الاستاذ حنا مقبل هي اساس تنفيذ قرارات الامانة العامة حول تمثيل الصحفيين الفلسطينيين في الحوار العـربي الاوروبي ، وما نشر في الصحف ليس الا اجتهادا من المسؤولين عن نشره . وفي نفس الوقت نؤمن معكم ان اتحاد الصحفيين الفلسطينيين الجهة الشرعية المخولة لاختيار ممثليها . ارجو ان يكون هذا التوضيح كافيا».

لكم ولكل الزملاء . التحية والتقدير .

صلاح الدين حافظ
الامين العام لاتحاد الصحفيين العرب »

ملاحظة : للتذكير فقط : لقد استلمنا القرارات رسميا وبالبريد المسجل وعلى نسختين .. وهي نفسها التي نشرتها صحف القاهرة حرفيا !!

ملاحظة اخرى : الامين العام هو الذي وقع البرقية ..

والامثلة كثيرة كثيرة ...

ولذلك قررنا في المؤتمر الخامس لاتحاد الصحفيين العرب في الجزائر ان نتخذ موقفا مبدئيا صلبا .

« الاتحاد يجب ان يكون له دوره ..
لن نكون ديكورا لاية امانة جديد .. »

ولم نكن سلبيين ..

طرحنا عدة حلول ، اهمها الفصل بين الرئاسة والامانة العامة ، بحيث يكون الرئيس من قطر والامين العام من قطر اخر ، وان تتحدد الصلاحيات بوضوح ، وان تكون الامانة العامة مجتمعة هي صاحبة القرار ، وهي المشرفة على تنفيذ مقررات المؤتمرات العامة ، لا ان يظل ذلك محصورا بشخص او شخصين يقيمان في القاهرة ، فيخضع كل مصير الاتحاد للسياسة المصرية وتقلباتها ، او يخضع لبورصة الخلافات داخل النقابة المصرية !

وقلنا ، اننا بذلك لا نسىء الى مصر .. فلم نكن يوما اقليميين .. ولم ننطلق لحظة من مواقف قطرية ... وهدف الاقتراح هو اعطاء الاتحاد امكانات العمـل ، وتحريره من الضغوطات الرسمية ، خاصة وان كل الدلائل كانت تشير الى اتجاه السياسة المصرية والى اين ستصل !

والذين شاركوا في مؤتمر الجزائر لا زالوا يذكرون بلا شك كيف طرح وفدنا فهمه للتسوية وانما ستوصل حتما الى الصلح مع العـدو الصهيوني على حساب الارض وعلى حساب النضال العربي كله !

ورغم ان الوفود العربية كانت متفهمة بشكل عام لهذا التوجه .. الا اننا فشلنا في احداث التغييرات المطلوبة .. وخرجنا من امانة الاتحاد بعد ان كانت فلسطين ممثلة بثلاثة زملاء في الامانة السابقة بينهم نائب للرئيس .

فشلنا لعدة اسباب :

اولا : — ان القوى التقدمية داخل الاتحاد لم تنسق مواقفها بشكل جيد ، كما ان بعضها قد غاب او عرقلت الامانة حضوره عندما لم تتابع ارسال التذاكر ، كما حدث مع اليمن الديمقراطية والصومال .. او عندما لم توجه له الدعوة اصلا كما فعلت مع الاستاذ وفيق الطيبي وهو عضو اصيّل ، كمدير للمعهد القومي وكأمين سر لنقابة الصحافة اللبنانية انذاك !!

ثانيا : — سيطر الوضع السياسي في لبنان وتعقيداته على الجو العام للمؤتمر ، فخلق جوا محموما حال دون المناقشة الهادئة لكل الامور .

ثالثا : — جرى التحايل على النظام الداخلي ، وتم تعديله بصورة غير قانونية اذ تمت الدعوة لعقد اجتماع المؤتمر في الساعة الثانية فجرا ، في الوقت الذي كان فيه كل الاعضاء نياما .. فاعتبر المكتب الدائم نفسه مؤتمرا بأن اضاف اليه من تواجـد ..!

لقد وقع مؤتمر الجزائر تحت تأثير تحالف يرفض اجراء اية تغييرات .. فكانت النتيجة المأساوية : تخرج فلسطين ليحل مكانها ممثل النظام الاردني .. تخرج اليمن الديمقراطية ليحل مكانها ممثل النظام السوداني .. ويصبح ملحم كرم ممثلا للصحافة الوطنيـة في لبنان !!

ورفضنا النتيجة .. وانسحبنا من قاعة المؤتمر .

يومها قال لنا مسؤول جزائـري كبير : « هذا اول مؤتمـر رجعي يعقد في الجزائر » .

□

مضى اربعة عشر شهرا على ذلك المؤتمر ، اجتمعت خلاله الامانة العامـة اجتماعا واحدا خصصت معظمه لبحث الخلافات بين رئيس الاتحاد وبين الامين العام .. وقررت ان ينتقل بعض اعضائها من بغداد حيث كان الاجتماع الى القاهرة لاجراء المصالحـة ..

وهكذا كـان !!

ويبدو ان المصالحة لا زالت مستمرة ، لانهما وقعا معا البيان الذي وصلنا قبل ايام يطعنان فيه بشرعية اجتماع المكتب الدائم في بغداد ، الذي ادان خطوة السادات .. ويرفضان القرارات المتعلقة باسقاط عضوية يوسف السباعي وغيره من الصحفيين الذين زاروا فلسطين المحتلة وأصبح كل همهم الان التبشير (بقدسية) الاستسلام امام العـدو ..!

□

هل يعني ذلك ان صيغة اتحاد الصحفيين العرب لم تعد ملائمة ..؟!

لا ..

اننا في الوقت الذي نرى فيه ضرورة البحث عن صيغ جديدة للعمل الشعبي العربي تتناسب والتحديات الضخمة التي تواجه الجماهير العربية ، بعد خطوات السادات ، وكنتيجة لسياسة التسوية الاستسلامية التي شهدتها المنطقة ..

نرى ايضا ضرورة الحفاظ على الاتحادات ذات الاطار القومي الشامل ، شريطة ان تتوفر لها العوامل التي تكفل عدم خضوعها للانظمة الرجعية ولسياسة التسوويين العرب .. ان هذه الاتحادات يمكن ان يكون لها دور مؤثر في حشد طاقات الجماهير العربية ضد اعدائها .

واتحاد الصحفيين العرب يستطيع ان يقوم بدور كبير .. فعلى الرغم مـن التحولات التي وقعت في الوطن العربي لمصلحة القوى الرجعية ، وبالتالي سقوط بعض النقابات التي كانت في الماضي تقف في الصف التقدمي ..؟

على الرغم من ذلك فان ميزان القوى في المؤتمر والمكتب الدائم لا زال يميل لصالح القوى الوطنية والتقدمية .

المطلوب من هذه القوى ان تعبر عن هذا الميزان لمصلحتها هذه المرة ..

لا يكفي ان تتخذ المؤتمرات قرارات جيدة ...

المطلوب ايضا اختيار القيادة القادرة على ان تكون منسجمة مع هذه القرارات ومستعدة لتحمل تبعاتها ...

ومطلوب ان توضع القرارات في اطار برنامج قابل للتنفيذ .

فهل يرتفع المؤتمر الاستثنائي القادم الى هذا المستوى ..!

نأمل ذلك .. ونتوقعه ..

واذا غابت مصر الرسمية هذه المرة .. ففي مصر صحفيون تقدميون كانوا دائما روادا وطليعيين ، نتمنى ان يتمكنوا من التعبير عن انفسهم ، ليمثلوا هم مصر وصحافتها ..

الصهيونية والمعتدلون العرب

نزيه قوره

لعبت الخرافة وقلب الحقائق دورا اساسيا في الكتابات المتعلقة بقضية فلسطين عموما وبقضية السلم في المنطقة التي اطلق عليها الاستراتيجيون الغربيون اسم « الشرق الاوسط » ، بصورة خاصة . ان قضية السلم في المنطقة العربية المحيطة بفلسطين لم تحظ ، حتى الان ، بدراسة علمية واحدة تسعى وراء كشف القوانين الموضوعية التي تحكم علاقة الصهيونية بالمنطقة العربية . ان الوصول الى اجوبة صحيحة يتطلب ، قبل كل شيء ، طرح الاسئلة الصحيحة . وفي هذا المجال لا بد من القول ان الاسئلة التي جرى طرحها كانت أسئلة خاطئة ولذلك لم يكن هناك بد من الوصول الى اجوبة خاطئة .

في السنوات التي سبقت تحويل المشروع الصهيوني الى دولة ، مورس ضغط شديد على العقل العربي لمنعه من فهم الشروط الضرورية لتحقيق « وطن قومي لليهود في فلسطين » . وعندما آن أوان تحويل المشروع الى دولة تبين أن طرد الفلسطينيين شرط لازم لاقامة هذه الدولة ولبقائها . وتبين ان العبارة الواردة في وعد بلفور والقائلة بأنه لن يلحق أذى بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية في فلسطين لم تكن تعني سوى التعهد بعدم اجبار سكان فلسطين على اعتناق اليهودية !

اما في الفترة التي اعقبت تحويل المشروع الصهيوني الى دولة فقد مورس الضغط على العقل العربي لمنعه من فهم **الشروط الضرورية لبقاء** المشروع الصهيوني . واصبح الحوار يبدأ مع العقل العربي على الصورة التالية : « ان اسرائيل حقيقة قائمة ، فما هي شروطكم لعقد الصلح معها ؟ » وبما ان اية شروط عربية لم تكن مقبولة ، فقد ارتسمت في ذهن كل من هو معني بالقضية صورة العربي المتشرد اللاعقلاني او المتطرف الرافض لكل حل والساعي للانتقام ، وبالمقابل ارتسمت صورة الاسرائيلي العاقل المرن الساعي للسلام والمنشغل بقضايا الثقافة والعلم والاقتصاد . بكلام اخر ارتسمت صورة الحضارة بأسمى صورها تدافع عن

نأمل ذلك .. ونتوقعه ..
واذا غابت مصر الرسمية هذه المرة .. ففي مصر صحفيون تقدميون كانوا دائما روادا وطليعيين ، نتمنى ان يتمكنوا من التعبير عن انفسهم ، ليمثلوا هم مصر وصحافتها ..

الصهيونية والمعتدلون العرب

نزيه قوره

لعبت الخرافة وقلب الحقائق دورا اساسيا في الكتابات المتعلقة بقضية فلسطين عموما وبقضية السلم في المنطقة التي اطلق عليها الاستراتيجيون الغربيون اسم « الشرق الاوسط » ، بصورة خاصة . ان قضية السلم في المنطقة العربية المحيطة بفلسطين لم تحظ ، حتى الان ، بدراسة علمية واحدة تسعى وراء كشف القوانين الموضوعية التي تحكم علاقة الصهيونية بالمنطقة العربية . ان الوصول الى اجوبة صحيحة يتطلب ، قبل كل شيء ، طرح الاسئلة الصحيحة . وفي هذا المجال لا بد من القول ان الاسئلة التي جرى طرحها كانت أسئلة خاطئة ولذلك لم يكن هناك بد من الوصول الى اجوبة خاطئة .

في السنوات التي سبقت تحويل المشروع الصهيوني الى دولة ، مورس ضغط شديد على العقل العربي لمنعه من فهم الشروط الضرورية لتحقيق « وطن قومي لليهود في فلسطين » . وعندما آن أوان تحويل المشروع الى دولة تبين أن طرد الفلسطينيين شرط لازم لاقامة هذه الدولة ولبقائها . وتبين ان العبارة الواردة في وعد بلفور والقائلة بأنه لن يلحق أذى بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية في فلسطين لم تكن تعني سوى التعهد بعدم اجبار سكان فلسطين على اعتناق اليهودية !

اما في الفترة التي اعقبت تحويل المشروع الصهيوني الى دولة فقد مورس الضغط على العقل العربي لمنعه من فهم **الشروط الضرورية لبقاء** المشروع الصهيوني . واصبح الحوار يبدأ مع العقل العربي على الصورة التالية : « ان اسرائيل حقيقة قائمة ، فما هي شروطكم لعقد الصلح معها ؟ » وبما ان اية شروط عربية لم تكن مقبولة ، فقد ارتسمت في ذهن كل من هو معني بالقضية صورة العربي المتشرد اللاعقلاني او المتطرف الرافض لكل حل والساعي للانتقام ، وبالمقابل ارتسمت صورة الاسرائيلي العاقل المرن الساعي للسلام والمنشغل بقضايا الثقافة والعلم والاقتصاد . بكلام اخر ارتسمت صورة الحضارة بأسمى صورها تدافع عن

نفسها ضد البربرية بأقبح صورها .

هذه الصورة — المؤامرة — لم يكن بامكاننا ان ننفيها ، بصورة فعالة ، حتى من ذهن الاغلبية الساحقة من القوى التي تتعاطف معنا ، لهذا السبب أو ذاك ، والى هذا الحد او ذاك . فقبل عام ١٩٤٨ كان مشروعا ومقبولا ان يطالب الفلسطينيون « بحق البقاء على ارضهم » وكان يجري تطمينهم ، وبعد عام ١٩٤٨ اصبحت المطالبة بالعودة تطرفا لا يحتمله العقل . وبعد عام ١٩٤٩ أصبحت المطالبة بالعودة الى حدود التقسيم يعادل السعي لرمي اليهود في البحر . وبعد عام ١٩٦٧ اصبحت المطالبة بالعودة الى حدود الهدنة لعام ١٩٤٩ ، اي حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ تجلب لصاحبها لقب المتشدد . وكان من الممكن ان تصبح المطالبة بالعودة الى حدود ما قبل ١٩٧٣ مبالغة بالتطـــرف ، لولا الهزة التي أصابت الآلـة الاسرائيلية خلال حرب تشرين عام ١٩٧٣ .

كيف يمكن ان نفسر نجاح الصهيونية وحلفائها في تصوير نفسها كضحية دائمة وتصوير الجانب العربي على انه المعتدي الابدي ؟ وما السر في ان « اسرائيل » هي التي تبدو وكأنها تسعى دائما وابدا نحو السلام واننا نبدو وكأننا نسعى دائما نحو الحرب ، بغض النظر عن الوقائع ؟ ان جـــزءا من الجواب يكمـــن في ان هناك صهيونيتين: واحدة عبرية والاخرى انجلو ـــسكسونية. الصهيونية العبرية صريحة مع ذاتها، تفهم ذاتها وتعرف الشروط الضرورية للبقاء. اما الصهيونية الانجلوسكسونية التي تجري صياغتها واعدادها في مراكز الاعلان وشركات العلاقات العامة في انجلترا والولايات المتحدة ، فهي صهيونية مزورة ، ليست موجهة للذات ولا تستهدف الفهم ولا ايصال الحقيقة الى من يجهلها . وهذه الصهيونية المزورة لن نتعرض لها في دراستنا هذه . الصهيونية التي نجهلها ، ويجهلها العالم ، هي صهيونية تجري صياغتها واعدادها في مراكـــز الاستخبارات ووزارات الدفاع وهيئات التخطيط الاستراتيجي ومجالس الامن القومي . هذه هي الصهيونية التي يجب علينا ان نعرفها وان نوصل حقيقتها الى القوى ذات المصلحة في محاربتها .

الشروط الضرورية للبقـــاء :

عندما يطالب المتحدثون الرسميون الاسرائيليون بضرورة توفير « الحـــدود الآمنة والمعترف بها والقابلة للدفاع عنها » ، لا يستطيع المتحدث في الجانـــب الاخر ، اذا كان يعترف بشرعية الوجود الصهيوني ، ان ينكر على هذا الوجود « حقه » في هذه البديهيات . ولا يملك في هذه الحال الا ان ينتقل الى موضوع اخر فيطالب بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، فيكون الرد الاسرائيلي ان هـــذه الحقوق — عودة من يرغب من اللاجئين الى وطنه واقامة الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ، وهي مطالب « المعتدلين » — تعادل تصفية اسرائيل . وهنـــا تنتهي المفاوضات .

غير أن الكتاب والمفكرين والسياسيين الاسرائيليين لا يعتبرون مطلب الحدود الآمنة ، بحد ذاته ، شرطا كافيا لاستمرار البقاء . ان هؤلاء يعتبرون ان الشرط الحقيقي للبقاء يكمن في اداء وظيفة تتجاوز اية حدود يمكن ان يعترف لهم بها . ان اداء هذه الوظيفة ، خارج الحدود ، هو الشرط الذي يجعل « اسرائيل » هامة لمن يهتمون بها . واداء هذه الوظيفة يتطلب استعدادا دائما لادائها وقدرة فائضة على ادائها . اما هذه الوظيفة فيضعها الصحفي الاسرائيلي يوئيل ماركوس ، في مقالة

كتبها لصحيفة هآرتس ، بتاريخ ١٩٧٣/٣/٧ ، معلقا بها علـــى زيارة قامت بها غولدا مائير للولايات المتحدة . يقول ماركوس : « ان اسرائيل قوية هي في الحقيقة ضمانة للمحافظة على المصالح الاميركيـــــة في المنطقة . وقد اوضحنا ان الجيش الاسرائيلي ، بقوته المطلقة لا النسبية ، هو خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر الابيض المتوسط ، اكثر من معظم دول حلف الاطلسي . أضف الى ذلك أننا قلنا على مسمع الاميركيين اننا ايضا الضمانة الوحيدة للمحافظة علـــى الانظمة الاسلامية الموالية في المنطقة ، ومهما يبدو هذا الامر فان اسرائيل في نهاية الامر هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب ، كما ثبت نظريا وعمليا في اليوم الذي دخل فيه السوريون الاردن بالقوة » . ان الامريكيين بالطبع لم يكونوا يجهلون هذا الامر ، ولم يكونوا بحاجة الى من يقوله لهم . فاذا كانت اسرائيل هي الضمانة **الوحيدة** للمحافظة على الانظمة الموالية للغرب ، فان المسألة التي يتوجب نقاشها بين الحين والحين بين المسؤولين الاسرائيليين والمسؤولين الامريكيين ، ليست توفير « الامن » لاسرائيل ، بل توفير الشروط ، في وضع متغير ، لاستمرار قيام اسرائيل باداء وظيفة لا يستطيع احد غيرها اداءها . ان اهم هذه الشروط هي امتـــلاك « اسرائيل » للقوة المطلقة لا النسبية . اي انه لا يكفي ان تكون « اسرائيل » قوية **نسبيا** ، قادرة على ضمان امن حدودها ، اينما كانت هذه الحدود ، بل يجب ان تكون قوية بصورة مطلقة . والقوة المطلقة ، على خلاف القوة النسبية ، تتكون من الضعف المطلق للخصم . والضعف المطلق ، في حالتنا ، يعني نفي مجموع عوامل التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ووضع المنطقة في حالة من العقـــم الكامل القادر على تجديد ذاته . وهذا الوضع تشكل التجزئة عنوانه الكبير .

وقد يتوهم بعض « المعتدلين » العرب بأن اتباع سياسة مهادنة تجاه الكيان الصهيوني قد تسحب من هذا الكيان اهم اوراقه الدعائية ، وهي ادعاؤه بأن العرب لا يعترفون اساسا بوجوده . ولن نذهب بعيدا في تاريخ الصراع لاثبات عقم هذا الفهم وضرره . ولكن يجب ان نشير ان « المعتدلين العرب » هم فصيلة تسير باتجـــاه الانقراض ، وليس باتجاه التكاثر ، كما قد توحي المظاهر . ففي العشرينات والثلاثينات والاربعينات من هذا القرن حاول قسم من زعماء فلسطين الوصول الى تفاهم مع البريطانيين والصهيونيين في فلسطين . وقد سجل الزعيم الصهيوني دافيد بـــن غوريون محاضر الاجتماعات مع هؤلاء « المعتدلين » ، وخاصة في سنوات الثلاثينات ، وصدر هذا الكتاب بالعبرية بعنوان « لقاءات مع قادة عرب » . وفي عام ١٩٤٨ لم تكن حكومات البلدان العربية المحيطة بفلسطين حكومات متطرفة . ولم يكن امير شرقي الاردن ، عبد الله ، متطرفا بصورة خاصة . وفي بداية الخمسينات لم يكن يحكم البلدان العربية « المستقلة » حكام متطرفون في عدائهم للغرب وللصهيونية . ومع ذلك لم تتحقق تسوية سلمية بين الكيانات العربية والكيان الصهيوني .

ليس هذا مجالا لاجراء دراسة مفصلة عن ماهية العلاقات بين « المعتدلين » العرب والصهيونية . وسنقتصر على دراسة آخر الفصول في علاقات « المعتدلين » الجدد بالصهيونية .

بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ببضعة اشهر بدات تتضح معالم سياسة معتدلة في مصر . ومع بداية عام ١٩٧١ ظهـــرت اولى المبـــادرات « المعتدلة » المستهدفة الوصول الى تسوية سلمية على شكـــل تسوية جزئية لفتح القناة .

واشتد الحديث عن كسب « الرأي العام العالمي » واقناع الولايات المتحدة بممارسة ضغط على « اسرائيل » لكي توافق على الانسحاب ، على الاقل جزئيا ، من منطقة القناة . وفي تلك الفترة اجرى الصحفي الاسرائيلي دان مرغليت ، مراسل صحيفة هآرتس ، حديثا مع البروفسور اليهودي الاميركي ، نداف سفران ، الذي يوصف بأنه صديق مقرب لهنري كيسنجر ، ومستشار غير رسمي لغولدامئير . وكان المفروض ان سفران قد زار اسرائيل لممارسة الضغط الاميركي عليها . وهذا ما كتبه الصحفي مرغليت عن مهمة سفران في اسرائيل ، ونشرته هآرتس بتاريخ ١٨/٥/١٩٧١ : « لقد زار نداف سفران اسرائيل مؤخرا ... وعقد سلسلة من الاجتماعات مع رئيسة الحكومة ورئيس شعبة المخابرات وآخرين ، وحاول اقناع رئيسة الحكومة بألا تأخذ بجد اكثر من اللازم مقترحات التسوية الجزئية لفتح القناة ، وكان انطباعه أن اسرائيل تفعل حسنا اذا بحثت التسوية لفتح القناة في اطار محدود ، كاجراء تكتيكي لكسب الوقت ... لتمكن الولايات المتحدة من الافلات من التزاماتها بحسب مشروع روجرز ... لهذا سافر سفران الى اسرائيل ليتحدث الى رئيسة الحكومة ويشرح وجهة نظره : **ينبغي التحدث عن التسوية الجزئية لفتح القناة ، على الا يتم توقيعها »** .

ينبغي اذن التحدث عن السلام على الا يتم الوصول اليه . اما « المعتدلون » العرب ، فيستطيعون تقديم مبادرات تدل على النية الحسنة . احدى هذه المبادرات تمثلت في اخراج المستشارين السوفيات من مصر في صيف عام ١٩٧٢ . وكان المفروض ان يلقي الامريكيون والصهيونيون بأنفسهم على هذه الفرصة ويتشبثوا بها بأيديهم وارجلهم حتى لا تفلت منهم . على الاقل هكذا توقع المعتدلون . لكن الرد جاء على لسان المعلق الاسرائيلي يوئيل ماركوس ذاته في تعليق له في صحيفة هآرتس نشر بتاريخ ٢٥/٨/١٩٧٢ ، وقال فيه : « لماذا ينبغي لنا توقيع اتفاقيات سلام رسمية بالذات ؟ اننا نتمتع في هذا الوضع بكل شيء : نبقى في المناطق ، وليس هناك حرب ، ونتمتع بالهدوء ، بينما سنضطر ، اذا وقعنا اتفاقيات سلام ، الى التنازل عن مناطق كبيرة جدا . وفي الوقت نفسه ، من الاسهل على الدول العربية ذاتها التسليم بحالة سلام واقعي تبقى معه كل المناطق بأيدينا ، بدلا من توقيع اتفاقية سلام رسمية علنية تسير بالعار الابدي الى تواقيع الزعماء العرب الذين تنازلوا عن مناطق عربية . ففي سلام غير رسمي واتفاقيات غير مكتوبة ، ستبقى المناطق بأيدينا ، وسيبقى لدى العرب على الاقل الامل بارجاعها يوما ما . واما مع اتفاقيات رسمية ، فانهم سيفقدون املهم وسنفقد نحن كثيرا من جهتنا ... الاشخاص الاقوياء داخل الحكومة ، غولدا مئير وديان ، يتبعون عمليا الطريق الاولى ، لانها بحسب رأيهم الاحسن . ان هذا يتم دون قرارات مبدئية ، ودون ابحاث عميقة ودون ندوات مستمرة » .

ان الصهيونيين لا يريدون للعرب ان يفقدوا الامل في استرداد الاراضي . وهذا الامل مشروط بعدم وجود قوة تنقله الى عالم الفعل . وبهذه الطريقة يتم الحفاظ على حالة اللاسلم واللاحرب الابدية . وتتوفر بالتالي الشروط الانسب لخلق آلة عسكرية قوية بصورة مطلقة . يستطيع المعتدلون أن يقدموا مبادرات اضافية . ولكن سيكون هناك حجج قوية لافشال هذه المبادرات . وذلك من نوع الحجة التالية التي قدمتها « اسرائيل » الى الولايات المتحدة ، وعبر عنها الصحفي الاسرائيلي شفايشر ردا على مبادرات اخرى ، في تعليق نشرته صحيفة هآرتس بتاريخ ٢٤/٨/١٩٧٣ ، يقول فيه : « ان التسوية بصيغة القاهرة ، قد تورط

الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بتولي وظيفة الشرطي — التي تتولاها اسرائيل بنجاح — وكذلك تلقي عليها مهمة الترميم والانماء في مصر نفسها ... ان اسرائيل كدولة اقليمية (وبقاؤها كذلك مشروط بالدعم الاميركي كما يحدث الان) هي احدى الضمانات المهمة للاستقرار ، وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد البترول » .

ان التسوية ، بأية صيغة ، سوف تلقي على الولايات المتحدة مهمة الشرطي ومهمة انماء مصر . أن انماء مصر ليس هدفا اميركيا . اما وظيفة الشرطي الذي يحافظ على النظام العام في المنطقة ، ويتولى مهمة تأديب الحركات المعادية للغرب وللولايات المتحدة بصورة خاصة ، فهذه الوظيفة لن تستطيع الولايات المتحدة القيام بها كما تقوم بذلك اسرائيل . واذا كانت اسرائيل تملك المبررات في « التطرف العربي » وتستطيع تصوير أي حرب تقوم بها على انها دفاع عن النفس ، فان الولايات المتحدة لا تملك مثل هذه المبررات .

لقد عبر البروفسور بنيامين اكتسين ، وهو استاذ جامعي يدرس في عدد من الجامعات الاميركية كما يدرس في الجامعات الاسرائيلية ، عن الميزات التي تتمتع بها الآلة العسكرية الاسرائيلية على آلة الحرب الاميركية ، في مجال الشرق الاوسط ، في مقالة له نشرتها صحيفة جيروزاليم بوست بتاريخ ١١/٢/١٩٧٥ ، قال فيها : « ان المرء ليتساءل ... فيما اذا لم تكن الدبابة الموضوعة في ارض صديقة شرقي المتوسط ، اكثر اهمية ، كوسيلة للدفاع عن طريقة الحياة الغربية ، من نفس الدبابة فيما لو كانت رابضة في كانزاس او اريزونا [في الولايات المتحدة] » .

ان شروط البقاء للكيان الصهيوني ، لا تتعلق بوجود او عدم وجود اعتراف من الدول العربية بهذا الكيان ، كما انها غير مرتبطة بهذه الحدود او تلك . ان الشروط الحقيقية لا يمكن حتى كتابتها على الورق . لننظر في هذا التشخيص ، لعوامل بقاء وعوامل فناء الكيان الصهيوني، الذي كتبه الصحفي الاسرائيلي البارز ، الذي كان من بين مؤسسي حركة ارض اسرائيل الكاملة، التي تشكل الان احد اجنحة تكتل الليكود الحاكم في الكيان الصهيوني . لم تكن حرب تشرين قد انتهت تماما ، حين كتب في هآرتس بتاريخ ١١/١١/١٩٧٣ يقول : « ان المساعدات الاميركية لا تأتي بضغط من يهود اميركا ، او بسبب وجود نظام ديمقراطي في اسرائيل ، وانما بسبب المصلحة المشتركة للدولتين ، ومن هنا فليس على اسرائيل ان تنهج نهج الدولة التابعة ، وهي لا تستطيع البقاء اذا اصبحت هكذا . وكلما تراجعت اسرائيل قلت قيمتها في نظر اميركا ، .. واسرائيل المقلصة لا تستطيع أن تتطلع الى المساعدة الاميركية الضخمة ذاتها التي ستحتاج اليها **الى الابد** (التشديد من الكاتب) ، بل ستنقلب الى مصدر ازعاج وستنبذ ... علينا ان لا نطلب من الولايات المتحدة عونا ، وانما شبكة دفاع اقليمية مشتركة ... تضع طاقاتها في خدمة المصالح الاميركية ، وبذلك تصبح اسرائيل اهم بالنسبة لاميركا من اوروبا ... وفقط كحليفة مستقلة ذات قوة كبيرة ، ضرورية لامن الولايات المتحدة ، تستطيع اسرائيل ان تتمتع بتعاون اميركي ، لمدة طويلة » .

ان بالامكان الاتيان باستشهادات كثيرة نبين فيها ان القادة الاسرائيليين ، عندما يعقدون الاجتماعات مع الرؤساء الاميركيين ، لا يناقشون ما جاء في التوراة او كتب الانبياء ، بل بما هو ضروري لكي تستمر اسرائيل في اداء دورها في حماية النهب الاميركي للمنطقة عن طريق تخريب اي شكل من اشكال التقدم ، في اي مجال من المجالات .

كيف يمكن اذن كتابة شروط السلام الاسرائيلية في وثيقة يوقـع عليها زعيم عـربي .

قد يظن المرء ان الكيان الصهيوني يلعب هذا الدور لانه واجه الرفض من قبل الامة العربية ، وانه كان يمكن ان يلعب دورا اخر لو كان رد الفعل العربي تجاهه وديا أو على الاقل محايدا . ان المجال لا يتسع للدخول في التاريخ الحقيقي للمشروع الصهيوني . سنكتفي هنا بالقول ان المشروع الصهيوني لم يكن ابدا مشروعا يهوديا، ولم يلعب اليهود فيه سوى دور الواجهـة بالنسبة للقيادة ، وسوى دور المواد الاولية بالنسبة للجمهور . لقـد وضع هذا المشروع وصمـم في الدوائر العسكرية البريطانية ، كمشروع عسكري بحت في زمن سبق بكثير اللاسامية والنازية والحركات القومية الاوروبية . فقد وضع أول مشروع في عام ١٦٢١ على يد البريطاني السير هنري فنش الذي وضع كتابا اسماه « العودة الكبرى او دعوة الى اليهود » ، وذلك في وقت لم يكن قد سمح فيه لليهود بدخول انجلترا . وتحفل المكتبات والمتاحف البريطانية بالمشروعات البريطانية الداعية لاقامة دولة لليهود في فلسطين ، وذلـك ابتداء من القرن السابع عشر مرورا بالقرن الثامن عشر والتاسع عشر وحتـى العشرين . وسنكتفي هنا باستشهاد واحد مأخوذ من رسالة بعثها الوزير البريطاني بالمرستون الى سفيره في القسطنطينية في عام ١٨٤٠ ، اي قبل هرتسل والمؤتمر الصهيوني الاول بأكثر من خمسين سنة . يقول بالمرستون في رسالته : « ان الشعب اليهودي ، اذا عاد بضمان وحماية السلطان وبناء على دعوة منه ، فانه سيشكل رادعا في وجه اية مخططات مستقبلية شريرة لمحمد علي او لمن يأتي بعده » .

في البدء كان هناك الدور ، كانت هناك المهمة : ردع محمد علي او اي مـن « نسله الاشرار » حسب تعبير استعمل في رسالة اخرى في نفس الفترة . فكيف يمكن عقد صلح مع « دور » . لقد تجسد هذا الدور في كيان ، واتخذ هذا الكيان شكل دولة . واكتسبت هذه الدولة مبررات وجودها من استعدادها وقدرتها على اداء وظيفة اجرامية في المنطقة التي زرعت فيها . فهل نستطيع ان نطلب من هذه الدولة ان تتخلى عن استعدادها او عن قدرتها على تخريب احتمالات التطور في المنطقة العربية ؟ اننا بذلك نكون كمن يطلب من هذا الكيان ان يتخلى عن مبررات وجـوده .

لننظر كيف تحول تخريب احتمالات اي شكل من اشكال السلام ، الـى مهنة ارتفع مزاولوها الى مستوى رفيع من الاحتراف . اللواء احتياط يهوشفاط هركابي ، رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية السابق ، كتب بعد توقف حرب تشرين بأسبوع واحد ، في صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢ : « يبدو لي ان امكان التسوية ليس قائما حتى اليوم ... طبعا علينا ان نقدم موقفا ، وان نضع المبادىء الاساسية لتسوية . ولكن مـن المستحسن ان تكـون الطلبات عادلة وموزونة ، وان تبدو معقولة ، ولكنها مشروطة بشروط تجعل الخصم يرفضها ، ثم نناوره ونتيح له ان يقدم هو موقفا معارضا ويرفض التسوية على اساس حل وسط ، فنبرز طلباته بالذات ، باعتبارها تجسد التطرف الذي لا يحتمله العقل » .

هذه هي اللعبة التي مارستها الحركة الصهيونية منذ بداية وجودها . الحديث عن التسوية وعن المفاوضات وعن جنيف لاغراض العلاقات العامة . انها لعبة ، يخرج منها الغالب بصورة المعتدل الساعي للسلام ، ويخرج منها المغلوب بصورة المتطرف الساعي للحرب .

لقد اهتز التجمع البشري الذي حشدته الصهيونية في فلسطين بعد حـرب تشرين . لقد اختلفت تشرين عن الحروب الاخرى . لقد هبط التفوق الاسرائيلي من مستواه المطلق الى مستوى نسبي . وخرج من يقول ان اللعبة قد اصبحـت خطرة . ففي ١٩٧٣/١١/٣٠ نشرت هآرتس في ملحقها الاسبوعي مقالا للبروفسور يشعياهو ليبوفيتش ، المدرس بجامعة تل ابيب ، كتب فيه : « كان الخط المرشد لسياستنا ، ولا يزال ، الراي القائل ان وضعا دائما من اللاسلم واللاحرب ، مع حرب كامنة ، هو احسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الظروف ... لقد سادت هذه السياسة الاجرامية والشريرة طوال ٢٥ عاما ، كما توقـع باعثوها . اننا لم نسع للسلام طوال ٢٥ عاما . وكل التصريحات بشأن ذلك ليست الا ... كذبا مقصودا .... يجب ان نقول بكل شدة ، اننا ليس فقط لم نقم بأية محاولة لذلك ، بل خربنا عن عمد وسابق اصرار كل مناسبة كان من الممكن ان تنطوي على امكان لاحلال السلام » .

ان تفضيل حالة اللاحرب واللاسلم مع حرب كامنة ، ليس خيارا اخلاقيا نابعا من نفوس شريرة . ان هذه الحالة هي الخيار الوحيد الممكن . ان السلم الحقيقي مميت كما ان الحرب الحقيقية مميتة . ان الميزانية العسكرية تشكل المحرك الاول للاقتصاد وما ينشأ عنه من تركيب اجتماعي . وهذه الميزانية ليست عبئا علـى ظهر المواطن بمقدار ما هي مصدر للدخل لنسبة تتراوح بين ٢٥ — ٤٠٪ من مجموع قوة العمل . فمن بين مجموع قوة العمل البالغة نحو مليون شخص يعمل ١٦٠ الف شخص في الجيش الدائم واكثر من ١٢٠ الفا في الصناعة العسكرية بالاضافة الى نحو ٢٧٠ الف شخص يعملون في الخدمات الحكومية والعامة ، فاذا اضفنا الـى ذلك نحو ٨٠ الفا يعملون في المؤسسات المصرفية ونحو ١٢٠ الفا يعملون في قطاع تجارة الجملة والمفرق ، فاننا نجد ان ثلاثـة ارباع قوة العمل يجري استخدامها وتشغيلها اما في المؤسسات الحكومية والعسكرية او في القطاعات المتعيشة بصورة غير مباشرة على هذه المؤسسات . ان استمرار حالة اللاسلم واللاحـرب تعني استمرار تدفق ما بين ٣ — ٤ مليارات دولار سنويا من المصادر الخارجية وخاصة من الولايات المتحدة الاميركية . وحالة اللاحرب واللاسلم مع حرب كامنة هـي الحالة المثلى التي يستطيع الكيان الصهيوني في ظلها ان يؤدي وظيفته الاساسية المتمثلة في قطع الطريق على حركة النمو والتطور الطبيعيين في المنطقة العربية .

وبالتالي لا تعود المسألة مسألة قبول او عدم قبول بوجود اسرائيل . ان قبولها يعني بالضرورة قبول الشروط الضرورية لبقائها . وهذه الشرط تتمثل في الاستعداد والمقدرة على ضرب المنطقة ومنع قواها المنتجة من النمو . وهذا يتطلب تفوقا مطلقا . ان القبول بالوجود الاسرائيلي لا يعني التخلي عن حقوق شعـب فلسطين بل التخلي عن حقوق جميع الشعوب العربية المحيطة بفلسطين . ان الاعتراف باسرائيل لا يعني نسيان الماضي ، بل التخلي عن المستقبل . وبصورة اكثر تحديدا يتوجب على من يريد الاعتراف باسرائيل ان يقيم نظاما سياسيا واجتماعيا تقوده الفئات الطفيلية العاملة في السمسرة وتأجير البيوت المفروشة والمقاولات ، بحيث لا يتاح لقوى الانتاج ان تنمو . وهذا امر طبيعي ، لان نمو قوى الانتاج في المجتمع العربي وتوفير الشروط لنمو هذه القوى يعني في النهاية الغاء قدرة اسرائيل على ممارسة دورها ، وبالتالي يلغي مبررات وجودها . ذلك ان ابسط شروط نمو القوى المنتجة في المجتمع العربي هي خلق معادلة تجمع بين المصادر الطبيعية والموارد

المالية والطاقة البشرية ، وهذا يعني توحيد البلدان العربية .

ان الصهيونية هي التجزئة ، لان القوة الاسرائيلية هي الضعف العـــربي ، والضعف العربي يتجسد في منع الاتصال الضروري بين عوامل وقوى الانتاج . ومن هنا كانت الصهيونية مشكلة عربية داخلية وليست عدوانا خارجيا على جزء مـــن الارض العربية . ومن هنا ، ايضا ، استحال على الانسان العربي ان يكون وطنيا اقليميا . وهذه الاستحالة هي استحالة موضوعية . وقد اثبتت وقائع واحـــداث السنوات السبع الاخيرة على الاقل ان الميل للمصالحة مع الصهيونية لا بد ان يترافق بالضرورة مع الميل لوقف تطور القوى المنتجة وقمع الممثلين السياسيين لهذه القوى، ومع الميل لزيادة نفوذ الفئات الطفيلية العربية . انها معادلة .

وبالمقابل فالانسان العربي الساعي لتنمية القوى المنتجة ، وزيادة وزن قطاعات الانتاج الاساسي ــ الزراعة والصناعة ــ يجد نفسه ، شاء ام ابى في مواجهـــة مع القوى الطفيلية المحلية ومع القوى الطفيلية في المنطقة ومع الصهيونية .

الصهيونية ليست اغتصابا لحقوق شعب فلسطين . انها اغتصاب للمستقبل العـــربي .

تبقى كلمة ضرورية حول المناورة والتكتيك . اذا كانت اسرائيل لا تستطيع الخروج من حالة اللاسلم واللاحـــرب سواء الى السلم الحقيقي او الى الحرب الحقيقية ، فلماذا لا نتمسك بالسلم ونكسب الرأي العام ونكشف القيادة الصهيونية امام جمهورها ؟ هذا ممكن في حالة واحدة وهي امتلاك الدول المحيطة القدرة على الدفاع عن ذاتها . ليست المسألة مسألة الاحتفاظ بخيار الحرب بل ضرورة التمسك بالوصول الى القدرة على الدفاع عـــن الذات ، اي الغـاء التفوق العسكري الاسرائيلي . ان الصهيونية والولايات المتحدة لا تسعيان الى افقادنا خيار الحرب فقط ، بل الى افقادنا القدرة على الدفاع عن الذات . ان هذا يتطلب تعبئة الجماهير تحت قيادة القوى الممثلة لمصالح القوى الاجتماعية المنتجة . بغير هذا يصبـح التكتيك هو الاستراتيجية ، ويضطر المناور الى خسارة جماهيره مقابل كسب مشبوه لما يسمى بالراي العام العالمي .

ان الشعار الوحيد الممكن للقوى الوطنية العربية ، وبضمنها الحركة الوطنية الفلسطينية هو شعار التصفية الكاملة للمشروع الصهيوني . وكل شعار غير هذا ، مهما كانت نوايا صاحبه ، من شأنها ان تقود الى تسليم المواقع الوطنية موقعا اثر موقـــع .

لقد بلغ الصراع مع الحركة الصهيونية ذروة من ذرى التعقيد ، ولم يعد بامكان القوى التي تمسك بعوامل الصراع انتحافظ على معادلة اللاحرب واللاسلم اكثر مما فعلت . ان هذه المعادلة وما تقوم عليه من توازنات قد وصلت الى مـــرحلة الانكسار واستنفذت كل ما تتضمنه من امكانات . ومنطقتنا تقف ، الان ، علـــى ابواب مرحلة جديدة تختلف كليا عما سبقها . ولا يستطيع ان يقود المرحلة المقبلة سوى القوى المنتجة العربية وما تستطيع قوى الانتاج هذه افرازه من قوى سياسية تصوغ لها مستقبلها وتحدد معالمه .

المفاهيم الخاطئة عن التسوية الامبريالية

هاني مندس

لم يسبق لمسألة سياسية ، طوال السنوات الماضية ، ان احتلت وزنا بمقدار ما احتله الحديث عن التسوية « السلمية » للصراع مع العدو الصهيوني الامبريالي . ومع ذلك ، لم تحظ مسألة اخرى في المنطقة العربيـــة بمثل هذا القدر من البلبلة والتشوش الفكري والسياسي ولا سيما في الساحتين الفلسطينية واللبنانية . وقد غاب الفهم العلمي المنسجم ، كما في قضايا اخرى عديدة على صلة بالاستراتيجيـــة والتاكتيك ، لدى القوى الوطنية مما الحق اضرارا بالغة على تطـــور ونمو الكفاح الثـــوري .

ويعود هذا التشوش الى اسباب عدة ، منها تداخل وترابط مسألة التسوية بالصراع ضد العدو الصهيوني الامبريالي ، وما تطرحه القضية الوطنية الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية في نضال الشعـــوب العربية ، خاصة المجـاورة منها لفلسطين ، من ادوار ومهام سياسية فلسطينية ــ عربية مترابطة جدليا . الامـــر الذي يتطلب فهم طبيعة النظم العربية المؤثرة في الصراع ، بتشكيلاتها الاقتصادية ــ الاجتماعية وتفاوت نموها وتطورها وتباين مواقفها على ضوء خصوصية الصراع الطبقي ــ الوطني في كل بلد وموقع الطبقة الحاكمة من قضية الصراع الوطني المعادي للامبريالية ، فهما علميا تاريخيا .

كما يعود هذا التشوش ، من ناحية اخرى ، الى نوع ومستوى الحركة السياسية الوطنية في فلسطين ولبنان والاردن بشكل خاص ، حيث يغلب على هذه الحركة ، بمختلف تياراتها وتلاوينها الفكرية والسياسية اليسارية والوسطية واليمينية ، الطابع البرجوازي الصغير الوطني ، وتأثر هذه الحركة القوي سواء بالفكـــر البرجوازي القومي اللاتاريخي ، او الاتجاهات التردديونية ، الاصلاحية غير الثورية .

ولا تتيح لنا هذه العجالة تناول طبيعة التسوية الراهنة ، بصورة شاملة ، بل سنبرز اهم سماتها وندحض في الوقت نفسه الافكار المشوشة المغلوطة بصددها . وتطرح امامنا زيارة السادات للكيان الصهيونـــي بدلالاتها السياسية الخطيرة

المالية والطاقة البشرية ، وهذا يعني توحيد البلدان العربية .

ان الصهيونية هي التجزئة ، لان القوة الاسرائيلية هي الضعف العـــربي ، والضعف العربي يتجسد في منع الاتصال الضروري بين عوامل وقوى الانتاج . ومن هنا كانت الصهيونية مشكلة عربية داخلية وليست عدوانا خارجيا على جزء مـــن الارض العربية . ومن هنا ، ايضا ، استحال على الانسان العربي ان يكون وطنيا اقليميا . وهذه الاستحالة هي استحالة موضوعية . وقد اثبتت وقائع واحـــداث السنوات السبع الاخيرة على الاقل ان الميل للمصالحة مع الصهيونية لا بد ان يترافق بالضرورة مع الميل لوقف تطور القوى المنتجة وقمع الممثلين السياسيين لهذه القوى، ومع الميل لزيادة نفوذ الفئات الطفيلية العربية . انها معادلة .

وبالمقابل فالانسان العربي الساعي لتنمية القوى المنتجة ، وزيادة وزن قطاعات الانتاج الاساسي ـــ الزراعة والصناعة ـــ يجد نفسه ، شاء ام ابى في مواجهـــة مع القوى الطفيلية المحلية ومع القوى الطفيلية في المنطقة ومع الصهيونية .

الصهيونية ليست اغتصابا لحقوق شعب فلسطين . انها اغتصاب للمستقبل العـــربي .

تبقى كلمة ضرورية حول المناورة والتكتيك . اذا كانت اسرائيل لا تستطيع الخروج من حالة اللاسلم واللاحـــرب سواء الى السلم الحقيقي او الى الحرب الحقيقية ، فلماذا لا نتمسك بالسلم ونكسب الراي العام ونكشف القيادة الصهيونية امام جمهورها ؟ هذا ممكن في حالة واحدة وهي امتلاك الدول المحيطة القدرة على الدفاع عن ذاتها . ليست المسألة مسألة الاحتفاظ بخيار الحرب بل ضرورة التمسك بالوصول الى القدرة على الدفاع عـــن الذات ، اي الغـــاء التفوق العسكري الاسرائيلي . ان الصهيونية والولايات المتحدة لا تسعيان الى افقادنا خيار الحرب فقط ، بل الى افقادنا القدرة على الدفاع عن الذات . ان هذا يتطلب تعبئة الجماهير تحت قيادة القوى الممثلة لمصالح القوى الاجتماعية المنتجة . بغير هذا يصبـــح التكتيك هو الاستراتيجية ، ويضطر المناور الى خسارة جماهيره مقابل كسب مشبوه لما يسمى بالراي العام العالمي .

ان الشعار الوحيد الممكن للقوى الوطنية العربية ، وبضمنها الحركة الوطنية الفلسطينية هو شعار التصفية الكاملة للمشروع الصهيوني . وكل شعار غير هذا ، مهما كانت نوايا صاحبه ، من شأنها ان تقود الى تسليم المواقع الوطنية موقعا اثر موقـــع .

لقد بلغ الصراع مع الحركة الصهيونية ذروة من ذرى التعقيد ، ولم يعد بامكان القوى التي تمسك بعوامل الصراع انتحافظ على معادلة اللاحرب واللاسلم اكثر مما فعلت . ان هذه المعادلة وما تقوم عليه من توازنات قد وصلت الى مـــرحلة الانكسار واستنفذت كل ما تتضمنه من امكانات . ومنطقتنا تقف ، الان ، علـــى ابواب مرحلة جديدة تختلف كليا عما سبقها . ولا يستطيع ان يقود المرحلة المقبلة سوى القوى المنتجة العربية وما تستطيع قوى الانتاج هذه افرازه من قوى سياسية تصوغ لها مستقبلها وتحدد معالمه .

المفاهيم الخاطئة
عن التسوية الامبريالية

هاني مندس

لم يسبق لمسألة سياسية ، طوال السنوات الماضية ، ان احتلت وزنا بمقدار ما احتله الحديث عن التسوية « السلمية » للصراع مع العدو الصهيوني الامبريالي . ومع ذلك ، لم تحظ مسألة اخرى في المنطقة العربيـــة بمثل هذا القدر من البلبلة والتشوش الفكري والسياسي ولا سيما في الساحتين الفلسطينية واللبنانية . وقد غاب الفهم العلمي المنسجم ، كما في قضايا اخرى عديدة على صلة بالاستراتيجيـــة والتاكتيك ، لدى القوى الوطنية مما الحق اضرارا بالغة على تطـــور ونمو الكفاح الثـــوري .

ويعود هذا التشوش الى اسباب عدة ، منها تداخل وترابط مسألة التسوية بالصراع ضد العدو الصهيوني الامبريالي ، وما تطرحه القضية الوطنية الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية في نضال الشعـــوب العربية ، خاصة المجـــاورة منها لفلسطين ، من ادوار ومهام سياسية فلسطينية ـــ عربية مترابطة جدليا . الامـــر الذي يتطلب فهم طبيعة النظم العربية المؤثرة في الصراع ، بتشكيلاتها الاقتصادية ـــ الاجتماعية وتفاوت نموها وتطورها وتباين مواقفها على ضوء خصوصية الصراع الطبقي ـــ الوطني في كل بلد وموقع الطبقة الحاكمة من قضية الصراع الوطني المعادي للامبريالية ، فهما علميا تاريخيا .

كما يعود هذا التشوش ، من ناحية اخرى ، الى نوع ومستوى الحركة السياسية الوطنية في فلسطين ولبنان والاردن بشكل خاص ، حيث يغلب على هذه الحركة ، بمختلف تياراتها وتلاوينها الفكرية والسياسية اليسارية والوسطية واليمينية ، الطابع البرجوازي الصغير الوطني ، وتأثر هذه الحركة القوي سواء بالفكـــر البرجوازي القومي اللاتاريخي ، او الاتجاهات الترديونيونية ، الاصلاحية غير الثورية .

ولا تتيح لنا هذه العجالة تناول طبيعة التسوية الراهنة ، بصورة شاملة ، بل سنبرز اهم سماتها وندحض في الوقت نفسه الافكار المشوشة المغلوطة بصددها . وتطرح امامنا زيارة السادات للكيان الصهيونـــــي بدلالاتها السياسية الخطيرة

ضرورة الوقوف لتعيين الموقف العلمي من طبيعة التسوية الدائرة لازالة الاوهام المضللة ودحض الافكار المعادية التي تروجها البرجوازية والقوى الرجعية ، سيما ان الاثر السياسي اللاحق لهذه الخطوة الخيانية السافرة سينعكس مباشرة على قضية النضال الوطني الفلسطيني .

فقد جرى بهذه الخطوة انتقال النظام البرجوازي المصري بسياساته المختلفة التابعة للامبريالية من موقع خدمة الامبريالية والصهيونية والرجعية وظيفيا وموضوعيا ، الى موقع آخر ، موقع التنسيق التآمري والتحالف الوطيد المباشر في شتى المجالات ، والاعتراف الكامل بالعدو الصهيوني والاقرار بدوره العدواني الامبريالي في المنطقة ، الامر الذي يعني المشاركة عمليا في هذا الدور ، الى هذا الحد او ذاك ، ضد القوى الوطنية والثورية ، ولا بد من التنويه ، قبل ولوجنا صلب الموضوع ، ان مبادرة السادات الاخيرة لا تأتي في فراغ ، وليست مجرد خطوة يتحمل وحده مسؤوليتها شخصيا ، بل هي تتويج لجملة من السياسات المختلفة التي قام بها النظام المصري في اتجاه الانفتاح الشامل على الامبريالية والصهيونية والرجعية (سياسة « الانفتاح » الشامل التي هي الاسم الملطف للتبعية والعمالة) . وهي مبادرة تأتي في سياق جملة من السياسات المتهادنة والاستسلامية التي تنهجها الانظمة البرجوازية الاخرى .

ان عزف السادات المنفرد ، الان ، هو عزف في اوركسترا تتهيأ لتشاركه العزف ولو متأخرة عنه قليلا ، بعد ان شاركته العزف ، الى هذا الحد او ذاك في المراحل السابقة . ومن المهم سياسيا الاستفادة من تأخر مشاركة جوقة الاوركسترا في العزف معه ، لكن شرط العمل والاستعداد لايقاف العزف المصاحب الشاذ الصادر عن الاوركسترا ككل .

الاشتراك اللفظي

ليس هناك من مسألة اشد تأثيرا على القضية والنضال الوطني الفلسطيني من مسألة التسوية السياسية في المنطقة العربية . لذا ، فان الموقف العلمي من هذه المسألة يعتبر عاملا حاسما للتمييز بين السياسة التي تقود الى تطوير النضال وتوفير شروط النصر وبين السياسة التي تؤدي ، في النتيجة ، الى التخبط والحاق افدح الضرر بمسيرة النضال الوطني . باعتبار ان هناك وحدة جدلية ، دائما ، بين النظرية والممارسة .

وازاء غلبة المفاهيم الاخلاقية والقانونية الشكلية ، وغياب المنهج العلمي والدور الثوري المصاحب له كجزء من العملية التاريخية ، فقد وقعت معظم القوى السياسية وعدد كبير من المفكرين ضحية الاشتراك اللفظي لمفهوم التسوية . فكلمة التسوية تقود البعض الى تصور ان هناك حلا وسطا فعلا سوف يراعي مصالح « جميع » الاطراف ، ولذا فانه من الجائز احيانا قبول المساومات والحصول على سلطة وطنية ولو على جزء من ارض فلسطين ، في انتظار ان تتغير موازين القوى السياسية في المستقبل بحيث تتيح امكانية الحصول على مكاسب افضل . ولكن المطروح بناء على موازين القوى السياسية الراهنة نفسها ومواقع الاطراف الداخلة في عملية التسوية ليس حلا وسطا ، بل حلا استسلاميا وتصفية للاستقلال السياسي والاقتصادي والنضال الوطني المعادي للامبريالية . اما في ما يتعلق بجواز المساومات ام لا فمبدأ المساومة سياسيا غير مرفوض بالمطلق لأن طريق الثورة ليس خطا مستقيما ، بل يمر بكثير من التعرجات ، شرط عدم التخلي عن الاهداف الاساسية

للنضال ومعاملة اية مساومة كهدنة **مؤقتة ضرورية** من اجل حشد القوى وتنظيمها بطريقة افضل لمواصلة النضال حتى تحقيق الاهداف النهائية . لكننا لسنا ، هنا ، امام حالة كهذه . وثمة من يقول بوجود تسويتين احداهما امبريالية صهيونية رجعية ، والاخرى عربية فلسطينية سوفياتية تتصارعان الان ، وعلينا ان نعين موقفنا داخل اطار التسوية الثانية و « نناضل » من اجل تحقيقها والا كنا غير واقعيين وحالمين عدميين ! وهذا القول يتجاهل مسألة حاسمة هي موقع الانظمة العربية البرجوازية من الامبريالية ، هل هي في خندق هذه الاخيرة سياسيا وفي اطار فلكها (آخذين بعين الاعتبار تباين موقع كل برجوازية داخل اطار التبعية) ، ام في الخندق الوطني المعادي للامبريالية ؟ الواقع وكما يتضح من جملة سياسات هذه الانظمة ، في هذه المرحلة ، انها تقف داخل اطار التبعية للامبريالية . علما ان موقع هذه الانظمة في مرحلة سابقة كان في خندق مناهضة الامبريالية وحلفائها في المنطقة . ومن هنا ينبع تعقيد المسألة . فاصحاب المنطق الشكلي والافكار المشوشة لا ينظرون بشكل تاريخي منهجي طبقي لكي يحللوا اين تقع المصلحة الطبقية لهذا الطرف او ذاك في مرحلة محدده . فالبرجوازية لا تلصق عليها يافطة الوطنية ابدا ودائما ، لان دورها الوطني او انتهاءه مرهون بمصلحتها الطبقية وموقفها في مرحلة سياسية محددة . ففي مراحل صعود الناصرية ، على سبيل المثال لا الحصر ، لعبت البرجوازية في مصر دورا وطنيا تقدميا في مواجهة الامبريالية ، واليوم انتهى هذا الدور ، بل تحول الى موقع المعاداة لكل ما هو وطني وتقدمي وفي مختلف المجالات . ومرد ذلك لا يعود الى مجرد تغير في اشخاص القادة والمسؤولين ، بل الى المصلحة الطبقية للنظام في مرحلة هبوطه واستنفاده لدوره التاريخي ، ومرحلة الصعود الوطني هي عبارة عن مرحلة لا يفصل بينها وبين مرحلة الهبوط والتفسخ سور صيني ، بل ان الطابع الرئيسي لها هو وطني وتقدمي وهي مرحلة تحمل في داخلها عناصر مرحلة الهبوط على اكثر من صعيد اهمها : مدى القدرة على تطوير قوى الانتاج في ظل علاقات الانتاج الرأسمالية ، وبالتالي مناهضة القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية انطلاقا من الاسس السياسية الطبقية البرجوازية للنظام وطريقة تنظيمه لطاقات المجتمع ودور الطبقات الاخرى في المعركة ومواقفها بالنسبة للمعركة وشتى القضايا الاخرى كالديمقراطية ، وعلاقات الانتاج والسياسات المتبعة في مختلف المجالات ، الامر الذي يتنافى مع مصلحة النظام ويحاربه طبقيا باشرس الوسائل .

وثمة اشكال اخرى من الوقوع في دوامة الاشتراك اللفظي للمفاهيم السياسية حول التسوية ، كنتيجة مبنية على تصور وجود تسويتين ، وذلك كتصور وجود حل « شامل » و « عادل » في مواجهة الحلول المنفردة الاستسلامية (لكونها منفردة وليست جماعية !) ، يعمل على احقاق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة وانجاز تسوية « دائمة » ، ولذا ، فان اية تسوية لن تعمل على تحقيق هذه الاهداف فسوف تكون تسوية غير دائمة .. ولا عادلة ، اي بكلمة لن يكون هناك تسوية على الاطلاق بمعنى الوصول الى حل وسط مع الاعداء ! . ويمضي هذا المنطق الشكلي قدما الى نتائجه الحتمية « العلمية » القاطعة : استحالة تحقيق التسوية ما دامت لا تعني حلا وسطا ، وانها ما زالت بعيدة وبعيدة جدا .. وهكذا يجري وضع المساحيق ، **وظيفيا** ، لتجميل بشاعة ما يدور ويحدث على ارض الواقع كما يتم طمس سلسلة السياسات الاستسلامية التي جرت وتجري امامنا كل يوم باعتبارها سياسات « تنازلية » لن تؤدي الى نتيجة عملية ،

النتيجة التي يضعونها ، بالطبع ، كتصور ذاتي ساذج لا وجود له آلا في اذهان اصحاب هذا المنطق . وهم يفسرون اصرار العدو على تحقيق اهدافه كاملة ، بأنه نوع من التعنت والدليل الساطع على فشل السياسات العربية المتبعة في تحقيق « الحل الوسط » الذي ينامون على وسادته دون جدوى .

وينسى أصحاب هذا المنطق السياسي ، ان التسوية التي تجري على ارض الواقع ، هي عملية تاريخية سياسية وقد قطعت اشواطا حاسمة باعتبارها تسوية العقبات التي تحول دون تمكين القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية من تحقيق هيمنتها ومصالحها ومخططاتها ، والتسوية واقعيا ، هنا ، هي الاسم الدبلوماسي الملطف للتصفية ، تصفية اسس الاستقلال السياسي والاقتصادي **النسبي** الذي حققته البرجوازيات العربية في مرحلة سابقة في مواجهة الامبريالية ، تصفية القوى الوطنية والثورية المناهضة للامبريالية ، التآمر المتواصل لضرب وتصفية النضال الوطني الفلسطيني والقضية الفلسطينية ، ونسج عرى التحالف الوطيد مع الامبريالية بكل ما يعنيه هذا من سياسات رجعية على النطاق العربي والعالمي .

نحن لا ننتظر « التسوية » التي في « اذهان » اصحابنا بمعنى وجود « حل وسط » ، بل نعيش في قلب حلقات التسوية الواقعية الفعلية بما تعنيه من سياسات استسلامية ومتهادنة في مختلف المجالات ، وحيث وصلت بعض هذه السياسات اليوم الى موقع التحالف التآمري مع العدو الصهيوني « العدو الرئيسي » . وسوف نبسط في مكان لاحق **العامل الجديد الحاسم** الذي مكن ويمكن ، كل يوم ، معسكر القوى الامبريالية من تحقيق التقدم الكبير الذي أحرزته ، حتى الان ، في المنطقة العربية .

وهناك شكل آخر من الوقوع في الاشتراك اللفظي لمفهوم التسوية ، هو النظرة المثالية القانونية ، من خلال التصور : (١) ان التسوية هي فقط مجرد التوقيع القانوني النهائي على صك الاستسلام والصلح او انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، او ان الاشتراك الفلسطيني في التسوية من خلال جنيف او سواه من المؤتمرات لا ضير فيه شرط الا يكون على اساس قراري الامم المتحدة رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ . (٢) ان الخلاف بين القوى الوطنية والثورية المناهضة للامبريالية وبين القوى والانظمة الاخرى هو خلاف حول اسس ونهج التسوية (قرار ٢٤٢) . وان الحل يكون بالخروج من نهج التسوية والمساومة (بحصره بالموافقة على القرار السابق الذكر) واعتماد نهج التصادم والتصدي . وكأن بامكان الانظمة البرجوازية ، التي ما زالت سياساتها تتعارض ، الى هذا الحد او ذاك ، مع سياسة النظام المصري ، ان تتبنى وتختار نهجا اخر . أليس هذا النهج منظورا اليه كسياسة شاملة وليس مجرد الموافقة على قرار ٢٤٢ وحده ، أليس تعبيرا عن المصالح الطبقية السياسية للنظام القائم في مرحلة محددة من تطوره ، ام ان المسألة مجرد خطأ في تقدير واختيار السياسات الصائبة من عدمها ؟ . (ان هذا القول ينطبق ، **فقط** ، على القوى الوطنية والثورية الشعبية التي ليس لها مصلحة طبقية في تبني سياسة او منهج خاطىء يؤدي الى التخبط وفقدان الاتجاه ، ومع ذلك تتبناه ، مع وجود امكانية للنضال من اجل تغييره من خلال القوى والتيارات الاكثر تقدما في داخل التنظيم الوطني او الثوري ومن خارجه ، في نفس الوقت ، ضمن اطار جبهة القوى المعادية للامبريالية) .

ان وضع المسألة بهذه الطريقة من شأنه ان يوقعنا على الارض السياسية للانتهازية اليمينية التي برزت بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، مصورة الخلاف مع السياسة التي ينهجها نظام السادات ، بأن هذا الاخير يتبع سياسات « غبية » لا تستطيع

الاستفادة من المنجزات الايجابية لحرب تشرين من اجل تحقيق شروط افضل للتفاوض مع العدو . بينما اللحظة الوطنية في حرب تشرين التي تحققت بفعل تضحيات ابناء الشعب من الجنود والضباط ، يجري استخدامها هي نفسها لوضعها في سياق معاد للوطنية ، في سياق السياسة الاستسلامية التي ينهجها النظام البرجوازي في مصر والتي لم تكن الحرب بالنسبة له سوى « حرب تحريك » سياسية في نفس اتجاه السياسة التي ينهجها النظام . ولا حاجة بنا ، هنا ، الى تكرار بديهية ، كثيرا ما تغلق على افهام العديد من الذين يرددونها انفسهم لكونهم يفتقدون المنهج التاريخي والخط العلمي ، ان « الحرب هي امتداد للسياسة ولكن بوسائل اشد عنفا » .

فاتباع هذا النهج او ذاك في السياسة مسألة ترتبط بأعمق المصالح الطبقية ، والطبقات الحاكمة ، بشكل خاص ، وهي السائدة سياسيا في نظام اقتصادي — اجتماعي تعرف مصالحها الطبقية والنهج السياسي الذي ينبغي ان تسلكه . اما التنازلات « المجانية » « وغير المجدية » التي تقدم عليها هذه الانظمة ، فهي تعتبر تنازلات من وجهة نظر الجماهير والقوى الوطنية والثورية ، اما بالنسبة للانظمة فهي عين الحكمة والمصلحة الحقيقية . ولا يعود حصر المسألة باعتبارها مجرد خطأ في التقدير والتمييز بين السياسات الصائبة وغير الصائبة ، الا الى الاوهام والتشوش الفكري وغياب المنهج العلمي من اذهان برجوازيينا الصغار في التنظيمات الوطنية التي تتبنى مثل هذا الفكر .

وثمة وجه اخر من الوقوع ضحية الاشتراك اللفظي لمفهوم التسوية ، يؤدي الى الاختلاط والبلبلة باسم الوضوح نفسه ، وذلك من خلال وضع المسألة على النحو التالي : التسوية ، بمعنى وجود حل وسط ، آتية .. وهناك مساومون ، ونحن نرفض ان نساوم مقابل اعطائنا جزءا من وطننا بالتضحية بالقسم الاخر منه والاعتراف بالعدو . وعلى صحة هذه المسألة وضرورة توكيدها والنضال على هديها دون تنازل ، فانها ليست المسألة المطروحة فعليا وواقعيا امامنا ، بل المطروح كيف يمكننا آن نواجه قوى وانظمة الاستسلام والمؤامرة على الثورة من خلال اتباع سياسة ثورية منسجمة قادرة على طرح الشعارات الملائمة في المرحلة المحددة والقادرة على تعبئة واستقطاب وتنظيم اوسع الجماهير .

ثم ان مثل هذا الطرح السابق يعاني خللا فكريا وسياسيا قاتلا ، فهو يتجاهل اولا طبيعة العدو الصهيوني ودوره في المنطقة العربية الذي لا يقتصر على الاستيطان الاستعماري لفلسطين ، بل الى تحويلها الى قاعدة متقدمة للامبريالية لكي تستطيع ان تمارس دورها العدواني القمعي ضد حركات التحرر والتقدم في المنطقة العربية . فالكيان الصهيوني لا يبطل دوره العدواني الامبريالي بمجرد الاعتراف بشرعيته ووجوده من قبل شعب فلسطين والشعوب العربية الاخرى ، الا باعتبار هذا الاعتراف جزءا من الاقرار بدوره الامبريالي في المنطقة العربية كعصا غليظة موجهة ضد اي نهوض وطني وثوري . فالصراع مع العدو الصهيوني لا ينحصر باعتباره صراعا على الارض فقط ، والا وقعنا ضحية التضليل الايديولوجي للانظمة العربية ، انه صراع على الارض والدور الامبريالي الذي يلعبه الكيان الصهيوني انطلاقا من هذه الارض . وهذا الدور لا يمكن ان ينتهي الا بتحطيم مؤسسات هذا الكيان بالكامل من خلال الكفاح الشعبي المسلح .

وحاليا ، يتحقق دور اسرائيل الامبريالي بشكل افضل من خلال اقامة علاقات ديبلوماسية وطبيعية بينها وبين الانظمة التابعة والعميلة للامبريالية ، فالقاسم

المشترك الذي يجمع بين الكيان الصهيوني والانظمة هو التبعية للامبريالية الذي لا بد ان يعبر عن نفسه من خلال عقد التحالفات المباشرة او غير المباشرة لمواجهة الطبقات والقوى الثورية المعادية للامبريالية في المنطقة العربية وخارجها . فدور اسرائيل الامبريالي يتقوى كلما ازدادت تبعية الانظمة للامبريالية وليس العكس . والاعتراف بها ، يعني عمليا الاعتراف **بدورها** كعصا غليظة للامبريالية في المنطقة العربية . فالمسألة تتعدى الاطار القانوني والديبلوماسي المجرد والذي ليس سوى التعبير الفوقي عما يجري في ارض الواقع من تحولات فعلية لصالح الامبريالية .

اما الخلل السياسي الاخر الذي يمثله طرح مسألة التسوية بالطريقة السابقة الذكر ، فهو تجاهل طبيعة المرحلة السياسية وميزان القوى وهل يتيح ، فعلا ، امكان الوصول الى « حل وسط » بالمعنى الفعلي للكلمة ؟ فاذا كانت الانظمة ، مع تفاوت درجة تبعية كل منها ، تقف في خندق الامبريالية ، او تتجه للسير ضمن هذا الاطار ، فكيف يمكن ، اذن ، الحصول على حل « وسط » بين طرفين يفترض انهما يشكلان طرفي التناقض ، بينما هما ليس كذلك ، بل يقفان ، من الزاوية الرئيسية ، على ارض التبعية للامبريالية ؟ ولا حاجة بنا ، هنا ، الى تكرار موقفنا القاطع بصدد رفض المساومة على الاهداف النهائية للنضال ، مع اقرارنا بضرورة لجوء القوى الثورية ، في لحظات سياسية معينة ، الى عقد مساومة (هدنة) او اكثر شرط عدم التفريط بأهداف النضال ، بل على **العكس** من اجل العمل على تحقيقها بشكل **اسرع** وافضل ، بعد توفير مقومات وشروط الانتصار .

مركز التشوش والاوهام

ان مركز التشوش والاوهام لدى القوى والتنظيمات الوطنية البرجوازية الصغيرة ، **انما يستمد تأثيره وقوته من كون هذه التنظيمات** ، رغم روحها الكفاحية العالية الوطنية ، لم تقطع بعد الحبل السري الذي يربط ايديولوجيتها بأيديولوجية البرجوازيات العربية ، ولم تجر بعد عملية الفطام الايديولوجي والسياسي الضرورية وتحفر مجراها الثوري المستقل والقائم على رؤية عملية منسجمة واسس سياسية ثورية مختلفة . فما زال العديد من هذه القوى يعتقد بوطنية البرجوازيات العربية ، بعد ان يقوم ، احيانا ، بعملية « تفصيل » هذه الوطنية على مقاس اللحظة والحدث السياسي مقطوعا من سياقه التاريخي ، فتارة وطنية هذه البرجوازيات بلا حدود وتارة وطنية « محدودة » ، وتارة اخرى تفترسها « الاتجاهات اليمينية » فجأة من داخلها والمرتبطة بالامبريالية الامريكية سياسيا واقتصاديا ، مما يقتضي منا دعم الاتجاهات « الوطنية » الاخرى ! ولكن المهم ان الموقف السياسي من هذه الانظمة يظل معلقا ومليئا بأوهام الرهان عليها وعلى دورها في مقارعة الامبريالية ولو كان محدودا او « مؤجلا » في انتظار استكمال « الاستعدادات » اللازمة ! ويظل غائبا التحليل الطبقي العلمي التاريخي لهذه الانظمة ، هذا التحليل الذي لا يغفل او يلغي مرحلة سابقة من دور وطني تقدمي قامت به هذه الانظمة البرجوازية ، انطلاقا ، من مصالحها الطبقية في فترة صعودها ، ولكنه لا « يؤبد » الدور « الوطني » في تصور ميتافيزيقي ثابت لا يحول ولا يزول .. من خلال لصق السمة الوطنية بالبرجوازية دائما (البرجوازية الوطنية) ، فالبرجوازية قد تلعب في مرحلة معينة ، انطلاقا من مصالحها ، دورا تقدميا وطنيا ، ولكن هذا الدور يتحدد على ضوء مقاييس سياسية علمية من خلال الموقع السياسي لهذه الطبقة من الامبريالية ، ومدى قدرتها على

تطوير قوى الانتاج ، اضافة الى سلسلة مواقفها من الطبقات الشعبية والقوى الثورية داخل بلدانها ، ومدى مناهضتها للقوى المرتبطة بالامبريالية على النطاق المحيط بها او على النطاق العالمي .

وقد لعبت البرجوازيات العربية ابان الخمسينات والستينات ، من الزاوية الرئيسية ، دورا وطنيا تقدميا **نسبيا** ، وقد واجهتها الامبريالية والكيان الصهيوني بحرب ١٩٦٧ من اجل وضعها في شروط صعبة والضغط عليها في اتجاه تحقيق المزيد من التقارب (فالتحالف) مع الامبريالية ، هذا التقارب الذي اعتراه الفتور في كثير من اللحظات ، لكنه لم ينقطع لحظة واحدة ، من خلال المصالح المشتركة التي تجمع بين هذه البرجوازيات والامبريالية مجسدة في العداء للشيوعية وللطبقات الشعبية وحقها في ممارسة الحريات الديمقراطية على اوسع نطاق ، وفي التقارب ، بين فترة واخرى ، مع الرجعيات العربية . هذا اضافة الى الطبيعة الاستغلالية للبرجوازية باعتبارها جزءا من الرأسمالية العالمية ، والى تبعيتها ، بالتالي ، لتقسيم العمل الدولي الرأسمالي ، بالرغم من المساعدات الضخمة التي تقدم بها المعسكر الاشتراكي ، ولا سيما الاتحاد السوفياتي ، من اجل تطوير وتنمية الاقتصاد الرأسمالي لهذه البرجوازيات .

ولم يكن باستطاعة الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية عام ١٩٦٧ ، هذا الاحتلال الذي كشف بشكل ساطع مدى هشاشة الاستعداد السياسي — الاقتصادي والعسكري لمواجهة الصهيونية والامبريالية ، لم يكن بامكانه وحده ان يضغط في اتجاه تحقيق المزيد من سياسة التقارب مع الامبريالية (فالتحالف الوطيد مؤخرا بين النظام المصري والامبريالية واسرائيل) لو لم يلتق بالميل الموضوعي التاريخي لدى هذه الانظمة باتجاه التقارب والتهادن مع الامبريالية ، فالعودة الى حظيرة التبعية بكل ما تعنيه من سياسات في مختلف المجالات . فالعامل الخارجي (الضغط باستمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية عام ١٩٦٧) لا يمكن ان يؤثر في العامل الداخلي الا من خلال العامل الداخلي نفسه ، من خلال كشف عجز العامل الداخلي وميله ، وبالتالي ، انطلاقا من مصالحه في اتجاه التهادن ، فالتقارب ، فالتحالف . فمثلا هجمة وعدوان ١٩٥٦ لم يلق استجابة من البرجوازية الوطنية ، بل قاومته سياسيا واستمرت في هجومها السياسي المعادي للامبريالية ، بينما ، اليوم ، نجد العكس في مرحلة تفسخ هذه الطبقة واستنفادها لدورها التاريخي والسياسي الوطني والتقدمي في مختلف المجالات .

ان ما نتحدث عنه ليس لعبة تآمرية مدبرة سلفا ، بل عبارة عن عملية تاريخية سياسية اقتضت الكثير من عمليات الشد والجذب الفعلية وعبر تعرجات معقدة (منها حرب اكتوبر نفسها) للوصول الى المحصلة الراهنة ، وما سيتبعها من حلقات اكثر خطورة ضمن اطار تبعية هذه الانظمة للامبريالية وما سيفرضه من اشكال سياسية جديدة واحلاف سياسية وعسكرية . ان مسار البرجوازيات العربية مسار حتمي تفرضه طبيعتها نفسها ، في اطار التبعية للامبريالية .

ومن هنا ، اذا لم نستطع ان نميز بوضوح بين مرحلتين من تاريخ هذه البرجوازيات فاننا سنقع في الكثير من التخبط ونفقد الاتجاه السليم ، وسنروج ، من الناحية الموضوعية الوظيفية ، الكثير من الدعايات والمواقف المضللة لهذه البرجوازيات ، وذلك كالقول بوجود حرب خامسة بين اسرائيل والانظمة ، وان اسرائيل بطبيعتها متعنتة وترفض « السلام » ، وان التناقض بين الامة العربية والكيان الصهيوني

تناقض حتمي لا بد ان يقع ، وان كل ما يدور من سياسات فعلية ليس سوى فقاقيع ومناورات ولا بد ان تدرك اخيرا هذه الانظمة فشل مثل هذه السياسات وتتبنى نهجا اخر متصادما .. وان التسوية ما زالت بعيدة .. الخ ..

ان التناقض مع العدو الصهيوني الامبريالي هو تناقض حتمي منظورا اليه من زاوية محددة ، وليس من زاوية التعميم القومي الذي يجمع كافة الطبقات والقوى ويحشرها **قسرا في** خندق واحد ، هذا التناقض حتمي من زاوية الطبقات الشعبية ، وحيث تنتقل ، اليوم ، البرجوازيات العربية (رغم تباين مواقعها المختلفة من الامبريالية وضرورة الاستفادة من هذا التباين نفسه) الى ضفاف الحلف الامبريالي بما يمثله من شبكة علاقات طبقية في المنطقة ، فلا يمكن التحدث ، حيث البرجوازية المعينة ، عن وجود تناقض رئيسي مع العدو الصهيوني الامبريالي دون ان يمر حل هذا التناقض بالاطاحة بالبرجوازية المحددة الخائنة ، هذا ، بالرغم ، كما ذكرنا ، ان الموقع السياسي لكل برجوازية يتباين عن الاخرى ، تبعا لخصوصية الصراع الطبقي السياسي في كل بلد .

ان التناقض العدائي التناحري مع العدو الامبريالي الصهيوني لا يشمل اليوم كافة الطبقات في المجتمعات العربية ، بل ينحصر بين الطبقات الشعبية (العمال والبرجوازية الصغيرة الفلاحية والمدينية) وبين العدو ، وحل هذا التناقض يمر عبر تصفية القوى والطبقات التي تستسلم وتتحالف مع العدو وتحول دون تطور وتنامي النضال الشعبي الجذري المعادي للامبريالية والصهيونية والرجعية القديمة والجديدة.

العامل الجديد في الهجمة الامبريالية

ان العامل الجديد الذي مكن الهجمة الامبريالية من تحقيق حلقات وانجازات حاسمة ، هو انتقال البرجوازيات العربية من موقع مناصبة الامبريالية العداء الى موقع المساومة والتهادن **والتحالف** . وفي كل يوم تزداد وتتلاحق معدلات الارتباط بالامبريالية في مختلف المجالات . ان تعقيد المسألة يكمن في ان نفس هذه الانظمة البرجوازية التي لعبت دورا وطنيا في مرحلة سابقة ، هي نفسها التي تفرط ، الان ، بأسس الاستقلال السياسي والاقتصادي وبقضايا النضال الوطني التحرري ، وفي الطليعة منها قضية النضال الوطني الفلسطيني . وهذا مما يطلق العنان ، في ظل غياب تحليل علمي ثوري ، للتفسيرات التآمرية الاخلاقية الساذجة والتخبطات السياسية والبلبلة والتشوش الفكري والمواقف الانتظارية غير الثورية عن طبيعة ومسار هذه الانظمة .

فالامبريالية ابان مرحلة الدور الوطني التقدمي النسبي لهذه الانظمة ، لم تتمكن من احراز اي تقدم حاسم . ومن المعروف اين تقف سابقا وبثبات النظم الرجعية العربية ، فالتغيير الذي طرا يمس الانظمة البرجوازية العربية ، وهو تغيير يجري لصالح الامبريالية وانطلاقا من المصالح الطبقية لهذه الانظمة في مرحلة استنفادها لدورها التقدمي والوطني . واذا كانت مسيرة التسوية ، كما سبق وحددنا مفهومها والجارية لصالح الامبريالية بسبب وقوف البرجوازيات العربية على ارض التبعية ، قد تعثرت ، بعد هزيمة ٦٧ ولم يكن لها ان تتحقق ، بالطبع ، دفعة واحدة نتيجة عدم نضج التحولات السياسية والاقتصادية داخل بنية هذه الانظمة لصالح الامبريالية (رغم تهادنها مع هذه الاخيرة) ، وحيث لعبت اسرائيل دورا بارزا في تسريع معدلات سير الانظمة البرجوازية الحتمي في هذا الاتجاه . فالامبريالية تضغط من خلال اداتها وعصاها الغليظة اسرائيل ، من اجل تسريع معدل الاستسلام

والتبعية . وخضوع هذه الانظمة ، الذي اتخذ اشكالا معقدة ، بمقدار ما عكس عجز هذه الانظمة عن مواجهة الامبريالية واداتها ، فقد التقى ، ايضا ، مع الميل الطبقي الموضوعي (كعامل داخلي) لدى هذه الانظمة في مرحلة تفسخها في اتجاه التقارب والترابط والتحالف العضوي مع الامبريالية وشبكة علاقاتها في المنطقة العربية .

ان الاستسلام الذي قامت وتقوم به البرجوازيات العربية ، تحت غطاء ديبلوماسية التسوية السياسية ، عبارة عن عملية تاريخية سياسية تم قطع الاشواط الحاسمة منها ، عبر تعرجات وحلقات شديدة التعقيد ، واذا كانت الامبريالية تضطر

للملاءمة بين توطد مصالحها السياسية والاقتصادية الاستراتيجية في المنطقة العربية وبين دور اسرائيل الامبريالي الخاص من خلال الضغط قليلا على اسرائيل لكي تقايض فتنسحب من **بعض** الاراضي العربية المحتلة ، فان ذلك لا يعني بطبيعة الحال انه يتم على حساب اسرائيل ، بل ، على العكس ، هو تقوية وتعزيز لها ولدورها السياسي والعسكري .

فالهيمنة الامبريالية على المنطقة تفترض ، استراتيجيا ، الحفاظ على « أمن » ودور اسرائيل كعصا غليظة . فهناك فرق بين الكيان المصطنع الضامن وبين النظام التابع . فالانظمة البرجوازية العربية لا بد ان تتغير عبر تنامي نضال الطبقات الشعبية واطاحتها بهذه الانظمة ، ولكن الكيان الصهيوني الاستيطاني الاستعماري ، غير مرشح لكي تحسم التناقضات الطبقية داخله عملية التغير والاطاحة به . لان اية عملية تغيير داخل اسرائيل لا بد ان يكون هدفها الغاء الصهيونية كمؤسسات ودولة . ولكون التناقض الاساسي الداخلي في الكيان الصهيوني يتقرر بناء على الدور السياسي الذي يقوم به ، وهو موجه اساسا من اجل اضطهاد وقمع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية المحيطة بفلسطين بوجه خاص ، ولعب دور الدركي الحارس للمصالح الامبريالية في المنطقة ، فهذا التناقض الداخلي وهو تناقض اسرائيل مع الشعوب العربية ، هو نفسه تناقض خارجي ، على ضوء ما تمثله اسرائيل من خصوصية ، لذا فان تطور اي نضال طبقي سياسي ضد اسرائيل الصهيونية ، مرهون بمقدار مواجهتها بشكل حاسم من قبل الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى من خلال خوض الصراع المسلح معها بهدف تحطيمها كقاعدة عدوانية امبريالية . وككل قاعدة عدوانية لا يمكن تحطيمها الا من الخارج ، من الناحية الاساسية .

فالكيان الصهيوني لن يكف عن عدوانيته ضد شعوب المنطقة وتقدمها وسلامها واستقرارها الحقيقي .. ولكن الجديد اليوم ، انه يقوم بعقد اواصر التنسيق والتحالف السياسي الوطيد مع الطبقات الرجعية العربية الحاكمة قديمها وجديدها من اجل الاستمرار في لعب هذا الدور نفسه ضد المصالح الوطنية الطبقية للجماهير العربية . فبعد خطوة السادات الاخيرة اصبحت المنطقة مرشحة لاشكال سياسية جديدة من الهيمنة الامبريالية مجسدة في تحالف الكيان الصهيوني مع الانظمة الرجعية الخائنة . وهذا مما يقتضي التخلي عن الاوهام السائدة عن « وطنية » البرجوازيات العربية ، وكون العدو الرئيسي هو العدو الخارجي الصهيوني الامبريالي .

ان الامبريالية ليست عبارة عن ضبع مفترس يتربص في الخارج وعلينا ان نكون يقظين فنوصد الباب جيداً . ان الهيمنة الامبريالية تتحقق عبر شبكة من

العلاقات الطبقية التي تدور في اطار خدمة المصالح السياسية والاقتصادية الاستراتيجية للامبريالية . وهي تتألف من الطبقات التابعة الدائرة في فلك الامبريالية سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

ونحن نتساءل على سبيل المثال لا الحصر ، ما الذي يسهل اليوم الهجمة الامبريالية في المنطقة العربية ، أليس الدور الاستسلامي الذي تقوم به البرجوازيات العربية نفسها بانتقالها الى خندق المعسكر الامبريالي ؟ فالانظمة الرجعية العربية معروفة ومحسومة الولاء على مختلف الصعد ...

ثم آن « العدو الرئيسي » اسرائيل ، وهو فعلا عدو رئيسي وقاعدة عدوانية امبريالية ، ولكن ما هي القوى الطبقية المحلية التي ساعدت على غرسه في المنطقة ؟ ألم تلعب الانظمة الرجعية العربية دورا حاسما في تقوية هذا الكيان وامداده بالطاقة البشرية اكثر من ٥٠٪ من سكان اسرائيل يهود عرب وبالتالي منع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية من ممارسة حقها في القتال ضده . ألم يخدم نظام الملك حسين عام ١٩٧٠ الكيان الصهيوني في مجزرة ايلول ، وكذلك حال الرجعية والفاشية في لبنان عامي ٧٥ و ٧٦ ، ما الذي جعل العدو الرئيسي ، « عدوا رئيسيا » ، وحافظ عليه كذلك طيلة هذه السنوات الطويلة ؟ لماذا لم تجر مواجهته بشكل حاسم من قبل الطبقات الحاكمة ؟ ان تجاهل التناول التاريخي العلمي للمسائل من شأنه ان يجعل ابسط الوقائع الساطعة غامضة وضبابية غير مفهومة . فلنسقط حجاب الكلمات المضللة الزائفة التي تحول دون وضوح الرؤية العلمية التاريخية .

واليوم يجري عقد اواصر تحالف جديد بين الكيان الصهيوني الامبريالي والطبقات الحاكمة الرجعية ، وقد دشنه بصفاقة نظام السادات في مصر ، هذا التحالف يفتح ابواب المنطقة على نوع جديد من التناقضات ، تقتضي من القوى الثورية اقصى درجات اليقظة والاستعداد والتخلي عن الاوهام . فقد انتقلت المسألة الوطنية وقضايا التحرر والاستقلال السياسي والاقتصادي من ايدي البرجوازيات العربية الى ايدي الطبقات الشعبية .

ان الاستسلام الراهن ، هو استسلام البرجوازية الذي يعكس نفسه على مجمل الطبقات الاجتماعية الاخرى ، لكنه في نفس الوقت لا يعني نهاية النهاية ، بل نهاية البرجوازية وبداية عهد ثوري جديد يتطلب الكثير من النضال الشاق ، عهد نهوض الطبقات الشعبية واستلامها زمام المبادرة التاريخية والسياسية .

ان افلاس الانظمة التابعة للامبريالية سيعكس نفسه على شتى المجالات ، سواء من زاوية تشديد قبضة القمع في مواجهة الطبقات الشعبية ، وقواها السياسية الثورية ، او من حيث ازدياد بؤس واستغلال الطبقات الكادحة وتفاقم اوضاعها المعيشية . فالتبعية للامبريالية ، لن تحل الازمة الاقتصادية للنظام البرجوازي في مصر ، بل ستزيد منترديها من خلال احكام الامبريالية قبضتها اكثر فأكثر على السوق الداخلي وربط عجلة الاقتصاد بما يخدم مصالحها . ان اضاليل النظام المصري سوف لن تعمر طويلا ، من خلال ادعائه ان سبب المشاكل الاقتصادية المتردية التي يعاني منها الشعب المصري هو اكلاف المعركة العسكرية الباهظة مع العدو الصهيوني . ان الاستقلال والتطور الاقتصادي مترابط اشد الترابط بقضية الاستقلال السياسي والنضال التحرري ولا يمكن فصل هاتين المسألتين بأي شكل من الاشكال ، فالذي يفرط بالمسألة الوطنية والاستقلال السياسي يفرط في نفس الوقت بالاستقلال الاقتصادي ، ان السبب الحقيقي وراء ما تعانيه الجماهير المصرية من تردي الاوضاع المعيشية هو عجز النظام المزدوج نفسه (١) عن تطوير قوى الانتاج ضمن اطار

علاقات الانتاج الرأسمالية . (٢) وعن مواجهة الامبريالية والصهيونيه وسوف تزداد اوضاع الجماهير المصرية ترديا على الصعيد الاقتصادي في ظل تبعية النظام وعمالته الكاملة للامبريالية .

سلطة وطنية أم مؤامرة تصفية ؟

اذا كانت البرجوازيات العربية ، رغم تباين مواقع كل برجوازية ، تقف اليوم من الزاوية الرئيسية ، في اطار معسكر الحلف الامبريالي ، فهل يمكن في ظل موازين القوى الراهنة الحصول على سلطة وطنية فلسطينية ضمن اطار التسوية الحالية ، التسوية الامبريالية ؟ الواضح تماما ، ان اية سلطة وطنية محررة بقوة السلاح على أي جزء من ارض فلسطين ، لن تكون الا في مواجهة التسوية الراهنة وقواها السياسية المعادية والمستسلمة . وهناك فرق عملي بين ان نتوقع الحصول على سلطة وطنية فلسطينية في ظل موازين القوى القائمة ، وبين ان نتوقع مؤامرة تصفية . فنحن لا نختار الواقع بناء على اوهامنا وامانينا ، بل بناء على ما يطرحه الواقع من خيارات واقعية محددة حيث يجري التعامل معها بهدف تغييرها .

وقد جرى ويجري تخدير لليقظة الثورية من خلال طرح الشعارات والمهام غير الملائمة للمرحلة المحددة . وهكذا واجهت الثورة الفلسطينية ، وحليفتها الحركة الوطنية اللبنانية ، مؤامرة تصفية في لبنان ما زالت مستمرة حتى الان ، بأشكال سياسية وعسكرية جديدة على ايدي الحلف الفاشي الامبريالي الصهيوني الرجعي .

وقد استمدت الهجمة المعادية في لبنان قوتها الاساسية من موازين القوى في المنطقة العربية اثناء واثر ابرام اتفاقية سيناء الخيانية التي تنص على أن « النزاع » في منطقة الشرق الاوسط لا يمكن حله « بوسائل عسكرية » ، الامر الذي اعطى الضوء الاخضر للقوى المعادية لكي نشن وتواصل هجومها لانتزاع سلاح الثورة الفلسطينية .

فالتسوية الامبريالية بقواها السياسية الواقعية ، لا تحمل للثورة الفلسطينية سوى التصفية المستمرة . هذه التصفية التي لا بد من مواجهتها بكل وضوح وحزم من خلال الاعتماد على الجماهير وقواها الثورية . وهناك فرق جذري بين الاستفادة من التناقضات بين صفوف الحلف المعادي وبين التحالف مع قوى هذا الحف نفسه .

ولكن ثمة تصور سائد في الساحة الفلسطينية لا يولي اهمية قصوى للرؤية السياسية العلمية الاستراتيجية ، بل يغرق في نزعة تجريبية متخبطة . هناك سيادة لنظرية العمل التي تفهم العمل السياسي باعتباره أعلاما لتغطية النشاط العملى ، ولا تتعامل بالسياسة والدعاية الثورية باعتبارها اساس النضال . ثمة كراهية تاريخية غير ناضجة لنوع من الديماغوجية التي كانت تروجها الانظمة والاحزاب والقوى المرتبطة بها عن تحرير فلسطين وسواها من القضايا الوطنية التحررية والتقدمية ، ولم تفعل هذه الانظمة شيئا في اتجاه تحقيق هذه الشعارات

التي كانت ترددها . ان ما ينقص ليس العمل فقط (العمل في اي اتجاه ؟) ، بل النظرية والعمل معا باعتبارهما يشكلان وحدة لا يمكن فصمها البتة ، فالى اي مدى كان سينعكس تصورنا على العمل في مختلف المجالات لو كنا ندرك ، منذ البداية انه في ظل هكذا وضع عربي نحن ننتظر مؤامرة تصفية وليس سلطة وطنية ؟ ان الاستعدادات السياسية والعسكرية كانت وستكون مختلفة من دون شك ، وتحديدنا

لطبيعة الاعداء كان سيساعدنا على معرفة كيفية مواجهتهم ، من خلال تعبئة وتنظيم الجماهير ضمن شعارات ملائمة للمرحلة السياسية .

واذا كانت نظرية العمل (« المهم العمل وليس الكلام » ، ولكن اي عمل واي كلام ؟) تعكس طابعا كفاحيا معينا ، فان هذا الطابع سيظل ناقصا في كفاحيته نفسها. لان الكفاحية المنسجمة حتى النهاية ، هي الكفاحية التي تستند الى خط عامي ، الى استراتيجية وتاكتيك ثوريين .

ونحن نرى ، انه بالرغم من التقدم الكبير الـــذي احرزه الحلف الامبريالي المعادي ، وبالرغم من الضربات القاسية ، فان امكانية التصدي لمخطط التصفيــة والتسوية الاستسلامية ما زال قائما ، ولكن ذلك يتطلب اتباع سياسة ثورية منسجمة قادرة على حشد القوى الوطنية والثورية الموجودة في جبهة متحدة متراصة قائمة على اسس ثورية . وان سياسة التكيف مع الامر الواقع والخضوع لمنطق وابتزاز الاعداء لن تحمي الثورة الفلسطينية وحلفاءها في لبنان . كما ان سياسـة الهرب الى امام وعدم مواجهة المهام الثورية الواقعية الملحة ، تحت اي ستار من الالفاظ والمفاهيم لن يؤدي الى تقدم الثورة ، وكذلك ، ايضا ، حال سياسة رد الفعــل « اليساري » الارهابي النخبوي الذي لن يقود الى طريق التصدي « والانتصار » .

لقد حان اوان الفطام الايديولوجي والسياسي لثورة مكافحة مناضلة قدمت الالاف من الشهداء الابطال على درب الكفاح الوطني ، وجدير ، اليوم ، بهذه الثورة والشعب ان يتوجا هذا الكفاح الوطني ، من خلال القيام بنضال عنيد شاق وصبور من قبل القوى والتيارات والعناصر الاكثر تقدما ، برسم خط ثوري قادر على حماية الثورة والنهوض بها من جديد .

ان المهمة الراهنة الملحة التي تواجه الثورة الفلسطينية وحليفتها الحــركــة الوطنية اللبنانية هو التصدي للمؤامرة المستمرة بأشكال سياسية وعسكرية جديدة والتي ستواجه مخاطر متعاظمة اكثر . وذلك بعد ان تعمد بالدم وتعمق التحالف الشعبي ذو الدلالة التاريخية على الساحة اللبنانية بين الشعبين اللبناني والفلسطيني (بالرغم من كافة الثغرات والعثرات والنكسات المؤقتة) ، فلاول مرة يجري تلاحم شعبي حقيقي على اساس وطني مناهض للقوى الفاشية والصهيونية والامبرياليــة والرجعيــة .

كما على الثورة الفلسطينية ان تدرك بكل جـــلاء ، ان الحلقـــة السياسية الاستراتيجية الاضعف ضمن موازين القوى الراهنة ، هي الساحة الاردنية (وليس الضفة الغربية وغزة) التي لا بد من تطوير النضال الوطني الفلسطيني الاردني فيها في اتجاه اقامة نظام وطني ديمقراطي . كما ينبغي ان يكون واضحا ان التسويــة الراهنة لا تحمل سوى المزيد من مؤامرات التصفيـــة المتلاحقة والتي لا بد من الاستعداد للتصدي لها لا ترويج الاوهام واعادة انتاجها بأشكال وحلل جديدة .

ان امضى سلاح في هذه المرحلة التي تشهد انعطافا حادا على مستوى المنطقة العربية والصراع مع العدو الصهيوني الامبريالي الرجعي ، هو سلاح الوضوح السياسي الثوري ، سلاح الطبقات الشعبية الناهضة في مواجهة البرجوازيــة الخائنة والانظمة الرجعية وقوى الردة الوطنيـــة والتيارات الانتهازية اليمينيــة و « اليسارية » المختلفة الاشكال .

ان عهدا جديدا سيبزغ ، عهد النضال الثوري للطبقات الشعبية بقيادة الطبقة العاملة ، ملنبدد الظلام ، ولنسرع في انضاج الفجر الثوري الجديد .

يرسم الفنان الــواقع بشكــل يظهــر ضرورة هــدمه . بريشت

البطل في الرواية
بين الامكانية المجــردة
والامكانية الفعلية

د. فيصل دراج

للذات أو الشخصية أو « البطل » دور في العمل الروائي تختلف دلالته مــن زمان الى آخر ومن فنان الى آخر . دور مشروط بمفهوم البنيان الروائي وبشكل الايديولوجيا المسيطرة ومفهومها الفلسفي للانسان ولدور الذات في الانتاج الفني . فالمفهوم الديني للانسان (ثنائية الخير والشر) يختلف عن المفهوم المادي له (علاقة اجتماعية محددة تاريخيا) . والمفهوم الماركسي يختلف بدوره عن المفهوم البنياني .

يعتمد موقف الفنان ــ الاديب من « شخصياته » على موقفه الايديولوجي من العالم الذي ينعكس جدليا في مفهومه للانسان ولدوره في البناء الروائي . فالذات (الانسان ــ الشخصية) تحمل الحدث وتعكس الواقع وتشير الــى مفهوم الفنان للعالم . والذات في الرواية (الشخصية الروائية) علاقة فنية تحدد بشكل موضوعي موقف الفنان ــ الاديب من العالم على الرغم من انها تتحدد به ، فالفنـــان يتحدد ايديولوجيا داخل نصه ، داخل ممارسته الفنية لا خارجها . والذات في الرواية تتحدد ببنيان العمل الفني ككل **واحيانا** تحدد هذا البنيان ، فلها اذن دور في تحديد معمارية العمل الفني لكنه من السذاجة الاعتقاد ان هذه المعمارية تتحدد بشكــل رئيسي بدور الشخصية او الشخصيات . فالعمل الفني جملة علاقات مترابطــة في وحدة جدلية ، وليس تراكم مركبات متكافئة او متفاوتة . أنه بناء معقد تلعب اللغة دور الاسمنت في ربط قسماته واجزائه . فالشخصية في الروايـــة **علاقة** فنية تترابط مع جملة **العلاقات** الاخرى التي تمنح العمل الفني سمته .لهــذا فان رسم الشخصية لا يأخذ مداه الا برسم دقيق لجملة العلاقات الاخرى (وحدة المكــان والزمان ، علاقة الشخصية بالواقع ، العلاقة الجدلية بين الشخصيات ، وحدة النمو الفني .....) .

يثير دور « البطل » في الرواية منذ فترة طويلة نقاشات عدة تفضي في النهاية الى مواقف متعددة . يوسع البعض مجال « البطل » ويعطيه دورا هاما ، فهو حامل

لطبيعة الاعداء كان سيساعدنا على معرفة كيفية مواجهتهم ، من خلال تعبئة وتنظيم الجماهير ضمن شعارات ملائمة للمرحلة السياسية .

واذا كانت نظرية العمل (« المهم العمل وليس الكلام » ، ولكن اي عمل واي كلام ؟) تعكس طابعا كفاحيا معينا ، فان هذا الطابع سيظل ناقصا في كفاحيته نفسها. لان الكفاحية المنسجمة حتى النهاية ، هي الكفاحية التي تستند الى خط عامي ، الى استراتيجية وتاكتيك ثوريين .

ونحن نرى ، انه بالرغم من التقدم الكبير الــذي احرزه الحلف الامبريالي المعادي ، وبالرغم من الضربات القاسية ، فان امكانية التصدي لمخطط التصفيــة والتسوية الاستسلامية ما زال قائما ، ولكن ذلك يتطلب اتباع سياسة ثورية منسجمة قادرة على حشد القوى الوطنية والثورية الموجودة في جبهة متحدة متراصة قائمة على اسس ثورية . وان سياسة التكيف مع الامر الواقع والخضوع لمنطق وابتزاز الاعداء لن تحمي الثورة الفلسطينية وحلفاءها في لبنان . كما ان سيــاسة الهرب الى امام وعدم مواجهة المهام الثورية الواقعية الملحة ، تحت اي ستار من الالفاظ والمفاهيم لن يؤدي الى تقدم الثورة ، وكذلك ، ايضا ، حال سياسة رد الفعــل « اليساري » الارهابي النخبوي الذي لن يقود الى طريق التصدي « والانتصار » .

لقد حان اوان الفطام الايديونوجي والسياسي لثورة مكافحة مناضلة قدمت الالاف من الشهداء الابطال على درب الكفاح الوطني ، وجدير ، اليوم ، بهذه الثورة والشعب ان يتوجا هذا الكفاح الوطني ، من خلال القيام بنضال عنيد شاق وصبور من قبل القوى والتيارات والعناصر الاكثر تقدما ، برسم خط ثوري قادر على حماية الثورة والنهوض بها من جديد .

ان المهمة الراهنة الملحة التي تواجه الثورة الفلسطينية وحليفتها الحــركــة الوطنية اللبنانية هو التصدي للمؤامرة المستمرة بأشكال سياسية وعسكرية جديدة والتي ستواجه مخاطر متعاظمة اكثر . وذلك بعد ان تعمد بالدم وتعمق التحالف الشعبي ذو الدلالة التاريخية على الساحة اللبنانية بين الشعبين اللبناني والفلسطيني (بالرغم من كافة الثغرات والعثرات والنكسات المؤقتة) ، فلاول مرة يجري تلاحم شعبي حقيقي على اساس وطني مناهض للقوى الفاشية والصهيونية والامبرياليــة والرجعيــة .

كما على الثورة الفلسطينية ان تدرك بكل جــلاء ، ان الحلقــة السياسية الاستراتيجية الاضعف ضمن موازين القوى الراهنة ، هي الساحة الاردنية (وليس الضفة الغربية وغزة) التي لا بد من تطوير النضال الوطني الفلسطيني الاردني فيها في اتجاه اقامة نظام وطني ديمقراطي . كما ينبغي ان يكون واضحا ان التسويــة الراهنة لا تحمل سوى المزيد من مؤامرات التصفيـــة المتلاحقة والتي لا بد من الاستعداد للتصدي لها لا ترويج الاوهام واعادة انتاجها بأشكال وحلل جديدة .

ان امضى سلاح في هذه المرحلة التي تشهد انعطافا حادا على مستوى المنطقة العربية والصراع مع العدو الصهيوني الامبريالي الرجعي ، هو سلاح الوضوح السياسي الثوري ، سلاح الطبقات الشعبية الناهضة في مواجهة البرجوازيــة الخائنة والانظمة الرجعية وقوى الردة الوطنيـــة والتيارات الانتهازية اليمينيــة و « اليسارية » المختلفة الاشكال .

ان عهدا جديدا سيبزغ ، عهد النضال الثوري للطبقات الشعبية بقيادة الطبقة العاملة ، فلنبدد الظلام ، ولنسرع في انضاج الفجر الثوري الجديد .

يرسم الفنان الــواقع بشكــل يظهــر ضرورة هــدمه . **بريشت**

البطل في الرواية
بين الامكانية المجــردة
والامكانية الفعلية

د. فيصل دراج

للذات أو الشخصية أو « البطل » دور في العمل الروائي تختلف دلالته مــن زمان الى آخر ومن فنان الى آخر . دور مشروط بمفهوم البنيان الروائي وبشكل الايديولوجيا المسيطرة ومفهومها الفلسفي للانسان ولدور الذات في الانتاج الفني . فالمفهوم الديني للانسان (ثنائية الخير والشر) يختلف عن المفهوم المادي له (علاقة اجتماعية محددة تاريخيا) . والمفهوم الماركسي يختلف بدوره عن المفهوم البنياني .

يعتمد موقف الفنان ــ الاديب من « شخصياته » على موقفه الايديولوجي من العالم الذي ينعكس جدليا في مفهومه للانسان ولدوره في البناء الروائي . فالذات (الانسان ــ الشخصية) تحمل الحدث وتعكس الواقع وتشير الــى مفهوم الفنان للعالم . والذات في الرواية (الشخصية الروائية) علاقة فنية تحدد بشكل موضوعي موقف الفنان ــ الاديب من العالم على الرغم من انها تتحدد به ، فالفنــان يتحدد ايديولوجيا داخل نصه ، داخل ممارسته الفنية لا خارجها . والذات في الرواية تتحدد ببنيان العمل الفني ككل **واحيانا** تحدد هذا البنيان ، فلها اذن دور في تحديد معمارية العمل الفني لكنه من السذاجة الاعتقاد ان هذه المعمارية تتحدد بشكــل رئيسي بدور الشخصية او الشخصيات . فالعمل الفني جملة علاقات مترابطــة في وحدة جدلية ، وليس تراكم مركبات متكافئة او متفاوتة . أنه بناء معقد تلعب اللغة دور الاسمنت في ربط قسماته واجزائه . فالشخصية في الروايــة **علاقة** فنية تترابط مع جملة **العلاقات** الاخرى التي تمنح العمل الفني سمته .لهــذا فان رسم الشخصية لا يأخذ مداه الا برسم دقيق لجملة العلاقات الاخرى (وحدة المكــان والزمان ، علاقة الشخصية بالواقع ، العلاقة الجدلية بين الشخصيات ، وحدة النمو الفني .....) .

يثير دور « البطل » في الرواية منذ فترة طويلة نقاشات عدة تفضي في النهاية الى مواقف متعددة . يوسع البعض مجال « البطل » ويعطيه دورا هاما ، فهو حامل

للحدث ولموقف الفنان ، ومجال يحتضن الانعكاس الموضوعي للواقع ، **وأداة نفعية** لاجتذاب القارىء وشده الى النص . وهكذا تصبح الشخصية هنا حقلا واسعا يحكم علاقة الفنان بالعالم وبعمله الفني وبالقارىء ايضا . ويوجد على النقيض من ذلك فريق آخر يقلل من دور الشخصية في العمل الروائي ويلغيه احيانا ويعتبر الشخصية عائقا يكبح تطوير « فن جديد » . ويقول هذا الفريق ان وجود الشخصية يحد من حركة الفنان وعفويته ، فالكتابة هي ممارسة لغوية ووجود الشخصية يحاصر لعبة اللغة ويحد انسيابها المطلق . والهام لديه في العملية الفنية هو الحضور المستمر للفنان في عمله ، حضور يشب عن اي قانون او قيد بما في ذلك قيد الشخصية .

ويمكن ان نقول ان الغاء الشخصية هو الغاء للواقع وهروب منه وانزلاق في ذاتية عاجزة عن مواجهته والامساك به في شكله المشخص . فالشخصية انعكاس للواقع واشارة اليه وانارة وتكثيف ، والغاؤهـا يعني الغاء الحركة الاجتماعيـة والتيه في مملكة اللغة وحضور الفنان في نصه .

الامكانية المجردة والامكانية الفعلية :

« البطل » في الرواية هو حامل الحدث الذي ينمـو في عملية ديالكتيكية ، شخصية محددة الزمان والمكان تعكس الواقع الاجتماعي في تناقضاته الاساسيـة ومنحى حركته العام ، كيان حي ينمو كعلاقة فنية تتميز وتتكون بتميز الشخصية اي بامتلاكها سمات فكرية وعاطفية وممارسة معينة مرتبطة بشرط تاريخي .

ان الشخصية في الرواية ليست فكرة فلسفية او تجريدا زهنيا باردا ، انها « فكرة » تتحول الى علاقة فنية أي تأخذ قيمتها الجمالية من خلال رسمها الفنـي ومزاياها الجمالية وتحولها الى نمط حي ذي حمولة جمالية او بنيان فني . بمعنى آخر ، ان الانسان من وجهة نظر فلسفية هو علاقة اجتماعية بينما الانسان من وجهة نظر جمالية هو علاقة فنية اي شكل متميز للعلاقة الاجتماعية . وهذا يعني ان الشخصية الروائية لا تطابق معادلها الذهني او مـرادفها الفلسفي فمقاربة الفن للواقع تختلف عن مقاربة الفلسفة له . **المفهوم الفلسفـي تجريد والعلاقة الفنية تحديـد** .

لا يتعاطى العمل الفني مع أفكار مجردة بل مع واقع متميـز محدد المعالم اجتماعيا وتاريخيا ، فالشخصية الروائية **واقع مادي** مرتبط بجملة من الممارسات الاجتماعية التي تمنحه تحديده .

تصل الشخصية في الرواية (أو العمل الفني بشكل عام) الى مرتبة العلاقة الفنية عندما **تتمايز ذاتيا** وموضوعيا . تتمايز ذاتيا عندما تمثل امامنا في خصوصيتها الفردية التي تعكس العالم الداخلي للفرد وممارسة الخارجية في علاقتهما الحية مع الواقع ، عندما تتحرك في علاقتها مع ذاتها ومع الاخرين في ديالكتيك مفتوح ، عندما تصبح نمطا يعبر عن فئة اجتماعية محددة في مسارها التاريخي . وتتمايز الشخصية موضوعيا عندما تعكس زمانها ومكانهـا وتربتها الاجتماعية بسماتها الاساسية ، اي عندما تجسد خصوصية محددة ولا تهيم في فضاء سديمي مجهول الهوية . تحمل الشخصية الفنية اذن ذاتها وشرطها المتميز ، فهي ذاتها واكثر من ذلك ، انها العام والخاص في وحدة تحافظ باتساق على فرديتها ومزاياها الفكرية

وتعبر ايضا عن علاقاتها الاجتماعية وتربتها الطبقية وميزان القوى الاجتماعي في زمانهـا .

ان تمايز الشخصية فنيا يربطها بحقلها الخاص (الحقل الفني) ويميزها عن الحقول المعرفية الاخرى ، اي ينقلها من التعريف المجرد للانسان الى المفهوم الجمالي له الذي يجعلها تتمايز في موقفها مـن « الانسان » عن موقف علم الاجتماع او الفلسفة . لذلك نقول ان المفهوم الفلسفي للانسان لا يساوي مفهومه الجمالي وان المفهوم الذهني للشخصية لا يساوي مفهومها الواقعي أي المادي .

ما هي الامكانية المجردة ؟

تتحدد الامكانية الفعلية بفضائها التاريخي الذي يمنحها مزاياها وسماتها والحيز المادي الذي تستطيع أن تتحرك فيه ، فحركتها وانتصارها وسقوطها مرهونة معا بالامكانية الفعلية لشرطها التاريخي أي بالمحصلة العامة للقوى الاجتماعية في صراعها المستمر ومنحى هذا الصراع . « فالبطل » لا يشب عن حدود زمانه دون أن يشج رأسه .

اما الامكانية المجردة للشخصية او « البطل » فهي حركتها كفكرة ذهنية غير محددة تنمو في فضاء سديمي مجهول الهويـة ، حركة تنمـو منقطعة عن شرطها التاريخي بشكل ينعدم فيه التوافق بين حركة « البطل » وحركة القوى الاجتماعية المرتبط بها . وترى هذه الحركة الذهنية في « البطل » كيانا وحيدا يؤثر في العالم ولا يتأثر به ووجودا ميتافيزيقيا يعيش مكانا بلا سمة وزمانا بلا تعيين ، أي تتعامل مع مفهوم لا تاريخي للبطل ينطلق من الوهم فلا ينتج الا وهما فنيا .

يعبر تعامل « الفنان » مع الامكانية المجردة عن عجزه في فهم عالمه وسقوطه في انتاجه فنيا ، فهو ينطلق من ذاته ، من ملكوت خياله ، يعيش اوهامه فلا ينتج الا السقوط والتضليل والوهم . ولا يتم ذلك الا عندما يكون « الفنان » مهرج طبقة او جاهلا بينه وبين الفن قطيعة أي عندما يكون نقيضا للفنان ونفيا له .

لسنا هنا بصدد الحديث عن مفهوم التجريد العلمي او الشخصية الكونية . ان ما نود الاشارة اليه هو « الادب التبشيري » ، « الادب السديمي » الذي لا يعبر عن واقع بل يبخر لطبقة ، يضع الحقيقة التاريخية في أصفاد صدئة ويغني لانتصارات لا وجود لها ، يبدأ من الفراغ ليعود الى فراغ افدح واكثر كلفة .

لا يعرف الادب العظيم الزيف ، يبحث عن الحقيقة ويشير اليها ، يبدأ من الواقع ، من معرفة الواقع . يبحث عن معرفة الواقع كي يتسيد عليه فنيا ليتسيد عليه فعليا فيما بعد ، يعرض الواقع بشكل يدعو الى هدم ما هو سلبي فيه ويسهـل هذا الهدم ، يعيش ممارسته الفنية كممارسته للثورة ، فيربط بين الممارسة الفنية وممارسة تغيير الواقع .

يتكون العمل الفني عبر نضال مزدوج ، نضال لمعرفة الواقع والوصول الى الحقيقة ، ونضال لترويض لحظة المعرفة فنيا . ان رسم الواقع بشكل صحيـح والتأثير عليه يستلزم معرفة هذا الواقع وفهم القوانين المسيرة ، ترك السطح والغوص الى الجوهر ، تملك الشجاعة لرسم قباحة الاشياء وجمالها ايضا ، معالجة الظواهر الهامة والمؤثرة فعلا وعدم الاكتفاء برصد الامور الجزئية . ان الوصول الـى هذه المعرفة لا يتم دفعة وعبر طريق واحدة بل يتم عبـر عملية مستمرة ذات اوجه

مختلفة . يقول بريشت في كتابه « حول الواقعية » :

« يحتاج الكتاب في الاوقات العصيبة واوقات الهزات الاجتماعية الى معرفة الديالكتيك المادي والاقتصاد السياسي والتاريخ » — ص — ١٦ — الطبعة الفرنسية — .

العمل الفني موقف يتضمن معرفة العالم ونقده وتغييره ، موقف يتقدم كمعرفة فنية تنير الواقع وتبدد ستائر الدخان التي تخفي الحقيقة ، موقف يعامل الواقع بمعايير واقعية اي لا يرى فيه كيانا مقدسا ، فالرؤية المقدسة للاشياء لا تنتج الا تأبيدها .

عن البطل الايجابي : تأخذ مقولة الامكانية المجردة للبطل كل ابعادها في المفهوم المشوه للبطل الايجابي الذي عاش ومـــا يزال في كثير من النصوص « الثورية » الوردية . حيث يمثل امامنا كائن ميتافيزيقي ينمو بخط مستقيم ويسير في عالم بلا تناقض ، بطل لا يعرف الخوف او الهزيمة اي لا وجود له الا في ذهن مثالي . ان الصورة التقليدية والمشوهة لصورة « البطل » تقدم انسانا فقيرا في عالمه الداخلي وعالمه الخارجي ، تعزله عن تاريخه وزمانه وتحركه في فضاء الذاكرة ، تحذف منه ديالكتيك الشخصية فتقصيه بذلك عن عالم الحياة الحقيقي . ان مثل هذا المفهوم المثالي للبطل ينسى كلية مفهوم التناقض الذي يحكم « البطل » ويحكم الواقع الذي انتجه . فالواقع الاجتماعي كلية متناقضة يتعايش فيها القديم والجديد الايجـــابي والسلبي المستغل والمستغل تنتج في التعيين الاخير ميزان قوى محدد يسمح بالانتصار تارة والتراجع والمراوحة تارة اخرى . اي أن الممارسة السياسية الخطية والمستقيمة لا وجود لها في الواقع . كما أن «البطل » بدوره وحدة تناقضية يتعايش فيها الانانية وحب الاخرين ، الخوف والشجاعة ، الفردية والالتزام ، التفاؤل والتشاؤم ، النزعة المثالية والنزعة الواقعية .... تتعايش كل هذه المعايير في الانسان لتعطي في النهاية حصيلة ايجابية في **مجملها** اذا وجد هذا الانسان في شرط ايجابي .

تنفي الرؤية العلمية مفهوم البطل الايجابي بقسماته الميكانيكية ، وتشير الى الجذور اللاهوتية لهذا المفهوم ، فالمعادل اللاهوتي للبطل الايجابي هو الملاك ، والملاك وحده يعيش في سماء زرقاء لا تناقض فيها . أما « البطل » بالمعنى المادي للكلمة فهو كيان « أرضي » ، علاقة اجتماعية ، يعكس واقعه ويتأثر به ويؤثر فيه . وبالتالي فما هو ايجابي هو المحصلة السياسية النهائية لممارسة « البطل » اي دوره في العملية الثورية وليس كماله الاخلاقي او خطية نضاله . لهذا ينبغي ان نميز بين التقييم الاخلاقي « للبطل » المعتمد على مقولات الطهر والشجاعة والنقاء ... والتقييم المادي « للبطل » الذي يراه كحزمة تناقضات وككيان حسي ويحكم عليه انطلاقا من اثره في العملية الثورية .

تنهض الصفات الايجابية للبطل على اختياره السياسي وتحديده لموقعه في عملية الصراع ووعيه لشكل المعرفة . يقاتل عدوه الطبقي ويقاتل في نفسه كـل آثار الفكر السائد والايديولوجيا الاظلامية ، لكن ذلك لا يعني ان البطل الايجابي يتخلص كليا من آثار هذا الفكر وترسبات هذه الايديولوجيا ، لذلك فهو يشكل **مرحلة انتقالية** ، يتعايش فيها الجديد والقديم في عملية صراع مستمرة . لهذا فان ايجابيته اساسا تكمن في فعله الثوري . يقول بريشت في كتابه « الفنون والثورة » :

« يجب ان نتخلص من البرحوازي الصغير الذي يرقـــد في كل واحد منا . والسبيل الوحيد او تقريبا الوحيد للوصول الى ذلك ، هو كما قلت ، مراقبة البطل الجديد في حياته اليومية ، في نضاله الشاق الذي يخوضه ضد الركود والتخلف التاريخي ، مراقبته في تميزه التاريخي . ويجب علينا أن نرى فيه من خلال كـــل ضعفه بطلا من نوع جديد له فضائل قديمة وجديدة ، ولكن فضائل جديدة بشكل خاص » — ص : ١٧٨ — ١٧٩ — الطبعة الفرنسية .

ان رسم صورة مادية (علمية) للبطل قادرة على التعبير عن زمانه ومكانه وامكانياته الفعلية لا يمكن أن تتم دون وعي صحيح للواقع وللقوانين التي تحكم حركتـــه .

« نجران تحت الصفر » وحدود تطوير الشخصية : (١)

تقدم لنا رواية يحيى يخلف « نجران تحت الصفر » شخصيات عديدة تعكس واقعا تاريخيا محددا ، تحبو فيه وتمور وتستقبله وتعكسه عبر شكل وعي متفاوت يتراوح بين الوعي الخام والوعي الضبابي والوعي الواضح المحدود في وضوحه . لن نقف هنا امام كل الشخصيات ، بل سنتناول بشكل اساسي شخصية « البطل » « ابو شنان » وسنحاول ان نرى كيف يعكس واقعه التاريخي ويرتبط به ويعيه ، وهل استطاع البناء الفني للشخصية ان يعكس امكانياتها الفعلية بشكل متوازن . نحن هنا اذن امام انعكاس مزدوج ، البطل كانعكاس لشرطه التاريخي ومساره الذاتي وعلاقته بمجتمعه ، ثم البناء الفني لهذا الانعكاس ، أي انعكاس « البطل » في رسمه الفني وسماته الفكرية التي انتجها النص الادبي . او بشكل آخر : الى أي مدى استطاع الكاتب يحيى يخلف ان يعكس بطله فنيا الذي يعكس بدوره واقعه الاجتماعي ، ذلك ان « البطل » لا يستطيع ان يعكس شرطه التاريخي الا اذا استطاع الكاتب ان يعكسه فنيا بشكل موائم أي جعله يحمل في فرديته خصائص زمنه ومكانه. وهذا يعني نظريا **ان صورة الواقع المباشر لا تطابق الصورة الفنية لهذا الواقع بل تقترب منها سلبا او ايجابا تبعا لقدرة النص على تملك الملامح الاساسية والمنحى العام لحركة هذا الواقع** . لهذا ينبغي ان نميز بين **الاجتماعي** الذي يشكل المادة الخام للعمل الفني **والجمالي** الذي هو انتاج الواقع فنيا أي الواقع في شكل متميز .

يتحرك « أبو شنان » في عالم يحكمه البؤس والفقر والاضطهاد . يتحرك في « نجران » حيث يعيش الانسان موضع اضطهاد دائم ، وحيث البؤس يزاحم الهواء ويصوغ شكل الوجوه والعيون والعقول والبيوت . مجتمع يكسر الانسان ويقيم بينه وبين « جوهره » جسورا مستحيلة ، فكل الاشياء مستبـــاحة للسلطان والعسس والجوع . عاش « بطلنا » في قبضة البؤس ثم غادر عالمه الى عالم وحقل آخر . اشتغل في الدمام وشارك في الاضراب ورأى البترول والامريكي والطبقة العاملة ، ثم فقد عمله ورجع الى عالمه الاول . عاد بشيء جديد اكتسبه من ممارسته الجديدة فأصبح يرى العالم بعيون جديدة . بين نقطة الانطلاق والرجوع مسافة هي مسافة الوعي الذي انتجته التجربة . صار « ابو شنان » يعي انسانيته وفرديته وحجـــم البؤس الذي يغوص فيه ، وخرج « جزئيا » من وعيه الخام وكسر حدود عالمه . رأى صورته كانسان ، فرحلته بين الدمام ونجران ليست مجانية .

لما كان الوعي يتشكل خلال عملية مستمرة تنتج وتعيد انتاج الانسان في دائرة الممارسة ، فان مسار « أبو شنان » قد حقق تحولا نوعيا في وعيه ، وعي جديد

ومحدود يتلمس حدود عالمه الذاتي دون ان يصل الى تلمس عالمه الموضوعي . وعى حدود فرديته فبقي وحيدا مراوحا في وعيه الجزئي ، يزرع عالمه الداخلي مغتربا وعاجزا . لا يستطيع الانسجام مع واقعه ولا يستطيع ان يتصدى له ، اي انه قد وقع في شراك وعي محدود محكوم بشرط تاريخي باهظ في عسفه وثقله . من هنا فان معاناة « ابو شنان » دائرية ، تبدأ من الذات وتعود اليها ، معاناة — مراوحة لا تدفع بالشخصية الا باتجاه فردية باحثة بلا جدوى عن الخلاص الفردي ، وكلما زادت المعاناة تحصنت الشخصية وراء اسوار ذاتيتها باحثة عن توازن مفقود .

يعيش « البطل » عزلته في دائرة وعيه التعيس مغتربا ، ليس اغترابا وجوديا بل اغتراب محكوم بمحدودية الوعي ومحدودية الشرط التاريخي .

ابو « شنان » : « متسكع مثل الكلاب الضالة » ، يتساقط « النشيج في داخله ... تساقط الامطار والغربة » ، «وحيدا» في « عالم الرمال والصمت والظلمة والحزن ... القهر ... الغضب » . يتابع رحلة الاغتراب والتحصن ، يضيع في الكحول ، في « الويسكي المهربة من عدن » فاذا عزت شرب ماء الكولونيا . لكن الصحو القسري والصحو الارادي يضيقان حيز الدائرة ويدفعان بالبطل الى مأزق جديد : حقل الحرمان .

ينتقل « ابو شنان » من حقل الوعي التعيس الى حقل الحرمان فحقل الامتلاء والرضى والحصار . يشتريه « المستر » بزجاجات من كحول وامراة شقراء اسمها « ريتا » . لكن رغبته المشبعة تصطدم بوعي جديد وذكريات عزيزة وظلال حي قديم . ينتقل من صراع الى صراع وحيدا ويمارس وعي عجزه وعجز وعيه ويتابع مسارا محكوما ابدا بالتناقض : يبحث عن اشباع الرغبة والتوازن واحتضان «المستر ومشعل» و « ريتا » و « سمية » . فيعيش حصار معاييره الاخلاقية وتمرد فرديته .

ان رحلته مع العدو لا تستمر مجانية . فالمستر يعطيه الاشباع ويسلبه فرديته ومعاييره الاخلاقية . فينتقل من حصار الى حصار في بحث دؤوب لحماية فرديته وتجاوز الحصار والابواب الموصدة . انه وحيد القرن داخل قفص : « يندفع بقوة ينطح الحديد ، ويرفس الهواء ويملأ الفضاء هياجا ثم يهمد فجأة ، يستلقي على الارض وعضلاته ترتجف ويختلط القذى بالدموع حول حدقتيه » يفعل ذلك لان « وحيد القرن غير المدجن النائم في اعماقه يستيقظ بين الحين والآخر » .

يبحث « البطل » عن مكان جديد يعطيه توازنا مفقودا ويحمي فردية في طريقها الى الانكسار ، يعالج بـ « قرنيه » أصفاد الحديد وقبضة الشهوة والارتواء ، ومن جديد « ترفرف في اعماقه الطيور المسافرة » . لكن بطلنا الذي انتقل سابقا الى حقل الارتواء المحاصر بواسطة « المستر » يبدأ رحلته الجديدة **بمساعدة عامل خارجي يصله في الوقت الملائم** . تمتد اليه يد « مشعل » صديقه القديم الذي شارك معه في الاضراب لتوصله الى حيث يسكن « العمال والاجراء والفقراء ومن ليس لديهم مأوى » . يعود الى مكان « النقابة » . وهكذا يبدأ ابو شنان رحلة جديدة مجهولة النتائج . عرف « ابو شنان » حقولا عديدة ، حقل الممارسة ، حقل الوعي التعيس والاحتجاج الصامت ، حقل الحرمان والشرخ ، ثم الحرمان والحصار حتى افضى به مساره الى مشارف رحلة جديدة او حقل جديد .

فما هي السمات الفكرية لهذه الشخصية ؟ وهل استطاع البناء الفني ان يقدم هذه الشخصية بجدليتها المستمرة مع الذات والواقع ؟ وهل كان البناء الفني موازيا

لتطور الفكرة اي لانتقال « البطل » من حقل الى آخر ؟

نقول منذ البدء اننا نعالج هنا عملا جادا لذلك فاننا سوف ننقد رواية يحيى يخلف « نجران تحت الصفر » انطلاقا من هذا المنطلق .

لقد استطاع يحيى ان يقدم لنا صورة ممتازة عن عالم القهر والاضطهاد ، فقدم هذا العالم في يوميته المباشرة المعمورة بالعسس والجوع والفقر ، فالمجتمع لم نره كفكرة بل ككيان حي يتحرك فيه بشر احياء يمارسون بؤس الحياة في عالم ظالم يرجع الانسان الى كيان تعيس مذهول . يمثل البشر امامنا في حياتهم اليومية ومسراتهم القليلة المتواضعة واحزانهم الكبيرة . ان رواية « نجران تحت الصفر » تعكس حقيقة مادية وتتحدد بنسيج مادي محدد لا بذهنية مجردة عمياء . تعرف ما تنطلق منه وتدينه ، ترسمه في حقيقته كصفعة للانسان لتوجه اليه الصفعة بعد ذلك .

رسم الكاتب ارضية اجتماعية وحرك فوقها شخصياته : ابو شنان ، سمية ، عبد المعطي وابوه ، ابن امينة ، المستر وريتا ، رأفت ، ابن عناق ، فاطمة ، الزيدي، كبير المطاوعة ..

تشكل هذه الشخصيات **موضوعيا** صورة وتكثيفا وحاملا لعالمها المعاش الذي يبتر الرقبة ويشطر الصدر ويقطع اليد ويختن المراة ويهدم البيوت ويحمي الذباب ويوزع المرض ويمنح مجالا رحبا لـ « مستر » ليغتصب كل شيء ويقتحم كل مقدس . لكن هذا **الموضوعي** لم يأخذ كل افاقه في **الفني** فبقي كامنا نسبيا ، بقي موضوعا يحتاج الى معادله الفني الموائم ، اي ان حدود البناء الفني في رواية يحيى يخلف لم تستنفد « بشكل كامل » الموضوع الخام الذي تعالجه ، فبقي الواقع يمر امامنا كالنصل ، نلمحه ، نرى جزءا منه ثم يختفي . حاصر البناء الفني الموضوع المعالج فجعله يتحرك بقفزات محدودة .

ان رسم الشخصيات فنيا بشكل محدود جعلها — في معظم الاحيان — اضيق من واقعها واقل كثافة واقل تحديدا ، فالشرط التاريخي المرسوم واضح متميز لكن هذا التميز يتراجع كثيرا عندما يصل الى مستوى الشخصية . لقد كان من الممكن تقديم نماذج نمطية تحتوي وتعيش وتعكس كل واقعها بصراعاته وايديولوجيته وسديمه ، لكن هذه الامكانية المجردة لم تتحول الى امكانية حقيقية فمرت امامنا معظم الشخصيات كنموذج فكرة او كعينات اجتماعية محدودة ، مرت بدون ملامح كافية . لم يأخذ « ابن امينة » كل سماته الفنية على الرغم من الحدث الحار الذي يحمله ويعيشه ، عاش حياته في الرواية خلال لقطات سريعة ، كثيفة ، ناقصة ، مع انه حامل مادة مدهشة : ديالكتيك الجوع والانسان الذي يجعل الانسان اظافر وانيابا وغريزة ، رجل ينهش الحلم في الظهيرة في حارة يسكنها الجوع والغبار والذباب ، يضرب زوجته عندما تطلب قوتا وينهرها عندما تطلب زيتا لاضاءة كوخ بائس بارد . وقف الشكل الفني امامضفاف ماديته فضاع منه الكثير .

يقدم لنا يحيى يخلف موضوع عالم مفزع في لا انسانيته بدون ان يستعيده فنيا حتى آخر حدوده .

— عبد المعطي يعيش يومه في كوخ ترتاده الخفافيش مع والد هو حطام انسان . هده المرض فاستحال الى جيفة ، جيفة عجوز كان في صباه وسيما وظلا مديدا .

— ريتا والمستر غريبان في الشكل والحركة يمارسان العهر والقمع

والاستغلال ، يكسران المحرمات ويروضان البشر ويزرعان الموت والفقر والخيانة .

— الزيدي انسان لا يفكر الا بذاته .

— يماني وكبير المطاوعة يقدمان شخصيـــة الماضي الذي يمسك بالحاضر ويشله ، شخصية تنطق باسم الماضي الاظلامـــي ، ماضي وحاضر « الاستبداد الشرقي » .

— ابن عناق ورافت ضائعان في عالم التيه ومطاردة الرغيف ...

شخصيات كثيرة ، كثيفة في يوميتها المباشرة ، مرت امامنا بدون ملامح ، واقعها الفني لم يعكس واقعها الاجتماعي فظلت خيالات كسيفة لعالم قاتم . او بشكل ادق نماذج ذهنية ، شخصية — فكرة . واذا كانت في واقعها المعاش شخصيات كاملة فانها استحالت فنيا الى بداية شخصيات وبداية مشروع فني . مع ذلك فقد نجح مؤلف « نجران تحت الصفر » في رسم شخصيتين :

« سمية » هي نموذج طاقة الانسان اللامتناهية في قوتها وضعفها ونواحها وصمودها ، نموذج الانسان الصامد الصابر رغـــم هشاشته الظاهرية وضعفه الخارجي ، انها الانسان ذو « الوجه الاسمـــر ذو التجاعيد » الذي يواجه عالمه بقدرية وصبر في انتظار ما هو ات ، والصوت الصارخ بعجز ضد عالم الجـــوع اليومي : « نواحها ينحدر من ليالي الجوع ووقع السياط المالحة » .

رسم المؤلف شخصية « عباجة » بمهارة ودقة فأنتج نمطا فنيا ، رأينا انسانا يعشعش فيه الفقر ، يمضغ حياته بلا متعة ، يعيش نهاره وراء بغل بارز العظام في طريق معمور بالفراغ والذباب يودي الى « مزبلة » « ذات كيان » . انسان يعيش على مزبلة ويموت منسيا . يجتر عالمه الكئيب فيطارد الذباب والهوان ويحمل انسانية جريحة علاها غبار زمن لا يرحم . ان شخصية « عباجة » تدين مكانها وزمانها وتدين جميع الامكنة والازمنة التي تسحق انسانية الانسان وتجعل من البؤس قدرا يوميا ومن الاضطهاد قانونا ، فهي شخصية **كونية — محلية ونموذج نمطي للبائس الذي يعيش بصمت ويحتج عليه بشكل بائس ايضا .**

اذا رجعنا الى شخصية « ابو شنان » وحاولنا فهمها انطلاقا من رسمها الفني فماذا نجد فيها وما هي سماتها الفكرية المحمولة فنيا ؟

تحرك « أبو شنان » « ذهنيا » في حقول عديدة : الدمام والمواجهة مـــع العدو ، نجران وعالم الحرمان والحصار والوعي التعيس ، ثم عالم الوعي المحاصر واللذة المحرمة ، حتى جاءت لحظة التمرد والبحث عن طريق جديد . على الرغم من خصوبة هذه الحقول التي تشكل مادة خام كثيفة للعمل الفني ، فان قدر الشخصية الفنية بقي محدودا وناقصا .

يتحرك « أبو شنان » في صحرائه الذاتية محكوما بدائرة الفعل ورد الفعل ، يحتج ضد واقعه ويحمل ذاته هاربا ويتعاطف مع الاخرين . خارج على العـــرف والتقاليد ، متمرد فردي ، يعيش معاناة مزدوجة : عالمه التعيس وحسه الاخلاقي الفـــردي :

— « مشعان ... مشعان ... حين نغرق بالقذارة نتذكر الطهر ، ولذلك اذكر الان ، اما اليامي فسوف اجثو على رمال الصحراء وانتحب من اجله حتى الموت ... » ص — ٥٢ — .

— « توقف ابو شنان ... شعر بالحنين ، وبرشق المطر ، وصليل السيوف لدى ارتطامها بعظم الرقبة .

لماذا وقفـــت ؟

الدمعة ، السيف ، الرغيف ، الشهوة ، الظمأ ، الدبول والعيون الفاترة ... ص — ٩٨ — .

يعيش « البطل » عالمه خلال ثنائية الفردي — الاخلاقي لا ثنائية الفردي — المناضل السياسي ، يحاكم عالمه بمعايير اخلاقية لا بمعايير سياسية وايديولوجية ، فهو نموذج البطل الفردي — الاخلاقي ، او بشكل ادق :

ان رسمه الفني لا ينتجه الا كنموذج للبطل الفردي وبشكل ناقص . لذلك فان عودته الى النقابة جاءت غير مقنعة خاصة بعد « السنوات الطويلة التي أمطر وامطر عليها النسيان — ص ٩١ — » كما ان كونه صديقا للشهيد « اليامي » لا يجعله مناضلا بالضرورة خاصة بعد ان « عاد كل شيء الى طبيعته » خلال شهر . اي غاب كل شيء ، الحدث والاثر والاسم ، غاب كل شيء وبقيت ذكرى أليمة تؤرق البطل وتقرضه من الداخل .

بين المسارات المعاشة ومعادلها الفني مسافة جعلت الشخصية هشة وضبابية ومتعددة التأويلات ، وهذا يعود الى ان حركة الذات اوسع من امكانيتها الفنية . لهذا جاء اختيار البطل النهائي غائما ، البداية لا تتضمن النهاية او النهاية تحتاج الى بداية اخرى ، وقد يشعر القارىء ان كاتب الرواية دفع بطله الى رحلتـــه النضالية بتدخل ارادي اي عامل بطله كامكانية مجردة .

ان رسم الشخصية — الشخصية في واقعها لا تساوي الشخصية المرسومة فنيا — انتج بطلا غير محدد المعالم بشكل دقيق ، لذلك فان حركته لا تتم عبر مسار جدلي بل بقفزات ، لذلك نستطيع القول : ان عدم تحديد الشخصية فنيا انتج عدم التحديد في مفهومها للعالم ، فالبطل كفكرة ثوري وكعلاقة فنية اخلاقي فردي .

لقد حاول المؤلف ان يمهد لانتقالة بطلة من مستوى الى اخر ، ويظهر ذلك في الصفحة — ١٠٧ — :

« ينقسم الرجل المتزمل في ثيابك الى اقسام اربعة . تأتي من الشمال ويأتي المستر من الجنوب ، ويرفع السياف حديده الصقيل ، وتهجم اشجار النخيل على المدينة ... ويقبل الفقراء من اطراف مكة .... » .

تهدف هذه المحاولة الى تطوير الشخصية لدفعها في رحلتها الجديدة ، لكن هذه المحاولة لا تطور الشخصية الا من الخارج وبشكل ناقص ايضا .

أراد مؤلف « نجران تحت الصفر » ان يقدم موقفا ايديولوجيا من العالـــم من خلال بطله ، وهذا امر منطقي وضروري ، لكن الامر ليس هنا ، فاختيار البطـــل السياسي ينبغي ان يتم عبر تطور بنائه الفني وليس بتدخل ارادي من الكاتب .

ان « ابو شنان » بطل هامشي ، اضيق من شرطه التاريخي واقل تعقيدا منه ، ولا يعبر عن عالمه بالمستوى الذي عبر فيه « عباجة » عن بؤسه و « سمية » عن صمودها وحزنها . لذلك فان « بطلنا » لم يرتق الى مستوى البطل النمطي الذي يحتضن في مساره فرديته وخصائصه الذاتية والخصائص العامة لمجتمعه .

ان « الغموض » في رسم الشخصية ، بدايتها ، ارضيتها الذاتية ، عالمها الداخلي ، مكانها الاجتماعي ، انعكس كغموض اخر في تصرفات « ابو شنان » . لم نفهم مثلا اسباب اهتمام « المستر » المفرط برجل يعيش « كالكلاب الضالة » كما لم نفهم ايضا سهولة انقياد هذا « البطل القادم » في طريق الخيانة ، انساق فيها بلا تردد وهو صاحب « النضال النقابي » الماضي ، فلبس « ثياب المستـــر

القديمة » ولبى اوامره وانصاع لمطالبه مقابل امرأة شقراء وزجاجة كحول ، فعل كل ذلك دون اكراه او ارغام .

لا تنفي الملاحظات السابقة قيمة الرواية ، فالفصول الاولى من الرواية وخاصة الفصل الاول بلغت مستوى فنيا رصينا ، كما قدم لنا المؤلف لغة جميلة رشيقة عبر صفحات الرواية . يضاف الى ذلك الحدث او المادة الخام للعمل الفني الذي يشكل موقفا فنيا — ايديولوجيا في الوقت ذاته . بحث المؤلف عن زاوية مظلمة واظلامية في مجتمعنا العربي والقى عليها الضوء ، بحث — كما يقول بريشت — عن النقاط التي تكشف الحقيقة وتهتك واقع الظلم . فالمضمون موقف من العالم وتعبير عن موقع الكاتب نضاليا ، أي تعبير عن « اختياره معسكر ضد اخر » .

ان رواية « نجران تحت الصفر » عمل جاد وجدير بالقراءة والاحترام وممارسة ادبية نضالية ترسم واقعا اظلاميا وتشير الى الثورة عليه . رواية تبشر بميلاد كاتب فلسطيني جديـد .

(١) سنقوم بدراسة امكانية الشخصية في روايتي « العشاق » لرشاد ابو شادر و « الصبار » لس خليفة في القسم الثاني من هذه الدراسة .

فلاديمير ماياكوفسكي

(في سنوات ما قبل الثورة) *

د. شوقي العمري

مدخـل :

لقد بدأ فلاديمير ماياكوفسكي نشاطه الادبي والشعري بشكل خاص في عام ١٩١٢ مجتازا مرحلتين تاريخيتين هامتين : المرحلة الاولى ، وهي مرحلة ما قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ . والمرحلة الثانية ، وهي مرحلة ما بعد الثورة . وقبل ان نبدأ بدراسة المرحلة الاولى ، لا بد من القاء الضوء على حياة الشاعر لانها تساعدنا على تحليل انتاجه ومعرفة خفاياه العميقة ، هذا اذا سلمنا أن حياة الشاعر وانتاجه الشعري جزءان لا ينقطعان عن بعضهما ولا ينفصلان .

— ١ —

ولد فلاديمير ماياكوفسكي في ٧ يوليو من عام ١٩١٣ في قرية « بغدادي » ، حاليا يطلق عليها قرية « ماياكوفسكي » وكانت فيما مضى مقاطعة « كوتايسكي » .

لقد نمت طفولته في أجواء الطبيعة الساحرة لبلاده جورجيا ، وسط اولئك الناس البسطاء الذين كانوا يشكلون دائرته ومحيطه . وعاشت عائلته حياة متواضعة وكانت تتميز بالروح الديمقراطية . وقد عرف الاب — فلاديمير كونستانتينوفيتش في أوساط الفلاحين بطباعه المستقلة المباشرة ، وبعلاقاته الحميمة الصادقة .

في عام ١٩٠٢ التحق فلاديمير ماياكوفسكي بمدرسة « كوتايسكي » في الصف التكميلي . وواظب على الدراسة ، وقرأ كثيرا ، وبصورة خاصة ، قرأ الاعمال الادبية الكلاسيكية ، وكان غوغول احب الكتاب الى نفسه ، ومن معاصريه ، قرأ مكسيم غوركي ، بالاضافة الى قراءة المجلات التي كانت تشترك فيها عائلته ، والتي كانت ذائعة الصيت آنذاك : « العالم الالهي » ، « الثروة الروسية » ، « التعليم » . في نفس الوقت كان ماياكوفسكي يهوى الرسم ويمارسه ، وقد حقق في هذا الميدان بعض النجاحات البارزة .

كانت أحداث الحرب اليابانية الروسية تترى ، وكانت احد الاسباب التي

القديمة » ولبى اوامره وانصاع لمطالبه مقابل امراة شقراء وزجاجة كحول ، فعل كل ذلك دون اكراه او ارغام .

لا تنفي الملاحظات السابقة قيمة الرواية ، فالفصول الاولى من الرواية وخاصة الفصل الاول بلغت مستوى فنيا رصينا ، كما قدم لنا المؤلف لغة جميلة رشيقة عبر صفحات الرواية . يضاف الى ذلك الحدث او المادة الخام للعمل الفني الذي يشكل موقفا فنيا — ايديولوجيا في الوقت ذاته . بحث المؤلف عن زاوية مظلمة واظلامية في مجتمعنا العربي والقى عليها الضوء ، بحث — كما يقول بريشت — عن النقاط التي تكشف الحقيقة وتهتك واقع الظلم . فالمضمون موقف من العالم وتعبير عن موقف الكاتب نضاليا ، اي تعبير عن « اختياره معسكر ضد اخر » .

ان رواية « نجران تحت الصفر » عمل جاد وجدير بالقراءة والاحترام وممارسة ادبية نضالية ترسم واقعا اظلاميا وتشير الى الثورة عليه . رواية تبشر بميلاد كاتب فلسطيني جديد .

(١) سنقوم بدراسة امكانية الشخصية في روايتي « العشاق » لرشاد ابو شادر و « الصبار » لسحر خليفة في القسم الثاني من هذه الدراسة .

فلاديمير ماياكوفسكي

(في سنوات ما قبل الثورة) *

د٠ شوقي العمري

مدخل :

لقد بدأ فلاديمير مايكوفسكي نشاطه الادبي والشعري بشكل خاص في عام ١٩١٢ مجتازا مرحلتين تاريخيتين هامتين : المرحلة الاولى ، وهي مرحلة ما قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ . والمرحلة الثانية ، وهي مرحلة ما بعد الثورة . وقبل ان نبدأ بدراسة المرحلة الاولى ، لا بد من القاء الضوء على حياة الشاعر لانها تساعدنا على تحليل انتاجه ومعرفة خفاياه العميقة ، هذا اذا سلمنا أن حياة الشاعر وانتاجه الشعري جزءان لا ينقطعان عن بعضهما ولا ينفصلان .

— ١ —

ولد فلاديمير ماياكوفسكي في ٧ يوليو من عام ١٩١٣ في قرية « بغدادي » ، حاليا يطلق عليها قرية « مايكوفسكي » وكانت فيما مضى مقاطعة « كوتايسكي » .

لقد نمت طفولته في أجواء الطبيعة الساحرة لبلاده جورجيا ، وسط أولئك الناس البسطاء الذين كانوا يشكلون دائرته ومحيطه . وعاشت عائلته حياة متواضعة وكانت تتميز بالروح الديمقراطية . وقد عرف الاب — فلاديمير كونستانتينوفيتش في أوساط الفلاحين بطباعه المستقلة المباشرة ، وبعلاقاته الحميمة الصادقة .

في عام ١٩٠٢ التحق فلاديمير مايكوفسكي بمدرسة « كوتايسكي » في الصف التكميلي . وواظب على الدراسة ، وقرا كثيرا ، وبصورة خاصة ، قرأ الاعمال الادبية الكلاسيكية ، وكان غوغول أحب الكتاب الى نفسه ، ومن معاصريه ، قرأ مكسيم غوركي ، بالاضافة الى قراءة المجلات التي كانت تشترك فيها عائلته ، والتي كانت ذائعة الصيت آنذاك : « العالم الالهي » ، « الثروة الروسية » ، « التعليم » . في نفس الوقت كان مايكوفسكي يهوى الرسم ويمارسه ، وقد حقق في هذا الميدان بعض النجاحات البارزة .

كانت أحداث الحرب اليابانية الروسية تترى ، وكانت احد الأسباب التي

أدت الى انتشار النشاطات الثورية في كافة مدن روسيا ، ثم امتدت الــى جورجيا حيث كان البلشفيون يقومون بالاعمال الدعائية داخل الحلقات السرية . « وظهرت كلمة المناشير ، وعلق الجورجيــون المناشير ، وعلــق القوقازيون الجورجيين ، الجورجيون أصدقائي ، ومن حينها وأنا احقد على القوقازيين » (١) .

وفي شتاء عام ١٩٠٤ وصلت من موسكو لتقضي اجازتها الشتوية بين ذويها ، لودميلا .. شقيقة ماياكوفسكي الكبرى ، وكانت في ذلك الحين تدرس في المدرسة التكنيكية الفنية ، وقد أحضرت معها عددا من الكتب السياسية الممنوعة . ورأت لودميلا شقيقها ماياكوفسكي : « رأيت أمامي شابا تطور في كافة الجوانب ، وكان يتفجر بالثورة ، ويحترق ، ويعيش مصيرها ! ، ويبدو أنه لا يهتم الا بكل ما له علاقة بها ، لذا فقد أعطيته كل الاشياء التي أحضرتها معي » .

بدأت الاضرابات والمظاهرات في مدينة كوتايسي في خريف عام ١٩٠٥ ، وكان الطلاب ضمن المتظاهرين والمضربين . وقد أعلنوا في مذكرة قدموها الى السلطات عن مطالبهم السياسية . وكان واضحا من وثائق أرشيف مدرسة كوتايسكي « ان الطلاب أعلنوا في ذلك اليوم من عام ١٩٠٥ الاضراب ، ورفضوا الدراسة ، وأخذوا ينشدون الاغاني الثورية ، وهتفوا جميعا : عاشت الحرية ، تسقط السلطة » (٢) .

أما ماياكوفسكي الصغير فقد كان ينتمي بكل مشاعره وخلجات روحه الــى الثورة ، وقد اعلن عن انتمائه باشتراكه الفعال في الاجتماعات الطلابية التي كانت تعقد في مدرسته ، كما ساهم بحماس بالغ في المظاهرات ضد السلطة . في نفس الوقت كان ينمي قدراته العقلية محاولا استيعاب الافكار الطليعية المتقدمة لعصره . فكان يتردد الى الحلقات الماركسية ، ويستمــــع للمحاضرات ، ويشتــري الكتب السياسية ، ومن ثم فلقد كانت أحداث ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ أحد الاسباب التي ضاعفت من حقده على نظام القمع السياسي والاجتماعي ، وحددت مسيرة حياته فيما بعد . وخلال ثورة ١٩٠٥ تعرف ماياكوفسكي على الاشعار والاغاني الثورية التي ارتبطت في وعيه وذاكرته بالثورة . « لقد كانت هذه ثـــورة .. كانت أشعار .. أشعار عن الثورة امتزجت في الراس » (٣) .

ان هزيمة الثورة وانكسارها فتح المجال امام سيطرة المناخ الرجعي مما اثر سلبيا على حياة شعوب ما وراء القفقاس . وفرضت حالة الطوارىء العسكرية على مقاطعة كوتايسكي ، واستخدمت السلطة أبشع الوسائل وحشية لقتل المناضلين الثوريين .

في هذه الفترة صدمت عائلة ماياكوفسكي بوفاة الاب فلاديمير كونستانتينوفيتش عام ١٩٠٦ الذي كان مصدرها المعيشي . وبوفاته بدأت مرحلة من المعاناة ، ومن ثم صار من الصعب البقاء في كوتايسي ، فانتقلت الاسرة بكاملها الى موسكو .

وفي موسكو بدأ العمل اليومي الشاق في سبيل الحياة ، وسد الرمق ، والبقاء . اجرت الام بعض غرف البيت للطلاب القادمين من المدن الاخرى ، وأخذ ماياكوفسكي يبيع رسوماته وأعماله الفنية اليدوية المنحوتة على الواح من الخشب . لقد وعى ماياكوفسكي ــ الشاعر المنتظر ــ طبيعة تناقضات حياة المدينة الكبيرة من خـــلال صراعه اليومي مع الحياة ، هذا الصراع الذي عمق من تجربته الشخصية .

وفي خريف عام ١٩٠٦ التحق ماياكوفسكي بالمدرسة الكلاسيكية الخامسة في موسكو . لكن الدراسة الروتينية المملة ، كانت تتناقض وطبيعة روحه المتحركـــة . فاهتماماته الوجدانية كانت تتركز على القضايا الاجتماعية والسياسية . وكان واضحا بالمقارنة مع زملائه انه يتميز ، ويتفوق من حيث التجربة الشخصية ، والاشتراك

في النضال الاجتماعي . وسرعان ما وجـــد في بيته ، وفي محيط المقيمين فيه من المستأجرين ، وهم من معارفه في كوتايسي ، ما ملأ عليه حياته ، ولبى طموحاته الوجدانية . كانوا بلشفيين .. وكان واضحا انهم يقومون بنشاطات سرية . وأصبح البيت مكانا للاجتماعات الحزبية والنقاشات الحادة ، ومخبأ للادبيات الممنوعة .

ويتحدث ماياكوفسكي في يومياته عن قراءاته في هذه الفترة « لم اعترف بالاعمال النثرية على الاطلاق . كان اهتمامي يدور في محيط الفلسفـــة ، وهيغل ، والعلوم الطبيعية . وأن كانت الماركسية هي الاساس . ولم اهتم بأي عمل كلاسيكي ، بقدر اهتمامي بمقدمة « رأس المال » لماركس (٤) .

وخلال وجوده في المدرسة ، كان ماياكوفسكي يقرأ « أنتي ديورينغ » . ولقد ساهم في مجلة « الزوبعة » السرية التي أصدرها احد رفاقه في المدرسة ، ونشر فيها أول قصيدة كتبها ، وكانت تجربة شعرية غير متقنة . وامتدت نشاطاته الــى الامسيات الطلابية . فألقى في احدى هذه الامسيات دراسته الادبية حول « أغنية عن الصقر » لغوركي ، وفي أمسية اخرى قرأ قصة مارسيليز لاندرييف ، ثم قصيدته المفضلة آنذاك « الحداد » وهي للشاعر سكيتاليتس ، هذا الــى جانب مواصلة دراسة فن الرسم من خلال مواظبته على حضور الدروس المسائيـــة في مدرسة ستروغانوفسك .

كان ماياكوفسكي في هذه المرحلة من عمره صغيرا ، غضا ، ومع ذلك فقد قرر الانضمام الى العمل السري ، واعطاه كل قوته وحماسه .ولم يتوان عن القيام بالمهمات السرية الصعبة ، والاشتراك في توزيع المنشورات الممنوعة للحــزب . « في عام ١٩٠٨ ــ يقول في يومياته ــ انضممت الى حــزب العمال الديمقراطي الاشتراكي الروسي « حزب البلشفيك » . ولقد قدمت امتحان القبول في المدرسة الصناعية التجارية التابعة للمنطقة . واجتزت الامتحان .. وعملت داعيا .. ثم بائعا للخبز .. وعاملا في محل للاحذية .. واخيرا ، عاملا في المطبعة . وانتخبني المؤتمر العام للمدينة عضوا في لجنـــة موسكو .. وأصبحـــت أعرف بالرفيق كونستانتين » (٥) .

لم تعد المدرسة تقنع ماياكوفسكي على الاطلاق . وقد خرج منها مفصولا نتيجة لعدم دفعه مصروفات الدراسة . ورأى في ذلك عاملا مهما لتكريس ذاتـــه للحزب .

لقد عرف ماياكوفسكي ــ الرفيق كونستانتين ــ السجن مبكرا . فقد القي القبض عليه بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٠٨ عندما داهمت الشرطة القيصرية مطبعـــة الحزب السرية . وبعد التحقيق معه في سجن مقاطعة سوشفسكايا تم الافراج عنه بكفالة مالية من شقيقته . ولكنه بقي ملاحقا وخـــاضعا لشروط المراقبة السرية اليومية ، لكن هذا لم يمنعه مـــن متابعة عمله الحزبـي ، مما قاده الى سجن سوشفسكايا مرة ثانية في يناير ١٩٠٩ بعد أن اعتقل على الشارع . وقد افــرج عنه بعد شهرين من أعتقاله لعدم توافر أدلة الادانة ضده .

وفور خروجه من السجن ، عاد ماياكوفسكي لدراسة فن الرسم في مدرسة ستروغانوفسك ، وواصل نشاطه السري الخطر ، الذي سرعان ما عاد بـــه الى الاعتقال من جديد بتهمة تدبير هرب ثلاث عشرة امرأة من السجينات السياسيات من سجن نوفينسكي ضمن خطة دقيقة اشتركت في رسم خيوطها وتنفيذها عائلة ماياكوفسكي . ولقد اعتبرت خطة هـــرب السجينات السياسيات عملا سياسيا

كبيرا . ولم تتمكن الشرطة بكل ادواتها واجهزتها من الحصول على المعلومات التي تكشف عن أسماء المشتركين في عملية تدبير هرب السجينات من سجن نوفينسكي .

ومرت شهور مضنية من الوحدة . وفي ٩ سبتمبر عام ١٩٠٩ انعقدت محكمة السلطة واصدرت قرارها المتعلق بالمطبعة السرية للحزب . واتهم القرار ماياكوفسكي بأنه احد « المجرمين » الذين ترددوا على المطبعة السرية ، وساهموا بتنفيذ مهمات حزبية ، ولكن عدم وجود ادلة قاطعة مباشرة ضده خفف من الحكم عليه . وصدر القرار بوضعه تحت المراقبة ، وتحت طائلة مسئوليــة عائلته (٦) . وقد أرسل ماياكوفسكي الى سجن بوتيركي لريثما يصدر القرار الخاص بهرب السجينات . ولكن كافة الوثائق التي حصل عليها البوليس المتعلقة بهذه القضية لم تثبت اشتراك ماياكوفسكي في هذا الامر ، مما دعا الى اخلاء سبيله نهائيا في ٩ يناير ١٩١٠ .

ان الشهور التي أمضاها ماياكوفسكي في سجن بوتيركي كان لها اثر كبير على مستقبله كشاعر « انها فترة هامة بالنسبة لي . لقد قرأت كل ما هو هام . قرأت الرمزيين — بيلي وبالمونت . وحللت التجديدات الشكلية . انها غريبة . فكافة موضوعاتها وصورها لا تمت بصلة الى حياتي . ولكن حتى هذه « الطريقة الاخرى » بدت لي ممنوعة أيضا مثل هذه الابيات التي كتبتها :

لقد اكتست الغابات بالذهــب الارجــواني
وعمدت الشمس الى اللعب فوق رؤوس الكنائس
وانتظــرت أنــا
وضاعت أيــام مــن الشهــور
مئات من الايــام الثقيلــة (٧)

وكتبت بهذه الطريقة دفترا كاملا ، ولكن شكرا للرقابة التي استولت عليه عند اخلاء سبيلي ، فقد كان في نيتي نشره » (٨) .

لقد وعى ماياكوفسكي فور خروجه من السجن عدم أهمية مثل هذا الشعر ، وعدم الجدوى من كتابته سيما وانه يتنافى مع المضمون الثوري .

— ٢ —

بعد خروج ماياكوفسكي من السجن ، برز امامــه سؤال هام محدد يتعلق بالمستقبل . — هل يعود الى ممارسة عمله السري بعد هذه الاعتقالات الثلاثة ، ويتحمل مع ما ينجم عن ذلك من ملاحقة ومراقبة البوليس المشددة ، وما يعنيه من العودة الى وضع الاختفاء وعدم مواصلة الدراسة ؟

ولكن الجواب على هذا السؤال كان أيضا محددا . فلقد قرر ماياكوفسكي تكريس حياته للفن الثوري : « يجب علي ان اجتاز المدرسة الصعبة — يقــول ماياكوفسكي في يومياته — حتى أستطيع ان اواجه الجماليات القديمة التي تثقل كاهلي . فهل الثورة تقف عائقا امام اجتيازي للمدرسة الصعبة ؟

— لقد ذهبت آنذاك الى رفيقي في الحزب ميدفيدف وقلت له : اريد أن أصنع فنا اشتراكيا » (٩) وكان ماياكوفسكـــي يدرك تماما ، أن عليه لكي يصنع فنا اشتراكيا .. ان يجتاز طريقا صعبا وطويلا .

وفي اغسطس عام ١٩١١ التحق ماياكوفسكي في مدرسة الرسم — فن النحت

والعمارة — ، المكان الوحيد الذي لا يحتاج الى شهادة حسن سلوك (١٠) .

في هذا الوقت بالتحديد ، كانت تدور في المدرسة مناقشات عاصفة حول الطرق والاتجاهات الجديدة في الرسم ، وذلك ابان ظهور مجموعات فنية أخذت تحت راية « الفن الجديد » تهاجم الواقعية والآثار الكلاسيكية . فالمعارض التي أخذت تتوالى وراء بعضها البعض ، والاتجاهات الفنية التي أخذت تدعو « لحرية الانتاج » ، والنفي العدمي للتراث ، كل هذا كان دليلا على الازمة التي كان يعاني منها الفن البرجوازي .

والحديث عن ماياكوفسكي في هذه المرحلة لا يمكن فصله عن الرسومات التي احتفظ بها ، والتي تشهد بوضوح على موهبته الفنية الفذة واتجاهه الواقعي . لقد تميزت رسوماته بخاصية محددة في الفن ، وطرحت طريقه الخاص ، حيث رفض الاستسلام للاتجاه الاكاديمي السائد في المدرسة ، والــذي حاول قمع كل ظاهرة استقلاليــة .

في عام ١٩١٢ اتجه ماياكوفسكي نحو المستقبليين من أمثال : دافيد بورليوك ، والكسندر كروتشنيخ وآخرين . واخذ في المناقشات يبدي آراءه عن الفن المعاصر ، في الوقت الذي كان يواصل فيه كتابة الشعر . فلقد نشرت قصائده الاولى « الليل » و « الصباح » في المجلة المستقبلية التي صدرت في أواخر عام ١٩١٢ والتي حملت اسم « صفعة للذوق العام » .

لقد برز اسم ماياكوفسكي في العالم الادبي في تلك المرحلة التي اشتد فيها النضال والنقاش الحاد حــول المستقبلية . فالنقاشات المتعددة ، والمعارض والمحاضرات التي جمعت حولها عددا غفيرا من الناس وصدور المطبوعات المستقبلية من كتب ومنشورات ، كلها معا ، خلقت حول المستقبليين ، وبصورة خاصة حول ماياكوفسكي مناخا أثار ضجة اجتماعية .

ولتطوير هذا المناخ الاجتماعي ، قام يلاديمير ماياكوفسكي في نهاية ديسمبر عام ١٩١٣ مع كل من بوليوك ، وكامينسكي بجولة عبر مدن روسيا : سيمفروبول ، نيقولاييف ، خاركوف ، كييف ، مينسك ، أوديسا ، حيث القى هناك عددا مــن المحاضرات حول « الفن الجديد » ، كما قرأ أشعاره التي تتبنى هذا الاتجــاه . وحققت هذه الجولة التي امتدت حتى ابريل عام ١٩١٤ شهرة واسعة لماياكوفسكي . بطبيعة الحال ، ان مثل هذه الجولة التي تضمنت العديد من المحاضرات والقصائد لم ترض بأي حال ادارة مدرسته ، وكان القرار بفصله .

وفي هذا الجو الــــذي كان يسوده الانحطاط في القيــم الفنية ، وسيطرة الصوفية ، والنزوات ، والبحث الالهي ، وهو ما كان يتميز بــه الفن البرجوازي المنهار . رأى ماياكوفسكي في تمرد البرجوازية الصغــرى للمستقبليين ، وفــي فوضويتهم العدمية احتجاجا على الجمود والروتينية القائمة ، علما بأن المستقبلية بقيت عمليا أحد أشكال الفن البرجوازي . واحتل ماياكوفسكي منذ البداية ، عندما اتجه نحــــو المستقبليين طريقا مميزا اختلف باستقــــلاليته عن المنهج المستقبلي الــذي يستعصي علـــى الفهم بغموضه الغــريب ، مما دفع ماياكوفسكــي الى القــــول بأن هنـــاك فارقا مبدئيــا بينـــه وبين المستقبليــين مؤكــدا بــأن مهارتهم تنطوي على الاستقصاءات الشكلية فقط ، فيما يشكل هو حماسة الاشتراكي الذي يدرك حتمية انهيار القديم (١١) .

فالشكل في الفن يعتبر بالنسبة للمستقبليين هدفا بحد ذاته ، بينما طــــرح

مايكوفسكي في انتاجه الشعري منذ البداية القضية الاجتماعية ، وعلت صيحات الاحتجاج في قصائده ضد الشروط القاسية للوجود الانساني . فلقد رأى مايكوفسكي ان المهمة الرئيسية الملقاة على عاتق الفنان تكمن في الدور الاجتماعي للفن ، وليس في التركيز على الذات . ومن هذا المنطلق حارب بكل قوة الفن الذي يزخرف الحياة ، بينما يتلقى بشكل سلبي قيم الجمال فيها . وحارب الفن الطبيعي كأداة طوعية لنسخ الكون ، مؤكدا بأن الفن الصادق هو فن الحقيقة الاجتماعية ، وقدم في صراعه مع علم الجمال البرجوازي ، البديل الذي اخذ يتكون ، وهو الفن الديمقراطي . وتوقع مايكوفسكي قبل الثورة ، وارتقب بحماس شديد ، الفن البطولي القادر على دفع العصر نحو القفزات الاجتماعية العظيمة « ان الانسان الذي خرج من قلب العواصف مكتويا بالمعاناة ، يحتاج الآن الى الفن الذي يعكس المأساة الانسانية الكاملة » (١٢) .

— ٣ —

لقد دخل مايكوفسكي عالم الادب منذ ظهور قصائده الاولى ، وكان واضحا انه يتميز بصوت فريد . ففي مقابل شعر الفن البرجوازي المنهار الذي يعبر عن معاناة أولئك الناس الذين انفصلوا عن الحياة وانطووا ضمن علاقات العاطفة ذات الطابع الليريكي ، ابدع مايكوفسكي شعرا جديدا ، ذا علاقات جديدة من خلال تعامله مع الاشياء الصغيرة التي تحيط بعالم الانسان . فبدا صوته الجهوري متحديا تقاليد « زخرفة الحياة » ، و « التحليق فيما وراء الغيوم » — المنحى البزجوازي في الشعر — ، عندما استخدم القوافي الجديدة ، والصور المحمومة المتوترة ، والنبرة العالية ، حيث اثارت الاستياء العام في أوساط النقاد والقراء البرجوازيين على السواء ، الذين تعودوا على الجماليات القديمة والغنائية في الشعر الرمزي .

ان القصائد التي كتبها مايكوفسكي في الاعوام ١٩١٢ — ١٩١٣ ، ونشرها ضمن مجموعات الشعر المستقبلي تحتل مكانا هاما في حركة تطوره الابداعي . ففي هذه المرحلة كان ميكافوسكي يفتش عن طرق جديدة للشعر . ويمكن تحديد سمات هذه المرحلة التي كانت تتميز بعدم النضج الفكري ، والشعور بالمأساة ضمن العزلة الاجتماعية الناجمة عن القطيعة مع الجماهير الثورية ، بأنها سمات تنطوي على التمرد والتعبيرية . لذا فان قصائد هذه المرحلة تعكس في اكثريتها الجدل الحماسي ، وتبرز صوت التحدي الموجه اساسا « للذوق » الذي تتمتع به البرجوازية الصغرى بهدف تحطيمه . وسعى مايكوفسكي من خلال الانفعال واضطراب الصور ، والتداعي ، والريتم المحموم ، والنبرة العالية ان يصور قلقه وحالاته النفسية ، وان يعكس عبر هذه العوامل المساعدة احتجاجه الغاضب القوي ضد المؤسسة الرأسمالية التي تسحق الانسان . غير أن مايكوفسكي لم يبتعد في اسلوبه وتراكيبه الشعرية عن اسلوب وتراكيب الشعراء المستقبليين ، وبشكل خاص في الرسم « الجيفوبيس » ، حيث تحول العالم الخارجي — من خلال اللوحات المختلفة — بمواده وعناصره الواقعية المجزأة الى فن بلا موضوع .

والحديث عن الشعر يقودنا بالضرورة الى معرفة الموضوعات التي احتلت حماسة الشعري . فليس غريبا ، ان تكون « المدينة » بلوحاتها ورموزها أحد ابرز الموضوعات التي تناولها في العديد من قصائد هذه المرحلة . ومن المفيد ان نذكر هنا ما قاله مايكوفسكي في أحد تقاريره الادبية عن « شعر المدينة » أو « المدينة — قائد أوركسترا » : « لقد اغنت المدينة معاناتنا وانطباعاتنا بعناصر جديدة ، لم يسبق أن عرفها الشعراء في الماضي . فتحول العالم الثقافي المعاصر بأكمله الى مدينة عملاقة ، اهم شيء فيها هو التغير في ريتم الحياة ، فيما أصبح كل شيء خاطف كالبرق ، سريعا كالتيار ، كما هو الحال على الشاشة السينمائية . لذا فان الايقاعات العائمة ، والهادئة ، والبطيئة للشعر القديم لا تتناسب مع الحالة النفسية للمواطن المعاصر ! » (١٣) .

ان هذا الكلام يؤكد محاولات مايكوفسكي في البحث عن أساليب جديدة قادرة على استيعاب المضمون الجديد للعصر ، من خلال « وتيرة الحياة السريعة » وعلى نقل احساسه باقتراب الكوارث الاجتماعية . فقصائده الاولى عن المدينة توحي بمشاهدات خارجية في البداية ، ولكن هذه المشاهدات ، وفي قصائد لاحقة ، تنمو شيئا فشيئا ، ثم تتحول الى ما يشبه الاحساس المأساوي ازاء الجوهر اللانساني للنظام الرأسمالي . وهنا نلاحظ الفارق بين الاحساس المأساوي السلبي الذي يداخل مكنون الشعر البرجوازي الانحطاطي في حالة تلقيه لعالم المدينة وهو في جميع الاحوال رمز لانهيار الثقافة ، وبين احساس مايكوفسكي الذي ينبعث من الحقد النامي ، في علاقته بالمدينة ، على النظام الاجتماعي . اننا نسمع صوته وهو يدوي بالاحتجاج على العالم الرأسمالي البشع من خلال علاقة الشاعر العدائية لعالم « الوجوه الكريهة المسطحة » و « الارواح الشريرة المتهتكة » مع تأكيده لمشاعر الناس البسطاء العاديين . ويرسم لنا لوحة للمدينة الكبيرة ، موحيا بالحياة على شوارعها ، وان كانت الحياة هنا تكتنفها الالوان القاتمة : « المصابيح في تيجان الغاز » ، و « المطر العابس » ، و « الشياطين الحمر » ، و « السيارات » ، و « باقة مومسات الازقة » ، و « أصابع الشبابيك السوداء » ، و « مزهرة الغروب العائمة » الخ .

ففي هذه اللوحة القاسية للمدينة الكبيرة ، يبرز موضوع الانسان الذي تحطم انسانيته الآلة الرأسمالية ، ويبرز كذلك بتسلسل منطقي من الموقف الاحتجاجي للواقع الرأسمالي الهيكل العام للشاعر المتمرد ، وهو هنا البطل الرومانسي في شعر مايكوفسكي لهذه المرحلة . بيد أن سمة التمرد الرومانسية عند مايكوفسكي ، لا تمت بصلة الى العصيان المستقبلي العدمي الفارغ من محتواه الفكري . فعلاقة مايكوفسكي بالواقع الرأسمالي امتزجت عنده بمشاعر الوحدة ، والمأساة الناجمة عن تناقضات الحياة ، والقمع ، وغياب العدالة الاجتماعية . من هنا نلاحظ في شعر هذه المرحلة صورة الشاعر — المتوحد الذي يقف من النظام الاجتماعي موقفا معاديا . ان مجموعة قصائد « أنا » التي صدرت في ديوان صغير عام ١٩١٣ تعبر بوضوح عن هذا الموقف النفسي ، وتشكل المدخل الشعري لبداية ظهور « تراجيديا فلاديمير مايكوفسكي » . فمن البداية لمجموعة « أنا » تحس بنشوء وتطور موضوع مأساة المجتمع البرجوازي ، وموقف هذا المجتمع العدائي من الانسان . ومع النمو الشعري يتبلور هذا الموضوع بصورة افضل ، واعمق ، واحد .

ويتواصل الم الشاعر وهو في حالة الذهول العميق والحقد على هذا المجتمع

البرجوازي الذي شوه ومسخ حياة الناس . وفي خيط متصل يربط المأساة بألم الشاعر الذي يعي حقيقة غياب العدالة في ظل النظام الاجتماعي القائم ، يعلو صراخ حاد :

انني اغرس الخنجر في طـوب
الكلمات الجنـونية
فلقد تورمت الشمس في السماء
واصرخ
يـا أبـي
أرفق بـي ، ولا تتألـم
فخلفك سال دمـي
الذي يقطر على شوارع الاوديـة
انـه روحـي
التي تمزقها أشواك الغيـوم
على اجراس الصليـب الحـاد
في السمـاء المحترقة !

ان هذا الاحساس الذي يعكس تناقض الواقع ومأساويته يتفجر بضراوة فيما بعد ، أي في سنوات الحرب الامبريالية ١٩١٤ ، ويحدد طريق ماياكوفسكي الابداعي . ويمكن اعتبار « تراجيديا فلاديمير ماياكوفسكي ، هذا العمل الشعري الكبير ، أحد العلامات البارزة على هذا الطريق »

— ٤ —

انتهى ماياكوفسكي من كتابة « تراجيديا فلاديمير ماياكوفسكي » في خـريف عام ١٩١٣ ، وقد مثلت هذه التراجيديا على المسرح في ديسمبر من نفس العام . لقد عكست هذه التراجيديا الشعرية اهتمام ماياكوفسكي البالغ بالمسرح ، وبدا هذا الاهتمام اكثر وضوحا الى جانب التراجيديا على المستوى النظري بنشر مجموعة من المقالات حول قضايا المسرح والسينما في صيف عام ١٩١٣ .

يتعرض ماياكوفسكي في هذا العمل الشعري لقضية الصراع بين الانسان من ناحية ، وبين النظام الرأسمالي من ناحية اخرى . هذا الصراع الذي يشكل العمود الفقري أو الموضوع الرئيسي لبنية التراجيديا . ففي سياق تحقيق الاهداف وصياغة الافكار يكشف الشاعر ببراعة فائقة ، وبقوة لا تعرف الهوادة ، انحطاط الثقافة البرجوازية ، وسيطرة الاشياء على الانسان في العالم ، حيث تتحكم المادة فـي العلاقات بين الناس ، وحيث أصبح الانسان عبدا لسلطان المال . ويتنبأ بحـركة زوال المجتمع البرجوازي وثقافته . ولا يفوته ان يصور الانحلال الذي تفشى في أوصال العالم الثري ، المتخم ، المثقل بالجرائم والملذات . فاللهو هو سعادته المطلقة ، ولا يضيره بعد ذلك ان يقيم على « حجر الرذيلة والخطيئة المصنوع من الجرانيت الاسود » تمثالا « للحم الاحمر » . ولهذا فان الاعتراف المرير الـذي يصدر عن شخصيات هذه التراجيديا ــ المسرحية يخلق في الوقت نفسه واقعا من

التحدي ضد هذا العالم الذي تسيطر عليه الجريمة ، والذي يسبب الالم والموت للمشاعر الانسانية . ففي الفصل الثاني من هذه التراجيديا نصغي الى هـذا المونولوج :

استمعـوا
ايها السادة !
فلـم اعـد احتمـل !
انتم في حالـة جيـدة
امـا انـا ،
فما أشد وطأة الالم علـي ؟

ان « انسانية المعاناة » التي حققها مايكوفسكي في هذا العمل المسرحي تؤكد بلا ريب كلمات مكسيم غوركي عن الانسان : « انه ضحية الحياة ، وليس بـانيها وصاحبها » (٤) ورغم الخيبة وفقدان الامل الذي يغلف المشاعر ، فان الدعوة الى النضال في هذه المسرحية تبدو واضحة :

ابحثوا عن المتخمين
في قشور بيـوتهم
واضربوهم في بطـون الجلاجـل
القوا القبض مـن الاقـدام
علـى الخرسان والاغبيـاء
وانفخوا في آذانهـم ،
كالنفخ في منخـر الناي

لقد سبب « المتخمون » ـــ سلطات المجتمع البرجوازي ـــ بحرا من المعاناة والآلام على الارض ، وحولوا البشر الى عبيد ، واستولوا على الثروات المادية في هذا العالم . لهذا فان موضوع « الانتفاضة » يظل هو الحقيقة التي تكمن في قلب الاحداث وتنبىء عن اقتراب الكارثة الاجتماعية . علما بأن ماياكوفسكي الذي حمل آلام وعذابات البشر على كاهله لم يستطع الاجابة على سؤال : ـــ كيف يمكن تحقيق السعادة الانسانية ، نتيجة التناقض . فما زال يؤمن بدور « انسانية الشفقة » في هذه المرحلة كحل وكبديل للانتفاضة واسقاط سلطة المتخمين ، مما دفع بقضية الاحتجاج الى خاتمة غير منطقية . وهذا التناقض يعكس عدم النضج الفكري لدى ماياكوفسكي في تجاربه الشعرية الاولى .

من حيث الشكل الفني للتراجيديا ، فانها تدخل في نطاق المونودراما الغنائية . فالشاعر بملامحه الواقعية يحتل المركز الرئيسي في المسرحية ، اما الشخصيات الاخرى فيكشف عنها ضمن الشروط الرمزية .

— ٥ —

ان الحرب الامبريالية عام ١٩١٤ ، وما نجم عنها مـن تنامي حدة استغلال الجماهير الشعبية ، ثم تطور الواقع الثوري ، قد اثرت بشكل ايجابي على الانتاج الشعري عند مايكوفسكي . مما جعل القضايا الاجتماعية تحتل مركز الصدارة في شعره ، واصبح المنهج الواقعي لديه اعمق من ذي قبل بفعل ابتعاده المستمر عن المستقبلية .

في هذه المرحلة بدأ ماياكوفسكي بكتابة ملحمته الرائعة « غيمة في بنطال » وبالتحديد في أواخر عام ١٩١٤ حتى اواخر صيف ١٩١٥ ، وهي تعتبر اهم عمل كتبه قبل الثورة . ولقد اوضح ماياكوفسكي مضمون ملحمته هذه في مقدمة الطبعة الثانية لها عام ١٩١٨ : « ليسقط حبكم ، وليسقط فنكم ، وليسقط نظامكم ، وليسقط دينكم » . ان هذا الموقف الاحتجاجي يعتبر انتفاضة ماياكوفسكي ضد البرجوازية الصغرى . فالبرجوازية الصغرى كما وصفها مكسيم غوركي هي : « تدمير للذات ، كونها تنخر الذات من الداخل ، كالدودة التي تنهش الاثمار ... ولا شيء يسبر غور مستنقع نهمها القذر ، فتظل تمتص في اعماقها الحب ، والشعر ، والرأي ، والعلم ، والفن » (٤) فغوركي يعتبر البرجوازية الصغرى رمزا لولادة العالم الراسمالي ، مما حدا به الى تعريتها ومحاربتها في اعماله الفنية وفي العديد من المقالات . و « غيمة في بنطال » تنطلق من هذا الموقف . فبطل هذه الملحمة هو انسان بسيط ، يجد نفسه في مأزق حرج نتيجة وضعه في هذا العالم الراسمالي الذي يسيطر عليه السادة المغرورون . تعكس مأساة هذا البطل الغنائي في الملحمة المأساة الاجتماعية للانسان البسيط الذي القت به الظروف القاسية على شوارع المدينة الراسمالية القذرة . و « غيمة في بنطال » لا تزعم لنفسها ، ولا تدعي انها تقوم برصد قانون الثورة ، وان كانت بالكامل مفعمة بمشاعر الانفجار الثوري المترقب . كما ان هذا الحب للانسان ، والانسانية النبيلة ، متحد في الملحمة ومتماسك بقوة حول فكرة الضرورة التاريخية لسقوط وموت العالم الراسمالي :

انني ارى القادم عبر جبال الزمن
ذلك الذي لا يـراه أحد
فأين عيون النـاس
التي تقطـع
وتبتـر
رؤوس القطعان الجائعة
فها هـو قـادم
العام السادس عشر
على اكليل تـاج الثـورة

واضح تماما هنا ، أن ماياكوفسكي يشعر باقتراب الثورة ، لهذا فانه يبادر ويدعو الى الانتفاضة المسلحة للقضاء على المتخمين : « احملـوا « الحجر » ، و « السكين » ، و « القنبلة » :

لكي تخفق الرايات في حمى
قصف النيران
كما يحدث ذلك في كل عيد لا يستهان به
حيث تعلق على أعمدة المصابيح
الملطخة بالدمـاء
جثث الاعشاب

ويبرز ماياكوفسكي في هذه الملحمـة ليس فقط كانسان يناضل ضد عالم الجشع ، والخطيئة ، والكذب ، والانحلال ، والاضطهاد ، وليس كتمرد ، وانما كممثل للجماهير الشعبية ، يدعوها لبناء المستقبل .

نحن الذين نصنع في حماسة النشيـد

ضجيج المعامل والمختبـرات

وعلى الرغم من هذا الحماس الثوري الواضح ، فان « غيمة في بنطال » لا تخفي حقيقة تناقضات افكار ماياكوفسكي التي انعكست في داخلها ، وذلك كنتيجة واقعية لابتعاد ماياكوفسكي المؤقت عن المساهمة في الحركة الثورية . فالثـورة المرتقبة « فها هو قادم » والتي ينتظرها الشاعر ، يصورها لنا خلال ملحمته الرائعة كتمرد عفوي ، او كانفجار نتيجة استياء الجماهير . ان ازدواجية ماياكوفسكي حول تقييم القوى الاساسية المحركة للثورة ناجمة عن عدم رؤية الشاعـر الصحيحة لسرعة حركة نمو الوعي السياسي والفكري ، وتعبئة وتنظيم الجماهير الشعبية في سنوات الحرب الامبريالية . كما انه لم يساهـم بشكل مباشر في اعمال حزب البلشفيك ، الذي كان يعد الجماهير للانقضاض علـى النظام القائم واسقاطه . ففكرة الثورة المرتقبة مرتبطة في الملحمة بالتوتر الحاد ، حيث يظهر خلال تتـابع الاحداث الجلادون والخونة ، ومن ثم فاننا نصطدم بهذا المشهد الكئيب :

الفضاء المقفر ينـام
واضعا علـى كفـه
الاذن الضخمة لكماشة النجـوم

ويتمخض عن هذا المشهد استمرار الموقف المعنوي الذي لم يتمكن ماياكوفسكي حتى الآن من التخلص منه . انه الموقف ازاء « انسانية الشفقة » و « التضحية » ، وفيما بعد « القداسة » التي سيطرت على مشاعره بدوافع حبه الذي يكنه للناس ، وهو على استعداد ان يتحمل كل معاناتهم . ولكن ماياكوفسكي يشعر — وهذا في سياق الملحمة ايضا — ان عليه أن يتحاشى هذا الكذب الناجم عن الدور « التكفيري » للمعاناة ، ومن ثم عليه أن يتخطاه انطلاقا من ضرورة اسقاط هذا العالم الراسمالي بالقوة ، وهذا يدفعه بالتالي الى اتخاذ موقف حاسم من الدين الذي اخذ يستخدمه البرجوازيون كأحد اسلحتهم في « التعمية » . فالدين بالنسبة للبرجوازية هو سلاحها الايديولوجي ، وقد استطاعت بواسطته ان تأخذ الى جانبها اوساطا عديدة من الانتلجنسيا التي تركت الثورة في هذه السنوات ، ولجأت الى الصوفية ، والتعبد

الامبريالية ، مضفية على نفسها هالة مـن « الالهية الكونية » . وجاء صوت ماياكوفسكي قويا وحاسما في سبيل تحرير الانسان من سيطرة الدين .

وفي مقابل « الدين » ، و « الصوفية » ، و « الشهوانية » يتناول ماياكوفسكي في « غيمة في بنطال » موضوع « الحب » ، الـذي يعكس المشاعر الكبيرة في الانسان . فمشاعر الحب الكبيرة غير ممكنة ومستحيلة في المجتمع البرجوازي الذي نمت فيه طحالب « الانانية » ، و « الجشع » ، و « الانحلال » . ونلاحظ أن هذا الموضوع يطوره ماياكوفسكي لخدمة الاتجاه الثوري السائد في الملحمة . فمأساة البطل الغنائي في الملحمة هي انعكاس للمأساة الاجتماعية ككـل ، التي تسببها مؤسسة الاستغلال حيث تمنع الانسان من اظهار مشاعره النبيلة :

ليس في روحـي
ولا شعرة بيضاء واحـدة
والـرقـة
لم تهـرم في داخلهـا
فالعالـم يدوي بالاصوات العملاقـة
وانا مفعم بالجمـال

وعمري اثنان وعشرون عاما

ومع ذلك ، فالسعادة بعيدة ودروبها مسدودة ، لان المجتمع النهار قد اقصى قيم الحب والجمال ، معترفا بالحب الذي يباع ويشترى . فالمشاعر الانسانية الحقيقية لا مكان لها في مثل هذا المجتمع الذي انحدرت فيه العلاقات والمثل بين الناس . وينجم عن هذا دعوة ماياكوفسكي لتأكيد حق الانسان في الحب ، والحياة ، والحرية ، والتطور المستقل للذات . ان الحماس الثوري البارز في هذه الملحمة تطلب بالدرجة الاولى كلمات جديدة ، وصورا جديدة ، تكون قادرة على تجسيد الغضب الداعي الى النضال . لهذا فان كلمات وصور ماياكوفسكي تتحمل عبء هذا الدور ، فنرى الشاعر من خلال قوة شعره ينقض على الفن البرجوازي المعاصر الذي يحمل في احشائه التأملات السلبية ، ومشاعر الفشل المحتوم . ويدعو للفن الثوري الحقيقي ، فن الافكار الكبيرة ، والاحاسيس العميقة ، الذي يستهدف خدمة الانسان وتحريره من الاضطهاد الاجتماعي .

ان الشكل الشعري الذي اختاره ماياكوفسكي لملحمته هو الشكل الغنائي ، لانه يتناسب مع مثل هذا العمل الملحمي ، وهو تقريبا الشكل الذي استخدمه في « تراجيديا فلاديمير ماياكوفسكي » ، وقد حاول ان يحتفظ الى درجة عالية بطبيعة بناء المونولوج الغنائي ، وهو نفس مبدأ المنولوج الدرامي . كما ان الاشعار في « غيمة في بنطال » تبدو وكأنها حلقة مستديرة يحيط بها بطل غنائي وحيد ورئيسي ، هو الشاعر نفسه . وهذا يشير الى حرية التركيب البنائي في داخل الملحمة . فعندما تخلى ماياكوفسكي عن الشكل التقليدي في الصياغة سعى بذلك الى خلق اسلوب ملحمي غنائي جديد اتحدت فيه خصائص الملحمية والغنائية . ثمة « انا » الضمير ، في « غيمة في بنطال » انها هنا واقعية ، وتحمل طابعا عاما شموليا .

— ٦ —

وفي ٨ اكتوبر عام ١٩١٥ استدعي ماياكوفسكي للخدمة العسكرية ، ولكن بمساعدة غوركي الذي كان على صلة وثيقة معه تم تعيينه في مدرسة صناعة السيارت ، حيث تمكن من مواصلة قراءاته الادبية لتطوير واغناء تجاربه الفنية . واشتدت الحرب الاوروبية . وكتب لينين بصددها : « ان الحرب الاوروبية هي اعظم ازمة تاريخية ، وبداية لمرحلة جديدة . وكأية ازمة ، فان الحرب عمقت من التناقضات المستترة ودفعتها الى الخارج ممزقة كافة الاقنعة المزيفة ، وطارحة جانبا كل الشروط » (٦) .

في هذه المرحلة كتب ماياكوفسكي مجموعة من القصائد عن الحرب نشرها في مجلة « ساتيريكون الجديد » ، بالاضافة الى ثلاثة ملاحم شعرية : « ناي العمود الفقري » ، « الحرب والسلام » ، « الانسان » . وسنكتفي بالقاء الضوء على ملحمة « الحرب والسلام » لانها الاهم . في البداية لم يدرك ماياكوفسكي طبيعة الحرب ، ولم ير حقيقة الذين اشعلوها ولكنه نظر اليها بانفعال ، ومن زاوية ديكوراتيفيه صاخبة (٧) وكانت قصائد « الحرب اعلنت » اغسطس ١٩١٤ ، و « ماما ، والمساء الذي قتله الالماني » ، و « أنا ونابليون » ١٩١٥ ، و « لكم » ١٩١٥ ، تعبيرا واضحا عن الديكوراتيفنوست ، ولكنها ستظل مدخلا هاما لملحمة « الحرب والسلام » .

تكشف ملحمة « الحرب والسلام » طبيعة الحرب وحقيقة القوى الاساسية والانظمة الاجتماعية التي اشعلتها ، وتبين في نفس الوقت عداء الجماهير الصريح لها ، لانها حرب امبريالية ، حيث اكتوت بنيرانها ، وتحملت من اوزارها ابشع الاهوال والمآسي .

فالاحتجاج ضدها ، والثقة ببعث الانسانية من جديد قد جعلا من هذه الملحمة ظاهرة فنية غير عادية في ادب ما قبل الثورة . فلا اثر فيها « للاوهام » او « المسالمة » التي انعكست على القصائد المنشورة في مجلة « ساتيريكون الجديد » . ومن خلال سياقها المأساوي نحس بتأوهات ومعاناة قلب ماياكوفسكي ، فقد وعى اخيرا الجوهر الطبقي للحرب الامبريالية .

يصور ماياكوفسكي في الجزئين الثاني والثالث من ملحمة « الحرب والسلام » سقوط البرجوازية وثقافتها . ويبدو مكتئبا حزينا ، لان العالم كله يتحول في اوج الصراع الرهيب الى جحيم دانتي ، حيث تحترق في اوار هذا الجحيم شعوب بأكملها . لقد استطاع ماياكوفسكي بقوة شعره ، ومن خلال نظام كامل لتتابع الصور والتشبيهات والمقارنات ، ان يرسم لوحة مأساوية شاملة للتدمير المروع الذي احدثته الحرب . ولا يكتب ماياكوفسكي من خلال مشاهداته فقط ، فالملحمة مليئة بالمعاناة الذاتية العميقة ، وتقوم في بنائها على بطل اساسي ، وهو بطل غنائي وقد تقمص شخصيته الشاعر نفسه في مأساته وبطولته .

لقد قرأ ماياكوفسكي هذه الملحمة لغوركي الذي ايد مجمل افكارها . فمضمونها العميق المعادي للحرب ، واحتجاج الشاعر نفسه ضد وحشية العالم ، وانهيار الثقافة ، كل ذلك كان قريبا جدا من روح غوركي الذي كتب الى رومان دولان قائلا : « يجب على الانسان ان يعي في الايام الصعبة التي تسودها الوحشية ، بأنه هو صانع وسيد العالم » (٨) وليس صدفة اذا ، ان تؤكد خاتمة الملحمة التي تعكس من خلال « اللوحة المضيئة » انتصار الانسانية وتحررها من نير الرأسمالية والحرب ، هذه الحقيقة الثابتة « ان الانسان هو سيد العالم »(٩) . ان الاتجاه الحماسي والانساني للملحمة منذ بدايتها هو الذي يحدد طابع بنائها ، ومن ثم افكارها وصورها .

بقي شيء لا بد من الاشارة اليه .

فانتاج ماياكوفسكي الشعري في سنوات ما قبل الثورة ، والذي تناولناه في بحثنا هذا ، يشير بمجمله الى تطور وعي الشاعر بالضرورة الملحة للثورة البروليتارية ، وقد تم خلاصه النهائي من بقايا التردد « والشكلية » « والعفوية » بالانتصار التاريخي لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، والتي جعلت من فلاديمير ماياكوفسكي اعظم شاعر في تاريخ الشعر السوفييتي .

★ جميع المصادر العلمية باللغة الروسية .

(٨) فلاديمير ماياكوفسكي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، دار النشر الادبية الحكومية ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ١٣ .

(٩) لودميلا ماياكوفسكي ، طفولة وشباب ف. ماياكوفسكي . (الحرس الفتي) ١٩٣٦ ، ص ١٣٥

(1) غ. بيبوتوف — سنوات فلاديمير مايكوفسكي الدراسية — ، « مايكوفسكي في جورجيا » ، تيفليسي ١٩٣٦ ، ص ١٠٦ .

(2) فلاديمير مايكوفسكي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، دار النشر الادبية الحكومية ، ١٩٤٩ ، ص ١٣ .

(3) المصدر السابق ص ١٦ .

(4) المصدر السابق ص ١٧ .

(5) المصدر السابق ص ١٨ .

(6) جميع النصوص الشعرية ماخوذة من المؤلفات الكاملة لمايكوفسكي .

(7) فلاديمير مايكوفسكي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، دار النشر الادبية الحكومية ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ١٨ .

(8) المصدر السابق ص ١٩ .

(9) المصدر السابق ص ٢٠ .

(10) المصدر السابق ص ٢١ .

(11) المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٢٨٥ .

(12) جريدة العمل ، نيقولايف ، ٢٦ يناير ، ١٩١٤ .

(13) تاريخ الادب الروسي ، دار نشر اكاديمية العلوم السوفييتية ، موسكو ، ص٧١٢ .

(14) مكسيم غوركي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الرابع والعشرون ، ص٧٨ .

(15) فلاديمير مايكوفسكي ، المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، ص ٢٤ .

(16) لينين ، المؤلفات الكاملة ، الجزء الواحد والعشرون ، ص ٨١ .

(17) مكسيم غوركي ، — رسائل الى الكتاب — ، موسكو ١٩٣٦ ، ص ٩ — ١٠ .

أطروحات حول الواقعية الاشتراكية

برتولت بريشت

ترجمة : قيس الزبيدي

* يؤكد عالم الجمال السوفيتي أ. ديمشيتز في دراسته عن بريشت على « ان الافكار الجمالية والتجارب الفنية لبريشت تلعب دورا ليس بالقليل في يومنا هذا . فبريشت لم يكن شاعرا فقط ورجل دراما ومؤلف نثر ومخرجا ومؤسسا لافضل مسرح معاصر ، انما كان ايضا رجل نظرية ، بحث في القضايا الخاصة لعلم جمال المسرح والدراما . وعبر منذ سنوات شبابه حتى ايامه الاخيرة تحريريا وشفهيا عن ارائه حول القضايا النظرية الفنية . وقد نشأ مذهبه الجمالي على اساس من التفكير الثوري وعلى اساس من العلم الثوري . وقد اعتمد مذهبه هذا على مبادىء الماركسية اللينينية وتمت صياغته بالعلاقة الوثيقة مع التجارب الفنية لبريشت كمؤلف وكمخرج . وكمنظر فن وجد نفسه في حركة وتطور دائمين ، لان التفكير العقائدي الجامد كان غريبا عليه . فهو لم يعتبر احكامه وصياغاته منتهية وغير قابلة للخطأ . وكان يصححها برغبة ويجعلها اكثر دقة عندما كان يرى ضرورة لذلك .

ومثل كل شيء في نطاق التراث الجمالي يحتاج مذهب بريشت والاعمال التي تتألف منه الى تأمل تاريخي . كما انه يحتاج الى علاقة خلاقة في تطبيق افكاره الفنية والمتنوعة ومقدرة في تطبيقها ، ليس فقط في الدراما والمسرح فحسب انما في بقية الاجناس الفنية الاخرى .

عني بريشت في الفترة الاخيرة من حياته كثيرا بقضية الواقعية الاشتراكية ، وفي مساجلته مع كاتب الدراما الواقعي الاشتراكي فردريك فولف : الواقعية الاشتراكية ليست قضية اسلوب . وانا اتفق معك تماما ، بأن قضية اي وسائل فنية يجب ان تنتقى ، هي قضيته الكيفية التي ننشط بها ، نحـــن معشر الكتاب ، جمهورنا اجتماعيا . وعلينا فقط ان نجرب ، في سبيل هذا الهدف ، كل وسائل الفن الممكنة ، التي تعين ذلك ، اكانت قديمة ام جديدة .

لقد رد بريشت اسباب ازمة المسرح في زمنه الى قصور فهم العلاقات الاجتماعية من قبل المؤلف من جهة ، اضافة الى العوائق الناتجة من طبيعة الاصول الدرامية

(١) غ. بيبوتوف — سنوات فلاديمير ماياكوفسكي الدراسية — ، « ماياكوفسكي في جورجيا » ، تيفليسي ١٩٣٦ ، ص ١٠٦ .

(٢) فلاديمير ماياكوفسكي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، دار النشر الادبية الحكومية ، ١٩٤٩ ، ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٨ .

(٦) جميع النصوص الشعرية ماخوذة من المؤلفات الكاملة لماياكوفسكي .

(٧) فلاديمير ماياكوفسكي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، دار النشر الادبية الحكومية ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ١٨ .

(٨) المصدر السابق ص ١٩ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٠ .

(١٠) المصدر السابق ص ٢١ .

(١١) المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٣٨٥ .

(١٢) جريدة العمل ، نيقولايف ، ٢٦ يناير ، ١٩١٤ .

(١٣) تاريخ الادب الروسي ، دار نشر أكاديمية العلوم السوفييتية ، موسكو ، ص٧١٢ .

(١٤) مكسيم غوركي . المؤلفات الكاملة ، الجزء الرابع والعشرون ، ص٧٨ .

(١٥) فلاديمير ماياكوفسكي ، المؤلفات الكاملة ، الجزء الثاني عشر ، ص ٢٤ .

(١٦) لينين ، المؤلفات الكاملة ، الجزء الواحد والعشرون ، ص ٨١ .

(١٧) مكسيم غوركي ، — رسائل الى الكتاب — ، موسكو ١٩٣٦ ، ص ٩ — ١٠ .

أطروحـــات حول الواقعيـة الاشتراكيـة

برتولت بريشت

ترجمة : قيس الزبيدي

* يؤكد عالم الجمال السوفيتي أ. ديمشيتز في دراسته عن بريشت على « ان الافكار الجمالية والتجارب الفنية لبريشت تلعب دورا ليس بالقليل في يومنا هذا . فبريشت لم يكن شاعرا فقط ورجل دراما ومؤلف نثر ومخرجا ومؤسسا لافضل مسرح معاصر ، انما كان ايضا رجل نظرية ، بحث في القضايا الخاصة لعلم جمال المسرح والدراما . وعبر منذ سنوات شبابه حتى ايامه الاخيرة تحريريا وشفهيا عن ارائه حول القضايا النظرية الفنية . وقد نشأ مذهبه الجمالي على اساس من التفكير الثوري وعلى اساس من العلم الثوري . وقد اعتمد مذهبه هذا على مبادىء الماركسية اللينينية وتمت صياغته بالعلاقة الوثيقة مع التجارب الفنية لبريشت كمؤلف وكمخرج . وكمنظر فن وجد نفسه في حركة وتطور دائمين ، لان التفكير العقائدي الجامد كان غريبا عليه . فهو لم يعتبر احكامه وصياغاته منتهية وغير قابلة للخطأ . وكان يصححها برغبة ويجعلها اكثر دقة عندما كان يرى ضرورة لذلك .

ومثل كل شيء في نطاق التراث الجمالي يحتاج مذهب بريشت والاعمال التي تتألف منه الى تأمل تاريخي . كما انه يحتاج الى علاقة خلاقة في تطبيق افكاره الفنية والمتنوعة ومقدرة في تطبيقها ، ليس فقط في الدراما والمسرح فحسب انما في بقية الاجناس الفنية الاخرى .

عني بريشت في الفترة الاخيرة من حياته كثيرا بقضية الواقعية الاشتراكية ، وفي مساجلته مع كاتب الدراما الواقعي الاشتراكي فردريك فولف : الواقعية الاشتراكية ليست قضية اسلوب . وانا اتفق معك تماما ، بأن قضية اي وسائل فنية يجب ان تنتقى ، هي قضيته الكيفية التي ننشط بها ، نحن معشر الكتاب ، جمهورنا اجتماعيا . وعلينا فقط ان نجرب ، في سبيل هذا الهدف ، كل وسائل الفن الممكنة ، التي تعين ذلك ، اكانت قديمة ام جديدة .

لقد رد بريشت اسباب ازمة المسرح في زمنه الى قصور فهم العلاقات الاجتماعية من قبل المؤلف من جهة ، اضافة الى العوائق الناتجة من طبيعة الاصول الدرامية

القديمة ، التي حددت بناء المسرحيات غالبا من جهة اخرى . من هنا فان مسعى بريشت في ايجاد صياغات شكلية هو مسعى نضالي ، يرتبط بالعصر ويسعى للتعبير عن قضاياه الكبيرة على الوجه الذي يظفر فيه الانسان بموقف جديد في الفن ، موقف المغير العظيم الذي يكون بوسعه التدخل في عمليات الطبيعة وفي العمليات الاجتماعية

والذي لا يقبل بالعالم كما هو ، انما يسعى لتغييره .

ودعا بريشت في ختام كلمته « الواقعية كمنهج نضالي » التي القاها في المؤتمر الرابع للكتاب الالمان والذي عقد في برلين في كانون الثاني عام ١٩٥٦ ، وهو عام وفاته ، دعا الكتاب ، « اذا ما اردنا عمليا استيعاب العالم الجديد فنيا ، فعلينا ان نبتكر وسائل فنية جديدة ، ونعيد صياغة الوسائل القديمة . علينا ان ندرس اليوم وسائل كلايست وغوته وشيلر الفنية ، غير انها لن تكفينا في التعبير عما هو جديد . ان رفض التجريب يعني الاكتفاء بالموجود ، وهذا يعني التخلف .

غير أن تصوير الجديد ليس بالامر السهل (كما تبين رسائل كثيرة) . انـــه مرهون **بالحماس** للجديد وبمعرفة **الجدلية** وهو ايضا مرهـــون **بالوسائل الفنية الجديدة** . وتحتاج وسيلة التعبير الواقعية الاشتراكية دائما الى **تدريب** والى **اعداد** والى **اعادة بناء** . ولانها مناضلة ، فهي تحتاج الى كل الاسلحة ، دائما الى افضل الاسلحة ، ودائما الى اسلحة جديدة » .

ويعنينا الان ان نترجم ثلاثة نصوص مهمة لبريشت هي اهم ما كتب مباشرة عن الواقعية الاشتراكية . والنص الاول هو مقالته (عن الواقعية الاشتراكية) والتي كتبها عام ١٩٣٩ .

اما النصان الآخران فقد صاغهما على شكل اطروحات وهما (حول الواقعية الاشتراكية) و (الواقعية الاشتراكية على المسرح) وكتبهما عام ١٩٥٤ .

المترجـــم

ـ ١ ـ

عن الواقعيــة الاشتراكيــة

ان عبارة **الواقعية الاشتراكية** هي ذات مغزى ، وعملية ، ومنتجة ، طالما اصبحت عينية بالعلاقة مع الزمان والمكان . وهي تعني ، ان الكاتب موجود ، حيث يتم بناء الاشتراكية ، وهو يدعم هذا البناء ويكشف الواقع ويصوره لهذا الهدف ، لان المرء ، وفق مفهوم باكون ، يتسلط على الطبيعة ، حينما يخضعها لسطوته . العبارة اذن تعني ان الكاتب موجود حيث يتم النضال من اجل بناء الاشتراكية ؛ وهو يدعم هذا النضال ويكشف الواقع ويصوره لهذا الهدف . والعبارة تتيح معايير ممتازة ، معايير لا تقع في حقل الشكل الجمالي . (هل يدعم الكاتب بناء الاشتراكية والذين يبنونها ؟ هل يدعم النضال من اجل الاشتراكية ؟ هل يدرك الواقع ام يخلق اوهاما حوله فقط ، ويبسط من المهام وما الى ذلك ؟) فاذا كان الامر بالتأكيد يعني بناء الاشتراكية ـ وهو يعني النضال الدائم ضد اعدائها ـ فعندها يجب حساب

معايير اخرى دون شك ، معايير ذات طبيعة شكلية وجمالية ، لان ما يخص بناء الاشتراكية دون شك هو مسألة تمتين الفنون ، وانفتاح الانتاج الفني على افـــاق واسعة . هنا تظهر قضية الموقف من التـــــراث ، وتقود الى معارضة مخلفات (شواهد) الثقافة الموروثة ، مخلفات ثقافة مستباحة من طبقة عدوة اخرى ، يختفي فيها بالتأكيد كل ما تم انتاجه عموما ، وهنا تبدو امامنا المرحلة الاخيرة ، التي تم الوصول اليها تحت سيطرة ورقابة البرجوازية ، والتي هي بالتأكيد المـــرحلة الاخيرة التي وصلتها الانسانية عموما . ومن الواضح ، انه يمكن تحقيق نجاح في الحالة التي يمكن فيها مقاومة معارك متبقية من موقع متفوق ، حيث يجد كل البناء التحتي السياسي والاقتصادي للثقافة نفسه في تحول عاصف باتجاه الاشتراكية ، لان طبيعة اجراء محاورة لمخلفات الثقافة البرجوازية عندها ستكون مختلفة عن ذلك التي تنشأ في زمن الصراع قبل النصر .

غير ان شعار **الواقعية الاشتراكية** العظيم سيعني نوعا من الضمور الرهيب، اذا ما قلد المرء ميكانيكيا الشعار الستاليني في السياسة الوطنية : **مضمون اشتراكي ـ شكل وطني** ووضع بدله : مضمون اشتراكي ـ شكل برجوازي . ان شعار **شكل وطني** في السياسة الوطنية هو اولا واخيرا ثوري . وهو يعني تحرير الامم المستعبدة، وايقاظ القوى المنتجة للامم المتخلفة ، انه يعني ان تتداول الامم المضطهدة كلمـــة الاشتراكية في لغتها الام ، وتطلق قواها الثقافية .

اما شعار **شكل برجوازي** فسيكون ببساطة رجعيا ، ويعني فقط الابتذال : **المضمون الجديد في خراطيم قديمة** . ان موقف ستالين الذكي من ماياكوفسكي ، وهو مكسر اشكال من الطراز الاول ، اضافة الى كلمته الجديرة بالاهتمام (علـــى الشعراء ان يكونوا مهندسي الروح) ، يكفيان وحدهما لتحذير نقادنا من مثل هذه التعميمات والتأويلات المنحرفة . وفي الواقع تأخذ مقالات بعض نقادنا سمة لا مكانية ولا زمانية بشكل واضح ، لان المعايير عندهم تؤخذ من كل مكان ، الا من مكـــان النضال .

التعلم عند بلزاك ، جيد ، لكن لاي هدف ؟ السؤال مشروع ، لكنه لن يطرح عند ماياكوفسكي . واذا ما كانت الشكلية تعني البحث عن اشكال جديدة دائمـــا لمضمون ثابت دائما ، فان الشكلية تعني ايضا ، الحفاظ على الشكل القديم للمضمون الجديد . على نقادنا ان يدرسوا شروط الصراع ويطوروا علم جمالهم منه . والا فلن ينفعنا علم جمالهم ، خصوصا ونحن ننخرط في الصراع . ولاذكر اني شخصيا ، على سبيل المثال ، بدأت بالاشكال التقليدية القديمة في كل مجالات الادب والمسرح . في الشعر مثلا بالاغنية والانشودة . في الدراما بمسرحية بيئة ذات فصول خمسة . في الرواية بالحكاية المحبوكة بتنوع . لكن الصراع دفعني الى استعمال اشكـــال جديدة . اذ ان طريقة الكتابة القديمة اعاقتني عن النضال . لقـــد درست بشكل خاص طرقا كتابية عديدة ، لكني لا افهم اي حديث حول طرق كتابية لا تأخذ بنظر الاعتبار حاجات الصراع . فلماذا على الاخرين اتخاذ موقف مختلف ؟ اعتقد انه بوسعي اكتشاف تلك الفضائل التي تقدمها لصراعنا طريقة كتابة الرواية البرجوازية للقرن الماضي . وقد تعلمت منها بالقدر الذي كان ممكنا ، لكني ارى ايضا المساوىء ، وهي كبيرة . ومن هنا ينشأ موقف معقد ازاء كتاب الادب البرجوازي الواقعيين . وانا اعترف بهم ، واحب بعض اعمالهم ، واتعلم منها . كما يهمني الارتقاء الـــى مستوى الاسلوب العام ، الذي ارتقت اليه البشرية بواسطتهم . لكن ايضا يجب

تجاوزه . ولا يتوقف الامر هنا على الطاقة الشعرية ، انما ببساطة يتوقف على قدرتنا على مراعاة شروط صراعنا . ان المبادىء الشكلية التي نستخرجها من مستوى اعمال الواقعية البرجوازية في الادب لا تكفي كثيرا . وان السمة الفريدة ، الزائلة ، والتاريخية لهذه الطريقة في الكتابة سوف تدرك من قبل كل من يناضل من اجل الاشتراكية . لان السمة الرأسمالية لهذا « المضمون » تسك هذا « الشكل » . على نقادنا ان يعرفوا ، انهم سيستمرون في امتهان **النقد الشكلي** ، طالما انهم لن يفهموا او يرفضوا تناول المسائل الشكلية دون الاخذ بنظر الاعتبار شروط نضالنا من اجل الاشتراكية .

١٩٣٩

— ٢ —

أطروحات حول الواقعية الاشتراكية

ما تعنيه **الواقعية الاشتراكية** ، لا يمكن قراءته ببساطة من الاعمال او من طرق التعبير الموجودة . ولا يجب على المقولة ان تتحقق ، في تشابه عمل ما او تعبير ما لاعمال وطرق تعبير اخرى ، تنتسب بدورها الى الواقعية الاشتراكية . انها تتحقق فيما اذا كان العمل اشتراكيا وواقعيا .

(١) الفن الواقعي هو فن نضالي . وهو يحارب الاراء الخاطئة عن الواقع ويحارب الدوافع التي تتعارض والمصالح الحقيقية للبشرية . كما انه يعزز الاراء الصحية ويقوي الدوافع المنتجة .

(٢) الفنانون الواقعيون يؤكدون « الدنيوي » الحسي ، وبمعنى كبير النموذجي (المهم تاريخيا) .

(٣) الفنانون الواقعيون يصورون **التناقضات** بين الناس وفي العلاقات ويكشفون الشروط التي تتطور وفقها هذه التناقضات .

(٥) الفنانون الواقعيون يعنون بالتغيرات التي تنشأ بين الناس وفي العلاقات ، في الثابت منها او المتقلب ، الذي يتحول فيه الثابت .

(٦) الفنانون الواقعيون يصورون قوة الافكار والاساس المادي لهذه الافكار .

(٧) الفنانون الواقعيون — الاشتراكيون انسانيون ، وهذا يعني انهم محبون للبشر ، ويصورون العلاقات بين الناس بطريقة ، تقوي من الدوافع الاشتراكية ، التي تتمكن عن طريق الادراك العملي للحركة الاجتماعية ، وعن طريق تصبح فيه هذه — الدوافع — قابلة للمتعة .

(٨) لا يتخذ الفنانون الواقعيون — الاشتراكيون موقفا واقعيا ازاء مواضيعهم فقط ، انما ازاء جمهورهم .

(٩) يهتم الفنانون الواقعيون — الاشتراكيون بمستوى التعليم وبالمنشأ الطبقي لجمهورهم ، اضافة الى اهتمامهم بوضع الصراع الطبقي .

(١٠) يتعامل الفنانون الواقعيون — الاشتراكيون مع الواقع من موقع الشعب

الكادح ومن موقع المثقفين المتحالفين معه ، الذين يناصرون الاشتراكية .

١٩٥٤

— ٣ —

الواقعية الاشتراكية على المسرح

(١) تعني الواقعية الاشتراكية اعادة تقديم للواقع صادقة ، بوسائل الفن ، لحياة الناس المشتركة من موقع اشتراكي . وهذه الاعادة هي من النوع الذي يهيء ادراكات في الحركة الاجتماعية ويخلق دوافع اشتراكية .

وان جزءاً أعظم من التسلية ، التي على اي فن ان يحققها . هي عند الواقعية الاشتراكية تلك التسلية التي تحققها امكانات السيطرة على المصير الانساني بواسطة المجتمع .

(٢) يكشف العمل الفني الواقعي الاشتراكي قوانين الحركة الجدلية للمجتمع والتي تسهل معرفتها من السيطرة على المصير الانساني . هو يحقق تسلية في كشفها ورصدها .

(٣) العمل الفني الواقعي — الاشتراكي يعرض الشخصيات والعمليات الاجتماعية كشيء سالف ومتغير ومتناقض . وهذا يعني تحولا مهما . اما الجهود الجادة من اجل وسائل التعبير فهي ضرورية .

(٤) العمل الفني الواقعي — الاشتراكي ينطلق من موقع الطبقة العاملة ويتوجه الى كل الناس ذوي الارادة الطيبة . انه يعرض لهم صورة العالم ونوايا الطبقة العاملة ، التي تتأهب لزيادة انتاجية الانسان بمقدار لم يعرف من قبل وذلك بواسطة شكل مجتمع جديد لا يقوم على الاستغلال .

تنطلق اعادة التقديم الواقعية — الاشتراكية للاعمال الكلاسيكية القديمة من الاعتبار القائل ، بأن البشرية حفظت تلك الاعمال ، لانها عبرت عن تقدمها باتجاه انسانية هي دائما حافلة بالشجاعة والرقة والقوة . اعادة التقديم تؤكد اذن الافكار التقدمية للاعمال الكلاسيكية .

١٩٥٤

تأصيل المسرح العربي

رياض عصمت

لعل ابرز مشكلة يواجهها المسرح العربي بوجه عام هي ان المرء يلتفت الى الوراء فلا يجد تراثا يعتمد عليه ، يستقي منه ، ويطوره نحو مزيد من المعاصرة . لقد توجب على المسرحيين — كتابا ومخرجين — ان يبدأوا بأنفسهم بناء هذا التراث، فالماضي لم يترك لنا اليوم اكثر من ظواهر مسرحية بدائية تجسدت في خيال الظل وسير الحكواتي وصندوق الدنيا والكراكوز ، كما تجسدت في الطقوس الدينية لبعض المناطق مثل الاحتفال بذكرى مصرع الحسين في العراق .

اما في القرن الماضي فقد خنق التعنت الديني للسلطة العثمانية المتحالفة مع الطبقة المتنعمة ومع التعصب والتخلف السائدين عند الطبقات الاخرى المسرح ، مما نفى جميع البدايات الخيرة التي انطلق معظمها من دمشق — لتجد لها في القاهرة موطنا وملجأ . وهكذا تضافرت في جو اقل صرامة وتحجرا جهود (ابو خليل القباني ، مارون وسليم النقاش) من سورية ، مع جهود (يعقوب صنوع) ، من مصر . رغم هذا قوبلت اعمال بعض هؤلاء بالقمع والمنع كلما حاولت خرق القشرة الرقيقة التي تفصل ما بين التسلية المجانية والنقد الطبقي والوطني ، وبدأت تمس جور الاحكام وارتفاع الضرائب . لهذا كان المسرح العربي يتعثر آنذاك — كما يتعثر اليوم احيانا — كلما بدرت بادرة تدل على تقدمه وجرأته ، ويدفع دفعا الى عروض الملاهي الضاحكة ، او الغناء والاستعراض ، او الاقتباس عن امهات المسرح العالمي ، دون أن يغامر بالبحث عن هوية متميزة عبر اصوله القديمة الاكثر تمثلا وحضورا في ذلك الزمان . ان مسألة تأصيل المسرح العربي اذن شديدة الالتصاق بمسألة حرية التعبير .

لماذا لم يعرف العرب القدماء فن المسرح

تعود تلك الهوة الواسعة التي لم يعرف خلالها العرب فن المسرح الى عدة

اسباب حضارية ودينية ولغوية . فقبل الاسلام ، حبس المسرح الديني نفسه في الشعائر الوثنية ، ولم ينطلق انطلاقة المسرح الاغريقي بالتدريج من الدين الى الشعب ، فظل منحصرا في تجسيد اساطير آلوهية الطابع عن الخير والشر والخصب والموت . عندما اتى الاسلام اتى معه بفكرة تحريم الخلق المسرحي والفني ، لان الخلق هو من شأن الله وحده . هنالك سببان آخران ، اولهما خلو الحياة العربية من عنصر الصراع الاساسي في المسرح (وكان متوفرا في الاساطير الفرعونية والبابلية والفينيقية) ، فقد فصل العرب في ظل الاسلام بين الانسان والاله ، بينما عمد اليونانيون للناسوتية في تصويرهم لآلهتهم ، واكتفى العرب بعزل شياطين الشعر والالهام في وادي الجن (عبقر) ، تجنبا لذلك الخلط الذي اعتبروه خارجا عن مفاهيمهم الاجتماعية ودينهم . أما السبب الثاني فهو لغوي بحت ، ينبع من اعتماد الشعر العربي على غنائية التعبير ، وابتعاده عن الملحمية التي قادت اليونانيين الى الدراما ، وحفاظه على ذاتية الاسلوب والحذلقة البيانية وعلى وحدة البيت لا القصيدة ، ورواية الاحداث العرضانية من حياة المجتمع دون الغوص في ما وراء القيم الظاهرية من تصوير للصراعات ودراسة لمصائر الافراد . لقد ساد الشعر ادب العرب ، بل كاد ان يكون ادبهم الوحيد ، وهو لم يكن يصلح للاستخدام المسرحي . كما اصابت الادب النثري عدوى زخرفته ، فظل مقتصرا على مفاخر الحرب والبطولات . ولم يحسن العرب تطوير الملاحم الرائعة قبل الاسلام (مثل جلغامش) لوضع اسس لمسرح عربي متميز ، فقد كانت اكثر خيالا وروحانية من زخرفة ومادية الادب والفن العربيين بعد الاسلام .

عهد الاقتباس والتقليد

انعكست التأثيرات القديمة هذه على بدايات نهضة المسرح العربي في القرن الماضي ، فجعلتها محاكاة غريبة لا تنبع من اصول راسخة . وطبيعي ان المسرح بدأ يأخذ مع الايام طابعه المحلي ، لكنه لم يكن يتمتع بمستوى فني عال او ادبي راق ، يتجاوز سقوط المسرح تلك الفترة الطويلة في الاهمال والتجاهل . قام المسرح الكوميدي على اقتفاء اثر الفودفيل الفرنسي وفن الاستعراض ، ورفعته الى الجماهيرية الساحقة مواهب فردية لامعة في التمثيل (نجيب الريحاني — علي الكسار — فاطمة رشدي) ، وفي الموسيقى (سيد درويش) ، وفي الاقتباس والاعداد (بديع خيري) . اما في لبنان وسورية فكان ابرز المثلين (امين عطاالله) المصري الذي اقتبس من الريحاني شخصية (كشكش بك) ، وكذلك الفنان (عبد اللطيف فتحي) . ولكن هذه الكوميديات رغم عكسها لبعض القضايا الاجتماعية التي اغضبت السلطة والاستعمار ، الا انها كانت خاضعة للضرورات الانتاجية التجارية. لقد كانت تلك الاعمال جسر البداية ، وكان للرواد شرف التضحيات ، ولكن القيمة الفنية والاصالة التي حققت لم تكن تأسيسية تماما بحيث تسهم في بناء هوية المسرح العربي اليوم . لقد شهدت الحركة المسرحية العربية انقطاعا من نوع آخر في معظم الاقطار ما عدا مصر ، واعتمدت اعتمادا رئيسيا على التقليد ، ضاربة عرض الحائط بالظواهر المسرحية القديمة في التراث .

اما المسرح المأساوي فاتجه اتجاها مشابها ، منقسما الى نمطين ، يعتمد النمط الاول على « التمصير » اقتباسا عن الميلودرامات محبوكة الصنعة في المسرح الايطالي والفرنسي ، وكانت تلك الاعمال كفيلة بأن تدفع الشهقات والتنهدات

المحرقة الى صدور الطبقة البرجوازية الصغيرة ، والدموع الى عيون المتفرجين من البرجوازيات الصغيرة ، رثاء لبطلة مغرر بها ، او بطل اصيب بعاهة ، او رجل محترم افلس ، او شاب عشق غانية لم يرضها له اهله الاكابر . وقد مست تلك المسرحيات قلوب كثيرين واثارت عواطفهم ، لكنها لم تكن في جوهرها تغييرية او تحريضية ، ولم تكن نظراتها تخرج عن حدود الاصلاح الممكن الذي يحافظ على توازن الطبقات ، ويعطي العدالة من كف السادة منة الى الفقراء . اما الظروف والدوافع وراء سلوك الشخصيات فقد كانت فردية وتقوم على الصدفة ، كما في مسرح رائد هذا الاتجاه الممثل الكبير يوسف وهبي .

واعتمد النمط الثاني على ترجمة مسرحيات عالمية كلاسيكية شهيرة لسوفوكليس وشكسبير وراسين وموليير ، وتقديمها بشكل يحاكي تقديمها في أوروبا . وقد برز من أنصار هذا الاتجاه في مصر (جورج ابيض) ، وفي سورية (عبد الوهاب ابو السعود) .

لكن أفضل الاعمال كانت تلك التي تتمثل التراث العالمي وتضفي عليه نكهة محلية شعبية ، بحيث ان (هارباغون) موليير صار ابن البيئة العربية والعصر ، كما اصبح (طرطوف) يرتدي زي الشيخ (متلوف) . رغم كل الظروف السياسية والدينية المحبطة ، رغم محدودية اطلاع بعض الفنانين ومعرفتهم باللغات الاجنبية ، رغم اضطرار الفرق الى الاعتماد المالي على نفسها وبالتالي تقديمها تنازلات تجارية لكسب وارضاء الجمهور ، استطاع رواد المسرح العربي المخلصون زرع بذرة المسرح في ارض بور ، وعانوا في سبيل فنهم الفقر والجوع والاهانة . كان وجود مسرحهم في حد ذاته تحديا جريئا ، ونية مخلصة للاصلاح الاجتماعي والثقافي. ولا شك أن محاكمتهم اليوم يجب ان تراعي ظروف مرحلتهم وامكانيات العمل المسرحي فيها ، حيث كانت الاصلاحية في حد ذاتها خطوة تقدمية ، وحيث حاصرتهم على حذرهم الرجعية والاستعمار فأجهضت محاولاتهم واحدة اثر الاخرى ، لكنها كانت كالعنقاء تتجدد ، وتبعث من قلب الرماد . لكن على مسرحنا العربي اليوم ان يتلمس تجارب اخرى وان يعمل على تأصيل ابعد مدى من بداياتهم . ان مسرح العصر هو مسرح المأساة المضحكة ، والملهاة المبكية . انه مسرح النكبة والنكسة ، ومسرح التمرد على التخلف والكبت والسلبية والقمع . ان في هذا بعدا عالميا انسانيا اذا احسن تجسيده فنيا وفكريا .

معنى التاصيل ومدى تحققه

ما هو معنى التأصيل ؟ هل هو العودة الى اشكال المسرح البدائية التي لم تتعد بعض الاحتفالات الدينية ، وحكايا الحكواتي ، ومسرح خيال الظل ، والسامر .... الخ .. ؟ ام هو استعادة الاصول التي بدأ بها مسرحنا العربي نهضته الحديثة قبل قرن من الزمان ؟ أم هو استلهام التراث التاريخي والادبي العربي القديم من اساطير وملاحم وسير ؟؟

لعل هذه التساؤلات قد اوضحت ببساطة ان تاريخ المسرح في المنطقة ينقسم الى ثلاث مراحل : الاولى في الشعائر البابلية والفرعونية والفينيقية (وربما في باقي الحضارات) ، والثانية خلال الاسلام ، وهي ذات طابع ادبي سردي محض تعتمد على الرواية الشفوية (الحكواتي او السامر) ، او هي ذات طابع ديني

محض كمقتل الحسين بكربلاء ، والثالثة هي في القرن الماضي على يد جيل الرواد من سورية ولبنان .

الحقيقة ان المسرح العربي — وهذا ليس عيبا يجدر بنا تجاهله — مسرح مشتت الاصول ، لذلك فان كلمة « التأصيل » في هذا البحث لن تعني التفتيش عبر الماضي القريب او البعيد ، وانما ستنطلق من افتراض ان المسرح العربي اليوم هو نقطة البدء في عملية التأصيل للمستقبل ، وهكذا سنصل على ما ارجوه الى تحديد بضعة مطالب واهداف تساعدنا على تمييز اتجاهات فنية معينة ، او رجل مسرح معين ، او مسرحية معينة . هذا الاتجاه — فيما أرى — شديد التقارب مع اتجاهات المسرح العالمي المعاصر التي تحاول استعادة الطقسية البدائية للمسرح كجنس متميز عن باقي الفنون يعتمد على التجسيد الحي والتشكيل والحركة .

ولأحدد أولا أن مسرحا يبتعد في اهدافه الفكرية عن هموم المجتمع ومشاكل السياسة هو مسرح على الهامش . المسرح هو ذلك الفن الذي لا تكتمل صورته الا في علاقته مع جمهوره . وتأصيل المسرح العربي الحاضر يعني تجسيد روح التراث التاريخي والادبي والفني من اساطير وحكايا ، ومن وسائل عرض بدائية ومؤثرة ، ولكن بشكل معاصر ، له دلالات انسانية شمولية . المسرح ليس جريدة ، وهو يمكن ان يكون سياسيا عميقا دون الحاجة لكي يكون جريدة .

في الواقع ان كلمة تأصيل لا تبدو لي مسألة تتعلق بالشكل فحسب ، وانما تمتد بمعناها الى المضمون . الجانب الشكلي قد يكون في التجريب : تجريب بعث واستلهام اشكال تعبيرية مسرحية قديمة ما زال لها سحرها وتأثيرها وغرابتها ، اما الجانب المضموني فهو في التسييس بالمعنى الواسع للكلمة . ان السياسة هنا ليست مطروحة كهدف أعلامي دعائي ، وانما كاتصال اجتماعي انشائي بحركة التاريخ والمجتمع ، دون اهمال للذاتية الفردية في الوقت نفسه . ولعل جزءا كبيرا من الملع وانضج المسرحيات العربية بدأ من مزج المعاصر بالتاريخ القديم ، بدأ من الهروب من قصص الرقيب ، بدأ بالنفاذ الى الجوهر الانساني المأساوي والمضحك من خلال الاسطورة والفانتازيا والحكاية الشعبية .

لو تحقق هذا لسقطت ابعاد الزمن ، وانصهر الابداع الجيد عبر القرون في بوتقة واحدة ، بحيث أن مقتل الحسين او نفي ابو ذر الغفاري قد يصبح موضوعا لتراجيديا معاصرة الدلالات ، واسطورة ايزيس واوزوريس او اسطورة جلغامش مسرحية سياسية او فلسفية حديثة ، وكذلك شأن كل الحكايا والخرافات وسير التاريخ القديمة . اما الخطوة الابعد فهي تمثل روح هذا التراث في اعمال معاصرة الزمان ايضا تتخذ اشكالا متميزة الهوية ، لكن هذه الخطوة متقدمة في المسرح العربي سيكون لها موضع في بحث آخر .

ماذا يعني تأصيل المسرح العربي اليوم ضمن المنظور المستقبلي الذي طرحناه ؟ انها لا تذهب بعيدا عن تأصيل المسرح العالمي المعاصر في عودته الى الاصول الطقسية والشعبية للاحتفال المسرحي ، اي لا تبتعد كثيرا عن نظرية آنتونين آرتو من جهة وبرتولد برشت من جهة ثانية ، وقد تجد لها اكثر من وسيلة اتصال وتحقق اسوة بمسرح الشارع في الهند وايطاليا والولايات المتحدة ، او المسرح الاختباري عند غروتوفسكي وشاينا البولونيين ، او تجارب جوان ليتلوود وبيتربروك الانكليزيين ، او جان لويس بارو ومينوشكين الفرنسيين .. الخ . هذه التجارب لها علاقة

قرابة مع ما فعله عبد الرحمن كاكي في الجزائر ، وعلي بن عياد والمنصف السويسي في تونس ، والطيب الصديقي واحمد الطيب العلج في المغرب ، وابراهيم جلال وقاسم محمد في العراق ، وانطوان ملتقى وريمون جبارة ومنير ابو الدبس ويعقوب الشدراوي في لبنان . هذا عن الاخراج ، اما عن التأليف فان الهدف المرحلي للتأسيس الحالي قد يكون متواضعا ومحدودا في هدفه ، اذ يهتم بخلق تراجيديا وكوميديا عربيتين اضافة الى الكتابة الطليعيـــة المجربة . من اعمال التراجيديا العــربية البارزة : « الزير سالم » لالفريد فرج ، « ليالي الحصاد » لمحمود دياب « آه يا ليل يا قمر » لنجيب سرور ، «مأساة الحلاج » لصلاح عبد الصبور ، « الحسين ثائرا وشهيدا » لعبد الرحمن الشرقاوي . ومن اعمال الكوميديا العربية المتميزة : « مسحوق الذكاء » لكاتب ياسين ، « السعد » لاحمد الطيب العلج ، « علي جناح التبريزي وتابعه قفه » لالفريد فرج ، « الفرافير » يوسف ادريس ، « الفيل يا ملك الزمان » لسعد الله ونوس ، و « المهرج » لمحمد الماغوط .

ولعل التطورات السياسية والفنية ممتزجة ببعضها خلقت طابعا جديدا على المسرح العربي ، يلتقي بذاك في المسرح العالمي ، الا وهو طابع المسرح السياسي الدعائي او التعليمي .خلق هذا مسرحيات سياسية تحريضية احيانا مثل « حفلة سمر من اجل ٥ حزيران » لونوس ، او مثل « كيف تركت السيف » لممدوح عدوان ، او « ليلة مصرع غيفارا » لميخائيل رومان ، او مسرحيان عمالية تعليمية مثل اعمال فرحان بلبل الاخيرة ، ومثل عدد من اعمال سعد الدين وهبة وعلي سالم ، ومثل اعمال علي عقلة عرسان ومصطفى الحلاج .

اما في المسرح الطليعي العربي فتميز وليد اخلاصي ، ميخائيل رومان ، محمود دياب الخ .. لكن اكثر الاشكال مزجا بين التراث الشعبي والحكايا القديمة وبين روح العصر هي التي تلتقي مع احدث تطورات المسرح في العالم ، كما في « بعد أن يموت الملك » لصلاحعبد الصبور ، « الملك هو الملك » و « مغامرة رأس المملوك جابر » لونوس ، « لعبة الحب والثورة » لكاتب هذه السطور ، و « ثورة الزنج » لعز الدين المدني ، وبعض اعمال رشاد رشدي ومسرحيات الحكيم القديمة ، وهذا على سبيل الذكر وليس الحصر .

مسرح الحبكة .. مسرح الحوار .. والمسرح الشامـــل :

المسرح معادلة صعبة وعمل تركيبي معقد ، لكننا اذا اعدناها الـــى عنصريها الاساسيين لوجدنا آنها في جوهرها ممثل ومتفرج . لذلك سنتجه في البحث الـــى التطبيق العملي وهو ما سيقتصر طبعا على المسرح السوري .

أعلن سعد الله ونوس منذ عام ١٩٦٧ بدعوته الـــى « تسييس » المسرح ، انطلاقا من حقيقة .انفصام المسرح الجاد عن الجمهور ، وتوجهه الى فئة محــدودة متعلمة . واستطاعت موهبة ونوس ان تنجب عددا من الاعمال المسرحية الناجحة والمجددة في اطار المسرح السوري الحديث . لكن هذه التجربة حرصت لفترة طويلة على الانطلاق من مسألة التواصل مع المتفرج الى حد انها أهملت الى حد كبير خلق شكل مسرحي رديف ينطلق من نظرية في التمثيل . انها تجربة تعتمد الى خد بعيد على « الحكاية ــ الامثولة » ، وعلى توظيفها ضمن حبكة بارعة .

اما مسرحيات ممدوح عدوان التي اقبل عليها طلبة الجامعة فقد اعتمدت على

محاولة استثارة الجمهور حواريا بالجرأة السياسية التحريضية ، اكثر من عنـــايتها بالبناء الدرامي المتين . انها بسيطة التكوين المسرحي ، تنطلق من فكرة سياسية وليس من دراما . وقد سعى عدوان لكتابة تاريخ الاسلام من جديد ومن وجهـــة نظر مادية تاريخية طبقية .

لكن المسرح العربي ، ان كان في سورية أو في مصر أم في العراق أم في المغرب ، اخذ يتجه بشكل بارز نحو المسرح الشامل باعتباره الوسيلة الملائمة للمزج بـين التراث المسرحي الشعبي عرضا والنصوص المعاصرة تأليفا . هذا الاتجاه انعكس في عديد من اعمال المؤلفين المسرحيين العرب في الآونة الاخيرة ، خصوصا الشبـــان المجددين منهم ، تماما كما انعكس قبل سنوات اتجاه المسرح التسجيلي والتعليمي والملحمي . ان المسرح العربي اليوم انتقائي الشكل ، وهذه حتمية وضرورة . وما ينطبق على التأليف المسرحي في هذا الخصوص ينطبق على الاخراج ايضا .

ان الدعوة لابتداع شكل وحيد متميز بالمسرح العربـــي (كالمسرح الاغريقي او المسرح الياباني او المسرح الاندونيسي) هو وهم محض . هذا متأخر جدا من جهة ، كما ان الابداع الفني يولد تلقائيا وليس بعملية قيصرية من جهة ثانية . اذن فتأصيل المسرح اليوم يجب ان يصهر الماضي والحاضر معا ، كما يجب ان ينفتح علـــى تراث العالــــم المسرحي ويدمجـــه بحضارتنــــا . ان التأصيـــل يعنـــي استلهام البيئة الاجتماعية واعماق الافراد فيها ، كما يعنـــي فهما معاصرا جديدا للتاريخ والاسطورة .

ان تطور المسرح العربي وترسيخه لتقاليد عمل تتطور مع الزمن يعود قبـــل كل شيء الى توفر مناخ من الحرية ، بحيث تلغى قيود الرقابة الدينية والسياسية والجنسية ، على ان تبقى الرقابة الفنية بأقوى صرامتها . رغم هذا الامل البعيد ، نرى نفس الظروف التـــــي تعرض لها مسرحيونا الرواد قبل قـــرن من الزمان تتكرر اليوم بصيغ اخرى ، فما من كاتب الا ومنع له نص ، وما من مخرج الا ولاقى متاعب مشابهة في هذا المجال .

لقد سبق أن قلنا ان هدف المسرح سياسي ، لكنـــــه ابدى واهم من هدف السياسة بمعناها اليومي المتغير والمبتـــذل ، فالقصد بـــاختصار ان تعني كلمة « التأصيل » جعل مسرحنا اليوم شاهـــداً امينا علـــى عصر مضطرم بالاحداث والانفعالات في وطن ممزق متقلب الاوضاع .

لهذه الأسباب مجتمعة نجد مسرحنا العربي اليوم مطالبا ان يعمل في اكثر من اتجاه ، ففي الوقت الذي نحتاج فيه الى مسارح شعبية جوالة في الريف البعيد ، وفرقا في التجمعات العمالية والعسكرية ، نجد حركتنا المسرحية بحاجة الى التجريب

وتحقيق قيمة تجاوزية . هذا يورث في المستقبل عديدا من اشكال التوصيل المتميزة ، أسوة بالخطوات « الملعونة » التي حققت فيما بعد نجادات باهرة كمسارح تحت الارض ، وتحطيم الشكل التقليدي للمسرح ، ومسرح القهوة او الكباريه السياسي ، ومسارح الشارع .. الخ . ان تجربة مسرح الحلبة عندنا على سبيل المثال لـــم تبحث وتستغل بالشكل المطلوب ، رغم انه مسرح موجود معماريا في بصرى وتدمر . هناك فارق بين ان تكون الحلبة اعلى او اخفض من الجمهور ، ان تكون دائريـــة او مستطيلة ، ان يجلس الجمهور حول منصة التمثيل ام ان تحيط منصات التمثيل به من الجهات الاربع . (وقد تلمست هذا من خلال مشاهداتي المسرحية في العالم

من جهة ، ومن خلال تجربتي في الاخـــــراج لمسرح الحلبة خضتهما مع الهواة : « أنتيغون » سوفوكليس ، و « هاملت » شكسبير . ان محاولة صنع مسرح فقير هي محاولة هامة ، فهي تعني اعادة المسرح الى تلمس اصوله ، كما تعني العنـــاية بالجانب الاخر الذي اهمله مسرحيونا لحساب المتفرج ، الا وهو التمثيل . بالتأكيد فان كلاسيكية عروض البداية هي خطوة نحو كسر هذه الكلاسيكية في المستقبل عن طريق تجريب بلا حدود . وهذه الدعوة ليست ظرفا شكليــا محضا ، فهي ترتبط بأهداف اوسع ، كما حدث حين قدمت مسرحية محمود دياب « الهلافيت » في قرية مصرية على الطبيعة دون اكسسوارات وديكورات ، وكما حدث حين قدم الطيب الصديقي احد عروضه في ملعب كبير لكرة القدم مستخدما في العرض المسرحـــي فرسانا وخيولا ومدافع . هذه عودة الى الاصول ، الى متعة السيرك ، واحتفـــال الحلبة ، وبهجة الفن . هذه ايضا خطوة مستقبلية ، تجريبية ، ورائدة .

مسرح الممثل اذن هو ما ادعو اليه ، مسرح يفجر الطاقات الخلاقة في لحظة تألق داخلية كالصلاة ، خالقا رعشة الاتصال بين الممثل والمتفرج ، محققا لحظة صوفية فيها كالمناجاة والتلقي فيها كالالهام . ليست جميع الوسائل الاخرى من ديكور ومكياج واكسسوار واضاءة سوى عناصر مساعدة فقط على تحقيق هذه الصلة . مسرح الممثل هو تقديم ما هو واقعي في اطار لا واقعي ، وهو تقديم كل ما هو لا واقعي بشكل واقعي ومقنع . ان على المسرح ان يكون نابعا من مصلحة الجماهير العريضة المسحوقة، لكنه يجب الا يكون مستسلما لتذوقها الاولي وتسليتها الخالصة. ان الجماهيرية هي في الهدف الفكري ، وليس في مدى الاقبال على المسرح فقط ، لكن تحقيق الهدفين معا هو الغاية النهائية . ليس على المسرح العربي اليوم ان يكون ملكية اقليمية ، وانما عليه ان يزيد من التحامه بآخر النتائج التي توصل اليها العالم ، وان يزيد من تأثيره وتواصله مع مجتمعه فكريا وفنيا ، وذلك عن طريق تمثل همومه وتجسيدها ، وعن طريق التجريب في الشكل الفني للتوصيل .

مقابلة مع

روي باترسباي

قام الناقد السينمائي عدنـــان مدانات باجراء حديث مـع المخرج الانكليزي روي باترسباي الذي نفذ فيلم (الفلسطيني) . وبعد المقابلة بفترة شاهد الفيلم في عرض خاص ، فكتب عرضـا وتحليلا له .

نقدم هنا المقابلة والتحليل معا ، لالقاء الضوء على هذا العمل الفني الذي تم انتاجه بالاشتراك مع مؤسسة السينما الفلسطينية .

في لندن تم تنفيذ فيلم جديد عن القضية الفلسطينية . الفيلم بعنوان « الفلسطيني » وهو من اخراج المخرج المسرحي والتلفزيوني والسينمـائي الانكليـــزي روي باترسباي . ساهمت في العمل في الفيلم كمساعدة اخراج وسيناريو الممثلة المعـروفة فانيسا رودغريف (شاهدنا لها فيلم « بلو اب » من اخـراج انطونيوني) . وكان الاثنان قد زارا لبنان قبل بضعة اشهر ، حيـث قضيا ما يقارب الثلاثة اشهر في تصوير الفيلم واجراء مقابلات شـاملة .

بدأ روي باترسبـــاي عمله الفني كمخرج مسرحي في نوتكنغهام ، حيـــث قدم بعض المسرحيات الكلاسيكية . بعد ذلك انتقل الى العمل في التلفزيون كمخـــزج ، كما عمل في الـ ب ب سي حيث اخـــرج برامج وثائقية واعمالا درامية . عـام ١٩٧٠ كتب سيناريو واخرج فيلم « الجسد » وهو فيلم يمزج بين الروائية والتسجيلية ويعتمد على ممثلين غير محترفين . عام ١٩٧٢ نال فيلمه « دورة الساعة الرابعة » جائزة احسن افـلام السنـــة في التلفزيون . كما فاز فيلمه الاخر «ليدز يونايتد» بنفس الجائزة عام ١٩٧٤ وهو فيلم يتحدث عن اضراب عمالي حصل في مدينة كبيرة . والفيلم يحلل لماذا حدث هذا الاضراب في مدينة لـم تعرف الاضرابات من قبل .

بعد هذا الفيلم وضع اسم روي على اللائحة السوداء ، ومنع من ممارسة الاخراج . في هذه الفترة حقق بعض الافلام الدعائية لصـالح

من جهة ، ومن خلال تجربتي في الاخــــراج لمسرح الحلبة خضتهما مع الهواة :
« أنتيغون » سوفوكليس ، و « هاملت » شكسبير . ان محاولة صنع مسرح فقير هي
محاولة هامة ، فهي تعني اعادة المسرح الى تلمس اصوله ، كما تعني العنـــاية
بالجانب الاخر الذي اهمله مسرحيونا لحساب المتفرج ، الا وهو التمثيل . بالتأكيد
فان كلاسيكية عروض البداية هي خطوة نحو كسر هذه الكلاسيكية في المستقبل عن
طريق تجريب بلا حدود . وهذه الدعوة ليست ظرفا شكليـــا محضا ، فهي ترتبط
بأهداف اوسع ، كما حدث حين قدمت مسرحية محمود دياب « الهلافيت » في قرية
مصرية على الطبيعة دون اكسسوارات وديكورات ، وكما حدث حين قدم الطيب
الصديقي احد عروضه في ملعب كبير لكرة القدم مستخدما في العرض المسرحـــي
فرسانا وخيولا ومدافع . هذه عودة الى الاصول ، الى متعة السيرك ، واحتفـــال
الحلبة ، وبهجة الفن . هذه ايضا خطوة مستقبلية ، تجريبية ، ورائدة .

مسرح الممثل اذن هو ما ادعو اليه ، مسرح يفجر الطاقات الخلاقة في لحظة
تألق داخلية كالصلاة ، خالقا رعشة الاتصال بين الممثل والمتفرج ، محققا لحظة
صوفية فيها كالمناجاة والتلقي فيها كالالهام . ليست جميع الوسائل الاخرى من ديكور
ومكياج واكسسوار واضاءة سوى عناصر مساعدة فقط على تحقيق هذه الصلة .
مسرح الممثل هو تقديم ما هو واقعي في اطار لا واقعي ، وهو تقديم كل ما هو لا
واقعي بشكل واقعي ومقنع . ان على المسرح ان يكون نابعا من مصلحة الجماهير
العريضة المسحوقة، لكنه يجب الا يكون مستسلما لتذوقها الاولي وتسليتها الخالصة.
ان الجماهيرية هي في الهدف الفكري ، وليس في مدى الاقبال على المسرح فقط ، لكن
تحقيق الهدفين معا هو الغاية النهائية . ليس على المسرح العربي اليوم ان يكون
ملكية اقليمية ، وانما عليه ان يزيد من التحامه بآخر النتائج التي توصل اليها العالم ،
وان يزيد من تأثيره وتواصله مع مجتمعه فكريا وفنيا ، وذلك عن طريق تمثل همومه
وتجسيدها ، وعن طريق التجريب في الشكل الفني للتوصيل .

مقابلة مع

روي باترسباي

قام الناقد السينمائي عدنـان مدانات باجراء حديث مـع المخرج الانكليزي روي باترسباي الذي نفذ فيلم (الفلسطيني) . وبعد المقابلة بفترة شاهد الفيلم في عرض خاص ، فكتب عرضـا وتحليلا له .

نقدم هنا المقابلة والتحليل معا ، لالقاء الضوء على هذا العمل الفني الذي تم انتاجه بالاشتراك مع مؤسسة السينما الفلسطينية .

في لندن تم تنفيذ فيلم جديد عن القضية الفلسطينية . الفيلم بعنوان « الفلسطيني » وهو من اخراج المخرج المسرحي والتلفزيوني والسينمائي الانكليـــزي روي باترسباي . ساهمت في العمل في الفيلم كمساعدة اخراج وسيناريو الممثلة المعـروفة فانيسا رودغريف (شاهدنا لها فيلم « بلو اب » من اخـراج انطونيوني) . وكان الاثنان قد زارا لبنان قبل بضعة اشهر ، حيـث قضيا ما يقارب الثلاثة اشهر في تصوير الفيلم واجراء مقابلات شـاملة .

بدأ روي باترسبـــاي عمله الفني كمخرج مسرحي في نوتكنغهام ، حيـــث قدم بعض المسرحيات الكلاسيكية . بعد ذلك انتقل الى العمل في التلفزيون كمخــرج ، كما عمل في الـ ب ب سي حيث اخـــرج برامج وثائقية واعمالا درامية . عـام ١٩٧٠ كتب سيناريو واخرج فيلم « الجسد » وهو فيلم يمزج بين الروائية والتسجيلية ويعتمد على ممثلين غير محترفين . عام ١٩٧٢ نال فيلمه « دورة الساعة الرابعة » جائزة احسن افـلام السنـــة في التلفزيون . كما فاز فيلمه الاخر «ليدز يونايتد» بنفس الجائزة عام ١٩٧٤ وهو فيلم يتحدث عن اضراب عمالي حصل في مدينة كبيرة . والفيلم يحلل لماذا حدث هذا الاضراب في مدينة لـم تعرف الاضرابات من قبل .

بعد هذا الفيلم وضع اسم روي على اللائحة السوداء ، ومنع من ممارسة الاخراج . في هذه الفترة حقق بعض الافلام الدعائية لصـالح

حزب العمال الثوري الانكليزي .

وفي حديث اجريناه معه بعد ان احضر نسخة الفيلم الجاهزة الى بيروت قال روي باترسباي عن فيلمه « الفلسطيني » :

« تتبعنا انا وفانيسا رودغريف احداث القضية الفلسطينية ، وبشكل خاص احداث لبنان . لقد فهمنا صراع الفلسطينيين من اجل حقهم في العودة لوطنهم ولتأسيس دولة ديموقراطية ، فهمناه على انه القضية الرئيسية لنضال كل العرب ضد الامبريالية والصهيونية .

اننا نعتقد ان الشرق الاوسط هو مركز صراع الناس في العالم ضد خطر حرب امبريالية جديدة . والنضال الفلسطيني هو مركز هذا النضال ايضا .

في الغرب توجد عند الرأي العام ، معلومات وتصورات خاطئة عن معنى النضال الفلسطيني وعن طبيعة العدوان الاسرائيلي . لذلك اعتقدنا ان المهم هو عمل فيلم للناس العاديين في كل مكان وخاصة لليهود الذين هم غير صهيونيين . على هؤلاء الناس ان يشاهدوا شيئا من الحقيقة عن النضال الفلسطيني العادل . اننا نشارك الفلسطينيين رأيهم في ان الحل العادل الوحيد للمسلمين والمسيحيين واليهود هو تأسيس دولة يمكن ان يعيش فيها الجميع بسلام .

لهذا اردنا ان نصنع الفيلم ونشرح هذه الاشياء . وان نعرف الناس على من هم الفلسطينيين حقا ، فهم لا كما يعرف الناس في اوروبا عنهم ، انهم ضحايا مؤامرة امبريالية ، لكنهم رفضوا المستقبل الذي ارادت الامبريالية فرضه عليهم . لذلك قرروا وضع نضالهم من اجل مستقبلهم بين ايديهم . لهذا حاولنا في الفيلمان نعرف كل جوانب القضية الفلسطينية، وبشكل خاص جانب الكفاح المسلح . غير اننا اهتممنا ايضا الى جانب قضية السلاح ، بمسألة تحويل المخيمات لبناء مستشفيات وبناء مدارس وصنع مشاغل ، ولانتاج جيل جديد .. هو حسب تجربتنا اثناء الاخراج - يعد من الاروع والاكثر شجاعة بين الناس في العالم . ان من التقينا بهم اثناء اخراج الفيلم هم بمثابة الالهام للناس العاديين في كل مكان . ان هؤلاء الذين طردوا من فلسطين ، والذين اغتصب منهم كل شيء : الاراضي والبيوت والثقافة والتاريخ ، قد اعادوا بناء نفسهم كأناس ملهمين لكل مناضل ضد الامبريالية . ونحن نتفق مع ما ذكره ابو عمار في الفيلم ، من انه لصعب جدا ان يدرك الناس اليهود ان نضال الثورة الفلسطينية هو من اجلهم ايضا .

□

□ هل حاولت ان تدرس في الفيلم النواحي التاريخية للقضية الفلسطينية ؟

□ هل حاولت ان تدرس في الفيلم النواحي التاريخية للقضية الفلسطينية ؟

- الفيلم ليس محاضرة . انه محاولة لجذب الفلسطينيين واللبنانيين نحو الاخرين . انه لا يسعى لدراسة مسائل تاريخية ، ولكنه الفيلم الاول الذي فيه الفلسطينيون واللبنانيون يتحدثون بأنفسهم . في الفيلم ، الاطفال يتحدثون ، الشيوخ ، المقاتلون والمعلمون والخ ...

□ ثمة الكثير من الافلام التي صنعها اوروبيون اصدقاء للقضية الفلسطينية ، فهل اطلعت عليها قبل انجاز فيلمك ؟

- في الواقع لم اشاهد افلاما من هذا النوع . عندنا التلفزيون يعرض بعض التقارير او التحقيقات السريعة والقصيرة ، ولكن لا توجد افلام كاملة . في التقارير يمكن مشاهدة لقطات لبعض المقاتلين كما يمكن مشاهدة لقطات من مخيم صبرا او شاتيلا . لكن الفلسطينيين يقدمون كلاجئين من ناحية وكمقاتلين من ناحية اخرى . وهذا كل شيء . لا تحليلا حقيقيا للمسألة . فمثلا يتم كليا تجاهل دور الامبريالية البريطانية في المسألة الفلسطينية ، مثلما يتم تجاهل الطبيعة العدوانية لاسرائيل ، والتي تقدم دائما كدولة محاصرة .

□ ما هو وضع السينما المقابلة اذن، اي السينما الصهيونية ؟

- الصهيونيون يستعملون السينما بوعي . فلنذكر فيلم « الخروج » وهو فيلم اميركي طويل . ان حادثة عينتيبي سرعان ما تحولت الى مجموعة افلام عرضت في ارجاء العالم

ورافقتها حملات دعاية واسعة . الافلام الصهيونية تؤثر في الناس ، لانها تمثل اسرائيل كدولة لشعب اضطهدوا يوما من هتلر ، والان يواجهون اضطهادا مشابها من قبل العرب . هذه الافلام تتجاهل ان اسرائيل هي المعتدي . وانها ترسانة سلاح معبأة من قبل الامبريالية الاميركية . هذه الافلام لا تذكر ان مناحيم بيغن مثلا ، كان مسؤولا عن مجزرة دير ياسين ، تلك المجزرة التي لا تقارن من حيث وحشيتها مع اي وحشية قام بها النازيون ضد اليهود . كل هذه الاشياء لا تحكى . وعندما يقوم بعض الصحافيين او المخرجين السينمائيين بمحاولة قول الحقيقة ، فانهم يتعرضون للضغوطات التي تهدف الى اسكاتهم . هذا ما حدث مثلا مع « صنداي تايمز » التي نشرت تحقيقات حول تعذيب المساجين العرب في سجون اسرائيل .

اعتقد ان الفلسطينيين ومنظمة التحرير بشكل خاص ، ليسوا ضد اليهود . فلم يكن هناك اي تمييز ضد اليهود في فلسطين ، ولكن الان ثمة اضطهاد حقيقي لعرب فلسطين في اسرائيل بواسطة الصهيونية .

□ ان الفيلم ملئ بالمقابلات ، وهو طويل جدا ، الا تعتقد ذلك ؟

- نعم الفيلم طويل . انه يبلغ ساعتين وسبعا وثلاثين دقيقة . الفيلم طويل ، والمقابلات كثيرة . ولكن المهم بالنسبة لي هو ان الناس تتحدث فيه ، انني اعطي المجال امام الفلسطينيين لكي يقولوا حقيقتهم . ان الجمهور الغربي يتعرف الى الانسان الفلسطيني الذي طالما شوهته الدعاية المضادة . الناس في الفيلم تتحدث وهذا يستحق بعض الوقت . والفرصة ليست موجودة دائما لانتاج افلام لصالح القضية الفلسطينية بالنسبة لنا .

على كل حال اود في نهاية الحديث ان اذكر الحقيقة التالية ... ان مصور الفيلم هو يهودي ، ولكنه غير صهيوني . انه يعاني مثل الفلسطينيين ، ذلك انه كان يعيش في جنوب افريقيا ثم طرد منها بسبب مواقفه المعادية للعنصرية . المصور هو ايفن شدازبرغ وهو لاجئ ايضا ...

هذا وتجدر الاشارة الى ان الفيلم قد نفذ بالتعاون مع مؤسسة السينما الفلسطينية ، التي قدمت الخدمات البشرية والتقنية الضرورية لانتاج الفيلم .

اجرى المقابلة عدنان مدانات

ملاحظة : تم اجراء المقابلة قبل مشاهدة الفيلم وهذا سبب عدم نقاش الافكار المطروحة في التحليل الدرامي اللاحق للفيلم مع المخرج نفسه .

(ع . م)

صدر عن دار ابن رشد

كورنيش المزرعة - بناية موسى - بيروت

- ☐ التخلف العربي والتحرر العربي ـ محمد حافظ يعقوب
- ☐ الفهد (رواية) ـ حيدر حيدر
- ☐ نورما .. ورجل الثلج / قصص / ـ يحيى يخلف
- ☐ الملك هو الملك / مسرحية / ـ سعد الله ونوس
- ☐ الحمار / رواية / ـ تأليف غونتر ديرون ـ ترجمة صنع‌الله ابراهيم
- ☐ انهم يقتلون الجياد ـ تأليف هوراس ماكوي ـ ترجمة نوح حزين
- ☐ استمع أيها الصغير / حديث عن الحرية الى رجل الشارع / ـ تأليف ولهلم رايش ـ ترجمة أسامة حامد
- ☐ الحرب في بر مصر (رواية) ـ يوسف القعيد

يصدر قريبا

- ☐ الصبار / رواية / ـ سحر خليفة / بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
- ☐ جسر على النهر الحزين / قصص / ـ محمد علي طه / بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
- ☐ الى الجحيم أيها الليلك ـ سميح القاسم / بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تحليل فيلم الفلسطيني

من الناحية الدرامية

بقلم : عدنان مدانات

« الفلسطيني » ، ليس هو الفيلم الوحيد المصور من قبل اوروبيين عن القضية الفلسطينية ولصالحها . حتى الان ثمة الكثير من هذه الافلام ، التي انتجت سواء في بلدان المعسكر الاشتراكي (مثلا ، الفيلم المجري « متى سيكون السلام تحت اشجار الزيتون ») او في البلدان الاوروبية (مثلا ، « كل شعب مضطهد له الحق ... » وهو من هولندا) ، او في امريكا ذاتها (مثلا ، « ثورة حتى النصر » من انتاج جماعة نيوز ريل) .

هذه الملاحظة الاولية ضرورية ، طالما تساعدنا على استيعاب حقيقة ، انه ليس ضروريا او الزاميا علينا الانبهار امام كل فيلم اوروبي صديق لقضيتنا ، وانه صار لزاما علينا ايجاد اسس موضوعية لتعاملنا الدعائي السينمائي مع قضيتنا ، اسس ، تواكب بطبيعة الحال ، المستوى الفعلي الذي وصلت اليه القضية الان .

سينما النوايا الطيبة

■ ان فيلم « الفلسطيني » الذي اخرجه روي باترسبي بالتعاون مع الممثلة البريطانية المعروفة فانيسا رودغريف ، هو فيلم صديق في كل الاحوال ، ينتمي الى ما يمكن ان نسميه بسينما « النوايا الطيبة » . ولكن هذا وحده لا يكفي . لا يكفي ان نردد ما ذكره المخرج في المقابلة معه من ان « الفيلم طويل والمقابلات كثيرة . ولكن المهم بالنسبة لي هو ان الناس تتحدث فيه » . اذ لا يكفي ان « تتحدث الناس » ، بل يجب عليهم التحدث بطريقة معينة وضمن سياق خاص ، بحيث يصدقهم الاخرون ويفهمونهم ويتعرفون عليهم جيدا ويقتنعون بما يقولون .

صدر عن دار ابن رشد

كورنيش المزرعة - بناية موسى - بيروت

تحليل فيلم الفلسطيني

من الناحية الدرامية

بقلم : عدنان مدانات

« الفلسطيني » ، ليس هو الفيلم الوحيد المصور من قبل اوروبيين عن القضية الفلسطينية ولصالحها . حتى الان ثمة الكثير من هذه الافلام ، التي انتجت سواء في بلدان المعسكر الاشتراكي (مثلا ، الفيلم المجري « متى سيكون السلام تحت اشجار الزيتون ») او في البلدان الاوروبية (مثلا ، « كل شعب مضطهد له الحق ... » وهو من هولندا) ، او في اميركا ذاتها (مثلا ، « ثورة حتى النصر » من انتاج جماعة نيوز ريل) .

هذه الملاحظة الاولية ضرورية ، طالما تساعدنا على استيعاب حقيقة ، انه ليس ضروريا او الزاميا علينا الانبهار امام كل فيلم اوروبي صديق لقضيتنا ؛ وانه صار لزاما علينا ايجاد اسس موضوعية لتعاملنا الدعائي السينمائي مع قضيتنا ، اسس ، تواكب بطبيعة الحال ، المستوى الفعلي الذي وصلت اليه القضية الان .

سينما النوايا الطيبة

■ ان فيلم « الفلسطيني » الذي اخرجه روي باترسبي بالتعاون مع الممثلة البريطانية المعروفة فانيسا رودغريف ، هو فيلم صديق في كل الاحوال ، ينتمي الى ما يمكن ان نسميه بسينما « النوايا الطيبة » . ولكن هذا وحده لا يكفي . لا يكفي ان نردد ما ذكره المخرج في المقابلة معه من ان « الفيلم طويل والمقابلات كثيرة . ولكن المهم بالنسبة لي هو ان الناس تتحدث فيه » . اذ لا يكفي ان « تتحدث الناس » ، بل يجب عليهم التحدث بطريقة معينة وضمن سياق خاص ، بحيث يصدقهم الاخرون ويفهمونهم ويتعرفون عليهم جيدا ويقتنعون بما يقولون .

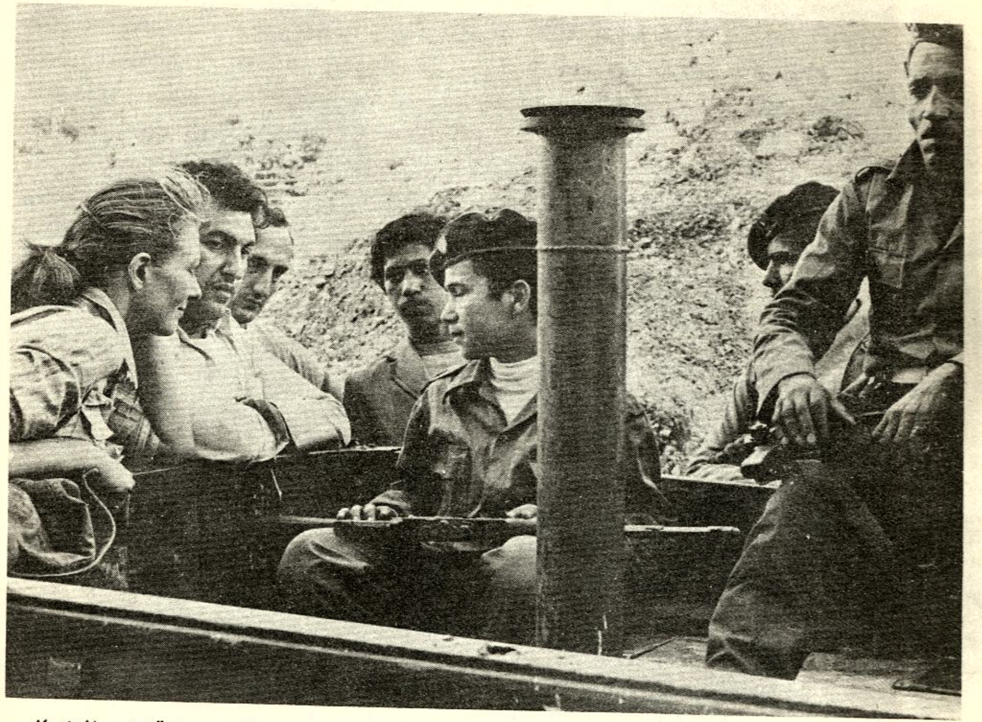


لقطة عمل من فيلم « الفلسطيني » • اثناء اخراج مشهد معركة في جنوب لبنان •

هنا ومن منطلق « النوايا الطيبة » المقابلة سنحاول تقديم تحليل نقدي موضوعي لهذا الفيلم ، على امل الاستنارة من التجربة مستقبلا .

خصائص اسلوبيــة

■ على الرغم من ان الفيلم ينتمي الى النوع التسجيلي من السينما ، الا انه من الواضح ، غلبة العنصر الروائي عليه في اكثر من مقطع . هذا النوع من السينما التسجيلية ليس جديدا ، والامثلة كثيرة علـــى ذلك خاصة في السينمـــا الاميركية التسجيلية ، غير ان معظم هذه الافـــلام كانت تجعل العنصر الـــروائي يخضع لاسلوبية النوع التسجيلي ، اي ان هذه الافلام كانت تستفيد من بعض الحقائق الروائية وتستخدمها لزيادة التأثير بعد اعطائها طبيعة تسجيلية . ومن الامثلة على ذلك فيلم تسجيلي اميركي قديم استخدم عنصر التمثيل وهو فيلم «العين الغاضبة» . في هذا الفيلم امرأة وحيدة حزينة تعاني ... انها تشرح في جمل قليلة بين حين واخر مشكلتها للجمهور وتمارس حياتها امامه . وهي تتجول في مدينتها ترى كل ما يحدث فيها ، في الشوارع والحانات واماكن اللهو او العمل . في النتيجة المـــرأة الوحيدة الحزينة (المستعارة كوسيلة تعبير من الفيلم الروائي) تصبح وسيلة لكشف مظاهر فعلية في مدينتها هي مظاهر البؤس و القسوة الاجتماعية . انها تتحدث وتربط بين



لقطة عمل من فيلم «الفلسطيني» • فانيسا ردغريف تتعاطف مع المقاتلين الاشبال •

مشكلتها الخاصة ومشكلة مدينتها او مجتمعها .
فيلم « الفلسطيني » ايضا يستخدم الممثلة فانيسا رودغريف ، ولكن الفيلم
لا يطوع دائما العنصر الروائي باتجاه النوع التسيجلي ، بل يخلط في احيان كثيرة
بينهما ، مما يؤدي الى تناقض اسلوبي في الفيلم . وهنا يجب ملاحظة خطر ذلك
على قدرة الفيلم على التأثير ... اذا كانت الخاصة الاساسية التأثيرية في الفيلم
التسجيلي تنتج عن عقلانيته وعن كونه يقدم « وثائق » ، فان بروز العنصر الروائي
بشكل واضح ، يفقد الفيلم حكما ، الكثير من تأثيره .
ان فانيسا رودغريف ، تمارس دورين في الفيلم : وثائقي وروائي . فهي اولا
تلعب دور الصحافي الذي يدور بين الناس ويجري معهم المقابلات . وهي تعلق على
الاحداث احيانا . غير انها من ناحية ثانية تنسى احيانا دور الصحافي لتلعب دور
الممثل . مثلا ، هناك مشهد في الفيلم تتحدث فيه امرأة بالعامية الفلسطينية ، وفانيسا
رودغريف تستمع دون ان تفهم اللغة ، ولكنها في نفس الوقت « تؤدي » بعض
الانفعالات اثناء الاستماع ، وهي انفعالات لا تتطابق دوما مع حديث المرأة . كما
ان بعض المشاهد في الفيلم وخاصة في نصفه الثاني ، مخرجة روائيـــا بمشاركة
فانيسا نفسها ، بل انه يمكن ملاحظـــــة بعض الاداء التمثيلـــي حتى في المقابلات
التي تجريها والتي تبدو فيها هي شخصيا ضمن اطار الصورة . والعنصر الروائي
البارز لا يقتصر على وجود فانيسا وحدها ، بل يتعداه في اكثر من مشهد ، الـــى

طبيعة الاخراج . وعلى ذلك ، يمكن ايراد ثلاثة امثلة دالة ، المثال الاول : مشهد تسلل المقاتلين في الجنوب وهو تسلل مصنوع خصيصا للكاميرا ، حيث على الاقل ، المتسللون يتجهون نحو الكاميرا وبحركات جد متوافقة مع حركات الكاميرا! (وهذا امر ليس من السهل حدوثه في حالة التصوير التسجيلي) . المثال الثاني : مونتاج معركة على الشكل الاتي : المقاتلون ذاتهم يطلقون النار من البنادق الرشاشة في منطقة سهلية مليئة بالاعشاب الطويلة (هنا الكاميرا تقف خلفهم) ويتداخل ذلك مع اطلاق مدافع هاون من منطقة قلعة شقيف الصخرية الجبلية (كنا قد شاهدنا ذات المدافع تطلق في مشهد سابق) هذا وان التركيب المونتاجي للمشهد يوحي بأنه مشهد واحد ، وهو ليس على طريقة المونتاج المتوازي (عرض حدثين مختافين في المكان بالتوازي) . المثال الثالث : مقابلة مع ابي عمار . يتحدث ابو عمار ثم ينهي حديثه . يتوقف ، ينظر نحو الكاميرا . يشعر انه مطالب بالاستمرار في الكلام . « يفتعل » حديثا جديدا . ينهي الحديث الجديد .. يشعر مرة اخرى أنه عليه ان يستمر . يستجيب لذلك ... في النتيجة يفقد الحديث عفويته ويصبح حديثا « امام الكاميرا » .. اي حديثا تمثيليا .

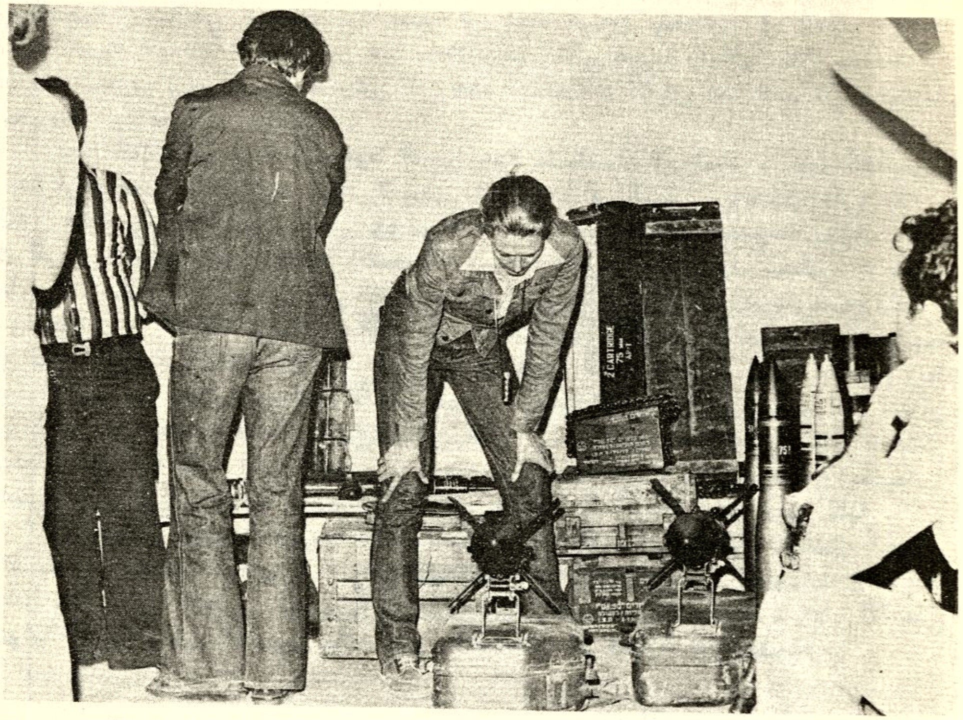
ان استخدام ممثل او شخصية اساسية تقود احداث الفيلم التسجيلي ، صار امرا مألوفا الان في السينما التسجيلية المعاصرة ، ولكن هذا الاستخدام لا يجب ان يقود الى ان يعتمد الفيلم كله على المقابلات (على الاقل من الناحية الاسلوبية) ، بل يجب ان يؤدي الى ان يصبح الفيلم « قطعة حية من الحياة » . فالممثل او الشخصية الرئيسية ، حتى وان اجرى احاديث مع شخوص الفيلم ، فانها لا يجب ان تكون على شكل مقابلات جافة ، بل حوارات مأخوذة من الحركة ؛ اثناء العمل والفعل الملموس . على كل حال ، وحتى لا نظلم فيلم الفلسطيني ، فانه من هـذه الناحية ، ثمة الكثير من المشاهد الحية . ولكن هذا لا ينطبق على الفيلم ككل .

بنيــة الفيــلم

■ يجمع الفيلم التسيجلي في ابسط حالاته بين صيغتين : تحليلية واعلامية . الفيلم التسجيلي يقدم معلومات ويحللها ويخرج منها باستنتاجات او تعميمات فنية وفكرية . هذا يعني ضرورة ربط المعلومات المقدمة في نسق ذي نظـام خاص ، وتوجيهها نحو خدمة الفكرة الرئيسية في الفيلم . وهذا يعني ايضا تحديد ما هي العناصر الاهم في هذه المعلومات وتحديد سلم الاولويات بحيث يكشف الجزئي عن الكلي وبحيث يفسر الكلي الجزئي . والمهم ايضا ان تكون المعلومات معاصرة ، او على الاقل ، وان تناولت موضوعا تاريخيا ، عليها ان تجيب على اسئلة تهم المشاهد المعـاصر .

ان اي خطأ في بناء الفيلم ، سيقود حتما الى اضعاف الفكرة المركزية الرئيسية والى اضعاف التحليل . كما ان عدم تحديد هذه الفكرة والانطلاق منها يقود بدوره الى اضعاف بناء الفيلم . ويصبح هذا الامر اكثر وضوحا عندما تتعامل فكرة غير « معاصرة » مع مادة « معاصرة » .

ان فيلم « الفلسطيني » كما هو واضح عند مشاهدته ، او من خلال المقابلة مع المخرج ، يسعى الى ان يتكلم الفلسطينيون بأنفسهم عن حقهم في الكفاح المسلح وبناء مؤسساتهم . ولكن هذه الفكرة في الفيلم تقود الى عـدم طرح القضية على المستوى الذي وصلت اليه حاليا . كما انها تبدو مشتتة وغير مخدومة من ناحية



لقطة عمل من فيلم «الفلسطيني» . فانيسا ردغريف تتأمل اسلحة اسرائيلية مصادرة .

البنـــاء .

يبدأ الفيلم من الحديث عن مشكلة جزئية جدا . وذلك من خلال مقابلة مع الدكتور يوسف عزيز .. هذه المقابلة المؤثرة جدا من حيث مضمونها وصدقها ، لا يمكن ان تكون بداية سليمة للفيلم ، ذلك انها تقدم دون ان تسبقها المعلومات الكافية ! ان الدكتور لا يشرح مشكلة تل الزعتر ، بل مشكلة فقدان الدواء والماء . وتقديم هذه المقابلة منذ البداية يفترض مسبقا معرفة الجمهور بتفاصيل ما حصل في تل الزعتر ، وما هو موقع معركة التل من القضية كلها . وهذا افتراض وهمي وغير واقعي . (ولنذكر هنا ، ان هذه المقابلة المقسمة الى ثلاثة مقاطع في الفيلم تستغرق ما لا يقل عن ثلث ساعة ، ويدور فيها الحديث عن الشيء نفسه) . بعد هذه المقابلة المطولة ، ثمة مقابلات اخرى مع سكان تل الزعتر ، كل منهم يحكي همه للمتفرج . وفي النصف الاول من الفيلم يتم الانتقال بشكل سريع بعد عرض الحالة في المخيمات ، الى الحديث عن ضرورة الكفاح المسلح (هنـاك الكثير من التركيز على الاشبال) وعن بناء الثورة للمؤسسات الخاصة بها (صامد ، والهلال الفلسطيني والخ) . كما ان النصف الاول ينتقل بشكل مفاجيء ايضا الى المشكلة اللبنانية الفلسطينية من خلال مقابلات مع قادة اليمين اللبناني . وهذا الانتقال لا يأخذ بعين الاعتبار الصراع اللبناني — اللبناني ، اي مواقف الحـركة الوطنية

وبرنامجها الاصلاحي ، وهذا ما يفسر ان قادة اليمين يتحدثون في الفيلم ، ولكن قادة الحركة الوطنية لا يتحدثون فيه . النصف الثاني ايضا يشكل انتقالا مفاجئا الى مشكلة الجنوب ومع اهمية التعرض الى هذه المشكلة ، الا ان هذا التعرض لا ترافقه المعلومات والتحليلات الكافية .

هذا التشوش في البناء يقود الى عدة مشاكل في الفيلم ، منها التطويل والتكرار ومنها ايضا وجود مواد لا يبدو ما يبررها في الفيلم . وكمثال على ذلك ، نذكر مقابلة زوجة الشهيد هاني جوهرية ، حيث فجأة وبعد مجموعة مقابلات عن تل الزعتر ، نرى صورة زوجة الشهيد ، وصوت فانيسا رودغريف تسأل : « هند ، كيف مات هاني » . اما من هي هند ومن هو هاني فان الفيلم لا يهتم بتوضيح ذلك . (والحقيقة ان المقابلة في اي فيلم ، هي ليست بأي حال من الاحوال حديثا حميما بين صديقين) . والمثال الاخر ، هو تقديم مصطفى الكرد فجأة في اغنية . دون ربط هذه الاغنية بما سبقها او تلاها ، على عكس الاغنية الاخرى التي يقدمها احد سكان تل الزعتر في جلسة عامة لبعض سكان التل ، حيث بعد حديث عن التل ، يذكر احد الرجال انه كتب اغنية يشرح فيها ما حصل في التل ، وانه يريد أن يغنيها . وعندما يقدم الفيلم الاغنية ، فهو ينتقل الى مشاهد تل الزعتر وهو مدمر كليا .

والمحصلة النهائية لطريقة بناء الفيلم ، لا تقود الى تحليل متكامل لجوهر القضية في ابعادها المعاصرة ، ولا تقدم ما يشبع الجمهور من المعلومات (خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار الجمهور الاوروبي) بل ان هذه المحصلة لا تدل الا على النوايا الطيبة وعلى الشعور بالتضامن والتعاطف مع الثورة الفلسطينية .

ملف الشعر

الخالدان
الشعب والموطن

شعر : أبو سلمى

دمي روى فلتصمت الألسن — أروعُ شعر القلبِ لا يُعلن
ما أبلغ الصمت اذا ما روى — مأساةَ شعبي ، قلبيَ المثخن
يعبقُ شعري بشذا موطني — لولاه لا يزكو ولا يحسن
شعريَ جِسر يلتقي فوقه — أهلي بما يحلو وما يَشجن
وكَلُّ شعر لم يصُغه الهوى — وتربتي السمراءُ ، مُستهجن
وكل حرف لم يكن نوره — مُقتبساً من نارنا ، يُلعَن
نُقصَف كالأرماح لا ننثني — في الروع أو نخضع أو نُذعِن
ولا نُبالي في سبيل اللقا — نُقتل أو نصلب أو نُسجن

يا وطني !.. حتَّام لا نلتقي — وأنتَ في قلوبنا تسكن
باعوك بخساً ، ليتهم أدركوا — أنَّك من عالمهم أثمن
وذرة منك تساوي الدنى — بل أنت من كل الدنى أوزن
ليست روابي الخلد أحلى الربى — أحلى الربى «الرامة» و «اللبَّن» (١)
على ذراها النجم يغفو هوى — وحوله الزعتر و « الفيجن » (٢)
تغزل للشمس بُنيَّاتُنا — وشاحها فكيف لا يَفتنُ ؟!
ألغارُ لا يُزرع في أرضنا — وانما في أرضنا يقطن
نحن فلسطين ... وفينا نمت — عبر الزمان ، الشام والأردنُ
كرومها نحن وزيتونها — نحن رُباها الخُضر والأعين
نحن فلسطين ... وتاريخها — فيه سنى ثوراتنا يكمنُ
وكل شعب ثائر يشتري — حُريَّة بالدم لا يُغبَن
ضمائر الأمة تحيا على — جراحنا ، وهي التي تحضن
قالوا : كتاب النصرِ جئنا بهِ — يكفي بأن نقرأَ ما عنونوا
ما شهر « تشرين » اذا لم يُعد — لي بيدري والكرمُ والمسكن
وأيُّ نصر وأنا لم أزل — مُشرداً وليس لي موطن

□

هل لي في « الأوراس » رجع الصدى — أم انطوى الجوهر والمعدن
أهلي هنا في السَّاح أم غيرهم ؟! — حيَّرني الأغبر والأدكن
همُّهم التحرير ، عهدي بهم — فهل تناءى الهمُّ والديدن
دماؤهم مشبوبة ثرَّة — لو جَمدت دماؤهم تأسن
ما بالُهم ؟! هل أجبلت أرضهم — أم أظهرت غير الذي تُبطِن
هل خمدت جذوتُهم أم خبا — لهيبُها أم قرت الأعين

□

١ ـ الرامة في الجليل الغربي ، واللبن ، في الضفة الغربية .
٢ ـ عشبة عطرية برية توضع في الزيتون .

غابت وراء النار أرضُ الحمى والقدس في الدمع و « بومدين » (١)
سيناءُ والجولان لن يقبلا فكلّهما والأصل مسترهن
ان لم تصل بينهما بلدتي لا مغرب أو مشرق مُحصن

□

ما لبني قومي يلوموننا قالوا : لنا الواقع والممكن
هل ذنبنا حب « فلسطيننا » وأهلنا عن ذاك لن ينثنوا
يا ظالمي شعبي !.. ألم تعلموا أن العدى ظلمُهمُ أهون
شعبيَ يكفيه جراحاتُهم وأي جنب فيه لم يطعنوا
تبنونَ من أشلائنا قمة وشعبنا في قاعها يُدفن
وكيف تدعون الى وحدة وليس فيها قلبُها المؤمن

□

فتيانُ قومي استُشهدوا وحدة ونحن في تمزيقها نُمعِن
يا عصبة « النجار » (٢) أنتِ التي جعلتِ أهل الكون أن يؤمنوا
أنّ فلسطين لأبنائها وأنّهم على الردى وطنوا
أعراسهم تسابق في الفِدا قد انحنى الموت ولم ينحنوا
نزرعُ بالموت على أرضنا حياتنا نحن ، ومن يجبن ؟!
وكيف يسقي الدم أرضي ولا تُخصبُ والأشجار لا تُغصِن
على لظى أحرارنا وحدهم تُذوِّبُ الأغلال أو تُطحن

□

(١) وقف « بومدين » وقف اسلامي في القدس مجاور للمسجد الاقصى أقيم عليه حي المغاربة ، وقد محته اسرائيل من الوجود .

٢ ـ الشهيد محمد يوسف النجار ، ووحدة فدائية انتحارية تحمل اسمه ، قامت بمعركة فندق « سافوي » في تل ابيب .

لا يحطم القيد الزعيم الذي ان هبط الوحي بدا يرطن
يحكم باسم الشعب لكنّما وراءه المستعمر المُزمنُ
الظالم الباغي على شعبه على العدوِ الناعمُ اللّيّن
زَوَّر للناس شعاراتهم واختلط الغامضُ والبيِّن
فأيمن ظاهره أيسر وأيسر ظاهره أيمن
ومحزن باطنه مضحك ومضحك باطنه محزن
ان لم يول الشعب حكامه فالحكم لا يغني ولا يُسمِن

□

متى نرد الليل عن دارنا ويدلفُ الصبح ويستوطِنُ
ويُرجعُ الشحرورُ ألحانه وينتشي « المجوز » والأرغن
ينتظر السّفحُ خُطى أهلنا لِينبُتَ الريحانُ والسوسنُ
والمسجد الأقصى يناديهمُ غابوا فما صلّوا ولا أذّنوا
وكيف تُهدي الفجرَ أعلامهُ وجُنحُ هذا الليلِ لا يظعنُ
كأننا نسير في مهمه دليلهُ الجاهل والأرعنُ

□

يا وطني !... لا تأسَ انّا على عهدكَ ، مهما طالت الأزمنُ
تفنى الزعامات وأشباهها والخالدان : الشّعبُ والموطنُ

تــل الـزعتـر

(من قصيدة طويلة)

شعر : حسن البحيري

حسن البحيري ، شاعر فلسطيني كبير ، وعلامة لغوي بارز ، ولد في مدينة حيفا الفلسطينية ، اواخر الحرب العالمية الاولى ، له اربع مجموعات شعرية مطبوعة هي « الاصائل والاسحار ــ القاهرة ، ١٩٤٣ » و « افراح الربيع ــ القاهرة ، ١٩٤٤ » و « ابتسام الضحى ــ القاهرة ، ١٩٤٦ » و « حيفا في سواد العيون ــ دمشق ، ١٩٧٣ » ، وله عدد من المخطوطات تتضمن القصة ، والشعر ، والخاطرة ، والحديث الادبي ، والتعليق السياسي ، وقد ثبت عناوينها في نهاية مجموعته « حيفا في سواد العيون » .

كتب عن الاستاذ البحيري الكثير ، وابرز ما كتب عنه كتاب الشاعر هارون هاشم رشيد « حيفا والبحيري ــ ٤٩٦ صفحة من القطع الكبير ، طبع في دمشق عام ١٩٧٦ » . وثمة رسالة ماجستير عن شعر حسن البحيري وضعها صلاح الحنطي .

نحن في التل لم نمت بيد أنّا ... قد جعلنا الى الخلود المعرّس (١)

ورفعنا على شموخ ذراه ... مشعل الصبر يستضاء ويقبس

وكتبنا على كريم ثراه ... بالدم الطاهر الزكي المقدس

يصرع الحق كل من صارع الحق ... وتأبى راياته أن تنكس

و (فلسطين) لم تكن لعبة اللا ... عب والنار جمرها كيف يُلمس

وثبتنا فبات كلّ كفاحٍ ... بشدا (٢) صبرنا يعزّ ويأنس

وجبين الثبات مرتفعاً ما ... نار وجه النهار والليل عسعس

ونزلنا العروق من جذر قلب الأ ... رض نُسغاً يمور في كل مرمس

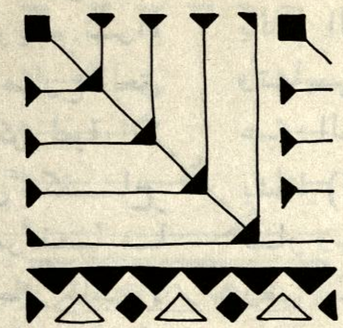
لتعود الفروع في مُقبل الأج ... يال من كل مارد الجذع أشوس

راسخ الأصل مدّ ظلا كريماً ... جلّ في مغرس العُلا وتقدس ..

---

(١) المعرّس : أعرس القوم وعرّسوا ، مالوا وعرّجوا في اخر الليل ليستريحوا ثم ليستأنفوا مسيرهم .

(٢) شدا : بفتح الشين ، حد ، وطرف ، ونهاية الشيء .



منائر الهدى

شعر : حسن البحيري

أي ركب في منهج الحق سائر — مشرق المسجد مستنير المآثر
من ذرى (مؤتة) الطهور الى (القد — س) تجلّى به وضاءُ المفاخر
نثرت عزة وزهو جلالِ — سدرة المنتهى عليه الأزاهر
وحداه الروح الأمين بآيا — ت جهار منزهات الشعائر
ذاك ركب الهدى عليه من اللـ — ـه جلال الرضا ويمن المياسر
والنبيون فيه أعلام نور — والنبوات زغردات بشائر
لم يزل قائلا لسمع الليالي — مقبلات أو مدبرات غوابر
واريات أو كابيات زناداً — دارعات من العلا وحواسر
من قريب من الديار وناء — وجديد من القبور وداثر
في رحاب روّت دمانا ثراها — فتندى بنفح عود المجامر

لم يزل قائلا لكل طريف — وتليد في كل ناد وسامر :
ما غُلبنا ها هنا ولكن سللنا — حد عضب في قبضة الحق باتر
ليعم الأنامَ صبحُ يقين — أفق اشراقه صفاء الضمائر
لا يبالي ، على عناد الرزايا — وعلى كبوة الجدود العواثر
أظلم الدرب أم أضاء فجاجاً — فهو عزم لغاية النصر سائر ..
ما قُبرنا ها هنا ولكن عمرنا — رحم الأرض كي تظل المنائر
باذخات الذُرى تضيء فضاء الـ — ـكون بالنور والهدى والبشائر
ونظلَ الجذور ثابتة الأصـ — ـل تنمي لكل باد وحاضر
شعب المجد دانيات المجاني — وهي تعلو الى النجوم الزواهر
باهرات سنى الشموس ازدهاراً — باسقات على عُلا كل زاخر
وارفات الظلال ريًّا نداها — من شذاها عَبٌّ الربيع المباكر
ظمأُ الدهر من قديم لياليـ — ـه انعطافاً على توالي الأواخر
ما ارتوى كارتوائه من غواد — كُنّ من سحبنا الغيوث المواطر
فبهدي الكتاب بالسّنة السمـ — ـحاء نورِ الأبصار رشد البصائر
قد عقدنا على جبين المعالي — ما جلونا به عبوس الدياجر
وأفضنا للحق منهل نور — باهر الومض دافق الفيض غامر
ما رأت مثل سيبه عينُ ماض — في رياض الهدى ولا عينُ حاضر

□

خَطّ في (مؤتة) الجهاد نشيداً — عبقري السطور فذّ المزاهر
ما تغنت بمثل رجع صداه — مدّ عمرِ الزمان قيثار شاعر
ومن (القدس) في عزيز حماها — نحن حزم آبي الشكيمة صابر
تارة بالمضاء يغدو الى النصـ — ـر وأخرى بخافيات المقادر
فهو في حومة اللقاء عناد — في طواياه مرجل الثأر هادر
ليس يثنيه عن مرامي مناه — كيد طاغ ولا وتيرة غادر
ـ يا ثرى(القدس)لن يقرّبك البا — غي ولن تقشعر منك الدوائر
قد بذلنا لك النفوس رخاصاً — وافتديناك ثائراً بعد ثائر

وسنمضي اليك والليل داج — وسنمضي اليك والصُّبح سافر
من تخوم النجوم من باطن الأر — ض ومن لُجَّة البحار الزواخر
في غموم الهموم في مقل التسـ — هيد تُذري مزن الدموع الهوامر
في هنينِ الحنين في وقدة الشو — ق جواها بحبه القلب واغر
في زحير الأحزان في زفرات الـ — ثكل تدمى على الشفاه الزوافر
في أنين الجراح في لوعة اليتـ — م أطلت من ملهبات المحاجر
في أزيز الرصاص في صيحة الرو — ع اشرأبت بها اليك الحناجر
في ثلوج الشتاء قصفاً وعصفاً — في الأعاصيرِ في حرورِ الهواجر
في هزيمِ الرُّعود في غضب الريـ — ح وجمر الوغى وَريُّ المساعر
والمنايا مواثل فشراب الـ — موت جاثم هو ! وآخر دائر
لم يرعنا من الخطوب دواهيـ — ـها ولم يوهنا ركوب المخاطر
واذا أُترعت كؤوس المنايا — لا نبالي أنَّى تكون المصائر

□

وطن الحب والسَّنا والأماني — والهدى واليقين نور السرائر
يا فلسطين يا أجل كتاب — قد سطرنا فيه أجل المفاخر
ـ بالزكيات من حوامي دمانا — والأبيات من رِهافِ البواتر
يا فلسطين يا أعز تراب — قد كحلنا به سواد النواظر
وغرسنا أعمارنا في ثراه — فنماها من كل أنور زاهر
نحنُ أهلوكِ لا شراذم شذا — ذ البرايا ممن تمج المهاجر
نحنُ أهلوكِ عترة وفروعاً — مشرقات الأحسابِ بيضاً نواضر
فالنبوات من ذرى النسب الأقـ — ـدس فينا وشائج وأواصر
وشموس الايمان من أفقنا الرحـ — ـبِ أضاءت لكل سار وسائر
أمرَ الله أن نظل على الدهـ — ـر لُيوث الوغى ولُسنَ المنابر
والميامينَ عزة ومضاء — نُورثُ المجدَ كابراً بعد كابر

١٠ قصائد

للشاعر السوفييتي الكبير رسول حمزاتوف

ترجمها عن الروسية الى الشعر العربي :

عبد الرحمن الخميسي

أسافرُ في الزمانِ وغُربتي عَجب
ومصرُ تعيشُ في قلبي حرائق
وما بيديَّ أُطفيءُ من لهيبي
فكم علَّقَ لي حبي مشانق
أظلُّ أُحبُّ وجهكِ يا بلادي
ولو أصبحتِ في صدري بنادق

عبد الرحمن الخميسي

وسنمضي اليك والليل داج وسنمضي اليك والصبح سافر
من تخوم النجوم من باطن الأر ض ومن لجة البحار الزواخر
في غموم الهموم في مقل التسـ ـهيد تذري مزن الدموع الهوامر
في هنين الحنين في وقدة الشو ق جواها بحبه القلب واغر
في زحير الأحزان في زفرات الـ ـثكل تدمى على الشفاه الزوافر
في أنين الجراح في لوعة اليتـ ـم أطلت من ملهبات المحاجر
في أزيز الرصاص في صيحة الرو ع اشرأبت بها اليك الحناجر
في ثلوج الشتاء قصفاً وعصفاً في الأعاصير في حرور الهواجر
في هزيم الرعود في غضب الريـ ـح وجمر الوغى وري المساعر
والمنايا مواثل فشراب الـ ـموت جاثم هو ! وآخر دائر
لم يرعنا من الخطوب دواهيـ ـها ولم يوهنا ركوب المخاطر
واذا أترعت كؤوس المنايا لا نبالي أنى تكون المصائر

□

وطن الحب والسنا والأماني والهدى واليقين نور السرائر
يا فلسطين يا أجل كتاب قد سطرنا فيه أجل المفاخر
- بالزكيات من حوامي دمانا والأبيات من رهاف البواتر
يا فلسطين يا أعز تراب قد كحلنا به سواد النواظر
وغرسنا أعمارنا في ثراه فنماها من كل أنور زاهر
نحن أهلوك لا شراذم شذا ذ البرايا ممن تمج المهاجر
نحن أهلوك عترة وفروعاً مشرقات الأحساب بيضاً نواضر
فالنبوات من ذرى النسب الأقـ ـدس فينا وشائج وأواصر
وشموس الايمان من أفقنا الرحـ ـب أضاءت لكل سار وسائر
أمر الله أن نظل على الدهـ ـر ليوث الوغى ولسن المنابر
والميامين عزة ومضاء نورث المجد كابراً بعد كابر

١٠ قصائد
للشاعر السوفييتي الكبير رسول حمزاتوف

ترجمها عن الروسية الى الشعر العربي :
عبد الرحمن الخميسي

أسافر في الزمان وغربتي عجب
ومصر تعيش في قلبي حرائق
وما بيدي أطفيء من لهيبي
فكم علق لي حبي مشانق
أظل أحب وجهك يا بلادي
ولو أصبحت في صدري بنادق

عبد الرحمن الخميسي

- ١ -

ـ أتوقُ أن أرى وجهك ٠٠ أينَ أنتِ يا سعادتي ؟
ـ أنا في القمم التي لم تَرقَ نحوها خُطاكَ بعدُ
ـ هذا أنا فوق الذُرى ٠٠ فأين أنتِ يا محبوبتي ؟
ـ أنا في الأنهرِ التي ما عُمتَ فيها بَعدُ ٠ !
ـ عبرتُ ألف نهر ٠٠ أينَ أنت ؟ أين أنت ؟
ـ أنا في أغنيات ما نظمتَ منها أيَّ بيت
ـ فأين أنت ؟ انني أهدي اليكِ ما نظمت !
ـ أنا في الأمام ٠٠ فاجرِ كي تلحقَ بي اذا استطعت !

- ٢ -

تجهَّمَ قرنُنا العشرونَ ، قطَّب وجههُ غضبا
فنحنُ بنوه عارُ العصرِ ، لعنتُه متى كُتِبا
فما الدنيا رأت من قبلُ هذا الدمَ والكذبا
كما شهدتهُ يغمرُ عصرنا بالخزي مُنسكِبا

وأغمضَ باصريه قرنُنا العشرونَ في تعب ٠ !
فنحن بنوه مجد العَصر صوت العصر في الحسب (١)
فما ناهضت الدنيا من الباطلِ والعطَبِ
كما صدتهُما في عصرنا بعزيمة عَجَبِ !

- ٣ -

كان فتى من أهلِ قريتنا
زوجتُه فاحمةُ الضفائر
وحين بلغا العشرينَ من عمريهما
فرَّقت الحربُ التي تفجَّرت بينهما ٠٠
تجلسُ زوجُ ذاك البطل الذي استشهدَ في العشرين

(١) الحسب : شرف الفعل

أمامَ بيتها ، ورأسُها شيَّبهُ كَرُّ السنين
وابن لها يحملُ ذاتَ الاسمِ ينميهِ (١)
ابن لها أكبرُ عُمراً من أبيهِ ٠ !

- ٤ -

أنا ابنُ الجبالِ ، فلم آكُ طفلا كسيرا
وكم كنتُ أصمدُ للَّومِ والضربات
وكم ذا لوىَ أُذْني والدي مُستجيرا
لفرط جُموحي وما ليَ من غلطات
وهذا أَنا قد علا بيَ عمري ، وهذا زماني
لوىَ أذنيَّ ٠٠ ويلويهما بين حين وحين
كما عازفُ العودِ يلوي مفاتيحهُ بالبنانِ
اذا ما ارتَخى وتر ، وعلا منه نَشرُ لُحون

- ٥ -

وحتى الذي في الأرضِ قسمتهُ عُمرُ
دقائقُ خمس لا تزيدُ ثَوانِيا
مَضى راكضاً فيها يُزاملُهُ المكرُ
كأنَّ قُروناً سوف يحيا تَواليا
وترقُبُ من بُعد جبال صوامتاً
ضجيجَ الورى يعلو عُصوراً جواريا
يُجمِّدُها حُزن كأنَّ حياتَها
دقائقُ خمس لا تزيد مَراقِيا (٢)

(١) ينميه : يرفعه ٠

(٢) المراقي : جمع المرقاة وهي الدرج في السلم ٠

- ٦ -

تباغتُني يا زماني بِطَعني
تعاقبُني باحتقار مرير
تدينُ بيوميَ أخطاءَ أمسي
وتنسفُ وهمي كعالي القصور
ومن كانَ يدركُ أن الحقائقَ تُمسي دُخانا ؟
لماذا تعاقبُني هازئاً بيَ مُنتقما ؟
لقد كنتُ أخطيءُ بالرغم مني جهاراً عيانا
لأنّيَ ردّدتُ ما قلتهُ كَلِماً كَلِما ٠!

- ٧ -

تبكينَ غيرة عليَّ دون جدوى
تُوجِّهينَ اللومَ لي وتَظلمينني
فلو تذكّرتُ النساءَ : فتنة وأخرى
فذاك حين أنت تجرحينني !
وصدّقيني ـ واذا كُنتِ عليها غضبى ـ
ليسَ لتلك المرأةِ دور معي مشئوم
فانها تذكرُني مودة وقربى
لو ان رجلا جرحَها الى الصميم !

- ٨ -

كلما شبَّ قتال بين أبناء الجبال
هرعت نحوهمو احدى نساءِ الحيَ تُلقي
تحتَ أقدامهمو منديلها ضد القتال
عندها كانَ سلاح من أيادي القومِ يهوي
يا نساءَ الأرضِ أسرعنَ الى الغوثِ جُموعا
قبل أن تُشهرَ قاراتُ الدنى أسيافهاَ حقداً نَقيما
يا نساءَ الأرضِ أسرعنَ وألقين المناديل شَفيعا
وهي تَهمي تحتَ أقدامِ الرجالاتِ دُموعا

- ٩ -

ويذبلُ كل ، يملأُ الشيبُ هامتَه
وتسقطُ أيام لهُ وليــال
ويخسرُ خِلا وافياً وصداقته
وقد ظلَّ يَكسبُها كصعبِ المنالِ
جوادُكَ لو يكبو لجرح يَؤودهُ
وكرَّرَ عثرتَهُ فما ذاك رِيدهُ (١)
فلا تعذ لنَّ ، ولا تُبدِّل بغيره
فأقمنُ بَاللومِ الطريقُ تَرودهُ

- ١٠ -

ـ أيها الشاعرُ ٠٠ لا تخشَ أعاديك اللئام
أنت خِلانُكَ كُثر أوفياء وكرام
ـ واذا خَانوا مواثيقي بيوم جد حالك
ـ لا تخف ٠٠ زوجتك الفُضلى ستبقى بجوارك
ـ واذا خانت هي الأخرى ؟ ـ ستبقى لك دوما
أجبلُ الأجداد شُماً ٠٠ تكتسي في الفجر غيما
ـ واذن ٠٠ ما أتّقي ؟ ماذا أخافُ ؟ ـ النفس فاحذر
أبداً لا تخنِ النفسَ ٠٠ وذا حسبُك ٠٠ فاذكر ٠٠

---

(١) الريد : الامر الذي تشاؤه وتمارسه ٠

وكأني نحلة لا عاصفة

شعر : محمد القيسي

ـ أوتحلمُ ؟
أحلمُ أن أكتب شيئاً ما ،
عن عينينِ مهاجرتين الى أصقاع الأرضِ
أسافرُ في عمقهما
نحو بساتين بلاد أثقلها الأبناء بأوزار الغربة
أقرأ أسماءَ نباتات
وأرى في البحرِ عذابَ البحرِ
ولكني أحملُ مرساة وأقولُ :
أراكِ غداً ذات نهار جبلي يتوزع بالعدلِ
ولا تعلنُ أطيار البحر المتغرب عن موعدِ
أسفاري

فأروحُ الى زاوية معتمة يسترها الضوءُ ،
يزينها الأسفُ الغلاّبُ ،
وأسألُ عن كلمات للبدءِ ،
ولا أبدأُ الا بيدين ملوحتينِ ،
على شرفات البينِ ،
كطيرين وحيدينِ ،
تفر الكلمات تفرُّ تفرُّ الى الداخلِ ،
أرسمُ نافذة للبحر .
أطالبُ بالألعابِ المنفية عن مدن الأطفالِ ،
أحاول أن أملكَ شيئاً ما ،
قبعة ،
أو عصفوراً ،
أو تذكرة ،
في أول طائرة نحو براري الموتِ ،
عرفتُ كثيراً ولذا أصمتُ ،
آن لقلبي أن يبدأ بالاهدابِ ،
ويحملَ زوادة أمي السريةَ ،
في هذا الدرب الوحشي ويمشي .
يمشي ، عشاق الأرصفة انتشروا ..
خاصرة الوقتِ تميلُ الى جبل من وجع الشارعِ ،
هل أقرأُ في هذا الوجه دماً وطريقاً
أين أرى وجهي الأول ،
أين سأعقدُ ساريتي .
قدامي الصحراءُ ،
وقدامي زهرُ الصحراءِ ،
وقدامي الهمُّ الصحراويُّ ،
فما هذا الشارعُ ..
تاريخ للوحشةِ والسفر التائه والكلمات المرة
هذا الشارعُ يَتفرع من شجر الأجساد الجوّالَةِ ،
يرجفُ وينزُ مواجد في مملكة الأسئلةِ الأولى

عندي الوجدُ ، وعندي الوعدُ ،
ولكني بعد قليل سأجرّعُ نفسي الفاقةَ ،
أو أقتلُ ،
في أوجِ الفرحِ الناري المتوهج في صحن الشارعِ ،
أو في زاوية في المقهى
لا تعرف شجرَ الكلمات ،
ولا حزن الصبَّار الطالعَ في عينيَّ ،
وصوتي يصرخُ في برية عمان اللألاءة بفنونِ
الأزيــاء ،
وجوع الفقراءِ .
فيــا عمَّان ،
أقلّي من هذي الزخرفةِ ،
صراخُ البرية ينفذ عبرَ شرايين العتمةِ ،
ويلفعني الغيم الأسودُ ،
صوتي والمأذنة المهدومة والطرقات وما لا
أذكرُ ،
يسكبُ في آنيةِ اللحظة هذا الحزن الفوارَ ،
أقول سلاماً يا طَرقات الأرضِ ،
سلاماً يا أوراقي البيضاء السوداءَ ،
سلاماً يا مطرا لم يسقط من سنوات في هذا المنفى
وسلاما ليدي المتعبتين ،
لأكواب الشاي الصفراءَ ،
سلاما لجلال السيدة الصامتةِ الآن أمامي
وسلاما للأشياء المجهولة ،
والأرواح المشتعلة في هذا النعشِ .
النعشُ فضاء حجري
وسنابكُ خيل ،
ومناجيــقَ ،
وأبواب موصدة ،
تحبلُ هذي الساعات الرملية بحليب التينِ ،

وتطلعُ بأعاجيب مطرزة بالوهم الليلي ،
فهل نتجولُ في هذا القفرِ معاً ؟
نتجولُ في الساحات المطعونةِ ،
سهمين من الدهشة والرعبِ ،
نوسوسُ في صدرِ الأرضِ ،
لتنهض أزهار وينابيع من الردم العربي ،
سأهتــفُ :
عيناك السابحتان ببحر الألوانِ طريق ،
قبرتان مهاجرتانِ بلا خارطة ،
أو مــأوى
خداك شموس وعناقيدُ أجاص ،
شعرك شلال من ضوء وسنابلُ ،
عنقكِ قارورةُ شهد ،
نهداكَ بلاد شاسعة ،
احتاطُ من الرجفة اذ أحلمُ بالرمان الساطعِ ..
خصرك هذا الضامر بستان من صبوات طريد اللهفةِ ،
اقتربي حتى لا تشتعلُ يداي ،
اقتربي حتى أتزود بالنار ،
ويأخذني الرقصُ الى الغابةِ ..
يا سنبلة تتأرجحُ في الريحِ ،
فيسندها الصدرُ المسكون بأزهار اللوتس والنرجسِ ،
ينزلها الضلعَ ،
يظللها بالآهة والقبلات
فهل نتجولُ في هذا القفرِ معاً
نتواصلُ خارج دائرة الخوف العصري ،
ونلجأُ داليتين وراء السورِ ،
هنالكَ أعشاب ،
وحساسينُ ،
وموسيقى ،
وهناكَ بكارةُ كل الأشياء تفيقُ ،

فنستيقظُ .. نبدأ في النقشِ .
ننقشُ فوق سرير الماء ، وأعرافَ الأفراس البرية
وجهَ غزالتنا القزحية ،
نقرأُ في كراس الأفق غموضَ اللونِ ،
فنركضُ ، نركض ، نركضُ ،
مثل وعول أفزعها المطر السريُّ ،
ونلقي جسدينا في ماءِ النهرِ ،
فيكشفنا القمرُ المتلصصُ عبر شقوق الغيمِ ،
سندعو القمر الى بوابتنا كي يسهرَ معنا
يا قمرُ تعال تعال لتلعبَ معنا
يا قمرَ الأعشاب الصيفيةِ لا تنفعك العزلةُ ،
فتعال الينا ،
سنبللُ خدكِ بالقبل الريانةِ ،
نرشقُ وجهك بالأزهارِ ،
ونلعبُ حول البئرِ ،
ثلاثة أطفال يتعرونَ أمام جلال المعبودِ ،
ثلاثة أطفال
وثلاث فراشات حول البئرِ ،
توقّعُ موسيقى تكوين البدَء المتألقِ ،
في أحداق تويجات الفجر المائيِّ ،
ولكن يا قمر الأعشاب الصيفية
لا تخطف من عينيَّ حبيبي .
هذا الانشاد المتهدجُ بالزفرة لحبيبي
هذا الزهرُ المتفتح والتجوال الفاتنُ مهر لحبيبي
سأجمّعُ باقات الورد لأنثرها قدام حبيبي
سيمر حبيبي الآن ..
سألت موظفة الهاتف : أين حبيبي
غاب اذن ؟

أيتها الشارات الضوئية هل مر حبيبي !
وامتد سؤالي ...

عرّشَ في كل الطرقاتِ ،
امتد ، امتد ، امتد ، امتد ،
امتد ، دخلتُ زحام الناسِ ،
وأشعلتُ الوقت وحيداً في دائرةِ الصمت الكبريتي
سأجهر هذي اللحظة ،
بهمومِ القصب المتوحد في الوديانِ ،
سأجهرَ بأغاني النهر ، وهمهمةِ الجَريانِ ،
سأجهر برياح البقعة ناشبة ،.
في شبّابات الرعيانِ ،
أدور هنا وهناك أوزع أرغفتي
من هذا المدثر بغبار الصحراء على طرف العاصمةِ
دعوني أتوقف بالباب لديه ،
فهذا السيد في الغرف التنكيةِ أعرفه ،
هذا السيد في الغرف الاسمنتية أعرفه ،
أعرف هذا الجوعَ ، الطينَ ،
الأطفالَ المسلولينَ ،
فهذا المدثر أعطاني الشارةَ
قبل سنينَ ،
وأودعني سر الدعوةِ للماءِ ،
سأجهر بحديث الماء ،
سأجهر بمزاميري الخاصة حتى تسّاقط أوراقُ الوردِ ،
فهذا عزف حرّاق ،
يرتعشُ عمودي الفقري له ..
تشتعلُ عصافير الدوح وتنقرُ تفاحة قلبي
أيتها الفارعة كصفصاف النهرِ ،
حضورك يسطع في أنحاء المقهى العربي اليابسِ ،
ليس الأفق رمادياً ،
الأفق دم وأوز يتقافزُ

وغبار من قاموس القلبِ ،
الأفق كتاب ، رؤياً

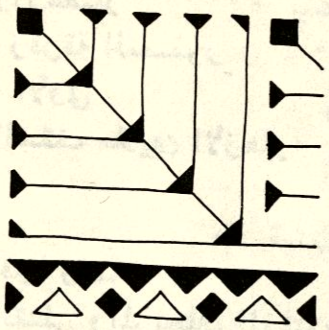
ليس الأفق رمادياً
ليس الأفق رمادياً
ها هي عمّانُ البدوية ، عمّانُ المتحضرةُ ،
وعمان السلوان ،
سيقتلني الكتمانُ ،
سيقتلني هذا اللغز الواضحُ ،
فتعالي من صحراءِ الزرقاءِ اليّ ،
تعالي من أية ناحيةَ في الوحدات ،
سأعزف بعض الوقت ، تعالي واستمعي لي .
من أول غابة ليمون في الكرمل ، حتى آخر منديلِ
هذا منديلكِ ، أتيممُ بالمنديلِ ،
ويحضرني وجهكِ ،
في زحمة هذا المقهى العابق بحرير ملابسك الوضّاحةِ ،
هذا المقهى العربي توزع لحمي فيه ،
فقاسمني الرواد تهاليلَ الجوعِ اليوميّ ،
لهذي الريح الجوالة غنيّتُ :
لنا يوم بالفرح الريفيّ يجيءُ
ولي وجهك هذا الشجريُّ يضيءُ ..
على قارعة الشارع ينبت زعترنا البلدي ،
سأفرش سجادة أمي تحت شبابيكِ خريفكِ ،
أتسلحُ بجراد وزروع ،
أهتـف :
هذا ليل لا يلبث أن يذهبَ ،
هذا ليل لا يلبث أن يذهبَ ،
فليتألق اسمكِ تحت رمادِ القتلى المنسيينَ على
مدّ الأعراسِ ،
سأرسمُ تحت الأقواسِ ،
هلالين وحيدين ،
هلالا لدموعكِ ، وهلالا لرجوعكِ ،
وأناديك ،

فآن هززتَ المنديلَ ،
رأيت سروراً وحشيّاً في عينيكِ ،
حضنت أصابعك المشتعلات لهيباً بين ضلوعِ الآهِ
وزيتاً لقناديلي
برعمتِ الأرضُ ونوّرَ لوزُ المنفى فاستمعي لي
من أولَ غابة ليمون في الكرمل حتى آخر منديلِ
ـ أي الألوان تحبُ ... ؟
● الحنطي ..
ـ وأي
● جراحَ الشفقِ الحمراءِ ،
جلالَ الزرقةَ في أشجارِ قميص بحري ،
ـ أتفكرُ ... ؟
● أحلمُ ..
ـ بالرقصُ
● بأسفارِ النورس والرقصِ ..
ـ و ...
● أحلم باللبلاب على درج في الذاكرة يموج ،
سأختصر الوقت على قدح ،
وأحاورُ في الخمرِ الشفّافَ ،
تضاريسَ الزعترِ والصفصافِ ،
أقـول :
مغنيكِ مريض بالشفقيات الى حد الروعةِ ،
والآنيةَ تضيقُ ،
وها هو ذا
يبحث في عمّانَ عن الأيام .
يبحث عن سيدة كان يسميها أنثى النهر ،
فيا سيدة النهر وأنثاه ،
رأيتك في طابور الأيتام
وقرأتُ على تطريزِ ثيابكِ ،
تنويعاً للريحِ الغربيةِ أبلغَ من أي كلام

وقرأت على الأكمام
أشكالا تتحفزُ للوثبِ ،
فقلتُ وجدتك يا أمي
ووجدتُ مغنيكِ المتوغلَ في الرملِ ٠٠
توضأ بالحزنِ العَربي وقام ٠
وتزودَ بالماءِ ،
بأطيارِ وحورَيات البحرِ ،
بغزلانِ الوعرِ ،
بحنُّونِ الساحلَ وقرنفله البريِّ ،
وجـاء
فانتظريه يشقُ الأرضَ اليكِ صباحاً
وانتظريه مساء ٠

عمان ١٩٧٧/٨/٧م

« هو عمر بن الخطاب عدل فأمن ٠٠ فمات »



عمر يموت بـاكرا

شعر : نزيه أبو عفش

ما بين هديل الماء وعينيكَ تغص الأشجار
مثقلة بالثمر اليانع والطيرِ
وأنت تشير الى عصفور مكتئبَ
أن ينفض جانحه ويجيئكَ
في هذا الوقت المترامي من أزمنة القتلِ ٠٠
وفي الساحة يعلو صوت شخيط الثيران المذبوحةِ ٠
هل ضربوكَ الليلةَ أيضاً ؟
هل قتلوا روحكَ ؟٠٠ »
وكأني استيقظت لتوّي
فرأيت دماء ٠٠ وخناجر ٠٠ وتوابيتَ ٠٠
ونارأ تستر عورتها بالعشب الآسن والماء الذريِّ

وقرأت على الأكمام
أشكالا تتحفزُ للوثبِ ،
فقلتُ وجدتك يا أمي
ووجدتُ مغنيكِ المتوغلَ في الرملِ ••
توضأ بالحزنِ العَربي وقام •
وتزودَ بالماءِ ،
بأطيارِ وحورِياتِ البحرِ ،
بغزلانَ الوعرِ ،
بحنُّونَ الساحلِ وقرنفله البريِّ ،
وجاء
فانتظريه يشقُّ الأرضَ اليكِ صباحاً
وانتظريه مساء •

عمان ٧/٨/١٩٧٧م

عمر يموت بـاكرا

شعر : نزيه أبو عفش

ما بين هديل الماء وعينيكَ تغص الأشجار
مثقلة بالثمر اليانع والطيرِ
وأنت تشير الى عصفور مكتئَب
أن ينفض جانحه ويجيئكَ
في هذا الوقت المترامي من أزمنة القتلِ ••
وفي الساحة يعلو صوت شخيط الثيران المذبوحةِ •
هل ضربوكَ الليلةَ أيضاً ؟
هل قتلوا روحكَ ؟•• »
وكأني استيقظت لتوّي
فرأيت دماء •• وخناجر •• وتوابيتَ ••
وناراً تستر عورتها بالعشب الآسن والماء الذريِّ

رأيت الأسلحة الخرقاء تمزق أسمال الموسيقى وعناقيد السجرق ،
صوت الله يؤذن بالوحش الفاتكِ
والقنبلة الموقوتة ٠٠ والاعصار
وكما تنبلج النعمة من زقزقة العصفورِ
انبلجت أوراق السنبلة الأولى
وانهمرت من شرخ في السقف ملايين الأزهار

□

مثقلة أشجار التين عصافيراً ودماً
والميدان يغص بأفواج القتلى والمرتحلين الى الموتِ :
« كأني استقيظتُ لتوي ورأيتك
وكأني أبصرت على أطراف قمصكَ بعض دم »
لكنك أدبرت سريعاً ٠٠ وتسربتَ الى كنفِ الليلِ
حزيناً بعض الشيءِ
ندياً بعض الشيءِ ٠٠
وفي الساحة يشتد شخيط الثيران المذبوحةِ
وهذيلُ الماء المتسرب من أطراف الله الى جسدي ،
وكأني أبصرتك في ضوء الليلِ ٠٠٠٠
قتيلا ومعافى
عريانَ وصلداً
منتهكاً وعريقاً
فتوجهتُ اليكَ :
صديقي يا عمر بن الخطاب المقتول
ها ٠٠ آذنتِ الأقوام على الموتِ
وآذنتِ الريح على النومِ
وهاجرتَ الأمطار
أعشاب الحقل اغتسلت بالأحماض مراراً
واتضحت أحزان الجنس البشريّ
فمن أين لجسمي أن ينهض ثانية ٠٠

وأنا مغزو بالقتلى ودساتير الحربِ ٠٠
تشاطرني الرخويات فراشي
تتعايش تحت سريري المبتلّ
سلالات من قطط ٠٠ وعناكبَ ٠٠
وفراشات ٠٠ وعصافيرَ ٠٠
تموءُ ، وتصطكُّ ، وتبكي
وتموء ، وتصطك ، وتبكي ٠٠٠
وتموءُ ٠٠٠
فمن أين لقلبي أن ينهض ثانية ٠٠
وعلى مقربة مني
ترفل أجناس الله بأسماء ضحاياها
وتعوم على بحر من أجزاء القتلى والمغتصبات
وأفواج السكيرين ٠٠ وبول الحيوانات المقتولةِ !!
وكأني أبصرتكَ :
أعشاب ذاهلة تنهض من موطيء قدميكَ
وتنهال على مائدة الله الفخريةِ ٠٠٠
لغة باسقة تتكاثر تحت لسانكَ ٠٠
ماء ٠٠ وسنابل زرقاء معفرة ٠٠
أسراب عصافير تغتسل من الموت على مرمى جسد من قلبك
زوجُ يمام يرتاح على كتفيكَ ويهدل بالحكمةِ ٠٠
فبأي دساتير الله تعاتبني !
وبأي شرائعه تطلب مني هذا الموت الباكرَ ؟
ان كنتَ حزيناً ٠٠ وصديقي
فأنا أيضا مكتنز بالحزن
تدل علي الأقوام جميعاً وتقيم مشانقها
ما بين اليومِ الأسود واليوم الأسود
ما بين الغابةَ والغابة ٠٠
تحتالُ عليَّ بشتى أصناف الحشراتِ
ويرجعها الله مبرَّأة من أسباب الحزنَ جميعاً ٠٠
فبأي دساتير الله تعاتبني ٠٠٠

وبأي شرائعه تطلب من جسمي هذا الموت الباكرَ ؟
ان كنتَ حزيناً وصديقي ..
فأنا ، أيضا ، مكتنف بالحزن
مليء ، حتى أطرافي ، بمياه الحزن الشرير

□

الرخويات انتشرت
والناموسيون يؤدون طقوس الذبح على أبواب الأموي
الفاضلِ .
أنساب القمح تواصل مقتلها السري الى آخر أطراف الذرية
تتنفس رئة الجلاد أذاناً طلقاً وقصائدَ مُحكمةَ الشجوِ
الناموسيون الهرمون .. يؤدون صلاة الحزن على جنس
الحيوانات
فصيلُ الجلادينَ المحترفين يعدُّ لانجاحِ الاستعراضاتِ
السنويةِ
في البهو الساكن :
« لا صوتَ سوى صوت الحرية .. » !!
وصديقي عمر بن الخطاب يؤذّن في الريح وأزهار الحقل:
سلاماً أيتها الريحُ
سلاماً أيتها الأزهارُ
سلاماً أيتها الأشجارُ المائلةُ الى الذبحِ
سلاماً أيتها الأشياء المقتولةُ
ها .. آذنت الأطيارُ على الشدو السريّ
وها .. القمحُ النديانُ يميط ذوائبهُ ..
أفراح الله جميعاً تتسرب من شق في الصخرةِ
تتسلل جثة جيفارا المغدورِ
الى حجرات النوم المكتظةِ
في الدور الأول .. والثاني .. والثالث .. والعاشر
كيما تتحقق من أنساب القتلى !!

□

مطفأة هذي الأزهار
مطفأة أعشاب الحقلِ
حزين صوت الحسونِ على أشجارِ التين
أحفاد القتلى يتجهون الى القتلِ
محاطين بأبهة الحرب وبولِ الحيواناتِ
وأشراف السلك الناموسيّ ..
و .. « لا صوتَ سوى صوت الحرية » !!
لكن الفلاحين
ما فتئوا يحتشدون تباعاً
من أقصى أحراش الموت
الى أدنى خلجانِ المتوسطِ
من ايجةَ حتى بواباتِ الأمويّ الفاضلِ ..
لن تلبث أفواج القتلى أن تتوافد ، بعد قليل ،
من كل جبهات الحرب السريةِ
لتؤدي صلوات الموت على مرأى من « أحمد باشا .. » :
(يا أحمد باشا ..
هل عاينتَ القتلى ؟

يا أحمد باشا
هل أمعنتَ النظرَ طويلا
وتحققت من الأنساب ؟)
أحمد باشا .. لا يذكر أن قتيلا عاتبه من قبلُ
على حفنة قمح أو عنقود من أعنابِ الكرمِ
ولكن القتلى اعترفوا :
أحمد باشا متهم بالصلواتِ وترويجِ الجوع
أحمد باشا متهم بالقتل وارهاب الحيوانات
أحمد باشا (أحمد عبد الجواد الآن ..)
مسؤول عن تخزين مياه النهر واحراقِ الأعشابِ
وذبح الماشية الشريرة .. والرقصِ ..

وتبديد خزائن بيت المَال على الاستعراضات وألعاب
الخيلِ ··
وزجٌ النسوة في اسطبلات الأبقار بقصد التثقيف الثوري
وأخيرا ···
أحمد باشا متهم بالثورةِ ، والانسان ··
و ·· « لا صوت سوى صوت الحرية ! »
·········

□

مغلقة أبواب الله عن الحيوانات جميعاً ··
وابن الخطاب صديقي ، محتبس في هذي البقعة من
أحزان الأرض ،
يؤدي ركعته الوَاهنة على أبواب السجن ويبكي ··
لكن الشمس الصديقةَ ·· ما فتئت تتسلل من شرخ في
السقفِ
وتنشر جبتها ·
والجلاد يؤدي ركعته الفاسقة ويعتزُ :
« أنا آمر أن يلقى بالشمس الى الخارجِ
كيلا يتسخ قميص القاضي ··· »
وابن الخطاب يؤذن بالحريةِ
والجلاد حزين !!···
وأنا ·· وابن الخطاب ··· حزينانِ ومحتبسانِ ··
ونبكي ··
آه يا عمر بن الخطاب
كيف حسبت الجلاد حزيناً ؟؟
وقبيل المشنقة ·· احتشد الناموسيونَ
وداروا من حول حبيبي ··
أخذوه ·· فغلّوهُ ··
فشدوا قدميه الى غصنِ حديد في الحائط
ثم اقتعدوا يقترعون علَى أحكام الموتِ ··

ويختلسون نواميس الحرية والحكمة
ثم ··· انتشرت في أبراج الليل عصافيرُ الموسيقى ·

□

يا أللهُ ·· لماذا أبصرتَ ولم تفعل شيئاً ؟
يا أللهُ ·· لماذا لم ترسل ناركَ ؟
يا أيتها الأرواحُ النائمةُ ··
لماذا أبصرتِ ولم تكتتبي في قائمة النور ؟
يا أيتها المخلوقات جميعاً
من أجناس الماءِ ·· الى أنواع الجندبِ
من نسل الحيّاتَ ·· الى جرذان الحقلِ ··
تعالي نقرعِ الآنَ على ناموس الأرضِ
تعالي نقتسمِ الماءَ
الخبزَ الطازجَ
والمشروباتِ الروحيةَ ··
أطرافَ النسمة والأزهارَ
حفيفَ الأعشاب ·· القمحَ ·· فراشاتِ الحقلِ
الموسيقى ·· الكتبَ ·· النزهاتِ ·· الشعرَ ··
وشقشقة العصفور ··
وانبثقي من كل مكان في الأرض
لندخل في قائمة النور

□

وابن الخطاب المدفون جميعاً في هذي البقعةِ من مملكةِ
الحيواناتِ الفضلى
ما زال حزيناً ، عريانَ ، مسجى
يبكي ··· ويعاتبه الله على القلبِ الدامعِ والجسدِ
المقرور

لقاء مع

الشاعر عبد الكريم الكرمي

أجرى اللقاء : يحيى يخلف

عبد الكريم الكرمي – (ابو سلمى) غني عن التعريف .
انه شاعر فلسطين ، ورمز من رموز الثقافة الوطنية العربية .
رددت قصائده الجماهير ، وحفظتها الاجيال ، وكان (الجذع الذي نبتت عليه اغاني الشعراء الفلسطينيين)
منذ نصف قرن وهو يحمل لواء الثقافة الوطنية .
وظل يعطي طوال هذه الفترة ، ولا يزال ، وظل منحازا الى جبهة الجماهير والى الكفاح المسلح .
يقوم الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الان ، بالتعاون مع دار العودة ، بطباعة الاعمال الكاملة له . واثناء حضوره الى بيروت للاشراف على طباعة ديوانه الكبير ، كان لنا معه هذا اللقاء .

□ قبل ان يأتي أبو سلمى ، وابراهيم طوقان ، وعبد الرحيم محمود ، كانت تسود مدرسة النظم في الشعر الفلسطيني . جاء جيلكم وشق طريق الكتابة الابداعية في الشعر .. كيف بدأ ابو سلمى وبقية رفاقه ؟

– ابتدأنا في اواخر الحكم التركي . كان والدي معتمد حزب اللامركزية في المنطقة . حكم عليه (مع الذين حاكمهم جمال باشا) في عاليه ، وصدر القرار باعدامه . لكن لعلمه وكبر سنه ، ابدلوا حكم الاعدام بالمؤبد . قضى في سجن القلعة بدمشق سنتين ونصف . وبعد انتهاء الحرب الاولى خرج من السجن واصبح نائب رئيس المجمع العلمي بدمشق .

كنت آنذاك طفلا ، فدرست بمدارس دمشق، وحصلت على اول دورة للبكالوريا السورية ، ثم عدت الى فلسطين . ودرست الحقوق في القدس . ثم توظفت .

من بداياتي ، كانت قصيدة كتبتها بمناسبة بناء قصر المندوب السامي البريطاني على جبل المكبر . اذكر ان مطلعها كان :

جبل المكبر طال نومك فانتبه
قم واسمع التكبير والتهليلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا
حتى نهدم فوقك البستيلا

وارسلتها الى صديقي ابراهيم عبد القادر المازني في مصر ، فنشرها بمجلة (الرسالة) بتوقيع (ابو سلمى) .

في الدائرة الحكومية سألوني من هو (ابو سلمى) .

وكان امامي احد خيارين .

اما الانكار والبقاء في الوظيفة ، او الاعتراف والطرد من الوظيفة . ولكنني آثرت ان اتبنى القصيدة الموقف ، فعزلوني من وظيفتي .

كنت انشر اغلب شعري ومقالاتي النقدية في جريدة (مرآة الشرق) التي كانت تصدر في القدس لبولس شحادة . ومن المقالات المشهورة في ذلك الوقت كانت دراستي (شعراؤنا في الميزان) التي تناولت فيها معظم شعراء فلسطين في تلك الفترة بالدراسة والنقد مثل : حسان فلسطين (ابو اقبال اليعقوبي) ، سليمان التاجي ، اسكندر الخوري البيتجالي ، وغيرهم .

قبل مجيئي ومجيء ابراهيم طوقان كان الشعر تقليديا يتناول الاغراض التقليدية (مدح .. رثاء .. الخ) . وكان اتصالي بابراهيم منذ ان كان طالبا في الجامعة الامريكية ببيروت ، وبعد عودته الى فلسطين اقيمت لنا حفلة تكريمة في القدس في جمعية الشبان المسلمين ، والقينا بعض القصائد فيها .

ومعا .. سرت وابراهيم في طريق الشعر .. سياسة وغزلا .. وكنا نعمل صفحة ادبية اسبوعية نكتبها معا في احدى الصحف التي تصدر في يافا .

كما قمنا ايضا بتشكيل جمعية (عصبة القلم) في القدس ، وكان من اعضائها : رئيف خوري ، خليل البديري ، عارف العزوني ، ابو سلمى ، رجا حوراني . وقد ساهمت هذه الجمعية في نشر الثقافة التقدمية .

□ من خلال حديثك، افهم ان فلسطين كانت مركز استقطاب لادباء الوطن العربي .

– كانت فلسطين ملتقى رجال الادب والفكر في الوطن العربي ، فقد زارها الكثيرون ... بعضهم درس فيها ، وبعضهم حاضر، او عاش فيها مدة طويلة .

فمن لبنان ، ميخائيل نعيمة الذي درس في الناصرة والذي اختاره للدراسة الاديب الفلسطيني خليل بيدس صاحب مجلة النفائس العصرية ، عندما كان معلما في بسكنتا .

ثم لما كبر نعيمة واشتهر ادبه وعاد من المهجر زار القدس والقى محاضرة بعيدة عن جو الصراع العربي الصهيوني ، وردد فيها ما كان يردده وهو ان الطبيعة تأكل بعضها ، (فاذا اكلت تفاحة فانما اكلت جزءا مني ، ولئن كنت ذئبا يأكل الحمل ، افضل ان اكون حملا يأكله الذئب) .

وكنت حاضرا في تلك المحاضرة ، فوقفت وقلت له : يا استاذ ارجوك ان تلقي هذه المحاضرة في اي مكان الا في القدس ، وان عليك ان تعرف اننا هنا في صراع دائم من اجل الوطن تجاه ذئب شرس • ولا نريد ان نكون حملانا •

رئيف خوري كان استاذا في القدس ، اقام مدة وقد زارها محاضرا او منشدا •

كما زارها كل من امين الريحاني ، الاخطل الصغير ، خليل تقي الدين ، الشيخ مصطفى الغلاييني •

وكانت لنا صلات كبيرة بعمر الفاخوري ، حتى انه اقيم اول حفل تأبين له في لبنان ، حضر وفد من فلسطين من اعضائه هنا نقاره وانا ، وكنت احد المتكلمين في الحفل •

وكانت لنا صداقة مع امين نخلة ووالده رشيد نخلة واضع النشيد اللبناني ، والاخطل الصغير ، وتوفيق يوسف عواد ، والشاعر الشعبي عمر الزعني •

ومن دمشق اقام في فلسطين ردحا من الزمن خير الدين الزركلي ، اما شفيق جبري فقد عاش في يافا عند اقاربه (دار جبري) وعمر ابو ريشة عاش فترة في عكا بين اسرة والدته الكريمة •

وبدوي الجبل امد الله في عمره ، زار فلسطين ، وكذلك خليل مردم • كل هؤلاء كنا نجتمع بهم في فلسطين ، والصداقة معهم وثيقة •

اما من العراق فقد جاء معروف الرصافي ، احضره اسعاف النشاشيبي وعينه استاذا في القدس وعاش فيها مدة • وكذلك الجواهري زارها واقام ندوات شعرية في انديتها •

اريد ان اقول ان فلسطين كانت ملتقى الادباء والشعراء • ثم قال لي : الا تجد ان الشعراء الذين عاشوا مدة في فلسطين ، في شعرهم وادبهم نفحات لا تجدها عند الآخرين ؟ اليست قصائدهم عن فلسطين هي غير قصائد الآخرين ؟

□ وماذا عن كتاب مصر ؟

ـ كانت لنا صلات مع عدد كبير من ادباء مصر ابرزهم ابراهيم عبد القادر المازني ، وكذلك احمد امين وزكي مبارك • لكن المازني كان اكثر قربا • وكنا ندعوه للحضور ليتكلم في حيفا ويافا والقدس في المناسبات والمواسم الثقافية، وكان يكتب عن القضيةالفلسطينية، ولديه حس عربي واضح ، وقد منعته حكومة الانتداب في نهاية المطاف من دخول فلسطين •

وهناك كتاب آخرون كانوا بعيدين عن المسألة الوطنية الفلسطينية ، ابرزهم توفيق الحكيم ومحمد التابعي •

جاء الحكيم مرة الى يافا بدعوة من اذاعة الشرق الادنى البريطانية فذهب بعض المثقفين لاستضافته في فندق عربي في يافا اسمه (كليف اوتيل) ، فرفض ، وقال ان فنادق تل أبيب افضل ، ونزل في تل ابيب •

هذا يذكرني ايضا باحمد لطفي السيد ، ففي عام ١٩٤٢ على ما اذكر تم افتتاح الجامعة العبرية في القدس ، ووجهت دعوات الى جميع مديري الجامعات في العالم لكي يفتتحها وايزمن وقامت الحركة الوطنية الفلسطينية بالاتصال بمديري الجامعات العربية لاقناعهم بعدم حضور هذا الاحتفال ، فاستجاب الجميع ما عدا احمد لطفي السيد مدير جامعة القاهرة (كان اسمها جامعة فؤاد) الذي جاء بطربوشه وحضر الاحتفال •

وقام عدد من كتاب وشعراء فلسطين بالتنديد به ، ومنهم اسكندر خوري •

وكانت في مصر دعوة فرعونية كنا نقف ضدها • وكان المازني ضدها ايضا •

□ ما هي ابرز المؤثرات في شخصية (ابو سلمى) الادبية ؟

ـ اولا : البيئة القروية : فولكلور القرية واشعارها ، وقصص الغرام والموروثات والزجل ••• الخ •

ثانيا : البيئة العائلية : والدي شاعر ، واخي ناقد •••

ثالثا المدرسة : اساتذتنا في دمشق كانوا

من كبار الادباء ، مثل سليم الجندي ، محمد الداودي ، محمد البزم هؤلاء الاساتذة حببوا الينا الثقافة واطلعونا على عيون الشعر •

رابعا : التجارب والخبرات وصلاتي بكبار الادباء •

خامسا : تجاربنا في العمل الوطني علمتنا ان نعتمد على الاتجاه الصحيح • كنا من اوائل من آمن بالشعب في الوقت الذي كان فيه غيرنا يمجد الزعامات والقيادات •

□ وماذا عن ثورة القسام ؟

ـ كان القسام يمثل الاتجاه الذي كنا معه (الاعتماد على الشعب) وتبني (الكفاح المسلح) • لذلك كانت استجابتنا فورية لثورته • كان القسام يجتمع في حيفا سرا بالفقراء في حي التنك• ويعبىء باتجاه الثورة، ضد الاستعمار البريطاني وضد الصهاينة •

رفضت القيادة الفلسطينية التقليدية آنذاك ان تسمح له بالتجول في انحاء فلسطين ليبشر بالثورة ، ورفضت منطق الكفاح المسلح ، فاخذ يشتغل بنفسه ومع رفاقه ويتصل بالفقراء • ثم خرج الى احراش يعبد واعلن الكفاح المسلح ثم استشهد •

وتأسست بعده مدرسة الكفاح المسلح واستمر (القساميون) في السير على طريقه •

وبعد ذلك اندلعت ثورة ١٩٣٦ وشارك بها مناضلون من جميع البلدان العربية •

تعزز انذاك اتجاه الشعر الثوري ، الفصيح والزجلي • شعر الزجل كان ابرز ممثليه نوح ابراهيم •

اما الشعر الثوري الفصيح فقد كان ابرز ممثليه عبد الرحيم محمود وانا وابراهيم طوقان ، ومطلق عبد الخالق •

ابراهيم طوقان شاعر كبير • كان حساسا ومرهفا ، وقد سجل شهادات كثيرة اثناء الثورة ، وكتب قصائد عظيمة منها (الشهيد، الفدائي ، الثلاثاء الحمراء) •

عبد الرحيم محمود كان تلميذ ابراهيم ، خاض تجربة الكفاح المسلح ، وكان استشهاده اعظم قصائده • كان مرهفا ويتحسس هموم الطبقة الفقيرة •

مطلق عبد الخالق كان يمكن ان يكون له مستقبل كبير ، ولكن حادث سيارة اودى به وهو شاب ، له ديوان (الرحيل) •

اما الشعراء الآخرون (التقليديون) فكان لهم ايضا موقف وطني كبير ، ولكن شعرهم من النواحي السياسية والاجتماعية كان مقصرا •

□ هذا عن الشعر ، فماذا عن النثر الفلسطيني •• هل تأثر النثر بالثورة ؟

ـ بالنسبة للنثر ، كان هنالك خليل السكاكيني ، واسعاف النشاشيبي • خليل السكاكيني كان مصلحا اجتماعيا يعتبر مجددا في الاسلوب وكان ينظم الشعر البسيط • اسعاف النشاشيبي كان يدافع عن اللغة باسلوبه الخاص ، وعن الاسلام الصحيح •

ولكنهما لم يتركا اثرا فيما اعلم عن الثورة •••

وكان من كتاب القصة التقدميين عارف العزوني ومحمود سيف الدين الايراني ونجاتي صدقي •

ان استجابة الشعر للثورة اكثر من النثر مرده الى ان الشعر هو لغة مخاطبة الجماهير •

اذكر ان نوح ابراهيم كان يعلو اكتاف الناس في المظاهرات وهو يلبس الحطة والعقال ويلقي بقصائده الشعبية • كان الشعب يردد قصائدنا • كانت الجماهير تحفظ عن ظهر قلب قصيدة (الفدائي) وقصيدة (الثلاثاء الحمراء) لابراهيم طوقان • وقصيدة (سأحمل روحي على راحتي) لعبد الرحيم محمود • وقصيدتي (انشر على لهب القصيد) •

□ ارجو ان تحدثنا عن ظروف كتابة هذه القصيدة (لهب القصيد) التي اثارت في زمنها ضجة كبرى ، واصبحت جزءا من تراث ثورة عام ١٩٣٦ •

ـ في ثورة ٣٦ الجبارة التي اشترك بها

الشعب بعد اضراب دام ستة اشهر ، وبعد ان اصبحت الثورة تستقطب المناضلين العرب ، لجأت الحكومة البريطانية الى ملوك العرب الذين تباحثوا مع اللجنة العربية العليا ، واجهضوا الثورة باصدار بيان من الملوك العرب الى الشعب الفلسطيني يطلبون القاء السلاح اعتمادا على حسن نوايا حليفهم بريطانيا . وقد أيدت اللجنة العربية العليا هذا الطلب . وبذلك اجهضت الثورة دون ان تحقق اهدافها . عند ذلك كتبت قصيدة (الى ملوك العرب)، والتي مطلعها :

انشر على لهب القصيد
شكوى العبيد الى العبيد

تحدثت فيها عن الملوك والزعماء وهجوتهم . واعلنت فيها ان الاعتماد انما يجب ان يكون على الجماهير العربية لا على الزعماء العرب ، وكذلك على البنادق والكفاح المسلح .

انتشرت هذه القصيدة في كل مكان ، وطبعت كالمنشورات في جميع البلاد العربية .

ولم تستطع الصحف العربية نشرها ، وقد قامت (عصبة العمل القومي) بدمشق ، بطباعة خمسة عشر الف نسخة منها ووزعتها.

□ لقد تحدث النقاد كثيرا عن غزليات (ابو سلمى) و (ابراهيم طوقان) .. هل كان العشق هو نقطة التقاء الوطن والمرأة ؟

ـ من عبث القول ، قولنا ان المرأة هي مصدر وحي عظيم للشاعر فهي دنيا ساحرة من دنياواته ، وكنا نعيش في هذه الدنيا ايضا ... حتى آن بعض الكتاب امثال عمر فروخ اتهمنا باننا اباحيون . لكن المازني كتب عني (ابو سلمى يعيش في دنيا الهوى ولكنه يطل منها على وطنه) .

كثير من قصائدنا تبدأ غزلية وتنتهي بالتغزل بالوطن .

بعض النقاد المساكين كان يقول : هذا شعر تقليدي ، وهم يعلمون اننا من اوائل الذين وصفوا الافكار الجديدة المتطورة في الشعر .

وانني عندما اقول :

لست ادري هل جملتك بلادي
ام تمثلت انت في كل منظر

أو :

أطل الفجر من عينيك ما اروعها طلة
ارى فيها خيال اللد والكرمل والرملة .

انما هو اعطاء جمال وقوة لحب الوطن .

الشعراء الفلسطينيون من اصدق الشعراء العرب ... يحافظون على شرف كلمتهم . حروفهم كنفوسهم صهرها وطهرها النضال الدامي الطويل وحب الوطن .

انهم لا يفعلون مثل اولئك الشعراء الكبار في بعض الاقطار العربية الذين يعتبرون انفسهم مناضلين ويضعون كلماتهم على العتبات وتحت تصرف البلاط الملكي او السلطاني .

□ ما هي الدواوين والاعمال التي ستظهر ضمن مجلد اعمالك الكاملة ؟

ـ ستظهر جميع القصائد التي كتبتها قبل وبعد النكبة . قبل النكبة لم يصدر لي دواوين مطبوعة بسبب ظروف النشر في تلك الفترة وبسبب الاحداث الدامية .

اول ديوان لي طبع عام ١٩٥٣ (المشرد) ظهر في دمشق واستقبل استقبالا جيدا .

(اغنيات بلادي) ظهر عام ٥٩ وحوى قصائد كتبت بعد النكبة .

ثم ظهر (المشرد) في طبعة جديدة اضيف اليها المزيد من القصائد .

واخيرا ظهر (من فلسطين ريشتي) عام ١٩٧١ .

ستحوي الاعمال الكاملة بالاضافة الى هذه الدواوين ، ديوان شعر الاطفال . وقصائد لم تنشر بعد .

□ لماذا كتبت للاطفال ؟

ـ هنالك فقر في ادب الاطفال العربي . التفتنا ـ انا وابراهيم ـ الى هذا النوع في

وقت مبكر ، وكنا اول من كتب قصائد واغاني للاطفال . ابراهيم نظم بعض القصائد القليلة ، قصائدنا كانت تحاول ان تعمق الصلة ما بين الوطن والطفل . قمت بطباعة ديوان (اغاني الاطفال) مع نوتة موسيقية للملحنين: يحيى اللبابيدي ، ويحيى السعودي ، ويوسف البتروني وكانوا جميعا يعملون في فلسطين .

□ سمعنا ايضا انك كتبت مسرحية شعرية .. وفقدت .

ـ اجل .. كتبت عن ثورة ٣٦ مسرحية شعرية عن القسام .. عن حركته بوقائعها واسماء ابطالها واقوالهم . ارسلت منها نسخة للمازني ليقرأها ويكتب لها مقدمة ، فقرأها بالفعل وكتب المقدمة . ولكن المسرحية فقدت مني قبل نشرها ، ولم يبق منها للاسف الا قسم من مقدمة المازني موجودة في كتاب (الاتجاهات الشعرية الحديثة في فلسطين والاردن) لناصر الدين الاسد .

ابطال المسرحية هم رفاق القسام الحقيقيون.

ومنهم الشيخ فرحان السعدي الذي ظل يقاتل بعد استشهاد القسام ، وكان كبيرا في السن (في العقد السابع من عمره) . وعندما القت سلطات الانتداب البريطانية القبض عليه في احدى قرى جنين قدم لمحكمة عرفية ، وحكم عليه بالاعدام ، وكان الاعدام في شهر رمضان ، فاعدم وهو صائم .

وقلت عنه في قصيدة (الى الملوك العرب) :

خجل الشباب من المشيب
بل السنون من العقود .

□ ما رأي (ابو سلمى) في شعر الشعراء الفلسطينيين الشباب ؟

ـ الشعر الثوري الفلسطيني مستمر ومتصل الحلقات ، في داخل فلسطين وخارجها .

وبالنسبة لي وجدت الكثير من التكريم والوفاء من الشعراء الذين جاءوا بعدي .

توفيق زياد قال : كنا نحبو على شاطيء ابي سلمى .

ومحمود درويش كتب : ابو سلمى .. انت الجذع الذي نبتت عليه اغانينا .

الثقافة الجديدة

مجلة فكرية ابداعية عربية تصدر بالمغرب

مؤقتا اربع مرات في السنة

- يشارك فيها مجموعة من المثقفين العرب ·
- تساهم في بلورة ونشر ثقافة عربية تقدمية ·
- يشرف على اصدارها مجموعة من الشباب المغاربة ·

عنوان المراسلة : ص.ب 505

المحمدية ــ المغرب

آفــــاق

مجلة اتحاد كتاب المغرب

تنشر الانتاج الفكري والأدبي الذي يشكل الطليعة الثقافية الفاعلة بالمغرب ·

يساهم فيها أعضاء اتحاد كتاب المغرب

عنوان المجلة : 5 زنقة سوسه ــ الرباط

المغرب

ملف القصة

قصة من الارض المحتلة

العاديات

قصة : محمد علي طه

« سين سكون »

وقال الراوي : وجدتها في « الزيب » .

لعبت مع جارتي سلمى ترب طفولتي لعبة البيت .. وركبنا الخيول القصبية .. وروت لي آخر حكاية سمعتها من جدتها الحاجة خديجة .. ثم تذكرت ان أمي لفتت انتباهي ان اعود مبكرا لتناول عشاء دسم — لا اذكر مناسبته — . عدنا معا . وجدت الرجال يقفون قرب دارنا قلقين . كانت دارنا اعلى بقعة في القرية . ماذا جرى لاهلي ؟ الناس ينظرون غربا .. عمود دخان يربط قرية « الدامون » بالسماء . قال عجوز « سقطت !! » . وبكى . كانت اول مرة اشاهد فيها رجلا يبكي . نظرت اليه بخوف ودهشة ... لماذا يبكي الرجال وفي جيوبهم نقود يشترون بها ما يشاءون ؟.. وقال العم احمد « ما لكم ؟ دباباتهم تتحرك وتصعد الى ميعار » . وقال شاب «ميعار او الموت» .. ونظر العم احمد اليه وقال « بماذا ستقاتل يا حسن ؟ » ورمى عقاله على التراب وتناول كوفيته البيضاء وربطها بعكازه ورفعها ويده ترتجف والدموع تبلل شاربيه . صرخ حسن بغضب .

لا أدري ماذا جرى — بعدئذ — فقد عدوت وراء أمي شرقا ...

ومنذ ذلك المساء وانا ابحث عن جارتي سلمى وعن « ميعار » التي محوها عن الخارطة .. قاسيت . جعت . عطشت . عريت . سال دمي .

وفي هذا الصباح .. دخلت الى دولة الزيب .. فوجدتها ..

حاشيـة :

اعلن الرجل البوهيمي وهو يقف في البوابة « دولة الزيب ترحب بالسائحين من كل اقطار الارض ! » . ثم نظر الينا مبتسما ابتسامة من روى نكتة سمجة وداعب شعر لحيته الاسود وتابع كطفل يملك لعبة تمناها طويلا : « سكان الزيب كثيرون .. وينتشرون في بقاع الارض .. يأتون فيتمتعون ثم يغـادرون .. » وسار وراءنا يتفحصنا ككلب الشرطة وهو ما زال يثرثر « الدولة أم المتحف ؟.. حسنا .. ولكن الدولة هي المتحف .. أنا واثق انه سينال اعجابكم .. ما عليكم الا ان تدفعوا ثمن التذاكر .. ادفعوا واعبروا . الآثار تنتظركم يا سادتي .. لقد وضعنا اهم انجازات التكنولوجي بيدي علم الآثار وادارة المتحف . الآثار ستروي لكم عنها ما تطلبونه . انتم لا تحتاجون الى دليل ... » .

لازمـة :

أنا الزيب وانا المتحف . اهلا بكم ايها القادمون من وراء البحار .. لتتمتعوا بعربي .. يا عابري الدروب ويا قاطعي الفيافي .. الزيب كانت سفير السماء الى الارض .. فصارت .. آه لا تكمموا فمي ! اعطانيها الـرب لتتم نبوءة انبيائه . تجولوا بها .. تعرفوا على اثارها فهي تروي لكم قصة طويلة ومثيرة .. ثم ندعوكم لقضاء ليلة حمراء مع فاتنة الزيب التي لن تنسوا حلاوتها وانتم تعبرون الى .... انا الزيب وانا المتحف .. اقول لكم .....

« لام كسرة »

ليلى السعدي فتاة حلوة ، كحل الليل عينيها وصبغ شعرها ، واهداها الصباح لونه ، ونفر صدرها كجبل الكرمل ، ووهبتها الطبيعة وردتين من ورد الجليل .. وكانت تربا لابرسيفونا وتلاعبها « السقلة » و « الغميضة » في أزقة الزيب وعلى بيادرها .. وفي المساء كانت تجلس فوقي — هنا قرب بيتها — وتضع قدميهـا في ماء البحر لتبتردا وتغني اغنية حلوة للحورية والملاح .

وذات مساء شاهدت سفينة تمخر عباب اليم فوقفت على الشاطىء مع تربها ولوحت بمنديلها الاخضر والاصفر معتقدة ان الملاح عاد مع حوريته في موسم القمح .. وان الافراح والليالي الملاح ستقام على بيادر الزيب . وتقدمت السفينة من الشاطىء وخرج منها بلوتو وأسر برسيفونا .. وسبى ليلى السعدي .. وسجنهما .. وسربوس ما زال ينبح كلما شاهد ظلا من جبل طارق حتى قناة السويس ..

« نون فتحة »

بعد أن يتطاير الندى كان يقف امامي ثورا حسين السعـدي « حجـاب » و « عجول » فيربطهما بي ويجراني بهدوء ينسجم مع صوت القش والسنابل والحب .. فأسناني السمراء كانت تكسر القش وتفرمه ببطء وراحة بال .. ادور وادور وراء الثورين ولا امل وعلى ظهري الاملس كصينية النحاس يقف ابنه امين يتحسس

زغب وجهه وينظر الى الشامة التي دقتها الفجرية على ذراعه ويغني :
يا هويـا يا هويـا
انا ورد ومورد على عين البنيه
يا حجاج يا مجاج بالله اسقوني ميه
قالوا لي لا بنسقيك ولا بنرويك ولا معانا ميه
قلت لهم بتسقوني وبترووني وانتم معاكم ميه
مسكوني من كتافي وجدعوني على قلعة معلا
سبع بواب سبع بواب وانغلقت علي
ركبت مهرتي واجيـت غاره
ما هديت الا بأرض العمـاره
لاقيت حبيبتي ع العين تملا
شلحت وشيحتي ومليت عنها
عزمتني ع دار ابوها الكبيرة
حطت لي المخدة ع الحصيرة
حطت لي العسل بالسرسكيه
حطت لي اللبن بقمع البيضه
حطت لي الخبز بالبذوريـه
انا اكل .. انا اكل وهي تعزم علي
وانا اشرب وانا اشرب وهي تقول هنية
يا ناصر يا نصار يا بن المغربية
يا اللي دبوسك تمنتعشر اوقيه
اول هوايه صاح : الله واكبر
وثاني هوايه قتل ميه
وثالث هوايه ما خلا حد حواليه

وفجاة تقاطعه ليلى وهي تعدو نحوه وتصرخ : امين ! دعني اجلس وراءك دورة واحـدة .

ـــ انصرفي الى المطبخ يا بنت .. يقولها بصوت قد اخشوشن .

ولكن دلوعة البيت لا تأبه .. ولا تهتم بكلامه .. تقفز قفزتين وتجلس وراء امين علي ..

واتململ فرحا .

« يـاء ساكنـة »

لست حفرة رومانية .. ولا انا من العاديات الفرعونية .. لا اعرف الاشوريين والعبرانيين .. ولا الفينيقيين .. ولكني صرت قطعة اثرية يزورها السائحون وينظرون اليها بدهشة .. وتشع اضواء كاميراتهم صوبها ..

كانت ليلى تلعب مع الخروف وتقدم له العشب والحب والماء . تركبه تارة وتجري وراءه في ساحة الدار مرة ثانية .. ثم يتبعها قفزا في البستان تارة اخرى .

ولما اكتنز لحما وطبق شحما قدمت له دلو الماء وقبلته ثم تقدم والدها وهو يحمل سكينا حادا ووضعه على عتبة الدار .. بسم الله .. وقطعت ام ليلى اللحم ووضعته في جوفي وتناولت « الميجنة » وبدات تضرب اللحم وتهرسه حتى صار كالعلكة .. ثم صنعت الكبة .. الكبة النيئة . والتفت العائلة ـــ حسين وفاطمة وليلى وامين ـــ حول الطبق تلتهم البرغل الطري الدسم المخلوط باللحم ، بهناء وسعادة .

انتم لا تعرفون الكبة .. ولا تعرفون معنى ان تلتف العائلة حول اطباق الكبة .

ما زلت اشم انفاس فاطمة وهي تجلس بجواري وبجانبي صحن الماء .. وما زالت موسيقى دقاتها تك تك ترن في سماء الدار .. انظروا اثار اصابعها على جانبي .. ولكن يا سادتي .. علقوا يافطة فوق رأسي تحملني هوية صليبية .. الحلم يا رب .. اللهم احفظنا من شهادة الزور . لا يهم .. ولكني اتشهى ان تقبض فاطمة الميجنة بيدها .. وتهرس اللحم بي .. لقد جعت .. والزمن تطاول ..

« طـاء مّدة »

من قش القمح لوتني فاطمة .
المجدرة والكبة والتبولة .
الشيخ برك ومناقيش الزيت والزعتر .
وضعتها علي وقدمتها لاهل الدار .. ويا هلا بالضيف ..
يا ليلى يا مقصوفة الرقبة لماذا لا ترتبين الصحون وتقدمينها لوالدك واخيك اما عادا من العمل بعد ؟!!
شتاء ، ربيع ، صيف ، خريف ،
شتـاء .....
صيـف .....
سادتـي ..
ما زلت اقاوم السوس ..
قولوا لليلـى ......

« فـاء »

انا المحبوبة السمرا   واجلى بالفنـاجين
وعود الهند لي عطر   وذكري شاع في الصين

كانت تغني لي في طفولتها .. صباح مساء . وهي تحملني مع الصينية الصفراء والفناجين الثلاثة .. وقلبها يخفق مخافة ان تتعثر قدماها وينسكب السائل الاسمر.
انظـروا ..
لا تزال الفناجين تغص بدموع سوداء !!

« نون كسرة »

جف جوفي . والصدأ على شفتي فتشققتا . اتشهى الرماد والجمر والتمباك الرطب . والوردة الحمراء التي كانت تضعها انامل ليلى وهي تحملني الى حسين السعدي .. وهو يجلس على طراحته تحت الليمونة في عشيات الايام الصيفية . يفرك فمه بأصابعه الغليظة فأشم رائحة الارض . ثم يصب ما يشاء فيزغرد جوفي .. ثم يستلقي على قفاه وقد نسي تعب النهار وحر الظهيرة ..

اشارة :

قال القفص الخشبي ..
كنت عشا لعندليبها .. وكان لا يغرد الا لها ..
وكان يفهم لغة الاطفال وكانت تفهم لغة العنادل .
يغرد فتحضر الماء فيشرب .
يغرد فتحضر الحب فيملأ حوصلته .
يغرد فترقص على المصطبة .
يغرد فتجلس على صخرة الشاطىء وتغني ..
وكان .. ما كان ..
واستبدلوا البلبل بجمجمة ..
« تلك قسمة ضيزى » .. صدق الله العظيم .

صوت

يمرون كل يوم ..
غريب في الدار التي وضعتني فيها أمي ..
سأروي لكم الحكاية ..
تغدينا ــ في عصر ذلك اليوم ــ مجدرة ــ وحملت ليلى صينية القهوة ووضعتها تحت الليمونة .. وعادت مع النرجيلة وهي تتمتم « برسيفونا برسيفونا » .
وفجـأة ..
خرج من البحـر ..
سباهمـا .
شردهمـا .
ورمى جثتي للشاطـىء .
واغتال العندليب ووضعني مكانه .
اسقوني .. اسقوني .

همسة

لا تدوسوني بأقدامكم ..
صحيح .. انا صغير واسمر . لكني تعودت على انامل ليلى الناعمة وشعرها المعطـر .

لقد سقطت من شعرها وهو يجرها منه .. به ..
هل تعرفون ليلى ؟
فتاة حلوة .. فارعة .. كحل الليل عينيها وصبغ شعرها ..

خاتمـة

ينتحب البحر صباح مساء ويغسل قدمي الزيب بدموعه .. وصخور الزيب اخشوشنت وهي تلطم وجهها حزنا على ليلى التي كانت تجلس وتغني للحـورية والمـلاح .
وكلما ارتفعت موجة تتحرك الهامة في القفص وتشاهد جثة امين فتصرخ ..

أنـت ، أيهـا الفتى الغريب

قصـــة رشاد ابو شـاور

جلس في الزاوية ، قرب المدفأة . راقب تصاعد البخار من الابريق المركز على فوهة وعاء الماء الساخن ، المعدني الكبير ..

ثلاثة شبان يلعبون الورق ، ويدخنون . ابو مصطفى غارق في تأملاته . انه يعقد ما بين حاجبيه ، ويبحر في الصمت ، يراقب عبر الزجاج ، المطر المنهمر .

دفعت ام مصطفى الباب . مسحت قدميها بالكيس . رفعت الجاكيت الرجالي عن راسها . رأته ، فابتسمت له . اضاء سنها الذهبي . رسمت في الفراغ بابهامها وسبابتها كأسـا . هز راسه . التقطت كأسا من الوعاء المليء بالماء السـاخن ، صبت فيه ماء ساخنا . رجت الكأس .

صبت شايا غامقا من الابريق الازرق ، اضافت له ماء ساخنا ، قال :

ــ ملعقة سكر واحدة .

هزت راسها ، وكأنما تقول اعرف . وضعت الكوب في صحن صغير ملون . اقتربت منه . انحنت ، ووضعت الشاي على الطاولة أمامه . سحبت كرسيا قشيا ، قصير القوائم . جلست . نفخت في راحتيها المضمومتين . مد لها يده بسيجارة . اشعل عود ثقاب ، نفثا دخان سيجارتيهما . تنهد .

احنت رأسها قليلا ، وتطلعت في عينيه .

سألتــه :

ــ ما بالـك ؟

ــ ...

اخرجت منديلها ، اخذت تجفف شعره وجبينه .

ــ انت مبتل . لماذا مشيت تحت المطر .

ــ آ .. هـا ...

ــ بماذا يفكر هذا الراس العنيد ؟

ــ بأمر بسيط ، هو تغيير قوانين الكون .

ساد صمت . اشعل سيجارة من اخرى . ونفخ دخانا كثيرا من انفه . غامت نظراته ، واربدت ملامحه .

ــ يا فتى ماذا يشغلك ؟ ما زلت صغيرا على الشرود .

خرج من قاع بئر الصمت ، انفاسه منقطعة ، وراسه ترتعش .

ــ اختي خولة .. ماتت .

نهض ابو مصطفى . كور يده ، بدا وكأنما يوشك على تحطيم الزجاج . زفر بصوت عال . ضرب يده في الهواء . ادار رسه وتطلع حواليه ، هز رأسه ، ثم تهاوى على كرسيه ، اسند ظهره الى الجـــدار ، وزوى ما بين عينيه . قالت ام مصـــطفى :

ــ امك ستنجب غيرها .

قـــال :

ــ امي حزينة جدا ، وانا اكثر منها حزنا ، اما ابي فقد ذاب قلبه . قالت ام مصـــطفى :

ــ كلنا سنموت . ولسنا ندري اي ارض ستطوي رفاتنا .

قـال ببطء :

ــ ليس هذا هو المهم . ليس هذا سبب الحزن .

ــ في عينيك حزن اثقل من ان يحتمله فتى بعمرك .

مضغ شفته السفلى وكأنما يزمع أن يأكل نفسه بنفسه . ضرب أحد اللاعبين الطـاولة بعنف ..

ــ انتهت اللعبــة .

نهض اللاعبون . ضحكوا . اختلطت كلماتهم . مد احدهم يده بالنقود لأبي مصطفى الذي ظل سادرا في الصمت ، والسرحان . نهضت ام مصطفى ، تناولت النقود من الشاب . فتح احدهم الباب ، ثم تدفقوا الى الشارع ، وفي ثوان خوضت اقدامهم في الماء الوسخ الطيني ، وتلاشى ضجيجهم .

قالت وكأنما تحدث نفسها :

ــ يا فتى ، ليست سوى طفلة صغيرة ، وامك ما زالت صبية .

ــ ليس هذا هو المهم . لست حزينا بسبب موتها ، لنقل بأني حزين . ولكن ليس الى حد كبير . لقد رفضوا دفن الطفلة .

ضحكت ام مصطفى ، قالت :

ــ هم لا يدفنون موتانا . انت غشيم ، لا تعرف هذا الامر . نحن نأخذ موتانا وندفنهم في مقبرة خاصة ، قرب الطريق الصحراوي .

قال وهو يشعل سيجارة :

ــ ما كنت اعـرف .

قالت وهي تربت على كتفه :

ــ انتم جئتم متأخرين ، نحن عشنا هنا بلا بيوت ، رجالنا ما وجدوا عملا ، المرض قضى على حياة اطفال كثيرين . ماذا اقـــول لك .. لا تذكرني يا لها من ايام . انت لا تعرف .

ــ انا اعرف الكثير . ولكني لا استطيع ان اقبل . والدي اخبرني بأنهم رفضوا دفن الطفلة . الحارس رفض دفنها في قبر خاص بها ، لكنه وافق بعد أن قبض مبلغا ، على دسها في التراب ، تصوري ، دون شاهدة ، لغة واحدة . همـوم واحدة . جهنم نحياها معا ، ومع ذلك .. مع ذلك يرفضون دفن الطفلة . كل

مدينة كنا نغادرها ، كان والدي يعدنا بمدينة جديدة افضل ، ببلاد الحياة فيها اكثر شرفا ، وراحة ، وصدقا .. تفو . آخ يا ام مصطفى لو اتمكن من اضرام النار في آبار النفط كلها ، تعلو النار تلالا ، تلتهم كل شيء ، المدن ، والاعـلام ، ومراكز الحدود . تصل النار حتى السماء ، فتعود لتسقط مطرا ناريا .. والناس يركضون ، يندفعون راكضين .. يهجرون البيوت ، والمدن ، ويجتازون الحدود ، ويختلطون ببعضهم ، تصير لهم لغة واحدة ، حادة ، مقتضبة ، تزول الشحوم من الاجساد ، الذين لا يستطيعون الركض يموتون ، السـيارات ، المخازن ، الاضابير ، جوازات السفر ، اسطوانات الاناشيد ، والاغاني .. كلها تحترق .. والمطر ، والفضاء ، وراحتا في حالة ذهول ، كأنما يرى رؤيا .

سال العرق على جبينه ، شحب لونه ، توهجت عيناه ، اخترقتا الزجاج ،

ـ تصوري يا خالتي ام مصطفى . النار تلتهم الاعـلام . كل العصي والقماش الذي يمزق سماء الوطن .

مدت يدها ، تحسست جبينه .

ـ اف . جبينك يلتهب .

ـ ليس جبيني الذي يلتهب فقط . قلبي ، وعقـلي ، واعصابي ، كلها تلتهب . شرايين دماغي اراها امامي كأنها أنهار من نار .

نهـض .

ـ عشرون عاما وأمي تنتظر حتى حملت بالطفلة ، الخـوف ، الهرب ، الركض على الشوك ، الطائرات التي تلقي حممها ، المدافع التي تلاحق الفارين بجحيم قذائفها جعلت رحمها تجف .. ثم بعد كل الانتظار ، والعلاج ، والرجاء .. يرفضون دفنهـا .

نهضت . قالت وهي تربت على كتفه :

ـ يا فتى ، لا تحمل الدنيا على راسك . انتبـه لجامعتك ، لتتمكن من مساعدة والدك في المستقبل . خذ الناس كما هم .

كز على اسنـانه .

ـ آخذهم كما هم ! اني اخجل نيابة عنهم . اني اتعذب نيابة عنهم ، لست اكرههم ، ولكن .. لكني لا احب حياتهم .

قالت وهي ترمق زوجها بشيء من الحزن ، والرثاء :

ـ ابو مصطفى ظل يسمع الراديو ، ويقرأ الجرائد ، ويتلوى قهرا حتى شارف الجنون . مرات ينفجر ضاحكا . مرات ينفجر غاضبا . انا اتحمل . صحيح اننا تمزقنا ، وتفرقنا . لكن علينا ان نتحمل . لنا ولد في المانيا ، وولد في الكويت ، البت تزوجت ورحلت الى السعودية . والنكبة ان الولد الاصغر في السجن منذ سنة . قبضوا عليه وهو بجتاز الحدود ، في البداية اتهموه بالتجسس للعدو . ثم قالوا : هو خطـر .

ضرب يده في الهواء . فتح الباب بسرعة ، اندفع الى الشـارع ، مضى تحت المطـر .

□

عبر الزقاق المؤدي الى المقبرة . جبهه سور مرتفع يحيط بالمقبرة . دفع

الباب الحديدي الثقيل ، بعد ان سحب المغلاق . غرفة حارس المقبرة مغلقة . طرق بابها ، فجاءه صوت يختلط بهدير وابور كاز . فتح الباب . اطل رأس صغير ووجه رمادي متغضن .

ـ اتريد دفن احد ؟ من الذي اختار هذا اليوم القارس البرد للموت .

فرك يديه ، نفخ فيهما ، سأل واسنانه تصطك :

ـ اعنـدك فأس ؟

ابتسم الحـارس :

ـ هي اهم قطع عدة الشغل .

بلهجة آمـرة :

ـ اعطنيها .

ـ لمـاذا ؟

ـ احتاجهـا قليلا .

راح الى عمق الغرفة . من الركن احضر الفأس .

امره سـامي :

ـ تعال معي .

ـ لماذا ؟ ثم ، من انت لتأمرني ؟

قال سـامي :

ـ انا رجل دمه يغلي ، بين يديه فأس ثاقبة ، قاتلة .

سار حارس المقبرة مشدوها . سأل بصوت تشوبه رعشة خوف :

ـ ولكن ماذا تريد ؟

ـ اريد ان تدلني اين دفنت الطفلة ؟

ـ اي طفلـة ؟

ـ لا اظنك نسيت . دفع لك والدي رشوة لتدسها في التراب . انا اريد اخـذها .

ـ ولكـن ..

ـ لا تخف . لن اشي بك . ولا اريد قتلك .

مضى الحارس امامه ، بين القبور . بلغ نهاية المقبرة . اشار الى جوار احـد القبـور .

ـ احفر هنـا .

ضرب سامي ضربات متلاحقة ، كشط الطين ، ظهر القماش ملوثا .

سأله الحـارس :

ـ ولكن لماذا تريد آخذها ؟

قال سامي محنقـا :

ـ لا اريد دفنها هنا . ستشعر بالوحشة .

قال حارس المقبرة :

ـ انت فتى غريب .

قال سامي :

ـ سأذهب لدفنها في المكان المناسب ، وفي طريقي سأحرق الرايات ، ودور الاذاعة ، ومحطات التلفزيون ، وسأتلف افلام الاحتفالات ، وكل اشرطة اغاني الانتصارات . اما جوازات السفر فسأحرقها ، واحولها الى جمر اكوي به عيون ،

وافواه كثير من الرجال المهمين ، الذين يزينون صدورهم بالاوسمة .
حملق الحارس مذهولا . تراجع بضع خطوات ، ثم تقفز مبتعدا بين القبور .

ضمها سامي الى صدره . مطر غزير يسيل من السماء . رفع الطفلة فوق رأسه ، ذاب الطين على رأسه وملابسه ، واصل سيره بين القبور . خرج من بوابة المقبرة . فك الكفن من حول جسدها . شعرها الاسـود القصير يلتصق بجبينها . فمها الصغير يكاد ينطق . ماذا ستقول ؟ يا اخي لا تدفني غريبة .
عبر الازقة والشوارع . خوضت قدماه في الوحل . التمع وميض البرق في الافق . سهم من الضوء الماسي ، الحاد ، شق السماء الرمادية ، التمع البريق في الاعصاب ، والرأس ، والقلب . نيران تندلع في الاشجار ، تجفف الطين ، تلتهم كل شـيء .
ملايين البشر يخرجون ، يركضون في البراري كخيول مطاردة ، يركضون ، يركضون ، توقف . احنى رأسه . همس لها :
ـ لا تخافي . لن ادفنك في الغربة .
ضمها الى قلبـه .
بين الاشجار الكثيفة الاغصان ، وعلى الدرب الطيني سار ، التمع البرق ، شق الغيوم الرمادية الثقيلة ، فرأى سامي رجالا بلحى بيضاء يطلعون امامه من الارض ، ونساء يأتين بملابس مطرزة ... يمدون الايدي ، يرحبون بعودة الغائب ، ويستعيدون الطفـلة .

هموم حارس ليلي

قصة : يحيى رباح

— ١ —

قال له الطبيب ، وهو يلملم ادواته ويضعها في حقيبة عجيبة الشكل ، تشبه مخلاة الساحر :
ـ يجب عليك ان تختار .. المراة .. ام الجنين ؟
صدمته الكلمات فلم يستطع ان ينطق بشيء ، وواصل الطبيب بصوت بارد متوازن مثل حدي الخنجر :
ـ لا اريد ان اقسو عليك ، ولا اريد ان اخدعك .. ولكـن الحالة صعبة للغاية .. زوجتك مصابة بأورام خبيثة مزمنة .. وهي اذا عاشت ستظل مهددة بالموت .. بالاضافة الى انها لن تنجب ابدا .
وكان محمد المشنوق طوال حياته ، يكـره قسوة الاختيارات الصعبة .. يتحاشاها .. ويهرب منها . اصيب بجرح في احدى المعارك ، كان ذلك قبل سنوات طويلة ، لم يفقد من جراء ذلك عينا او ساقا او ذراعا ، ولكنه فقد اللياقة ـ هكذا قالوا له ـ ومن يومها تحول من محارب ذائع الصيت ، الى حارس ليلي في المدينة ، يتمنطق بسيف من خشب ، ويدور في الليل في الساحات والاسواق ، يطوف بين القصور والاكواخ ، يستمع الى حلقات الذكر وجوقات الغناء وضجيج السكارى في الحانات ، وحين يتأكد ان شيئا لم يمس ، وان كل شيء باق على حاله في المدينة ، يشعر بالراحة .. وبالرضى عن نفسه ، وعندما تنتهي نوبة الحراسة ، يعود الى القبو الذي يسكن فيه حيث تنتظره زوجته .. ليواصل الانتظار من جديد ... وكان زملاؤه يتندرون عليه قائلين :
ـ ان محمد المشنوق يجيد الاذعان .. ويكره الاسئلة .
فيرد عليهم برفق حين يسمعهم :
ـ وما فائدة الكلام .. انه لا يجلب للانسان سوى المتاعب ..
ثم يمضي ، يغوص في جوف المدينة . سيفه الخشبي يتمايل على جنبه ، خطواته متباطئة ، وعيناه نصف مغمضتين ، وشفتاه مزمومتان توحيان انه يوشك ان يفتحهما

وافواه كثير من الرجال المهمين ، الذين يزينون صدورهم بالاوسمة .
حملق الحارس مذهولا . تراجع بضع خطوات ، ثم قفز مبتعدا بين القبور .

ضمها سامي الى صدره . مطر غزير يسيل من السماء . رفع الطفلة فوق رأسه ، ذاب الطين على رأسه وملابسه ، واصل سيره بين القبور . خرج من بوابة المقبرة . فك الكفن من حول جسدها . شعرها الاسود القصير يلتصق بجبينها . فمها الصغير يكاد ينطق . ماذا ستقول ؟ يا اخي لا تدفني غريبة .

عبر الازقة والشوارع . خوضت قدماه في الوحل . التمع وميض البرق في الافق . سهم من الضوء الماسي ، الحاد ، شق السماء الرمادية ، التمع البريق في الاعصاب ، والرأس ، والقلب . نيران تندلع في الاشجار ، تجفف الطين ، تلتهم كل شيء .

ملايين البشر يخرجون ، يركضون في البراري كخيول مطاردة ، يركضون ، يركضون ، توقف . احنى راسه . همس لها :

— لا تخافي . لن ادفنك في الغربة .

ضمها الى قلبه .

بين الاشجار الكثيفة الاغصان ، وعلى الدرب الطيني سار ، التمع البرق ، شق الغيوم الرمادية الثقيلة ، فراى سامي رجالا بلحى بيضاء يطلعون امامه من الارض ، ونساء يأتين بملابس مطرزة ... يمدون الايدي ، يرحبون بعودة الغائب ، ويستعيدون الطفلة .

هموم حارس ليلي

قصة : يحيى رباح

— ١ —

قال له الطبيب ، وهو يلملم ادواته ويضعها في حقيبة عجيبة الشكل ، تشبه مخلاة الساحر :

— يجب عليك ان تختار .. المراة .. ام الجنين ؟

صدمته الكلمات فلم يستطع ان ينطق بشيء ، وواصل الطبيب بصوت بارد متوازن مثل حدي الخنجر :

— لا اريد ان اقسو عليك ، ولا اريد ان اخدعك .. ولكن الحالة صعبة للغاية .. زوجتك مصابة بأورام خبيثة مزمنة .. وهي اذا عاشت ستظل مهددة بالموت .. بالاضافة الى انها لن تنجب ابدا .

وكان محمد المشنوق طوال حياته ، يكره قسوة الاختيارات الصعبة .. يتحاشاها .. ويهرب منها . اصيب بجرح في احدى المعارك ، كان ذلك قبل سنوات طويلة ، لم يفقد من جراء ذلك عينا او ساقا او ذراعا ، ولكنه فقد اللياقة — هكذا قالوا له — ومن يومها تحول من محارب ذائع الصيت ، الى حارس ليلي في المدينة ، يتمنطق بسيف من خشب ، ويدور في الليل في الساحات والاسواق ، يطوف بين القصور والاكواخ ، يستمع الى حلقات الذكر وجوقات الغناء وضجيج السكارى في الحانات ، وحين يتأكد ان شيئا لم يمس ، وان كل شيء باق على حاله في المدينة ، يشعر بالراحة .. وبالرضى عن نفسه ، وعندما تنتهي نوبة الحراسة ، يعود الى القبو الذي يسكن فيه حيث تنتظره زوجته .. ليواصل الانتظار من جديد ... وكان زملاؤه يتندرون عليه قائلين :

— ان محمد المشنوق يجيد الاذعان .. ويكره الاسئلة .

فيرد عليهم برفق حين يسمعهم :

— وما فائدة الكلام .. انه لا يجلب للانسان سوى المتاعب ..

ثم يمضي ، يغوص في جوف المدينة . سيفه الخشبي يتمايل على جنبه ، خطواته متباطئة ، وعيناه نصف مغمضتين ، وشفتاه مزمومتان توحيان انه يوشك ان يفتحهما

ليتكلم .. ولكنه لا يتكلم .

وفي الحقيقة ، لم يكن محمد المشنوق خاليا من الهموم ، فقد تزوج من امراته قبل عشر سنين ، امراة طيبة نبيلة القلب ، بحث عنها طوال حياته حتى وجدها ، وارتبط معها بظل الحب والوفاء والعهود المقدسة ، وكان ينتظر ان تنجب له ولدا .

— لماذا يا محمد المشنوق ؟

هكذا يسأله الحراس الليليون .

فيرد عليهم برفق :

— من اجل ان يتصل ميراث الدم .

— ميراث الدم ام ميراث العبودية ؟

— ان محمد المشنوق يخشى الا يجدوا في المدينة حارسا مثاليا مثله .. ويريد ان ينجب لهم من يخلفـه .

يضحك من هذه الدعابات ويضحكون ، يمتلىء ليل المدينة بصدى ضحكاتهم ، لكنهم مثل كل المساكين الذين يتشاءمون من كثرة الضحك ، سرعان ما يتكدرون ، وينزوي كل واحد منهم في ركن احزانه الخاصة .

ظهرت اعراض الحمل في العام الاول ، انتفاخ في البطن ، وتعكر في لون العينين وامتلاء في الثديين ، واعراض اخرى تؤكد الحمل .. لكن هذه الاعراض سرعان ما اختفت وتكرر هذا الامر ثلاث او اربع مرات دون جدوى .. حتى لقد فقد محمـد المشنوق اعصابه ذات مرة وراح يصرخ كالمجنون :

اخبروني يا ناس .. اخبروني يا اهل هذه المدينة .. ما اسم هذا الشيء الذي يبدو حملا ولكنه ليس كذلك ؟

وقال الناس الذين يعرفونه .. بدهشة :

— لا بد ان يكون قد حدث في الدنيا شيء ، فان محمد المشنوق بدأ بطـرح

الاسئلة . وفي ذلك الزمن ، زمن الانشطارات المتتالية ، زمن الانهيارات والتحولات والاشياء التي لا تستقر على حال ، لم يكن هناك اكثر من الاسئلة .. اسئلة تتكاثر على السنة الجميع ، مثلما تتكاثر الجراثيم بسرعة مذهلة في جرح مليء بالقيـح والصديـد .

فلقد سقط برج السلاسل ، برج ضخم كأنه الجبل ، ينهض وسط النهر قريبا من منطقة التقائه بالبحر ، تتفرع من البرج سلاسل حديدية ضخمة ، تمتد وسط الماء مثل اذرع قوية تصد الغزاة ، سقط برج السلاسل في يد الصليبيين ، واصبح النهر طريقا مفتوحا الى المدينة .. والى كل الارض .

وقال محمد المشنوق في ذهول :

— يا طبيب .. هذه المراة بحثت عنها طيلة عمري حتى وجدتها .. اعطيتها قلبي .. نسجت معها كل احلامي للمستقبل .. كيف اتخلى عنها ؟.. وهذا الجنين الذي في بطنها .. انه انتظاري .. اتصال وجودي في الزمن القادم .. كيف اتخلى عنـه ؟؟

ولكن الطبيب كان قد القى سؤاله ومضى ، كان الوحش الخرافي ، يلقي الغازه على اهل مدينة طيبة .

نادى محمد المشنوق بأعلى صوته :

— يا طبيب .. ارجوك .. انتظر !

لم ينتظر .. ومضى ، غاص في جوف المدينة ، لحقه محمد المشنوق كالمجنون ،

تابعه وهو مشحون باليأس والرجـاء .. بحث عنه في كـل الشوارع والساحات والاسواق .. لم يعثر على اثر .. وعندها عاد محمد المشنوق الى زوجته التي تحمل في بطنها الجنين ، كانت خطواته متسارعة ، وعيناه مفتوحتين ومتوهجتين بنوع خارق من الذعر ، وكانت المدينة تصدمه بألوانها وجـدرانها وسكانها كأنه يراها للمرة الاولى ، وعندما وصل الى زوجته ، ركع بالقرب من فراشها : طوقها بذراعيه ، ووضع راسه على بطنها يتنصت الى حركة الجنين ... كان محمد المشنوق يقف في النقطة الفاصلة بين انهيار العالم .

— ٢ —

— وصل الصليبيون

— سينهزمـون

— سفائنهم تغطي وجه البحر

— ستغرقهم امواج بحـرنا

— نزلوا مثل اسراب الجراد الى الشاطىء

— ستكون الارض في وجههم سدودا من النيران

— انهم يحاصرون برج السلاسل

— لن يمـروا

— لقد سقط البـرج

— لقد ارتفع صوت اللعنة

وكانت السماء خريفية ، لونها ابيض باهت مثل نصل معدني يتقوس فـوق رؤوس الناس جميعا ، ورياح تهب بين وقت وآخر ، تدفع امامها في السماء كتلا من الغيوم السوداء ، تتراكض الغيـوم في سماء المدينة مثـل خيول مجنونة ، مثلما تتراكض هواجس الخوف في احشاء المدينة .

هذه المدينة تصلح للنصر كما تصلح للهزيمة ، كتـل من الحجارة ، اكوام من الطين ، وتلال من القش ، قصور واكواخ ومآذن ، واقبية واسطبلات محشوة بالناس والحيوانات غائصة تحت الاقدام .

هذه المدينة مفتوحة لكل جهات الارض ومغلقة في وجه كل شيء ، يتنفس البحر في وجهها ، ويلتف النهر حول خاصرتها ، وتباع فيها النساء بأثمان خيالية ، نساء مثل الاواني الفخارية الملونة . وكان الامراء المماليك ، ورؤساء الجند الاتراك ، وتجار البضائع المستوردة يقولون :

— هذه مدينة ملائمة للبقاء .

فيرد عليهم خليط البشر الاخرين قائلين :

— هذه مدينة ملائمة للانهيار !

فيقول محمد المشنوق مستاء :

— مهما يكن .. لا بد من الاستمرار في الحراسة

وتصرخ زوجته بصوت محقون بالغضب :

— لقد طلبوا منا اخلاء القبو الذي نسكنه ، والانتقال الى السطح العلوي .

— هذه علامة الحرب .

— دائما يفعلون هكذا .. في الحرب نصد عنهم بلحمنا السهام النارية ، وفي السلم نفرش لحمنا سجادا لاحذيتهم .

— اسكتي يا امرأة .. هذه دعوة للتمرد في زمن الحرب .

ولقد سقط برج السلاسل ، وانتشرت الاخبار في المدينة ، بأن المحاربين هناك وعلى رأسهم قائدهم جمال الدين الكناني ، كانوا قد استنجدوا بالملك بعد قتال وصمود دام مائتي يوم وليلة ، ولكن الملك كان مشغولا عنهم ، بتوزيع الدنانير الذهبية على امرائه المؤيدين ، وتوزيع السموم على امرائه المعارضين ، حينئذ لجأ المحاربون في برج السلاسل الى طلب النجدة من الامراء والمماليك ، ورؤساء الجند الاتراك .. ولكن هؤلاء كانوا منهمكين في حشو قصورهم بما خف حمله وغلا ثمنه .. ولم يكن هناك أثقل من الارض ولا ارخص من الارض ، فكان ان استنجد المحاربون بالتجار .. ولكن هؤلاء كانوا ينتظرون الفرصة لبيع لقمة الخبز بعشرة امثالها .

وقال محمد المشنوق ، يتحدث الى زملائه الحراس خلال نوبة الحراسة :

— انا أعرف جمال الدين الكناني !

— كيف ؟

— حاربت معه قبل سنوات طويلة !

— هه .. ماذا عن الرجل ؟

— انه ليس مملوكا .. وليس تركيا .. ابن هذه البلاد .. حارب في كل معاركها ويحبها .!

— لو تأخذنا اليه ؟

— والمدينة .. ؟

— انها سفينة تغرق !

وكان هذا هو حديث الناس في المدينة ، يتحدثون عن الملك الذي لا بد ان يتدخل ، وعن جمال الدين الكناني الذي انتشر مع جنوده في الارض ، قائلا بأن حماية المدن تتم خارج الاسوار وليس داخلها ، وعن الصليبيين الذين يقول البعض عنهم ، ان الاستسلام لهم لن يؤدي الى اصابة المدينة بأي مكروه ، وكانت المدينة ترتج وترتطم وتتمزق الى اشلاء وشظايا مثل آنية من الزجاج ، في المساء حديث عن السلم ، وفي الصباح حديث عن المجابهة ، بشر يأتون الى داخل المدينة .. وآخرون ينطلقون خارجها ، ومتاجر تعرض في واجهاتها سيوف الصليبيين المكسورة ، ومتاجر اخرى تعرض قلانسهم كأحدث صيحة في دنيا الازياء .. ونساء يتحدثن عن وحشيتهم وتمثيلهم بالجثث . ونساء يبحثن عن نوع العطور التي تلائمهم ، وكان المصلون يرددون الدعوات وراء من يعتلي المنبر ، ولمصلحة من يصك باسمه النقود الجديدة .. وكان الاعداء يقتربون .

— ٣ —

— من اين نبدأ .. من قاع الواقع أم من قمة المكابرة ؟

هكذا اطلق جمال الدين الكناني السؤال ، لم يكن هو نفسه يدري ان كان يطرح السؤال على نفسه ، ام على جنوده المتعبين :

— لم نهزم .. ولكنهم خذلونا .

يسير النهر في مجراه الواسع متباطئا ، كأنه يلقي نظرة متمهلة على السهول الفسيحة من حوله ، والقرى الصغيرة الوادعة التي تغسل اقدامها في مياهه العذبة ، وتطفو على وجه الماء الشفاف اوراق نباتات البردى ، كأنها وريقات منزوعة من كتاب الحب والسكينة ، ويتناغم صوت النهر ، فيبدو مثل مواويل مفعمة بالاشواق الغامضة ، وموغلة في القدم والاستشراق ، ثم فجأة ، وفي نقطة متوقعة وغير متوقعة في الزمان والمكان ، يضطرب النهر كأنما مسته الحمى ، يتحول الجريان الهادىء الى اندفاع عنيف ، ويتحول الغناء الى هدير .. ويسقط النهر ، يسقط من اعلى الى اسفل ، تتمزق جدائل الماء ، يلتوي عنق النهر يلتوي عنق جواد يقفز من فوق سور المذبحة الى حلبة الموت ، ترتطم الحجارة وكتل الصخور ببعضها ، يفور طين القاع ، ويصبح هذا المنحدر القاتل ، خطوة واحدة يمكن القفز عنها بوثبة واحدة ، وانشطارا في الزمان والمكان لا يمكن اتصاله ثانية .. ولكن النهر لا يضيع ، سرعان ما يعثر على مجراه ثانية .. يسير منهكا وباسما ومتباطئا .. والمدى امامه الى نهاية المدى .

لم نهزم .. ولكنهم خذلونا .

وجوه مدفونة في الغبار ، واقدام غائصة في الوحل ، وعيون مليئة بالشتات والضياع ، واصواتهم تتصارخ مثلما ينتثر الدم من اللحم البشري لحظة الذبح .

— لا فرق .. لا فرق .. ما دمنا نفكر كيف نجتاز المنحدر القاتل .

كان يتحدث اليهم وهو يقف فوق نتوء بارز من الارض ، جسمه ضامر كالمهر ، وعيناه غاضبتان وحزينتان وصوته مشحون بالانكسار والتجاوز ،

كان يبحث عنهم ، يبحث في بريق عيونهم ، وفي حشرجة اصواتهم ، عن تلك الجذوة من الرغبة في الحياة ، المغلقة بانفجارات الرغبة في الانتحار .

— نبدأ من المنبع .

وقال يحدث نفسه في زمن الصعوبات ، لا بد من العمل على انقاذ شيء ما مهما كان صغيرا .. انقاذ شيء من اجل انقاذ كل شيء .. شيء يجب انقاذه وتخليصه من بين براثن وحش الانتحار ، ومن بين براثن وحش الهزيمة والتسليم .

— نكمل الشوط الى المصب .

كانوا في عهدته الرسمية ارقاما ، كانوا في عهدته الرسمية ارخص من الخيول ومن السيوف ومن علف المواشي ، ولكنهم كانوا في عقله وقلبه مادة الحياة وهدفها واغنياتها الجميلة .

— نحتمي وراء اسوار المدينة .

هؤلاء هم كل ما تبقى من جنوده الذين حاربوا معه ، سوف يلعنهم بعض الناس لانهم لم يموتوا .. ويلعنهم البعض الاخر لانهم اثخنوا بالجراح الى هذا الحد .. وقال جمال الدين الكناني :

— سننتشر في هذه الارض ، سيلاحقنا الاعداء بفعل انتصارهم ، وسنلاحقهم نحن لاننا لا نملك أرضا اخرى نهرب اليها ، .. ولن يتوقف شيء .

وقرعت الطبول في المدينة ، وانتشر المنادون فوق المآذن والابراج ، وفي الشوارع والاسواق والساحات العامة .. اصواتهم تنادي مشحونة بقوة الانذار ورجفة الاستغاثة :

— يا اهل هذه المدينة .. يا فرسانها الشجعان وجنودها البواسل .. هبوا

للدفاع عن مدينتكم .. فالمدينة اصبحت محاصرة .
يعربد الخوف في احشاء المدينة ، وحوش خرافية سوداء تنفلت من كهوفها السرية دفعة واحدة ، يتراجع الناس من الاطراف وينحشرون في كومة واحدة ، والجنود فوق الاسوار امامهم العدو ، وخلفهم مدينة تنكفىء على نفسها ، يرهقهم اليأس مثل عصافير صغيرة يحاصرها الثلج ، وينقطع ذلك الخيط الوهمي الذي كان يشد الاشياء الى بعضها ، وجمال الدين الكناني مع جنوده يزرعون الارض الواسعة بالكمائن للصليبيين ، وينصاع الناس في ليل المدينة المحاصرة .

ــ هل يأتي الينا أم نذهب اليه ؟

ــ المـــوت ؟

ــ لا

ــ العـــدو ؟

ــ لا

ــ مـــن هـــو ؟

ــ جمال الدين الكناني

ــ قال ان الاسوار لا تحمي مدنا

ــ هذا حـــق

ــ والمماليك والاتراك لا يدافعون

ــ هـــذا صحيح

ويبحث الناس في ليل المدينة المحاصرة عن محمد المشنوق ،

ــ انت تعـــرفه ؟

ــ قل لنا ماذا نفعل

يبحثون عن محمد المشنوق ، يجدونه هائما في ليل المدينة المحاصرة ، سيفه الخشبي يتمايل على خاصرته مثل ساق مبتورة ، وعيناه مفتوحتان ومتوهجتان بذعر صارخ ، وهو نفسه يصرخ مثل حيوان مذبوح .

ــ أخبروني يا ناس ... اخبروني يا اهل هذه المدينة .. ماذا يتوجب علي ان اختار .. المراة .. أم الجنين ؟

لو كان ابراهيم هناك ...

قصة : رسمي ابو علي

جثة محمد الجبلاوي موضوعـــة في المخزن السفلي فوق التبن والقصل . مات عند الظهر وهو يحصد . قال احدهم ضربة شمس . قال اخر : بل كان مريضا واما جدتي فجزمت بأنه مات اشتياقا لأهله ..

كان القمر قد غاب واوى الحصادون ، نساء ، ورجالا ، في وقت مبكر من الليل الا جدتي التي ظلت ساهرة في سقيفتها الطينية التي لا يزيد حجمها كثيرا عن طابونها . كان المخزن قريبا من السقيفة وكانت قد اوت منذ قليل اليها حيث قبعت منذ المساء فوق الحجر الاملس في طرف البستان المطل على الشارع الترابي العريض منتظرة عودة ابراهيم ..

لم يداخلها اليأس قط بعودته رغم مرور اكثر من خمس سنوات على اختفائه . كانت ترى اليأس والشفقة في عيون بقية اولادها وبناتها والاقارب ولكنها كانت تفز بقامتها المتينة الصغيرة ورجليها المعوجتين وتقرر بثقة مطلقة :

ــ ابراهيم سيعود .. ابراهيم سيعود يوما مهما طال الزمن .

كنت طفلا صغيرا عندما فقد . خرج ذات يوم ولم يعد . ولا شهر طويلة ظل خالي وابناؤه وخالاتي والجميع يبحثون في المغر والجواريف والهربات حاملين حبالهم وكلاليبهم دون جدوى . لم تبق مغارة في جبل او فتحة في الارض الا وهبطوا اليها باحثين عن جثته دون جدوى . كانوا يعثرون بجماجم قديمة لبشر وحيوانات .. كانوا يجدون علبا صدئة ويذعرون عندما تنساب افعى في جـــب عميق مختفية بين الحجارة الرطبة .. ولكنهم لم يجدوا ابراهيم ..

قالت جدتي فلنفتح المندل ، وذات مساء جاء رجل وجدته مخيفا بلحيته المدببة ونظراته التي تشبه نظرات الصقر وتحلق الجميع حوله وتفـــرس الرجل في وجوه الحاضرين والحاضرات وقال :

ــ لا ينكشف المندل الا على طفل صغير . فتوجهت الانظار الي فأحسست بالخوف وحاولت التهرب ولكنهم امسكوني وقالوا لا تخف وامسكني الرجل الغامض

للدفاع عن مدينتكم .. فالمدينة اصبحت محاصرة .

يعربد الخوف في احشاء المدينة ، وحوش خرافية سوداء تنفلت من كهوفها السرية دفعة واحدة ، يتراجع الناس من الاطراف وينحشرون في كومة واحدة ، والجنود فوق الاسوار امامهم العدو ، وخلفهم مدينة تنكفىء على نفسها ، يرهقهم اليأس مثل عصافير صغيرة يحاصرها الثلج ، وينقطع ذلك الخيط الوهمي الذي كان يشد الاشياء الى بعضها ، وجمال الدين الكناني مع جنوده يزرعون الارض الواسعة بالكمائن للصليبيين ، وينصاع الناس في ليل المدينة المحاصرة .

— هل يأتي الينا أم نذهب اليه ؟

— المـــوت ؟

— لا

— العـــدو ؟

— لا

— مـــن هـــو ؟

— جمال الدين الكناني

— قال ان الاسوار لا تحمي مدنا

— هذا حـــق

— والمماليك والاتراك لا يدافعون

— هـــذا صحيح

ويبحث الناس في ليل المدينة المحاصرة عن محمد المشنوق ،

— انت تعـــرفه ؟

— قل لنا ماذا نفعل

يبحثون عن محمد المشنوق ، يجدونه هائما في ليل المدينة المحاصرة ، سيفه الخشبي يتمايل على خاصرته مثل ساق مبتورة ، وعيناه مفتوحتان ومتوهجتان بذعر صارخ ، وهو نفسه يصرخ مثل حيوان مذبوح .

— اخبروني يا ناس ... اخبروني يا اهل هذه المدينة .. ماذا يتوجب علي ان اختار .. المراة .. أم الجنين ؟

لو كان ابراهيم هناك ...

قصة : رسمي ابو علي

جثة محمد الجبلاوي موضوعـــة في المخزن السفلي فوق التبن والقصل . مات عند الظهر وهو يحصد . قال احدهم ضربة شمس . قال اخر : بل كان مريضا واما جدتي فجزمت بأنه مات اشتياقا لأهله ..

كان القمر قد غاب وأوى الحصادون ، نساء ، ورجالا ، في وقت مبكر من الليل الا جدتي التي ظلت ساهرة في سقيفتها الطينية التي لا يزيد حجمها كثيرا عن طابونها . كان المخزن قريبا من السقيفة وكانت قد اوت منذ قليل اليها حيث قبعت منذ المساء فوق الحجر الاملس في طرف البستان المطل على الشارع الترابي العريض منتظرة عودة ابراهيم ..

لم يداخلها اليأس قط بعودته رغم مرور اكثر من خمس سنوات على اختفائه . كانت ترى اليأس والشفقة في عيون بقية اولادها وبناتها والاقارب ولكنها كانت تفز بقامتها المتينة الصغيرة ورجليها المعوجتين وتقرر بثقة مطلقة :

— ابراهيم سيعود .. ابراهيم سيعود يوما مهما طال الزمن .

كنت طفلا صغيرا عندما فقد . خرج ذات يوم ولم يعد . ولا شهر طويلة ظل خالي وابناؤه وخالاتي والجميع يبحثون في المغر والجواريف والهربات حاملين حبالهم وكلاليبهم دون جدوى . لم تبق مغارة في جبل او فتحة في الارض الا وهبطوا اليها باحثين عن جثته دون جدوى . كانوا يعثرون بجماجم قديمة لبشر وحيوانات .. كانوا يجدون علبا صدئة ويذعرون عندما تنساب افعى في جـــب عميق مختفية بين الحجارة الرطبة .. ولكنهم لم يجدوا ابراهيم ..

قالت جدتي فلنفتح المندل ، وذات مساء جاء رجل وجدته مخيفا بلحيته المدببة ونظراته التي تشبه نظرات الصقر وتحلق الجميع حوله وتفـــرس الرجل في وجوه الحاضرين والحاضرات وقال :

— لا ينكشف المندل الا على طفل صغير . فتوجهت الانظار الي فأحسست بالخوف وحاولت التهرب ولكنهم امسكوني وقالوا لا تخف وامسكني الرجل الغامض

من كتفي ووضعني أمامه وابتدأ يحدق في عيني بنظرات مخيفة وطلب ان يحضروا فنجانا ويملؤوه بزيت الزيتون وقال لي الرجل بلهجة آمرة فيما احسست انه يرقب زوجة خالي ابراهيم الصغيرة الحلوة بنظرات لم ارتح لها .

ـ حدق في هذا الفنجان يا ولد واخبرنا ماذا ترى . واضاف بلهجته الآمرة :

ـ وإياك ان ترفع عينيك عن الفنجان لانهم سيغضبون منك .

حاولت امي ان تتدخل . كانت خائفة علي من الاسياد ولكن خالي انتهرها فسكتت والخوف يلفها .

اخذت احدق في الفنجان فيما كان الرجل يتلو أدعية غامضة ويدور بيده دورات دائرة بمبخرة كانت في يده ..

□

غاب القمر منذ ساعات وسكن كل شيء وكفت الكلاب عن النباح واحست جدتي ان شبح محمد ينهض من المخزن ويتجه اليها . سمعت خطواته تقترب رقيقة هفهافة وكانت على وشك ان تنهض عندما شق السكون المطبق نداء امرأة بعيد .. بعيد .

ـ يا أم جادالله ... يا أم جادالله . نهضت من فراشي ـ اخبرتنا جدتي ـ وقلت هذه أم محمد وصلها الخبر فجاءت لتأخذ جثة ابنها .

خرجت على الفور وبملء صوتي رددت عليها ـ ايوه يا ام محمد .. انا جايه ..

فرد عليها الصوت :

ـ وينك يا ام جادالله .. تعالي فانا لا اجد طريقي في هذا الليل .

واخذت تسعى الى مصدر الصوت .

□

قال لي فاتح المندل :

ـ ماذا ترى يا ولد .. ها .. اخبرنا ماذا ترى ..

فرددت بصوت خائف دون ان اجرؤ على رفع عيني عن فنجان الزيت :

ـ لا شيء .. لا أرى شيئا ..

احسست أن الرجل يغلي بالغضب وصرت ارتجف من الخوف . وعاد وتلا مزيدا من الادعية ونثر مزيداً من البخور واحسست دون ان اراه انه يلتهم زوجة ابراهيم بعيني ذئب ..

ـ الان ماذا ترى يا ولد .. حدق جيدا واخبرنا .. هناك رجال صغار الان . هل تراهم ..

رأيت رجالا صغارا حقا لا يزيد طول الواحد عن ربع اصبع طفل . نهرني الرجل :

ـ هل تراهم الان ؟

احسست ان الرجل ارتاح وهدأ ، فأردف :

ـ هل ترى رجلا بقمباز ابيض وله جدائل ويضع شبرية من الفضة على وسطه ؟

كنت اعرف ان هذه هي اوصاف خالي . حدقت جيدا وقلت نعم أرى هذا الرجل . سألني الرجل :

ـ ماذا يفعل ومن معه ؟ معه ثلاثة رجال اليس كذلك .. قلت معه ثلاثة رجال يلبسون قنابيز سوداء وفي ايديهم اشياء لا اتبينها جيدا ..

ـ هل هي بواريد . سأل الرجل ؟

قلت لا ، ليست بواريد .. انها ... انها تبدو كقضبان من الحديد ..

ضرب خالي كفا بكف وصرخ :

ـ كنت اعرف .. ما قتله الا الصاطافي . ذهبوا ينهبون الكبانيه فوقعوا في ايدي اليهود .

صرخت جدتي :

ـ اخرس يا جوز وطفة .. ابراهيم ما مات ابراهيم سيعود .

□

كان مناحيم بيغن وعصابته قد ذبحوا اهالي قرية دير ياسين التي لا تبعد اكثر من اربعة كيلومترات عن قريتنا ، فعم الذعر واخذ الناس بالهرب وهم يرددون :

ـ الدور علينا الان . واخذ بعض الرجال يذهبون الى القدس ويعودون بشاحنات كبيرة .

□

تبعت الصوت ـ قالت جدتي ـ وانا اقول وينك يا أم محمد وهي ترد ـ انا هان يام جادالله . وظللت امشي وامشي وامشي حتى أصبحت على مشارف عين كارم فضربتني العتبة واحسست ان الصوت يبتعد بدل ان يقترب .. فقلت وقعت في الفخ يا ام جادالله : هذه منبهة الليل وليست أم محمد . فوضعت أذيالي في فمي وقفلت راجعة وانا احس ان شياطين الارض كلها تركض ورائي . واحسست بأقدام منبهة الليل ورائي وهي تصطفق بالحجارة . وبعد ان ركضت طويلا تنبهت لنفسي وقلت ـ اخص عليك يا أم جادالله تهربين من منبهة الليل ـ اخص عليك يا مرت الشيخ عبد الله السبع الذي عمر الرجال ما فتلوا له خيطان .

وقفت وقد زايلني الخوف وصرخت بملء صوتي :

ـ ان كنت عدوة او صديقة فتعالي الي يا عايبة وانا أريك مقدارك عندي ووقفت وانا احمل كومة من الحجارة في يدي . وهنا ضحكت جدتي فبانت لثتها الحمراء الخالية من الاسنان على لهب الكانون ـ الحق اقول لكم انني كنت خائفة .

ليش الكذب – ولكن قلت يا مرة انت ام ابراهيم (انطفأ وجهها فجأة وذرفت دمعتين) انت ام ابراهيم ومرت عبد الله وتهربين .

وماذا حدث يا جدتي – سألناها ونحن نرتجف .. – ولا اشي – هربت العاية ولم أر لها اثرا بعد ذلك .

وفي ذات ليلة وكات الدنيا مو ... ار مطر – قالت جـدتي – وخرجت لازبل الطابون وفيما انا اقيم واحط واذ بشيء ينخزني في صدري فنظرت واذا برجل مهيب كل شيء فيه ابيض ويمتطي فرسا بيضاء يمد حربته الى صدري فارتجفت ونظرت اليه خائفة فقال لي :

– يا حرمة . قولي لدار الدرويش ان يزيلوا أوساخهم ومـزابلهم من جنب الجامع والا محوتهم محواً – فظللت ساكتة وانا اقول لنفسي : بسم الله الرحمن الرحيم – اللهم ارض عنك وعنا يا عمر – هذا عمر بن الخطاب جاء الي واحسست بجسدي يلتهب رغم المطر المتساقط ولكنني ظللت ساكتة . فنهرني الفـارس وعاد ينخزني بحربته مرة اخرى وهو يقول :

لماذا لا تردين يا حرمة ؟ وضحكت جدتي مـرة اخرى كأنما هي خجلة من نفسـها وسكتت .

– ماذا حدث .. ماذا حدث – سألناها ونحن نرتجف من الخوف –

سكتت قليلا كأنما تتأمل وقالت : قلت له – انت فارس جليل وتلبس ابيض في ابيض وكلامك على راسي وعلى عيني – اللهم ارضى عنك – ولكن لماذا لا تقول لدار الدرويش بنفسك – واضافت كأنما تكلم نفسها وقد اصبح وجهها قطعة من الصـخر :

– انا لا احط واطي حتى لـ ... ولم تكمل .

□

احضر خالي الاكبر شاحنة بدوره واخذ مع زوجته واولاده وخالاتي واخوالي يكدسون ما يستطيعون تكديسه في الشاحنة ولما أصبحوا على أهبة الهرب جاء خالي الى جدتي . كان مترددا وشاعرا بالخجل ولكن الخوف اقوى . نكس راسه وقال لها برقة غير معهودة فيه :

– يلا يمه – الناس كلها طالعة – البارحة ذبحوا دير ياسين والدور علينا .

ظلت جدتي مطرقة كأنها تمثال .

– يا يما أنا عارف .. بس احنا مش قدرتهم ولا نريد ان نذبح ذبح النعاج ..

عبقت رائحة الهيشي من سيجارته ومار الغضب في اعماق جدتي واستدارت اليه فنهض خجلا وخوفا .

– تهربون من اليهود يا هبل . علي الطـلاق من راسي – وانت تعرف يا جادالله – أنني بيدي هاتين اللتين لم يأكلهما الدود بعد – وبحجر او حجرين كنت اطش عشرين أو ثلاثين منهم عندما كانوا يخرجون شطحات في الزرقية او في طـون عيسى ..

– عارف يمه – قال جاد الله – عارف . لكن هؤلاء ليسوا هم اليهود الذين تعرفينهم ايام زمان . هؤلاء يهود جاءوا من اخر الدنيا ومعهم دبابات ومدافع وليسوا هملا مثل الذين تتحدثين عنهم .

كان يخاطب صخرة – أدرك انها لم تسمع ولا تريد ان تسمع . رفعت رأسها وبعينيها الكليلتين وجهت اليه نظرة غامضة وقالت كأنما تحدث نفسها :

– وابراهيم – ابراهيم جادالله .. من ينتظره اذا عاد .. ها ! من ينتظره يا جوز وطفة .. ها ..

والجاجات والطابون .. والعنزة والسقيفة .. من يهتم بها يا جادالله ..

وادارت وجهها فأدرك خالي انه لا فائدة فخطر له ان يحملها بالقوة ولكنه طرد الفكرة بسرعة فأم جادالله لا تؤخذ بالقوة ابدا .

□

هرب من هرب وظل بضعة رجال يحملون بنادق قديمة . استشهد بعضهم وهرب البعض الاخر عندما ادركوا الا فائدة . واما نحن فلجأنا الى ارض دير قريب من مدينة بيت جالا منتظرين العودة القريبة كما وعودنا .

مر الصيف وجـاء الخريف ولاح هواء تشرين في الافق فأطار العرائش التي اقمناها من اغصان واوراق الشـجر فلجأنا الى المغر الرطبة واخذ اليأس يتسلل الى قلوب الكبار ورأيت دمعتين في عيني والدي لاول مرة في حياتي .

وذات يوم ونحن نلعب فوق رؤوس الاشجار شاهدنا موكبا صغيرا يتقدم . كان ثمة انسان محمولا على محفة ولما اقتربوا هتفنا جميعا :

– انها جدتي .. انها جدتي .. لقد عادت وكان ثمة رجـال يحملون شارة الصليب الاحمـر .

رفضت ان تتكلم اياما طويلة – واخذت تهزل وتهزل ونبت شعر في عينيها فكانت تطلب مني ان ازيله بالملقط . واخيرا اخبرتنا بدون حماس كيف وجدها اليهـود في القرية وكيف سرقوا دجاجاتها وعنزتها ثم اطلقوا النار في الهواء فأصابتها رصاصة في طرف خاصرتها فأخذوها معهم ووضعوها في مكان لا تعـرف اذا كان سجنا أم مستشفى ولكن كان واضحا انها لا تريد ان تتكلم . وقد لاحظت ان الرجال يتجنبون الحديث معها ويختفون من امامها منكسرين .

وذات يوم وبعد ان ازلت لها عددا من الشعرات من بياض عينيها . استلقت وكان وجهها حزينا ثم ماتت غير اني سمعتها تقول بصوت واهن :

– لو كان ابراهيم هناك لما حدث ما حدث .

(حرب الغفران الحقيقية)
نظرة الى الماضي أم نبوءة ؟

عرض وتحليل : الأب الياس زحلاوي

كتاب آخر عن حرب تشرين طبع اولا في لندن تحت عنوان « المواجهة » في كانون الاول ١٩٧٣ . وترجم بعد اشهر قليلة الى الفرنسية بعنوان « حرب الغفران الحقيقية » . وقد جاءت الترجمة ، التي نحن بصددها ، جذابة في غلافها ، وفي عنوانها ، وفي حجمها ، اذ هي تقع في / ٣٠٠ / صفحة من القطع الكبير . اما الدار التي تولت نشره ، فهي دار (كلمان ليفي) احدى اكبر دور النشر في باريس وهي دار يهودية . ويبقى ان نعرف ان واضعه هو « ولتر لاكور » مدير معهد التاريخ المعاصر في لندن ، كي ندرك وقع هذا الاسم على القارىء الغربي . وهو الى ذلك يهودي .

ما الغرض من الكتاب ؟

« متواضع بسيط » ، ومنسجم مع العقلية الغربية الشغوفة بالتحليل والنقد . يقول الكاتب في الصفحة / ١٠٧ / : « انه يرمي الى القاء نظرة تحليلية ونقدية على مراحل الحرب الاساسية ، ليس الا » . وقد يبدو هذا الغرض ضيقا ، الا انه في الواقع يتسع ويتسع حتى ياتي الكتاب في ثمانية فصول تتناول :

١ ـ الفترة التي تمتد من حرب حزيران الى حرب تشرين .
٢ ـ الاستعدادات للحرب .
٣ ـ الحرب نفسها .
٤ ـ سياسة الوفاق الدولية .

٥ ـ الحرب كاختبار لهذه السياسة .
٦ ـ سلاح النفط .
٧ ـ صدى اوليا لنتائج الحرب .
٨ ـ احتمالات المستقبل .

ويؤكد الكاتب ، في مقدمة وجيزة رشيقة ، انه يلتزم جانب الموضوعية ، وان كانت الوثائق التي في حوزته في معظمها غير عربية ، سيما وان المصادر العربية كلها رسمية / ص ١٠٢ / . وتذهب به النزاهة العلمية الى الاعتراف بان معظم الفصل الثالث من وضع جنرال الاحتياط الاسرائيلي « ميتياهو بليد » / ص ١٠ / وهو يؤكد « انه حاول الا يتجاهل تطلعات وطموحات اي من الاطراف المتنازعة » .

الموضوعية والحرب الخامسة :

ماذا عن هذه الموضوعية ؟ وعن هذا الذي اراده تحليلا نقديا للحرب ؟

في الواقع ، ان الاجابة على هذين السؤالين تقتضي دراسة مفصلة ومطولة للكتاب كله . وعندها يتضح للقارىء العربي أن الكتاب موجه للغرب لتبرير حرب خامسة تقوم بها اسرائيل وتضع فيها حدا نهائيا « لاعتداءات المجانين والمتعصبين » الذين يحيطون بها !! / ص ٣٠٠ /

تلك هي بايجاز قاطع ، رؤيا الكاتب وقناعته المطلقة ، برغم ما يتخلل كتابه من تحليلات ، يبدو معها وكأنه يتحامل على اسرائيل والمسؤولين فيها ، على نحو قل أن قرأناه لكاتب غربي . والخطر الكامن في هذه التحليلات بالذات هو انها موثوقة وصريحة . فتوهم القارىء بالموضوعية ، فيبتلع معها الرؤيا الكامنة في الكتاب ، على انها الرؤيا الوحيدة للقضية المطروحة ، والموقف النابع منها ، على انه الموقف المنطقي الوحيد حيال القضية كلها .

وهو في الواقع يقوم بتشريح دقيق للمجتمع الاسرائيلي في الفترة الواقعة بين حرب حزيران وحرب تشرين . ويشدد على الثقة المتغطرسة التي تميزت بها تلك الفترة . فالمجتمع الاسرائيلي انتقل فجاة من طور الانكماش والخوف الى طور الانطلاق والتعالي . فبات يتطاول على العالم العربي كله ، يهدده بالاحتلال في غضون اسبوع واحد ، من اقصاه الى اقصاه / ص ٥٠ / . واخذ يتحدى اوروبا كلها معتبرا جيشه وحده متفوقا على جيوشها كلها مجتمعة / ص ٥٠ / . وفجأة ، يتخلى المسؤولون الاسرائيليون عن فكرة اللاتوسع الصهيونية / كذا ! صفحة ٥١ ـ ٥٢ / و / ص ١٣ / ، ويأخذون بتصلب بفكرة التوسع ، ويطلع الحاخام الاكبر في اسرائيل ، اسحق نيسيم بفتوى كتابية لاهوتية تحظر على اي مسؤول مجرد التفكير باعادة الاراضي المحتلة في حرب حزيران / ص ٥٤ / . وتظهر هذه الحرب بصورة نهائية على انها حرب دفاعية فقط / ص ٥٣ / . ويأخذ الاسرائيليون بتأليه ابطالها / ص ٢٧٤ / ويمنحونهم الثقة المطلقة ، فينفق هؤلاء المليارات في اقامة خطوط دفاعية في الجولان وعلى القناة ، اتضح فيما بعد انها ليس فقط لم تف بالغرض المطلوب ، بل هي ترجع لنظريات عسكرية قديمة ومتأخرة / ص ١١٥ / . وتظهر طبقة جديدة ، هي الطبقة العسكرية الحاكمة ، تقوم بينها وبين المدنيين فجوة تزداد اتساعا ، ويقودها « رجل متردد ، ذو غرائز قوية ، قلما يستطيع السيطرة عليها يتمتع بقدرات عقلية ... متواضعة جدا ، هو دايان » / ص١١٧ / وتسجل هذه الطبقة انحطاطا في اسرائيل ، فكريا واخلاقيا ومسلكيا « كان المناخ الذي اشتعلت فيه حرب الغفران » / ص١١٨ / . ذلك بأن القيمين على مصير اسرائيل اخذوا بانتصارهم السهل السريع في حزيران ، وباتوا يستهترون استهتارا فادحا بجيرانهم العرب ، فما عادوا يعيرون اهمية للعزلة الدولية تحل بهم ، ولضرورة تنازلات قد يكونون وفقوا معها الى مكاسب تفوق المكاسب الجغرافية الانية ، وللاستعدادات القائمة في الدول العربية من اجل استرداد كرامة مرغت في الوحل ، حتى ولا للمعلومات الدقيقة تحملها شبكات الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية المتعاونة / ص ٩٣ و

١١٣ / والاقمار الصناعية الامريكية عن احتمال قيام العرب بعمل عسكري ما ، ظنوه « بعيد الاحتمال ، ان لم يكن مستحيلا » / ص ١٤٤ – ١٤٥ / ٠

القضية المطروحة

هذا التشريح يقوم به الكاتب ، والتشريح الذي يقوم به للمجتمع نفسه بعد حرب تشرين يجب الا نؤخذ به ٠ صحيح انه يحدثنا عن هذه الحرب ، في وقعها على الشعب الاسرائيلي ، كعن « زلزال » / ص ٤٧٣ / « وعاصفة واعصار » / ص٩١ / ، « وكعن مفاجأة ساحقة » / ص ٧٨ / ، « حولت آلهة الامس » – دايان وزمرته – « الى متهمين » / ص٤٧٤ / ٠ وصحيح ايضا ان يقول بصريح العبارة ان التناقضات التي تفجرت في الكيان الاسرائيلي بعد حرب تشرين وضعته على « حافة حرب اهلية كالتي سببت في القديم ، دمار الدولة اليهودية » / ص ٤٧٣ / ٠

هذا كله ، وكثير غيره ، صحيح ٠ ولكن القضية الكبرى المطروحة ليست القضية الفلسطينية كما حدثت ، وكما يعرفها العرب والتاريخ والحق ٠ بل القضية المطروحة في الكتاب كله هي ، بكل بساطة ، قضية صراع بين دولة تتمتع بوجود شرعي ودولي ، وبمقومات اجتماعية وحضارية وعسكرية متفوقة ومتقدمة ، وتحمي مصالح العالم الغربي كله ، ليس فقط في منطقة الشرق الاوسط ، بل في العالم باسره / ص١٥٠ و ١٩٦ / وبين دول متخلفة تنكر عليها حق الوجود والبقاء و « تعيش في عالم من الوهم » قد يقودها الى حرب انتحارية مع اسرائيل ، قد تودي بكلا الاطراف المتنازعة ، كما حدث لشمشون من قبل / ص ٢٨١ / ٠

تلك هي القضية الاساسية ، وما عداها ، أيا كان حجمه ، ثانوي جدا في الكتاب ٠

ما وراء التناقضات :

بالطبع يخطىء القارىء العربي ، ان ظن في الكاتب مثل هذا الوضوح ، بل مثل هذه الخشونة في التصريح ٠ فهو يدرس اراءه هنا وهناك ويوزعها بقدر ، من خلال لمسات ناعمة وانسيابات رقيقة قد لا يتبينها حتى القارىء المتيقظ لاول وهلة ٠ فهو غاية في اللباقة اذ يوحد بين الجيش المصري والقوات السوفيتية في حديثه عن المواجهة مع اسرائيل ابان حرب الاستنزاف / ص ١١٣ و ١١٥ / ٠ وكذلك عندما يتحدث عن المساعدات السوفيتية للدول العربية وما يستتبعها من « ثمن » ٠٠

والمساعدات الامريكية لاسرائيل وما يشوبها من « تردد وعدم وضوح / ص٥١ وص١٤٣ / بل وتبعية لسياسة الوفاق الدولية / ص٤٧٤ وص ٢٨٨ / ٠٠٠

ويحدث له ان يقع في تناقضات غريبة ، كما جاء في الحديث عن معرفة اسرائيل المسبقة بحرب تشرين او جهلها لها ، وبالتالي عن استعدادها او عدمه / ص ١٠٥ – ١٠٦ خصوصا الحاشية ص ١٠٦ ٠ وكذلك الامر عن يقينه المطلق والمسبق بانتصار اسرائيل في الحرب، حتى في حال فقدانها السيطرة على سماء المعركة ، وتوقعه اندحارها / ص٤٧٠ / ٠ تناقض ايضا اذ قال ان الحرب بقيت سرا مغلقا ، قرارا وتوقيتا ، على الصديق والعدو / ص٤٧٤ / ، ثم ان السوفييت كانوا على علم بها وقد خططوا لها / ص١٠٠ وص ٢٧٥ / ٠ تناقض ايضا اذا اكد ان تسليح السوفييت للعرب لم يكن كافيا / ص٩٥ / فعاد يؤكد ان السوفييت اتخموا البلدان العربية بالسلاح / ص ٥١ و ٩٣ و ٩٩ / ٠

وقد يكون اكثر هذه التناقضات سخفا تحليله لموقف افريقيا حيال اسرائيل وانحيازها للعرب وقطعها العلاقات معها ، دولة تلو الاخرى ، اذ يعيدها كلها الى عجز اسرائيل عن دفع مائة مليون دولار للزعماء الافارقة ، في حين يملك امراء النفط اضعاف هذا المبلغ / ص٨١ وص٨٤ / ٠٠٠

ويحدث له ان يكذب نفسه ٠ من ذلك

مثلا عندما يؤكد ان الطائرات التي فقدتها اسرائيل طوال الحرب ، وفي كلتا الجبهتين لم تتجاوز خمسا وعشرين طائرة / ص١٨٧ / في حين انه كان اكد / ص١٤٢ / ان اسرائيل فقدت في الحرب مائة طائرة ٠٠ وقد لا يتورع عن القول بأن ادعاء السوفييت بأن مركزهم الثقافي في دمشق قد دمر ، ادعاء مختلق وكاذب من اساسه / ص١٨١ / ٠ قد يحدث له ايضا ان يكذب على المجتمع الدولي بأسره فيشوه الحقائق ويتطاول على اعلى هيئاته ، وحتى على الهيئة التي طلعت على العالم بقرار التقسيم ، فيمسخها ويحقرها / ص٨٤/٠ واما الدول الاوروبية التي كانت لفترة وجيزة جدا تؤيد اسرائيل تأييدا تاما ، فقد اصبحت كلها مجتمعة تساوي صفرا / ص٩٢ / لا اكثر، ففرنسا مثلا تخلت عن « المثاليات » وتقيدت « بالمصالح الاقتصادية فقط » وهذا امر لم تكن اسرائيل لتصدقه ٠ / كذا ص٨٣ / ٠ وسائر الدول الاوروبية باستثناء هولندا ، التي تقيدت بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ / كذا ص١٩٤ / ، تصرفت كمجموعة من « الارانب الحقيرة » ص٤٥٦ / فباعت الشعب اليهودي لقاء البترول / ص١٩٦ – ١٩٧ / ، « واتخذت موقفا خاليا من اي كرامة » / ص٤٤٥ / حيال « حفنة من امراء الصحراء وسلاطينها » /٤٦٧/ خير ما يتقنونه هو فن الابتزاز / ص٤٦١ و ٤٦٤ و ٤٦٥ / والاستبداد بالعالم كله / ص ٤٦٦ – ٤٦٧ / ٠

أبعاد حرب تشرين :

فهنا تكمن المشكلة ، في نظر الكاتب ٠ وفي هذا الاطار من التحليل ، يسوق الكاتب اسباب الحرب الحقيقية ، واذا بها من جانب العرب حرب دينية ليس الا / ص٤٧٤ و ٤٨٣ / و « صليبية عربية » / ص٣٠٠ / ، تشبه حرب الاقليات التي ٠٠ يمكن ان تقوم في مقاطعة كرواتيا اليوغسلافية او في مقاطعة كيبيك الكندية او في الصين او الولايات المتحدة ٠٠٠ « طالما ان هذه البلدان تحتضن هي ايضا مشكلات اقليات » / كذا ص ٩٧ ! / هذه الحرب هي اذن ، وفي نتيجة المطاف حرب دينية في نظر سورية ، وعلى لسان قائدها الفريق حافظ الاسد / ١٣٨ – ١٤٠ / ٠ وهي ، في نظر العرب ، جهاد / ص ١٣٨ و ١٣٩ و ٤٧٤ / في حين انها من جانب اسرائيل حرب للبقاء / ص ٤٩٦ / للدفاع عن مصالح العالم الغربي / ص ١٩٦ / ٠

ولذا فان النتائج النهائية لسير العمليات العسكرية لم تحدث كما كان يجب فان اسرائيل وقعت ضحية سياسة الوفاق الدولي ، التي املت على الولايات المتحدة موقفا متعقلا مترددا حيال اسرائيل ، وعلى الاتحاد السوفيتي موقفا « لا عقلانيا وعاطفيا مؤيدا للعرب » / ص١٨٢ – ١٨٣ / ٠ كما انها وقعت من ناحية اخرى ضحية المصالح النفطية للدول الاوروبية ٠ وهذان الامران هما المسؤولان عن الحؤول دون تحقيق اسرائيل انتصارا حاسما ونهائيا على العرب / ص٤١٢ – ٤١٣ / ٠

وفلسطين ؟

اما القضية الفلسطينية ، واما الشعب الفلسطيني ، فلا مكان لهما ، ولا داعي لذكرهما ٠ فالكاتب لا يأتي في كتابه كله ولا مرة واحدة على ذكر فلسطين ٠ بل هناك اسرائيل ٠٠ وهناك حفنة من « الارهابيين العرب » / الصفحات ٨٤ – ٨٦ و ٢٨٦ / والمتمردين واللانظاميين او الخارجين على القانون / ص ٧٤ / و «منظمات اللاجئين » / ص ٢٨١ و ٢٩٦ / الذين يمارسون القتل شخصيا او بالوكالة / ص ٤٣٦ / ، والذين استطاعوا بالقرصنة والاعتداءات / ص٤٣٦ / ان يخضعوا لمطالبهم مجمل الدول الاوروبية ، من النمسا الى تشيكوسلوفاكيا الى فرنسا / ص٨٦ و ٨٧ / ٠ وان اخر ما طلع به هؤلاء هو مشروع الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي تهدف في نهاية المطاف الى « تدمير دولة اسرائيل » والى دعوة اليهود لان يمارسوا حقهم في دفن انفسهم احياء في مقابرهم » / ص ٤٩٧ / ٠

الحقائق الاربع :

وماذا بعد ؟ ثمة حقائق اربع لا يشوب الكاتب اي شك بشأنها :

اولا : وجود العالم الغربي كله متوقف على ارادة حفنة من الامراء ومشايخ النفط ، واذن على العالم العربي ٠

ثانيا : شريعة الغاب تسود العالم كله / ص ٤٩٦ / والعالم لا يحترم الا القوي والقوي وحده يجوز له ان يفعل ما يشاء وكيف يشاء / ص٤٧١ والحاشية ١ ص ٤٧٠ / ٠

ثالثا : اذن لا بد من استعمال القوة لضرب العرب الذين لا يفهمون الا لغة القوة / ص ٤٧٠ / ٠

رابعا : اذن ايضا لا بد من اطلاق العنان لاسرائيل ودعمها في حربها القادمة « ذلك بأنه يستحيل اعادة توازن العلاقات الدولية على صعيد الطاقة ان اخذ بمبدأ التخلي عن القوة » / ص٤٤٧ / ٠

بمثل هذه العبارة ، اطلقها الخبير النفطي الصهيوني « ولتر ليفي » في مؤتمر امستردام الذي انعقد في اذار ١٩٧٣ ، نستطيع ان نختم هذه الدراسة الوجيزة ٠

وليس في هذه النتيجة من غرابة ٠ فالكاتب يؤكد ان الرأي العام العالمي لن يضيق ذرعا باسرائيل ان هي فعلت ص٤٩٦ ٠ وان على اسرائيل ان تتكيف مع شريعة الغاب / ص ٤٩٦ / تلك ، لتكون قوية وتفعل ما يضمن بقاءها حتى لو طردت العرب كلهم ، الامر الذي لا يجوز الا للكبار ان يفعلوه / ص ٤٧٠ و ٤٩٨ / ٠ وليس ثمة من مانع ان اضطرت اسرائيل لاستخدام السلاح النووي / ص ٤٨٢ / ٠

واما العرب فهم في نتيجة الامر ، وفق كلمة السيناتور الامريكي فولبرايت « جماعة من الغزلان بين اسود » / ص٣٦٧ / ٠ ولقد كان تم هذا الاحتلال الضروري لبلادهم لو لم يكن العصر الذي نعيش فيه متمدنا بعض الشيء ، الامر الذي يبدي له الكاتب اسفه / ص ٤٤٩ / ، لا سيما وان منطقة الشرق الاوسط اعتدت ان تكون منطقة نفوذ تقتطعها الدول الكبرى / ص ٤٤٩ / و / ص ٣٦٦ - ٣٦٧ / ٠ فليس ثمة « حتى » في هذا العصر المتمدن ، ما يحول دون ذلك ٠

بمثابة خاتمة : النبوءة الواقع

هذا احد وجهي القضية المطروحة ، وقد لا يحمل جديدا ٠

ثمة الوجه الاخر : رسم الكاتب ملامحه بخطوط بدت عام ١٩٧٤ اشبه شيء بحلم سخيف ٠ ولكن الاحداث الاخيرة التي شهدتها القدس وتشهدها القاهرة ، تترجمها يوما بعد يوم الى وقائع ، وتكسبها بالتالي ما يمكن ان نسميه صفة النبوءة السياسية ٠٠٠

وللقارىء العربي ان يتحقق ما نقول ، وقد رأينا ان نختم مقالنا هذا بالترجمة الحرفية لما جاء في الصفحتين ٤٩٤ - ٤٩٥ ، بهذا الصدد ، قبل ان نورد الترجمة الكاملة للفصل الاخير من الكتاب ٠

يقول « والتر لاكور » عن هذا الوجه الاخر :

بعد عام ١٩٦٧ - وخصوصا بعد موت عبد الناصر - كان على السياسة الاسرائيلية ان تهدف الى قيام معاهدة منفصلة مع مصر ، وتلك هي السياسة التي يجب اتباعها اليوم ٠ ولكن الصعاب هائلة ٠ فمصر تعاني من فقر رهيب ، وهي مرتبطة بقسط كبير بالمساعدة المالية التي تقدمها لها العربية السعودية ودول الخليج « الفارسي » ٠ وان المصلحة الكبرى لهذه البلدان تقوم ، لاسباب مختلفة ، على استمرار الحرب ضد اسرائيل ، اذ هي تشكل بالنسبة اليهم ضمانة ضد التطرف في العالم العربي ، الذي يتهدد وجودهم ٠

صحيح ان وضع السادات اليوم اقوى منه قبل الحرب ، ولكن هذا قليل ٠ فان معاهدة مصرية - اسرائيلية لن تضع حدا للصراع الاسرائيلي - العربي : فقد تنشأ مجابهات اخرى ، والخطر ماثل في جر مصر الى حملة جديدة ضد اسرائيل ، اذا ما خلق السوريون والفلسطينيون من جديد مناخا حربيا ، واستنجدوا بالتضامن العربي ٠ واذا فرضنا ان مصر قررت انذاك التزام الحياد ، فسيشهر بقادتها في العالم العربي كخونة ، ويتهمون بالجبن ، او بما هو اسوأ من ذلك ٠ وسيكون عندها صعبا على الحكومة المصرية في هذه الاحوال ، الا تبدي من جديد تمسكها بالقضية العربية ٠

ان كان الاتفاق مع مصر ينطوي على مخاطر جسيمة ، فان الاحتمالين الاخرين ينطويان على خطورة ادهى ٠ فاحدهما يقوم على الاحتفاظ بكل شيء ، والاخر على مواجهة المشكلة في صلبها ، بالموافقة على تسوية يرضى بها العرب الفلسطينيون ٠ وان المقارنة بين هذه الحلول ونتائجها المتوقعة ، تجعل توجه اسرائيل نحو مصر ينطوي على قدر اكبر من التعقل٠ وسينطوي هذا التوجه على انقلاب نفسي جذري ٠ فمصر عدوة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨، ولكن طالما ان مصالح البلدين لا تتنافى بالضرورة ، فان احتمال قيام علاقات طبيعية ، ان لم نقل صديقة ، امر لا يجوز استبعاده ٠ ولسوف يكون العالم العربي ، في السنوات القادمة مسرحا لتبدلات سياسية كثيرة ، مهما بدا ذلك ، اليوم ، بعيد الاحتمال ٠ فليس بمستحيل قطعا ، مثلا ، ان يأتي يوم تكسر فيه اسرائيل العزلة الحالية ، وتشارك في اللعبة السياسية في الشرق الاوسط ، وتتحالف مع بلد عربي او اكثر ضد بلدان عربية اخرى٠

قالت الوردة للسنونو
زكريا تامر
منشورات اتحاد الكتاب العرب

يكتبون للاطفال محاولين استعادة لغة البراءة والحرية والاحلام ، يعيدون تنظيم عالم الكشف والدهشة والخيال ، فهل يستطيعون الغاء المسافة بين واقع الكبار بتناقضاته واستلاباته واحباطاته وبين واقع جديد وطازج ومستقبلي يدعو الى السير نحوه ؟ « اذا اقررنا بأن عالم الطفولة اصبح متميزا له خصائصه واهتماماته ، فان هذا العالم الصغير واسع فسيح فبالاضافة الى ما يتطلبه من استجابة لميوله في التخيل ، والاكتشاف والتوق الى معرفة ما حوله فانه ينبغي ان يهيأ للمستقبل الذي ينتظره » (١) • فمنذ ان رفع « الامير الصغير » شكواه الشهيرة في قصة « سانت اكزوبيري » العالمية ان الكبار لا يفهمون عالم الصغار ، ابتدأت اسس ومبادىء تتحدد آخذة في اعتبارها ان ادب الاطفال يخضع لبقية الشروط الاستهلاكية التي ينتجها المجتمع البرجوازي ، يقول سليمان العيسى : « حاولت ان ابتعد بالاطفال من خلال ما كتبته واكتبه لهم ، عن القصص والكتابات المعروفة في هذا المجال ، والتي تغرق سوق ادب الاطفال والتي تتحدث عن البطولة الفردية والوهمية ، عن عوالم الخيال اللامجدي والتي لا تعدو كونها اداة لتخريب عالم الاطفال والاساءة اليه وصرفه عن الوعي والادراك السليم وعن المستقبل • » (٢)

« قالت الوردة للسنونو » كتاب زكريا تامر الجديد الذي قدمه للاطفال بعد مجموعته الاولى « لماذا سكت النهر » ، فما هو الجديد الذي قدمه على هذ الصعيد ، وهو الذي ينطلق من خلفية الالتزام والارتباط بالواقع الحي • « عندما جاءت حرب حزيران ونتائجها ، ازداد ارتباطي بالواقع وصار اكثر حدة وصرامة ، وابتدأت انظر الى الصغار نظرة مختلفة ، انهم الجيل الذي سيطلب منه في المستقبل ان يجابه عدوا شرسا ولذا فلا بد من منحه الوعي وارادة التحدي والرغبة العميقة في التغيير والحفاظ عليه ، لا بد ان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل الحرية والعدل والفرح « • (٣)

نحاول في تقييمنا لادب الاطفال الارتكاز الى ثلاثة محاور :

أ ـ كيفية طرح القيم الاساسية الايجابية التي تتمثل في الصدق والبساطة ونظافة الوجدان ، مقابل ثقافة تشويه الطفل التي تطرح في كتب الاطفال التجارية ووسائل الاعلام الاستهلاكية • ان مساهمة كاتب الاطفال في خلق ابعاد عالم الحرية والمواجهة والنقد ، لا يمكن ان ترد ضمن اطار الوعظ والانتقاد الذي ينشيء موقفا مسبقا تجاه الطفل ويطفيء شرارة التواصل وعلاقة الصداقة والالتحام التي يمكن ان يخلقها النص المطلوب • وترتبط هذه المسألة بالنظرة التي يتعامل بها الكاتب مع الطفل واحتياجاته ، فهو قد ينظر اليه باعتباره مخلوقا صغيرا يجب تسليته لانه هش وضعيف يتعطش الى الحنان الغامر والتعاطف المطلق ، او بكونه انسانا صغيرا له استقلاليته وعلينا انفضمن مشاركته وفعاليته دون تضخيم لامكانياته او الانتقاص منها •

ب ـ تقييم المحتوى النفسي الذي يتضمنه النص بما يوازي اكتشاف عالم جديد يسبر غوره الاطفال بخيالهم ومحاكماتهم المنطقية الضرورية في بناء المعرفة الانسانية • تتضمن القصص الخيالية نوعا من الذهنية التي تعيد ربط الاساس بالنتائج ضمن عالم الابداع والمغامرة والانطلاق • فمما لا شك فيه ان هناك عبورا منطقيا بين بوابة الحلم وعالم الواقع يذفي تشكيل لحظة هروب هوامية تمثل اشباعا زائفا لحاجات نفسية • ان المحتوى النفسي ـ الرمزي يمكن ان يطلق في الطفل قوى تدفعه الى النكوص والهرب ، او امكانيات جديدة تسهل الوصول الى الهدف المطلوب •

د ـ الوصول الى قلب العالم اللغوي الذي يؤثر على الطفل دون الغوص في متاهات الالفاظ الصعبة والتركيبات الغريبة • ويساعد تحديد العمر الذي يتوجه له الكاتب في تذليل هذه المسألة •

بالنسبة للنقطة الاولى التي تختص ببعث القيم الاساسية الايجابية ،فان القصص تقدمها بنجاح متفاوت • تعرض قصة « الكسلى » عالما من الصداقة الحارة بين الطفلة التي تتأخر عن مدرستها ، والعصافير التي تحاول ايقاظها ثم تأخذ موقفا تجاهها « لن نحب هذه البنت الكسلى » بعد ان غردت لها اروع تغريد وظلت مها مستسلمة للنوم • وحين تكتشف العصافير ان اليوم هو يوم عطلة مها•• « تبادلت العصافير نظرات الدهشة ، وخجلت لانها اخطأت ، ولكنها بادرت الى التكفير عن خطئها فغنت لها أجمل ما تحفظ من اغنيات »• في هذه القصة يختلط العالمان ، عالم مها وعالم العصافير بما يؤكد التمازج والالفة وتبادل المسؤوليات والخيال الجميل •

في قصة « الحمار والقط » يحاول القط خديعة الحمار لانه كان كسولا وتمنى لو يعثر على من يحمله الى ضفة النهر ، ولكن الحمار باغته برفسة قوية عندما قال له : « اشفق علي يا صاحب أجمل صوت في الغابة » ، وهو يجيبه « انا اكره الكاذبين المتملقين • انت قلت لي ان صوتي جميل ، وانا اعرف من اكون • انا حمار ولست مغنيا » • فمن خلال روح الهزل والمرح تطرح مسألة الصدق والتملق « فأقسم القط انه منذ تلك اللحظة سيكف عن الكذب والتملق ، ولا يقول الا الصدق » •

الا انه في قصة « قالت الوردة للسنونو » التي تقول ان « المخلوق الذي لا ارض له لا نفع منه » تطرح هذه القيمة عبر حوار قصير بين الوردة والسنونو ، كان من الممكن ان يستأنف وان يخرج بدلالات معاكسة • الفكرة الاساسية تقوم على المفاضلة بين منافع الوردة ومنافع السنونو الذي يعجز عن الجواب ، ولكنه لو اخبرها بأنه يلتقط الحشرات الضارة من حقول القمح على سبيل المثال ، لاختلف المضمون كليا • وهذا يعني ان التوجه نحو المحتوى الوظيفي للقصة يجب ان يكون متكاملا كي لا يكسر سير الحدث والمعنى المطلوب •

يحاول القط منافسة العصفور الصغير فيقفز عن جذع شجرة محاولا تقليده في « القط يطير » ، فلم يستطع الطيران ، وهوى الى الارض وارتطم بها بقسوة • تطرح هذه القصة الاشكال السابق من زاوية جديدة حيث ان النهاية الوعظية تأتي حينما يقول العصفور للقط : « التقليد والغرور ليسا جناحين » • ان فكرة التقليد والمنافسة فكرة شائعة في عالم الصغار ولا ينبغي قمعها بالتقسيم الوظائفي الجامد الذي يحدد لكل ما يجب فعله حسب قوانين الطبيعة ، من أجل إثبات الحكمة الاساسية حول التقليد والغرور • ان بعض الخيال لا يضر الطفل الذي يدور عالمه حول تقليد الكبار في محاولات عديدة لاكتشاف نفسه • مع ان قصة « الحمار المحترم » تطرح نفس القيمة وهي « التقليد » بنجاح اكثر • فالسخرية من الغباء لها دلالة منطقية حين يحاول الحمار ان يصبح محترما عن طريق استخدام القوة على انها حريته الشخصية « وهناك تعلم ان استخدام القوة لا يكسب احتراما » •

قصة « ملك الحمقى » تعطي الموعظة التي تصور غباء العالم الذي يرتفع عن مشاكل الناس وهمومهم ويعتبرها مشكلات سخيفة ، ضمن قالب فكاهي خيالي يشوق الطفل فيستدرجه الى استخراج العبرة في النهاية دون حاجة الى ذكرها بشكل مباشر •

وتسير قصة « حصان الاجداد » على الخط ذاته ، فهي قصة بسيطة جميلة تغرف من مناخ الاسطورة ولا تقع في فخ الموعظة المباشرة حين تطرح مسألة التاريخ القديم وانعكاساته الايجابية على المستقبل •

جـ ـ نأتي الى النقطة التي تتعرض للمحتوى النفسي بصوره ورموزه وتبريراته المنطقية : تتناول قصة « العشب الاخضر » مفهوم الحرية بشكل تجريدي وغير متسلسل منطقيا بالنسبة للطفل ، فالجياد تفضل ان تموت جوعا على النزول الى المدينة ، ليس هناك وصف يوضح مصطلح (المدينة ـ فقدان الحرية) ويبين للطفل العلاقة بين اختيار الموت جوعا وبين الذهاب الى المدينة ، وليس لديه مرجع ثقافي عن المدينة يوضح له علاقاتها واستلاباتها كالذي يفكر فيه رجل كبير • كما ان محاولة تحريض الطفل على البطولة الدرامية تتخذ مستوى فوق ادراكه وعمره • « ولما سمعت الارض قرار الجياد ، ارتجفت فرحا وفخرا ، فاكتسى سطحها توا بالكثير من العشب الاخضر » • ان الدخول الى عالم الخيال الطفلي لم يكن موفقا ، اذ ان تقديم الحل بهذا المضمون الرومانسي المتناهي في الحلم ، يخلق جوا شاعريا ولكن للكبار وليس للصغار • فالطفل لن يستمتع بالصورة الشعرية عن ارتجاف الارض وانباتها العشب ، بل انه سينصرف الى السؤال : وكيف كان ذلك ؟ ان العلاقة بين قرار الجياد وقرار الارض لم يمهد لها في علاقة سابقة تشرح للطفل ما قد لا يكون بديهيا بالنسبة اليه •

يبدو تداخل الواقع بالخيال سلسا ، مقنعا ، في قصة « اوامر الملوك » ، وهي تحكي عن ملك اراد مكافأة قط ظنه مواطنا صالحا باصداره امرا للعصافير كي لا تهرب امام القط الجائع • ويتخذ الخيال مسارا منطقيا لانه يرتبط بصورة السلطة الغاشمة عبر مضمون كاريكاتيري يقدم رمزا واضحا يفككه الاطفال ببساطة • فالعصافير لن تذعن لاوامر الملك لانها تمتلك اجنحتها التي تهرب بها دفاعا عن نفسها •

قصة « البنت والسمكة » تنكر على الطفل ان يحلم بالاشياء الباهرة الخارقة التي لا يمتلكها ولكنها تساهم في تكوين خياله ووجدانه• فالبنت تتمنى لو تصبح سمكة تحيا في البحر كما تشاء ولا تذهب الى المدرسة • والام تقول لها بتقريرية مباشرة : « انتَ مخطئة ، ويجب ان تحبي المدرسة لانها تتيح لك ان تتعلمي القراءة والكتابة » • وحين تتحول البنت الى سمكة ، تبتعد الاسماك عنها وترفض التحدث معها • « وعاشت البنت الصغيرة وحيدة حزينة محرومة من الاهل والاصدقاء • وتبدو النهاية التعسفية وكأنها بمثابة عقاب لها على تفكيرها بالتحول الى سمكة • وتطغى روح التعليمية على القيمة الفعلية التي هي ضرورة الانتماء والتي أراد الكاتب ان يطرحها •

من القصص التي تبدع في رسم صور جديدة وتطرح امكانيات واسعة لاستغلالها بروح الحيوية والتخيل قصة « الفأر رساما » ، وقصة « يوم اشترى القط معطفا » فهي تتعامل مع الخيال المنطقي للطفل عبر صور مادية محسوسة • يقول القط الصغير لامه : « انا قوي ولن يجرؤ اي مرض على الدنو مني ، واذا جرؤ فسأعضه » • ومن الصور الرائعة التي ترسمها القصة مشهد القط الذي يرى فأرا مستغرقا في التفرج على مجلة ملونة للصور « وبادر الى الاقتراب منه بحذر وبطء غير انه عطس فجأة عطسة قوية ، فتنبه الفأر وسارع الى الفرار » •

د ـ تتعلق هذه النقطة بالامكانيات اللغوية التي يتطلبها ادب الاطفال ، ونجد في هذه المجموعة سياقا لغويا يقترب من عالم البراءة والكشف والدهشة الاولى حيث يتم السرد بطريقة واضحة بسيطة ، وكلمات منتزعة من عالم الاطفال اليومي • ومن هذه الناحية فان « زكريا تامر » هو الاول الذي استطاع ان يؤسس لغة تتفاعل مع عالم الاطفال وتغني مفاهيمه عبر احساس مرهف وانتقاء دقيق واختيار فعال •

« قالت الوردة للسنونو » مساهمة اخرى في بناء عالم نظيف بناء يغري الطفل على اقتحامه واكتشاف مجاهله •

ليانة بدر

المراجع المذكورة :

(١) محمد العروسي المطوي ـ الطفل في الادب العربي ، الموقف الادبي ، أيار ـ حزيران ٧٥ •

(٢) الاسبوع العربي ـ ٢٨ تشرين الثاني ٧٧ •

(٣) الموقف الادبي ، آذار ٧٤ •

المنفى يا حبيبتي

فاروق وادي

منشورات وزارة الاعلام الجمهورية العراقية

« المنفى يا حبيبتي » مجموعة قصصية لفاروق وادي • تتألف المجموعة من ثلاث عشرة قصة كتبت في مساحة زمنية واسعة نسبيا ، تمتد من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٤ • تشكل المجموعة وحدة عضوية على المستوى الفكري لكنها لا تشكل وحدة عضوية على المستوى الفني • فالموضوع ـ فلسطين ومقاومة الشعب الفلسطيني ـ واحد يعبر عن ذاته بأشكال مختلفة ، يعيش ضياع الوطن ويبشر بعودته ، يتلاحم مع ظهور المقاومة الفلسطينية ويعيشها من الداخل ، يؤاكب رحلتها ويعكس مسارها المتعرج باخفاقاته ونجاحاته ، ففلسطين حاضرة في النص ابدا • لكن الموضوع ـ المادة الفنية الخام ـ الفكري شيء وشكله الادبي شيء آخر •

الموضوع ينمو ويتطور ويراوح ، والشكل الفني ينمو ايضا ، يحاول ان يتملك الحدث ويعيد انتاجه فنيا فيقاربه بأشكال مختلفة ، فيمتلكه حينا ويخطئه حينا آخرا •

يعيش الكاتب فاروق وادي نضال شعبه في ديمومته الجدلية ، في نجاحه وسقوطه، ويحاول ان يقول كلمته باستمرار ، يقولها تارة في حقل الحرية ووجود المقاومة ، ويقولها تارة اخرى في حقل القمع وغياب المقاومة • يطارد الشكل الفني المضمون في شرطه التاريخي ، ويبحث عن صيغ ملائمة ومتنوعة ، فيتسيد على المضمون حينا ويفقد التسيد حينا اخر • ان حصار المقاومة وانعتاق القمع والظلام يحاصر الفنان ايضا ، فيلتمس كل السبل ليقول كلمته •

لما كان الواقع المعاش لامتناه في خصوبته وتجدده وحركة صراعه المستمرة ، فان الشكل الادبي يطارد هذا الواقع وهذه الخصوبة فلا يحقق ذاته الا اشكالا ادبية ، اي ان تجدد المضمون يستلزم تجدد الشكل ايضا • فما هي الاشكال الادبية التي لجأ اليها فاروق وادي ليعبر عن واقع شعبه وواقعه خلال القصة القصيرة التي اتخذها شكلا للتعبير ؟

أ ـ الرمزية الشعرية : لا يقارب الكاتب

هنا الواقع في ماديته المباشرة وحركته اليومية المشخصة ، او بشكل ادق في يوميته العيانية المعمورة بأناس محددين وممارسات محددة بل يجرد هذا الواقع ويكثفه ويحاول التعبير عنه كمعادلة ذهنية ، يرجع العالم الى افكار ويرصد هذه الافكار ويرسمها فنيا • يبدو هذا الاتجاه بشكل خاص في قصتي « خيالات على الجسر القاتم » و « مدن ملونة » ، حيث يتحدث الكاتب عن الحلم واستباحة الحلم ونهوضه من جديد ، ويعالج حالة الانسان المحاصر الذي يحاول تجاوز حصاره عن طريق الحلم ، فيصبح الانسان طائرا وقلبه مرقدا للحلم ، وعندما يصل سيف الجلاد الى قلبه يجد قلبا اخر ويحلق مع اسراب الطيور المهاجرة • تصل يد الجلاد الى القلب وتستبيح اسراره فيكسر القلب السيف ويصنع لذاته اجنحة •

على الرغم من جمال الصورة وجمال اللغة ، وشاعرية الصورة واللغة ، فاننا نعتقد ان هذا الشكل الادبي غير كاف للتعبير عن الحياة بخصوبتها وتعدديتها وكثافتها اليومية • فهو يخاطب الواقع عن مسافة ، يبصره كفكرة، فينسى جزئياته وتناقضاته المتعددة •وبالتالي فهو يقدم صورة لا واقعية للحياة ، الامر الذي ينعكس على اثر العمل الادبي نفسه ويجعله غير قادر للوصول فعلا الى عقل القارىء وقلبه• تستطيع الرومانسية الشعرية ان تعبر بدقة عن واقع رومانسي لكنها تقف عاجزة امام واقع مصنوع من الدم والقهر والاغتصاب •

ب ـ الخاطرة الذهنية : شكل فني آخر يلجأ اليه الكاتب ، يقترب كثيرا من سابقه نعثر في الشكل السابق على حدث ينمو بشكل رمزي وتجريدي اما هنا فنقف امام خاطرة ، امام انفعال ، امام موقف من الحدث يحمل شكل استعارة • ومعنى هذا ان الكاتب لا يرسم صورة العالم بل يرسم صورة عالمه الداخلي في موقفه من العالم المعاش ذهنيا • يبرز هذا الاتجاه في قصص « العشب » و « الطائر » و « الطحالب » • يترك الكاتب العنان لخواطره وانفعالاته وغضبه ، ويلقي ذاتيته على العالم فيختزله الى صورة يتيمة « العشب » او يلقي الينا بسلسلة من الصور • لذلك فنحن لا نرى العالم الموضوعي بل عالم الكاتب الداخلي • قد يقال ان العالمالداخلي يعكس ذاته كمشتق للعالم الموضوعي او كعلاقة فيه اي يعكس بشكل لا مباشر العالم الموضوعي المعاش ، هذا صحيح ولكن ليس دائما ، فشكل الانعكاس يرتبط بشكل العمل الادبي ، والشكل هنا ـ اي في القصص المذكورة ـ اعجز بكثير من ان يحمل كثافة العالم الداخلي او العالم الخارجي ، فالكاتب لا يرسم شخصية ويرصد جدليتها بل يقول كل شيء وبالتالي فهو لا يمس العالم الا مسا خفيفا •

يطرح امامنا هذا الشكل موضوع الذهنية المجردة والتي هي سائدة في كثير من الكتابات عندنا • تعتمد النزعة الذهنية على مقاربة العالم من خلال منعطفاو جسر أي انها لا تواجه العالم مباشرة • ترجع كل شيء الى افكار وتتعامل مع هذه الافكار وكثيرا ما تضيع في هذه اللعبة الذهنية دون أن تقول شيئا • بل ان نقطة انطلاقها الذهنية تجعلها غير قادرة على القول بشكل صحيح ، فتهيم في الحدس وتنتج صورة مضللة ، وفي اطار ادبنا الفلسطيني كثيرا ما تنتج النزعة الانتصارية • فيتحول الادب الى مضلل بدلا من أن يكون ناقدا •

جـ ـ الشكل التاريخي : ينطلق الكاتب من حاضر مفجع في مرارته وقسوته وقمعه ، الكلمة ضرورية والقمع مطلق السراح • يحاصر الكاتب مرتين ، فهو رهين القمع وثقل الكلمة • يتجاوز مأزقه بالرجوع الى الماضي فيستعير فضاء قديما لمضمون راهن فيقول ما يريد متحصنا بعباءة الماضي • نلمس هذا في قصتي « حكاية ابو عبد الله الجزار ووزيره ابن عرار » و « محاكمة في الزمن الآتي لارجل الذي قاتل وقتل » • لا يغيب فضاء الماضي هنا وجه الحاضر ، بل يبقى هذا الاخير حاضرا وواضحا • يتحدث الكاتب في قصته الاولى عن القمع الملكي وتجدد النضال ، فالثورة مخاض مستمر

على الرغم من سيف السلطان ووهمه في زراعة العقم واستئصال الثورة • اما في القصة الثانية فيقدم موقفا نقديا من المقاومة •

شكل موائم محدود لكنه يسقط في الذهنية وفي المحدودية ، فهو كشكل فني اضيق من ان يحمل خصوصية الحاضر • مع هذا فالقصتان جميلتان وفيهما نزعة تربوية واضحة واسلوب جميل ونعبران عن امكانية الكاتب الحقيقية في كتابة قصص الاطفال • وعندما نقول ذلك لا نقدم موقفا سلبيا ، فكتابة قصص الاطفال تحتاج الى موهبة حقيقية وقدرة معينة على التعامل مع الموضوع وتقديمه •

د ـ القصة القصيرة ـ الرواية : يمارس الكاتب هنا ممارسة شائعة لدى الكثير ممن يكتبون القصة القصيرة • يقول كل ما يريد في قصة قصيرة ، فيكسر وحدة الزمان والمكان ويجهض ديالكتيك الشخصية ويضيع في فراغ مكسر من الافكار والمواقف • أي ان حمولة المضمون تفتت الشكل وتهده وتتحول القصة الى جملة افكار ومواقف بدون وحدة فنية • ويظهر ذلك في قصتي « زمن الظل والعملاق » و « قرية جاءها كحيل العين » •

ويمكن القول ان هاتين القصتين هما اضعف قصص المجموعة على الرغم من الجهد المبذول فيهما • وربما يعود هذا الضعف الى الحمولة الفكرية المتراكمة في أرجاء النص من ناحية والى النزعة الانفصالية والتبشيرية الاخلاقية التي يقارب الكاتب من خلالها الواقع ، اي يخلط بين الموضوعي والذاتي ، فيحذف الموضوعي ويحتفظ بذاته او ذاتيته كموجه وحيد وبوصلة يتيمة • واذا كانت الرواية تختلف عن القصة القصيرة فالمعالجة الذاتية للواقع تختلف ايضا عن المعالجة الموضوعية له • فمعالجة الواقع تستلزم معرفته ، وواقعية الكتابة تستلزم واقعية المعرفة •

نعود بعد هذا لنلقي الضوء على جوانب الصورة الاخرى • آن الموقف النقدي من عمل ادبي يستلزم اظهار الصورة او العمل بجانبه الايجابي والسلبي والتركيز على نقاط الانارة التي تحدد او تشير الى المنحى العام لتطور الكاتب و « قدرته » على معالجة الموضوع الذي يتناوله او الحقل الذي اختاره للتعبير عن موقفه من العالم • ان القصص التي تعرضنا لها حتى الآن اعجز من ان تعبر عن واقعها التاريخي بدقة وأعجز من أن تقدم معادلا فنيا للواقع الموضوعي ، تعايش فيها جمال الاسلوب مع الذهنية المفرطة ، وخصوبة الخيال مع النزعة الاخلاقية والنزعة الانتصارية ، فاستقرت في النهاية كيانا هجينا محدود الاثر • اي ان عدم وعي الكاتب لحدود القصة القصيرة بشكل كامل وعدم تملكه الواقع معرفيا جعل أسلوبه وقدراته الفنية تضيع في اعمال « عادية » المستوى • لكن الكاتب فاروق وادي ترك لنا نقاط انارة وصوى ونوافذ تفاؤل في ثلاث قصص جيدة « الموت في شرق النهر » و « عودة الشاطر حسن » و « المنفى يا حبيبتي » • تقدم لنا هذه القصص الثلاث وخاصة الثانية والثالثة اعمالا على مستوى عال من البناء الفني • تصور القصة الاولى موت القديم في سلبيته وولادة الجديد الذي يعي درس الماضي ويحاول الصمود • نلمس هنا الواقع المادي بمفاصله الحقيقية ، نلمس وحدة المكان والزمان والانسان ، يعكس الانسان واقعه وينتج الواقع انسانه فيسمو عنه ويتمرد• نقف امام لوحة حية متصارعة كل ما فيها يتلاحم لينتج وحدة عضوية : الدرب والعربة الاب والابن والغبار والهزيمة والصمود • يصبح العالم الداخلي امتدادا للعالم الخارجي لا مراقبا هجينا له • نأخذ على هذه القصة الجيدة مأخذا واحدا : المباشرة احيانا « ساعتك واقفة في هذا الوقت الذي انت فيه احوج ما تكون الى الساعة » •

القصة الثانية « عودة الشاطر حسن » تشكل نموذجا رائعا للقصة الواقعية حيث تشكل الذات وحدة مع شرطها التاريخي ، يعيش الانسان بؤسه ويتمرد عليه كنتيجة جدلية لممارسة معينة ، يتحدد العالم بقوانينه المادية ويتحدد الانسان بممارسته ، صورة الانسان تعبر عن مكانه ومكانه ينتج ملامحه ، يمارس الانسان بؤسه ويحلم واعيا • ان اجمل ما في

هذه القصة هو وحدة الانسان وشرطه التاريخي في جدليتهما المستمرة ، وحدة العالم الداخلي والعالم الموضوعي :

– « على الارض العارية الكالحة ، كانت قدماه تلعقان التراب بخطى حثيثة ، ونظراته تجوس القرية المغلقة بالفتور » .

– « وعندما وطئت قدماه بداية القرية ، ساوره شعور غريب .. اذ احس ان القرية مقبرة قديمة مهجورة » .

تعتبر قصة « المنفى يا حبيبتي » بلا شك اكثر قصص المجموعة اصالة واتقانا وتكاملا ، يتكافل الشكل مع المضمون لنقف امام وحدة لغوية ، وبنيان متوازن محمول على مستوى لغوي خصب ومعبر ، نقرأ اللغة في الحدث والحدث في اللغة فتصبح اللغة مفتاح النص بأسره . المضمون كلمات متلاحمة ، فالمضمون شكل والنص كله شكل . نعيش الهرب وانسحاق الانسان في « وعورة المدن الاخرى » و « قطار ليل عجوز يسيل ببطء » ... في « وجوه الناس النحاسية واجسادهم الكرتونية الملصقة بعناية ودقة » في « وجه امرأة تطل من نافذة شحيحة الضوء ، او من شرفة منسية في بناء عتيق » . نعيش عالم الانسان المستباح وهو يهرب حاملا جرحه من زاوية مظلمة الى اخرى ، نعيش معه « في لحظة قريبة من دائرة الحلم ، او في المسافة الفاصلة بين اليقظة والحلم » . تتراجع هنا المباشرة والنزعة التبشيرية ويبقى الانسان المشخص واقفا امام عالم ، يقاوم ويتراجع ويتقدم ويتراجع من جديد . يحمل الشكل مضمونه . واذا كان الشكل الترقيمي او التقطيعي يعبر عن العجز في تطوير الفكرة في قصتي « قرية جاهة كحيل العين » و « زمن الظل والعملاق » فان الشكل هنا يوائم موضوعه ويعبر عن تدفق الوعي المستمر الذي يعي عالمه متراجعا ومتقدما .

واخيرا نقول ان كاتبنا فاروق وادي يستطيع ان ينتج اعمالا جيدة ومتقدمة اذا انتبه باستمرار الى العالم في جدليته المستمرة والى القصة القصيرة في امكانياتها الحقيقية ، اي في قدرتها ومحدوديتها .

د . فيصل دراج

نورما ورجل الثلج

نورما ورجل الثلج المجموعة القصصية الثانية للكاتب الفلسطيني يحيى يخلف . وهي الكتاب الثالث له ، بعد مجموعته القصصية (المهرة) التي صدرت في بغداد عام ١٩٧٤ ، وروايته الهامة (نجران تحت الصفر) ، التي كشفت الواقع الاجتماعي ، السياسي ، للانسان العربي في السعودية .

في نورما ورجل الثلج اهتم يحيى يخلف بأن ينقل الابعاد النفسية للمقاتل الفلسطيني ، وهو يقاتل ، وهو يواجه الموت وحيدا احيانا ، وهو يغوص في بحر الناس الذين يكافح من اجلهم .

عمد يحيى الى التقاط جزئيات ، وتفاصيل يواجهها الانسان المقاتل ، وتشكل بمجموعها لوحة فسيفسائية لواقع شرس ، قاس ، لا انساني .

ولكن ، من خلال هذا الواقع اللاانساني ، ينبثق انسان جديد ، اكثر انسانية ، اكثر شفافية .

في (نورما ورجل الثلج) لمس يحيى يخلف السلبيات التي تثقل على حياتنا ، وبايحاء ذكي كشف العيوب ، والسلوكيات الرديئة ، ومن خلال التزام الكاتب ، ومعرفته بالمسيرة الصحيحة التي يجب ان تواصلها الثورة ، يركز على العلاقة المصيرية بين المقاتل الفلسطيني ، (الثورة) من خلال رجل الثلج – يقصد الرجل الذي يعيش في القمم ، ويصمد رغم الصقيع – والحركة الوطنية اللبنانية ، وجماهير الفقراء ، من خلال نورما ، الفتاة الفقيرة التي تكافح وتصمد ، وتواجه قساوة الظروف ، وتعرف طريقها فتلتحم مع رجل الثلج ، ليصير العالم اكثر دفئا ، وحرارة .

نورما ورجل الثلج ، مجموعة قصصية تنقل نبض التجربة ، وصدق المعاناة ، وهاجس البحث عن اشكال فنية قصصية متطورة .

صدرت المجموعة عن دار ابن رشد ، تقع في ١٠٣ صفحات ، قطع متوسط .

وشاح من العشب لامهات القتلى

ايها العرب لماذا تكذبون علي ؟

هذه الصرخة الضارية اطلقها ذات مرة الشاعر محمود درويش ، ونزيه ابو عفش قدم ديوانه بها .

هذا الشاعر ، غاضب ، شرس ، عنيد ، نزق . انه يكتب مراثي موجعة .

بردى كان يبكي
من زمان .. ونحن نقول : الزمان بخير .
قصب القمح .. والماء .. والعاشقون بخير
من زمان .

مرات يأتي صوته مباشرا ، حادا ، وكأنما اعصاب متوهجة ، كأسلاك التانغستين تكتب .

قالت : كنت تعلم اطفال فلسطين كلاما
شرسا ككره السلطات العربية
والاعداء
وتكرهه اميركا .

واضح خليل ، صديقه ، استشهد في الحرب، نزيه يصرخ في قصائده ، المراثي ، باحثا عن واضح ، وعن وطن يليق بالاستشهاد ، انه يرثي الوطن عبر واضح .

اني واضح العربي ،
اتكلم من حيث لا يعلب الماء والخبز
كنت ألمح ما يشبه الصاعقة
واعرف ما يحيي البلاد التي انضوت

معي في الخلايا ٠
واستفاقت معي في الرصاص الذكي ٠

وشاح من العشب لامهات القتلى ، قصائد ضمها الديوان الجديد للشاعر السوري نزيه ابو عفش ، كتبت القصائد بعد حرب تشرين ٠ في القصائد شجى مدهش ، يوغل في القلب ، ويوجع ، ويحرض على الغضب

« يا عين يا غافلة
ظلي عابرة
سهرانة ٠٠ لا تنامي
لو عبر الركب ليلا
تسهين ٠٠
لا تأخذه القافلة » ٠

صدر الديوان عن منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين – ١٥٦ صفحة من القطع المتوسط ٠

احمد الزعتر

محمود درويش ،
شاعر يحمل فلسطين ، ويعبر بها كل الابواب ، والشبابيك ،
شاعر حير النقاد ، والقراء ، ايضا ٠
فكلما كتب قصيدة جديدة ، يتفجر هذا يتساؤل : ترى ماذا سيكتب محمود بعد قصيدته هذه ؟
طرح هذا السؤال بعد قصيدة سرحان الدرامية ، التي غاصت عميقا في نفس الانسان الفلسطيني ٠

هذا السؤال ايضا طرح بشيء من اليقينية بعد : تلك صورتها ، وهذا انتحار العاشق ٠

ولكن محمودا عاد وقدم قصيدته الدرامية ، الغنائية ، المدهشة ، احمد الزعتر

لا تسرقوه من الابد
وتبعثروه على الصليب
فهو الخريطة والجسد
وهو اشتعال العندليب
لا تأخذوه من الحمام
لا ترسلوه الى الوظيفة
لا تر سموا دمه وسام
فهو البنفسج في حديقة

اي شعر مدهش هذا ، اي غنائية باهرة ، تتغلغل حتى عمق الروح ؟

هذا الايقاع الندبي ، كأنما تنشده جوقة امام اجساد الفلسطينيين الشهداء في تل الزعتر ٠

وعاد محمود بعد الزعتر ، وكتب كان ما سوف يكون ، مرثاة راشد حسين ، الشاعر الفلسطيني الذي ضاع في المنفى ، فشعر كل فلسطيني ان القصيدة تخصه ٠ فيها راشد حسين ، وفيها الفلسطيني (التائه) الضائع، المطارد ، الشهيد الرمز ٠

لهذا صار محمود درويش شاعر الجماهير ، ولهذا وزعت كتبه بحسب ما اعلنت دار العودة ٧٥٠٠٠٠ ٠

الشعر الفلسطيني ، الملتزم ، احرج اولئك الذين اتهموا الشعر الوطني الملتزم ٠ لقد وصل هذا الشعر اربع جهات وطننا العربي ٠ ولقد تسرب عبر الحدود ، والسدود ، والابواب، والشبابيك ، ولقد فرض على العصر ان يصغي باحترام لنبض القلوب ٠

الجبل الصغير

الياس الخوري الكاتب العربي التقدمي ، صدر له من قبل دراسة عن الرواية العربية بعد الهزيمة (تجربة البحث عن الافق) ، ورواية (عن علاقات الدائرة) ٠

صدر له حديثا ، مجموعة قصصية تحوي خمس قصص تتناول تجربة الحرب في لبنان ، وتطمح الى ان ترسم افق رحلة لكتابة جديدة في القصة ٠

وتتحدث القصص بلغة حارة ، وبرؤيا جديدة عن عالم الحرب او الموت كممارسة ابداعية من اجل تغيير العالم ٠

ومن المعروف ان الياس خوري شارك وبالممارسة في تجربة القتال ، فاكتسبت رؤيته القصصية ولوحاته بعدا واقعيا وتجربة غنية ، وكانت شهادة ابداعية ٠

الجبل الصغير هو حي الاشرفية في بيروت حيث كان يسكن المؤلف قبل الاحداث ٠ والذي اصبح بعد الحرب مسرحا للعصابات الفاشية الانعزالية ٠

وفي القصة الاولى التي تحمل العنوان نفسه قدم المؤلف لوحة رقيقة وحنونة لطفولته وما يلتصق في الذاكرة من هموم الجغرافيا – الوطن ٠

بقي ان نذكر ان القصص الخمس تشكل تجربة متكاملة واحدة ، وكما جاء في الكتاب (تمتد القصة في القصص التي تأتي بعدها او قبلها لتشكل عالما متكاملا) ٠

طريق تل الزعتر

هاني مندس ، سبق له ان اعد بحثا ميدانيا عن مخيم تل الزعتر ، بعنوان (العمل والعمال في مخيم فلسطيني) ، ولعله من المراجع النادرة التي بقيت تؤرخ لهذا المخيم الاسطورة الذي اصبح رمزا لبطولات وصمود وقدرة الانسان الفلسطيني ، والقضية الفلسطينية وحيويتها .

وها هو هاني مندس يعود اليوم الى مخيم تل الزعتر بعد ان ازال الفاشيون معالمه . يعود ، ويجمع ويسجل شهادات اهالي تل الزعتر . انه يجمع النصوص ويعدها كما يفعلمرمم الآثار .. (اسندت الجدران والاقواس كي تظل مائلة للعيان ، لكن الالوان باهتة جدا ، والرهبة والعظمة تبعثان في الاوصال اكثر من الصقيع والاضطراب .. واشكالا من الحزن .. ومشاعر لا تحصى) .

انه يجمع شهادات المقاتلين ، وشهادات النساء ، وشهادات الاطفال ، وشهادات الصحفيين ، وشهادات الاطباء . يتعامل مع الشهادات والتفاصيل بحنو (ميزة هذا النص ، ان التجربة الانسانية تندمج في الحدث وتنتج كل شيء .. البطولة ببساطتها الطفولية)

كتاب (طريق تل الزعتر) جهد كبير وممتاز ، وحزمة ضوء على طريق اعمال فنية كبيرة عن بطولات الزعتر .

الضوء والتراب

صدر للشاعرة الفلسطينية كلثوم مالك عرابي ديوان (الضوء والتراب) ، وجاء في الغلاف الاخير للديوان ان كلثوم (طرحت مشكلة الانسان في صراعه ضد الظلم والاضطهاد والعبودية) .

وقد اهدت الشاعرة ديوانها (الى الذين يؤسسون واقعا للانسان ...)

ويحوي الديوان عددا من القصائد القصيرة ، منها (اني اقف في الوسط يا بيتر فايس) و (حتى المدن تحبكم ايها الصفار) و (لم يبق الا العنف يا مصطفى) و (انه موجود في مكان ما) .

ومن المعروف ان الشاعرة قد اصدرت بعض الدواوين الشعرية سابقا ، كما انها تكتب للمسرح .

مدخل لدراسة الفولكلور

● « مدخل لدراسة الفولكلور » لنبيل علقم ، احدث كتاب اصدرته جمعية انعاش الاسرة في البيرة المحتلة . وهو ثالث كتب هذه الجمعية ، بعد « قرية ترمسعيا » التي اعدها وليد ربيع ، محمد علي ، عمر حمدان ، عبد العزيز ابو هدبا ، و « قرية دير ابزيع » من اعداد فريد

كمال احمد . وجميع هؤلاء الكتاب اعضاء في لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني في جمعية انعاش الاسرة ، كما اشارت سميحة سلامة خليل ، رئيسة الجمعية .

□ ويقع الكتاب في ٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط ، موزعة على ثلاثة فصول مع ملاحق . واشتمل على ثلاثة مداخل .

ـ الاول بعنوان تعريف بقلم رئيسة الجمعية.
ـ الثاني بعنوان تصدير بقلم المؤلف .
ـ الثالث بعنوان المقدمة بقلم الدكتور عبد اللطيف البرغوثي .

● في التصدير اعترف المؤلف بوجود « ثغرات عديدة في هذا البحث » ، ولخص الصعوبات التي اعترضت بحثه بـ « عدم تخصصي في الموضوع ، وقلة المراجع والدراسات المتوفرة لدي » .

● اما الدكتور عبد اللطيف البرغوثي فرأى ان الدراسة « جاءت اقرب الى تاريخ الفولكلور منها الى دراسة الفولكلور ذاته » . ودعا الى استثمار اللقاء المتيسر بين اجزاء فلسطين تحت الاحتلال للقيام « بعملية مسح علمية منظمة للفولكلور العربي الفلسطيني في كافة ارجاء فلسطين لنضع بذلك اساسا متينا لدراسة ذلك الفولكلور وتصنيفه وتحليله » .

□ في الفصل الاول (الفولكلور : نشأته وتعريفه) ، بين المؤلف ان نشوء الفولكلور ارتبط بظهور الحركة القومية . واسهمت الحركة الرومانسية بدور بارز في اظهاره ، عندما نقلت الاهتمام من القصور الفخمة وطبقة الحكام الى المساكن الشعبية والافراد ، « مهتمة بأساطيرهم وفنونهم واغانيهم وحكاياتهم » . وفي المانيا ، قام هيردر مؤسس الحركة الرومانسية بجمع الاغاني ليثبت اصالة الشعب الالماني ، وهذا ما فعله الاخوان يعقوب وويلهلم جريم عندما جمعا الحكايات الخرافية . وفي سياق اقتباسات متعددة يرفض المؤلف ان يختص الفولكلور بطبقة معينة ، او ان يقوم على تقسيم الشعب الى جماعات شعبية .

□ في الفصل الثاني (الفولكلور في الوطن العربي) يستعرض المؤلف الابحاث والكتابات الفولكلورية ، ويخلص الى ان الادب الشعبي هو العمود الفقري في الفولكلور ، وهو في عاميته لا يتقابل مباشرة مع الادب العامي ، فليس كل ما هو عامي شعبيا . ويرفض المؤلف الدعوة الى استبدال الفصحى بالعامية ، ويربط هذه الدعوة بمطامح الاستعمار . كما يرفض تقسيم الفولكلور الى شعبي وغير شعبي ، ويطالب بان تشتمل دراسة الفولكلور على المادة وعلى الانسان حامل المادة الفولكلورية . ويبين خمس وظائف للدور الذي يلعبه الفولكلور في الحياة الثقافية لدى شعب معين ، هي الآتي : ١ ـ الوظيفة الجماعية ، ٢ ـ ترسيخ القيم والمعارف الثقافية ونشرها ، ٣ ـ الوظيفة النفسية والعاطفية ، ٤ ـ الوظيفة النقدية التربوية ، ٥ ـ وظائف اخرى .

□ في الفصل الثالث (علاقة الفولكلور بالعلوم الاخرى) يقارن المؤلف بين درجة التقاء او افتراق الفولكلور مع الانتروبولوجيا (علم الانسان) والتاريخ واللغة وعلم الاجتماع. ويرى ان الانتروبولوجيا اسهمت في بلورة الفولكلور ، سواء من خلال الاتنوجرافيا (وصف الحضارات والظواهر) ، او من خلال الاتنولوجيا (تحليل الحضارات والظواهر) . وبينما يعتمد المؤرخ على الوثائق المكتوبة ، يعتمد الفولكلوري على وثائق شفوية غالبا . اما اللغة فهي الوعاء الذي تختزن فيه البشرية تاريخها ، وهي عنصر هام في الفولكلور . وبينما يهتم علماء الاجتماع بصياغة النظريات والقوانين الاجتماعية ، يهتم الفولكلوري بالاثار الناتجة عن العلاقات الجمعية .

وفي ذات الفصل قدم المؤلف الشروط التي يجب ان يتحلى بها الجامع الميداني ومناهج العمل الميداني ومناهج دراسة الفولكلور . وحدد سبعة شروط للجامع الميداني هي الايمان بالعمل ، الفترة الزمنية الكافية ، معرفته باللهجة الدارجة ، تمكنه من اللغة العربية الفصحى ، الامانة والدقة ، توسيع معرفته وثقافته ، عدم الاعتماد على الذاكرة . اما مناهج العمل الميداني فهي الملاحظة ومنهج المقابلة ومنهج الاستمارة او الاستبيان . وحصر مناهج دراسة الفولكلور بالمناهج الخمسة التالية : المنهج التاريخي الجغرافي ، المنهج

الوظيفي ، المنهج الاجتماعي ، المنهج البنائي ، المنهج الانتروبولوجي ٠

● هذه هي خارطة سريعة لكتاب « مدخل لدراسة الفولكلور » ، فما الذي يضيفه ؟!

(١) يقدم الكتاب مساهمة قيمة للباحث الفولكلوري ، تهدف الى تعريفه او توسيع معرفته باصول العلم الذي يبحث في جانب من جوانبه ٠ فالمعرفة باصول العلم واسسه ، تجنب الباحث تناول مواد هي خارج اختصاص هذا العلم ، وتسلحه بمناهج البحث ، وبخبرة وحصيلة الكتاب والباحثين العاملين الذين كانوا رواد تاسيس هذا العلم من جهة ، ورواد توسيع مادته من جهة اخرى ٠

(٢) الكتاب اغناء حقيقي للمكتبة الفلسطينية في الفولكلور ، ودعم لتجربة جمعية انعاش الاسرة في البيره ٠ وهو بذلك يكتسب قيمته البحثية والكفاحية معا ٠

(٣) يشكل بمجموعه ، دعوة للمختصين الفلسطيني في مجال الفولكلور ، الى الاسهام في الجهد الذي شقته الجمعية ، بهدف تصنيف وتحليل الفولكلور الفلسطيني ، كأحد مقومات الشخصية الوطنية الفلسطينية ٠

(٤) ان جرأة المؤلف في تناول مادة خارج تخصصه ، مع شحة المصادر حولها ، واعترافه بوجود ثغرات عديدة ، يعفيه من المحاسبة الاكاديمية الصارمة ، بل يمنحه شرف المساهمة ، مهما تواضعت ، في بلورة مفهوم الفولكلور ، بما يمكن الباحث الفلسطيني من تحسين بحثه ، ويشجع الهواة على السعي لامتلاك تقنية العمل ٠

علي حسين خلف

ندوة سياسية

مبادرة السادات الخيانية

وأثرها على القضية الفلسطينية والنضال التحرري العربي

اثارت خطوة الخيانة السافرة التي اقدم عليها السادات في زيارته للكيان الصهيوني ، وما أعقب هذه الخطوات من تطورات ، ردة فعل شعبية وطنية عارمة ٠ ولقد تباينت الآراء ، ضمن اطار الموقف الوطني ، حول تفسير مبادرة السادات والسياق السياسي الذي جاءت فيه ، ومدى انعكاساتها الخطرة المباشرة والمحتملة على صعيد الصراع مع العدو الصهيوني ومجمل قضايا التحرر العربي ٠

وقد ارتأت هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني اقامة ندوة حوار سياسي مصغرة بين عدد من الاخوة المفكرين والسياسيين التقدمين حول هذا الموضوع . والمجلة تفتح صفحاتها امام كل كاتب وطني وتقدمي لاستكمال الحوار حول هذا الموضوع وما يتطلبه من مواجهة ، اضافة الى غيره من القضايا السياسية الاساسية التي تمس القضية الفلسطينية وقضايا النضال التحرري في الوطن العربي . وذلك انطلاقا من ادراك المجلة بدورها المنبري الوطني الديمقراطي في مرحلة تحاصر فيها الطبقات الرجعية الاصوات الشريفة والقوى الثورية المعبرة عن مصالح الطبقات الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية في خوض النضال الحازم الجذري ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية القديمة والجديدة .

(هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني)

شارك فيها :

د٠ سعيد حمود
بشارة مرهج
مهدي عامل

د٠ الياس شوفاني
الاخ ابو حاتم
محمود سويد

الوظيفي ، المنهج الاجتماعي ، المنهج البنائي ، المنهج الانتروبولوجي ٠

● هذه هي خارطة سريعة لكتاب « مدخل لدراسة الفولكلور » ، فما الذي يضيفه ؟!

(١) يقدم الكتاب مساهمة قيمة للباحث الفولكلوري ، تهدف الى تعريفه او توسيع معرفته باصول العلم الذي يبحث في جانب من جوانبه ٠ فالمعرفة باصول العلم واسسه ، تجنب الباحث تناول مواد هي خارج اختصاص هذا العلم ، وتسلحه بمناهج البحث ، وبخبرة وحصيلة الكتاب والباحثين العاملين الذين كانوا رواد تأسيس هذا العلم من جهة ، ورواد توسيع مادته من جهة اخرى ٠

(٢) الكتاب اغناء حقيقي للمكتبة الفلسطينية في الفولكلور ، ودعم لتجربة جمعية انعاش الاسرة في البيره ٠ وهو بذلك يكتسب قيمته البحثية والكفاحية معا ٠

(٣) يشكل بمجموعه ، دعوة للمختصين الفلسطيني في مجال الفولكلور ، الى الاسهام في الجهد الذي شقته الجمعية ، بهدف تصنيف وتحليل الفولكلور الفلسطيني ، كأحد مقومات الشخصية الوطنية الفلسطينية ٠

(٤) ان جرأة المؤلف في تناول مادة خارج تخصصه ، مع شحة المصادر حولها ، واعترافه بوجود ثغرات عديدة ، يعفيه من المحاسبة الاكاديمية الصارمة ، بل يمنحه شرف المساهمة ، مهما تواضعت ، في بلورة مفهوم الفولكلور ، بما يمكن الباحث الفلسطيني من تحسين بحثه ، ويشجع الهواة على السعي لامتلاك تقنية العمل ٠

علي حسين خلف

ندوة سياسية

مبادرة السادات الخيانية

وأثرها على القضية الفلسطينية والنضال التحرري العربي

اثارت خطوة الخيانة السافرة التي اقدم عليها السادات في زيارته للكيان الصهيوني ، وما أعقب هذه الخطوات من تطورات ، ردة فعل شعبية وطنية عارمة ٠ ولقد تباينت الآراء ، ضمن اطار الموقف الوطني ، حول تفسير مبادرة السادات والسياق السياسي الذي جاءت فيه ، ومدى انعكاساتها الخطرة المباشرة والمحتملة على صعيد الصراع مع العدو الصهيوني ومجمل قضايا التحرر العربي ٠

وقد ارتأت هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني اقامة ندوة حوار سياسي مصغرة بين عدد من الاخوة المفكرين والسياسيين التقدميين حول هذا الموضوع . والمجلة تفتح صفحاتها امام كل كاتب وطني وتقدمي لاستكمال الحوار حول هذا الموضوع وما يتطلبه من مواجهة ، اضافة الى غيره من القضايا السياسية الاساسية التي تمس القضية الفلسطينية وقضايا النضال التحرري في الوطن العربي . وذلك انطلاقا من ادراك المجلة بدورها المنبري الوطني الديمقراطي في مرحلة تحاصر فيها الطبقات الرجعية الاصوات الشريفة والقوى الثورية المعبرة عن مصالح الطبقات الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية في خوض النضال الحازم الجذري ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية القديمة والجديدة .

(هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني)

شارك فيها :

د٠ سعيد حمود
بشارة مرهج
مهدي عامل

د٠ الياس شوفاني
الاخ ابو حاتم
محمود سويد

الاخ د . الياس شوفاني :

« الناس الذين اقرأ لهم او استمع اليهم او اجري اي اتصال مع افكارهم وتوجهاتهم السياسية ، كانت زيارة السادات للكيان الصهيوني مفاجأة لهم . والانطباع الذي يخرج به المرء من خلال وسائل الاعلام الاسرائيلية ان الزيارة كانت مفاجأة للاسرائيليين ايضا . الا اذا كان هناك نوع من المؤامرة الكبيرة التي تحتاج للتغطية اللازمة . وقد كان الاسرائيليون ، قبل الزيارة بـ ٣٦ - ٤٨ ساعة يعملون للاعداد للزيارة بطريقة خطوة الى الامام وخطوة للخلف . فهم كانوا غير متأكدين اذا كانت ستتم الزيارة ام لا . والانطباع الذي اخرج به من التصريحات الرسمية ، ان هناك اعتراف واحدا لديان - ذكر فيه انه فوجىء باعلان السادات عن خطوته، ولكن كانت هناك اتصالات دائمة، كما نعرف ، قامت بها اطراف مختلفة ، وقد لعب فيها شاوشيسكو - الرئيس الروماني - دورا قويا . وكذلك الرئيس كارتر . ولكن ثمة من يرى ان المفاجأة كانت ايضا من نصيب الطرفين الروماني والامريكي ، لان السادات كان يتكلم عن شيء ، ثم انتهى الى شيء آخر .

وقد اعترف السادات يوم ٢١ - ١٢ - ٧٧ في ندوته الصحفية انه تلقى رسالة مختومة بالشمع الاحمر من كارتر . وكما عبر وزير الصحة الاسرائيلي « شوستاك » ان السادات اجل الرد على دعوة بيغن لزيارة اسرائيل الى ان تسلم رسالة من كارتر يبارك فيها هذه الخطوة . المسالة ، الان هل كانت هذه العملية مخططة منذ زمن بعيد أم انها نتيجة حتمية لمسار التسوية ؟ في تقديري ان هذه النقطة ليست على جانب كبير من الاهمية السياسية ، لان المهم انه تم الوصول للنتيجة الحالية . فسياسة التلفزيون التي يتبعها السادات ليست مهمة بقدر الدوافع التي ادت به الى هذا العمل . فالسادات منذ حرب تشرين ١٩٧٣ سار في طريق يتجه نحو الغاء خيار الحرب . فلقد ظهر انه بعد مضي أربع سنوات من العمل والتحرك في مسار التسوية العملية - فان الامور وصلت الى طريق مسدود او ادت الى التراوح في نفس المكان . وكانت النتيجة هي الحصول على ٥ ٪ من اراضي سيناء فقط . والسادات يريد الاسراع في هذا الاتجاه وهو غير معني في هذه المرحلة ان تلحق به سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية لانه لا يريد العودة الى نفس الدوامة السابقة قبل مبادرته . لقد تخلص السادات من هذه الاطراف حتى يستطيع السير بسرعة . اما من يراهن على ان يعود السادات لضم هذه الاطراف ، فانه يكون كمن يراهن على ان يغير السادات كل توجهه الجديد . وهذا بتقديري امر صعب او مستحيل .

فهذا التوجه الجديد للسادات ، اضافة الى المشاكل الداخلية التي يعاني منها نظامه ، والى المشاكل الناجمة عن مسار التسوية نفسها ، هي التي دفعت السادات الى هذا الاتجاه .

اما المسألة الثانية الهامة من وراء خطوة السادات ، وهي تعتبر بمثابة قاسم مشترك بين مصر واسرائيل وامريكا ، سواء كان ذلك بالاتفاق ام خلاف ذلك ، فانها العمل على الغاء مؤتمر جنيف . لان جنيف تعني مشاركة السوفيات في اي عمل سياسي ودبلوماسي في التسوية . اذن ، المسألة الثانية من وراء هذه الخطوة هي عملية اخراج السوفيات من لعبة التسوية . وهنا ، كما ذكرت تكمن مصلحة مشتركة للاطراف الثلاثة المذكورة . طبعا هناك مصلحة في ذلك للنظام الاردني من خلال العمل على اخراج منظمة التحرير وابعاد السوفيات من عملية التسوية .

ثمة عوامل اخرى تكمن وراء اقدام السادات على خطوته هذه ، منها مسألة الصدام العسكري . اي هل كان هناك حقا امكانية صدام عسكري ام لا ؟ وهل استبق السادات هذه العملية قبل وقوعها . ولكن مثل هذه العوامل غير الواضحة تظل ثانوية في تقدير الغاية السياسية لخطوة السادات .

اما كيف نقيم نتائج هذه الزيارة ؟ فثمة من يرى ان السادات لن يخرج من هذه الزيارة بشيء كثير . ولكن ما هو الشيء الكثير اذا كان القائل بذلك ينطلق من مفهوم للتسوية مقابل الحصول على الارض .. فمن هذا المنطلق لن يحصل السادات على شيء كثير من الزيارة لاسرائيل . ولكن اذا نظرنا للموضوع من زاوية ان هناك كومبرادور مصري يتزعمه السادات في هذه المرحلة يسعى لخلق محور جديد بين القاهرة واسرائيل ، اي تشكيل حلف جديد من اجل تقسيم المنطقة الى مناطق نفوذ بين هذين الطرفين كوكيلين اساسيين للامبريالية الامريكية ، فانه من الممكن للمرء ان يرى الفوائد الكبيرة التي يمكن ان يجنيها السادات والمجموعة التي تدعمه في مصر . ولكننا لا يمكن ان نطلق على هذه فوائد وطنية لان عمل السادات ليس وطنيا ، ولا يمكن ان نحكم عليه من وجهة نظر وطنية باية حال من الاحوال .

وفي تقديري انه اذا اراد المرء ان يقيم الزيارة ، فهي خطوة جديدة ضخمة وملموسة وليس صغيرة الحجم والوزن ، خطوة خطيرة في اتجاه نسج حلف بين المؤسسة الحاكمة في مصر والمؤسسة الحاكمة في اسرائيل من اجل تسوية النزاع في المنطقة ، تسوية شاملة ، يتفق عليها الطرفان ، وتجني منها الامبريالية الامريكية الفائدة القصوى .

الاخ ابو حاتم : « سابدأ في القضية التي تكلم فيها الدكتور الياس ، وانا اثبت وجهة نظره التي يقول فيها ان خطوة السادات بزيارة الكنيست الاسرائيلي كانت خطوة مفاجئة للجميع بما فيهم الاسرائيليين . ولكن بالرغم من ان هذه الخطوة كانت مفاجئة للجميع فانها خطوة مفهومة وطبيعية جدا . ومن هنا يجب ان نناقش الموضوع ، ليس الموضوع هو المفاجئة ولكنه طبيعة الوضع العام الذي ادى الى هذه الخطوة ، وانا في قناعتي وفي قناعة الكثيرين من الاخوان الذين نتحاور معهم ان هذه الخطوة هي نتيجة لخط كامل حكم مسيرة السادات ومسيرة المنطقة ككل ، من هنا اذا اردنا ان نعالج النتائج السلبية لخطوة السادات يجب ان نعود الى اصول القضية والموضوع ، او نرجع الى الخط الذي ادى الى هذه الخطوة ومعالجتها من جذورها والا لا نستطيع اطلاقا ان ننجح في مواجهة اثار هذه الخطوة .

فما من شك في ان اثارها خطيرة جدا على مسيرة النضال الفلسطيني والمصري والعربي بشكل عام .

وفي تقديري ان مسيرة التسوية هي التي ادت الى هذه الخطوة وهي الاساس ، وسأتكلم في هذا الموضوع وحتى نكون واضحين في هذه القضية لا بد ان نحدد فعلا ماذا تعني التسوية؟ لان هناك خلط كبير وضبابية في مفهوم التسوية في الاذهان نتيجة لاجهزة الاعلام المختلفة ونتيجة للاطروحات المختلفة والمتناقضة مما يجعل مفهوم التسوية ايضا مفهوم غير واضح ، وعدم وضوح مفهوم التسوية يجعل التساؤلات مطروحة في كل مكان هل هناك تسوية ؟ ام لا تسوية . تسوية قريبة ، ام بعيدة ؟ تسوية منفردة ام تسوية جماعية ؟ التسوية جزئية ام شاملة ؟ هل التسوية عن طريق مؤتمر جنيف او عن طريق مؤتمرات اخرى او الامم المتحدة ؟ هذه قضايا كلها تطرح بطريقة غامضة وضبابية .

سأحاول ان اوجز وجهة نظري ، ماذا تعني التسوية بالنسبة لي شخصيا ، انطلاقا من فهم طبيعة القضية الفلسطينية . التسوية : هي فرض الهيمنة الامبريالية الاميركية الصهيونية على مجمل المنطقة العربية . هذه هي التسوية . طبعا هذه التسوية من منظور اميركي وكل موازين القوى تحدد وتؤكد ان ليس هناك تسوية خارج اطار التسوية الاميركية بهذا المعنى . لماذا ؟ انا احدد هذا المفهوم عندنا لان التسوية المنظورة هي السيطرة الكاملة للامبريالية لان القضية لا تتعلق اطلاقا بما يسمى بالصراع الفلسطيني - الاسرائيلي ولا بالصراع العربي - الاسرائيلي ولا بالصراع العربي الصهيوني ، وايضا لا تتعلق بمصير الكيان الفلسطيني ، وانما وهذا تقديري

تتعلق بمصير الكيان الاميركي نفسه ، اي ان مستقبل النظام الاقتصادي والاجتماعي الاميركي في هذه المرحلة موجود في المنطقة العربية في الوطن العربي ، وسوف اوضح لماذا ؟ لان النظام الرأسمالي الاميركي في هذه المرحلة قائم على مجموعة من الاسس ، اهمها :

الطاقة ، المواد الخام ، الرساميل ، الاسواق ، وكلها تتكامل مع بعضها البعض ، واذا فقد النظام الرأسمالي الاميركي اي اساس من هذه الاسس ، يفقد بقية الاسس ، ومن المعروف ان الامكانات الذاتية لامريكا لا تغطي الا نسبة ضئيلة من المطلوب ولكن بقية هذه الامكانيات موجودة في الوطن العربي ، وبالتالي مصير النظام الرأسمالي الاميركي مرتبط بالوطن العربي ، ولا اكون مبالغا اذا قلت ، ان امريكا تنظر الى ٢٢ دويلة عربية ، كما تنظر الى ٥٢ ولاية اميركية ، السعودية بالنسبة لاميركا في هذه المرحلة والمراحل القادمة اهم من ولاية واشنطن ، وبالتالي فهي حينما تسعى للسيطرة على المنطقة فهي تسعى للدفاع عن نفسها عن وضعها الداخلي ، وبهذا المفهوم تسير اميركا في التسوية .

كيف يمكن لامريكا ان تطبق هذه التسوية ؟

على الصعيد الدولي : لا بد ان تبعد منافسها الايديولوجي والسياسي والعسكري عن هذه المنطقة ابعادا اقتصاديا ، واستراتيجيا وايديولوجيا ايضا ، وارجو ان ننتبه الى اهمية هذه المنطقة من الناحية الايديولوجية اي لا بد من ابعاد الاتحاد السوفياتي عن هذه المنطقة وهذا ما تقدم به الدكتور الياس شوفاني .

على الصعيد العربي : لا بد من السيطرة على كل منابع وطرق مواصلات النفط العربي ، هنا يجب ان يكون واضحا في الاذهان ان النفط العربي لا يعني طاقة فقط وانما يعني مادة خام ايضا ، وهناك عدد هائل جدا ومتزايد ايضا ، من الصناعات التي تقوم على البترول كمادة خام زائد الرساميل والاسواق النموذجية في المنطقة سواء الصناعات المدنية او الصناعات العسكرية . وبالتالي المطلوب هو السيطرة على كل الاقطار العربية وهذا لا يأتي عن طريق معاهدات ثنائية تعقد بين الانظمة العربية وبين اميركا او بين الكيان الصهيوني، ضمن موازين قوى معينة ، وانما عن طريق خلق الظرف الموضوعي للسيطرة الاميركية الذي سيؤتي ثماره سواء وقعت الاتفاقيات او لم توقع المهم ان يصبح امرا واقعا وواضحا .

على الصعيد الفلسطيني : التسوية الاميركية فلسطينيا هي انهاء الثورة الفلسطينية دون الوصول الى الدولة الفلسطينية ، « انهاء الثورة دون الوصول الى الدولة » وبالتالي اذا نظرنا الى التسوية من منظور السيطرة الاميركية على المنطقة ، فسنجد ان ضرب حركات التحرر العربية شرط اساسي للسيطرة الاميركية في التسوية هذه وضرب الثورة الفلسطينية شرط اساسي وعاجل ، تغيير البنية التحتية في المجتمع العربي ، واعادة ربطها بالنظام الرأسمالي العالمي هي شرط اساسي ايضا ، لهذه التسوية ، عزل حركة التحرر العربية عن اصدقائها في العالم ، اظهار اميركا بمظهر الوسيط ثم الحليف ثم الصديق رقم واحد . بالرغم من انها هي العدو رقم واحد لجماهير الامة العربية ككل ، وهي التي تدفع اصدقائها وعملائها في المنطقة من اجل الاستمرار الكامل بدعم قاعدتها العسكرية في الارض المحتلة .

من هنا نقول اننا لا ننتظر قدوم تسوية او ان التسوية قادمة ، لا ، نحن من الناحية الفعلية نعيش في قلب التسوية الاميركية ، والمفروض ان يكون موقفنا ليس بانتظار او توقع مجيء التسوية وكيف نحبط مجيئها وانما كيف نحبط التسوية القائمة ، التسوية التي نعيشها الآن ، ونعود لطبيعة النضال العربي وهي التي تحدد طبيعة مواجهتنا لهذه التسوية ، بكل اسف ظهرت مجموعة من الانحرافات ضمن مسيرة النضال العربي في العقد الاخير من المرحلة الاخيرة ، مما ادى بالنتيجة الى سيادة خط التسوية في المنطقة ومما ادى في النهاية الى خطوة السادات .

ان طبيعة المعركة هي صراع بين الامة العربية ، بين جماهير الامة العربية ككل الساعية الى تحقيق وحدتها وحريتها وتقدمها وما بين الامبريالية والصهيونية كجزء من

النظام الرأسمالي الامبريالي واسرائيل كقاعدة للصهيونية والامبريالية والانظمة الرجعية العربية كأدوات للعدو الرئيسي الامبريالي الصهيوني . هذه طبيعة المعركة الاساسية ، التحريف الاول الذي حدث هو حينما بدأ طرح الصراع العربي الصهيوني ، من خلال مقولة الصراع العربي - الصهيوني ثم اخراج الامبريالية من دائرة الصراع المباشر وهذا أول انحراف في طبيعة النضال العربي ، ثم طرحت مقولة الصراع العربي الاسرائيلي اي صراع على الحدود ما بين « الدولة الاسرائيلية » وما بين الدول العربية المحيطة بها ، فأخرجت بقية الدول العربية من دائرة الصراع المباشر مع الامبريالية والصهيونية والآن يطرح الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي ليخرج من دائرة الصراع حتى الانظمة والشعوب العربية المحيطة « باسرائيل » ويصبح الشعار الحالي ، هو حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني . المعركة في حقيقتها هي حق تقرير مصير الامة العربية كلها وليس حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ، في تقديري ان الانحرافات الاولية في فهم طبيعة الصراع العربي ادت الى مسيرة التسوية ، ومسيرة التسوية ادت الى خطوة السادات واي معالجة لخطوة السادات او لنتائج خطوة السادات لا بد ان تعيدنا الى جذر القضية بالاساس ، وان نعيدها الى الصراع ما بين الامة العربية ككل وما بين اعدائها الذين حددناهم بالامبريالية والصهيونية وعملائهم في المنطقة اسرائيل والرجعية العربية . طبعا الحديث طويل في هذا المجال . اذ يمكن ان يكون هناك الكثير مما ينبغي قوله في هذا المجال ، ولكم ان تحددوا كيفية اكمال النقاش » .

- هناك استفسار ما هي اسباب الانحرافات التي ظهرت اخ ابو حاتم ؟

الاخ ابو حاتم : « في تقديري ان اسباب هذه الانحرافات في طبيعة النضال العربي متعددة منها القصور في حركة التحرر العربية ومنها ، ايضا ، ذكاء اعداء الامة العربية في تحوير صراعاتها والفصل ما بين النضال الوطني وما بين النضال الاجتماعي ، هذا الفصل ادى الى الكثير من الانحرافات ، بالاضافة الى ذلك وهذه قضية هامة جدا قد تكون من القضايا الاساسية وهي آن العلاقات داخل الوطن العربي كانت باستمرار تميل الى نحو التناقض وليس التزايد ، واذا نظرنا الى نسبة ميزان التبادل التجاري في داخل الوطن العربي وما بين خارجه لوجدنا ان هذا الميزان يقل ليس سنة بعد سنة ، وانما يوما بعد يوم ، مما يجعل ربط الاقتصاد العربي اقتصاد كل قطر عربي ليس بالاقتصاد العربي العام ، وانما بالاقتصاد الخارجي وخصوصا الرأسمالي . اذا وجدنا ان نسبة التبادل التجاري مثلا عند بعض الاقطار العربية داخل السوق العربية لا تتجاوز الـ ١ ٪ من تجارتها الخارجية و ٩٩ ٪ مع الخارج مع النظام الرأسمالي بالذات ، وهناك الحواجز الجمركية ، الحواجز السياسية طبيعة الاقتصاد العربي ، والطبقات ، وعلاقات الانتاج التي تنتج عن هذه الطبيعة للاقتصاد العربي ، كلها تؤدي الى انحرافات في طبيعة النضال .

هذه بشكل سريع الاسباب التي تتعلق بالانحرافات ، وهي تتضمن قصور بالرؤيا العلمية في النظر للامور في الجوانب القومية والنواحي الاجتماعية ، كافة فصائل حركة التحرر العربية نظرتها الى هذا الوضع كانت نظرة غير متكاملة ، وخارج اطار المستوى المطلوب » .

الاخ محمود سويد : الحقيقة خطوة السادات يمكن اعتبارها خطوة حتمية لمسار التسوية ، انما ليس ممكنا اعتبارها خطوة طبيعية لهذا المسار باعتبار ان هذه الخطوة تقيم تحالفا غير طبيعي في المنطقة ، وبالتالي ليست خطوة طبيعية انما هي خطوة حتمية للمسار الذي كان سائدا ، ازمة الانظمة التي راهنت على التسوية بعد سنة ١٩٧٣ طرحتها على ان عناصرها الاساسية هي تحرير او استرجاع المناطق العربية المحتلة واقامة كيان وطني للشعب الفلسطيني وكانت تركز على هذين الشعارين ، لدرجة انها استطاعت فعلا

ان تخلق بلبلة في وسط حركات الجماهير العربية ، ومنها حركة المقاومة بالذات بين ما عرف منذ وقت طويل بالرفض والقبول في الساحة الفلسطينية وفي الساحة العربية عموما • اسرائيل كانت في الواقع ايضا ، تواجه ازمة في فترة حكم تجمع العمال ، تواجه ازمة ناتجة عن حرب ٧٣ استطاعت فعلا ان تهز اسسا كثيرة من الانتصارات الاسرائيلية التي كانت تجني ثمارها ما بين ٦٧ ـ ٧٣ ، وفشل حزب العمل والتجمع العمالي في ان يلغي نتائج حرب تشرين فعلا في اسرائيل ، وفشل في ان يعيد للاسرائيليين الطموح والاطماع الامبريالية والامبراطورية التي كانت سائدة ما بين ٦٧ ـ ٧٣ والتي كان كل اسرائيلي يظن بداهة ان هذه تبنى بشكل لا يمكن هدمه في اي وقت من الاوقات ، حزب التجمع العمالي فشل حتى ضمن لعبة التسوية التي كانت قائمة نتيجة عدم قدرته من جهة على الغاء نتائج حرب تشرين ، ومن جهة ثانية بتقديري وجود خيط او خيط رفيع يفصل بين التسوية اساسا بالمفهوم الاميركي والتسوية بالمفهوم الاسرائيلي ، استلام الليكود للسلطة في اسرائيل كان بمثابة تكليف اسرائيلي للطرف الذي يدعي انه باستطاعته ان يلغي نتائج حرب تشرين وان يعيد للاسرائيليين كل الطموحات والاطماع الامبراطورية والامبريالية في المنطقة التي سادت بين ٦٧ ـ ٧٣ وبتقديري ان كيسنجر انطلاقا من توقع احتمال قيام اي تناقض بين النظرة الاميركية والنظرة الاسرائيلية بالنسبة لموضوع التسوية ساهم مساهمة رئيسية في اعطاء اسرائيل خلال الفترة اللاحقة لحرب ٧٣ كل عناصر القوة التي تسمح لها بهامش كبير من حرية القرار السياسي والعسكري • عندما تسلم الليكود السلطة ، كان هذا الحكم الجديد ببرنامجه السياسي المختلف عن برنامج التجمع العمالي والذي كان يتضمن بالاضافة الى المسائل الاساسية التي كان متفقا عليها والتي تشكل اجماع حولها في اسرائيل مثل مسألة رفض تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ا رفض اعادة المناطق المحتلة بكاملها ، رفض اقامة كيان فلسطيني مستقل ، هذه المسائل التي تتشكل حولها وحدة وطنية في اسرائيل ، كان الليكود يضيف الى سلطته انه يحمل ورقة الحرب بقوة ويستطيع ان يهدد بها ، ومما يزيد من قوة هذه الورقة ليس فقط كون اسرائيل كانت تملك بالفعل هامشا كبيرا من حرية العمل العسكري والسياسي ، بل هناك الاحداث في لبنان خلال حرب السنتين والوجود الاسرائيلي في جنوب لبنان بقوة وقدرته على ان يمسك بقبضة قوية ، الوضع في المشرق عامة وسوريا والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، وحتى اوضح ، ما هو الخيط الرفيع الذي يفصل ، بين مضمون التسوية بالمفهوم الاميركي ومفهوم التسوية بالمفهوم الاسرائيلي ، بتقديري ان الامريكان بنوا وما زالوا يبنون ، قبل الـ ٧٣ وبعد ٧٣ بالتأكيد ، تصور يقوم على ان تكون اسرائيل هي الاداة او العصا الغليظة والاداة الاساسية في المنطقة ، انما في نفس الوقت ان يكون هناك ركائز اخرى للامبريالية ، واهم هذه الركائز السعودية ، مصر ، ايران ، وان تعطى هذه الانظمة حل ما ، حل للقضية الفلسطينية ، يسمح بقيام حالة من الهدوء والاستقرار في المنطقة طويلة المدى تحمي وتحافظ على المصالح الاميركية ، وتحافظ في نفس الوقت على اسرائيل ودورها في المنطقة ، بهذا المضمون ، الاميركان بتقديري ليسوا حساسين كثيرا لحل القضية الفلسطينية على اساس كيان فلسطيني هزيل ، يسير في ركاب الانظمة القوية في المنطقة التي هي ركائز لاميركا ، او تجمع فلسطيني ليس له شكل كيان، ليس له شكل دستوري مستقل ربما يكون مرتبطا بالاردن ، او حل مسألة الشعب الفلسطيني على اساس خلق نوع من التجمع او الوجود الفلسطيني مرتبط بالاردن وبقوى اخرى في المنطقة تسير في ركاب اميركا • المهم ان تصل اميركا الى حل للقضية الفلسطينية يرضي الانظمة التي تعتمدها في المنطقة ويقيم حالة استقرار لفترة طويلة ، ولا يسمح بعودة نفوذ للاتحاد السوفياتي في المنطقة بأي شكل من الاشكال • الاسرائيليون اكثر حساسية لموضوع اعادة تجميع الشعب الفلسطيني ،

الشخصية الفلسطينية المستقلة ، الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني ، المسألة بالنسبة للاسرائيليين فعلا ، مراهنة حياة او موت ، بالنسبة للاميركان قد لا تكون كذلك ، ممكن ان تضيف الـ ٢٢ دولة عربية في ركاب اميركا دولة تصبح الدولة الـ ٢٣ عربية • ان يقوم كيان من نوع اقل فعالية من الكيان الاردني ماذا يعني بالنسبة للامبريالية الاميركية اذا كان هناك ضبط للمنطقة ككل ، بينما بالنسبة للاسرائيليين ، المسألة ، مثل ما يقولون هم بالذات ، الاميركان يستطيعون ان يغلطوا بتقديراتهم انما نحن لا نقدر ان نغلط بهكذا مسألة مرة واحدة ، لانه اذا غلطنا مرة واحدة ، فهذا يتوقف عليه مصير اسرائيل •

امام وقوف الازمة فعلا في طريق مسدود ، بيغن يمسك بالمنطقة بقبضة حديدية عبر الازمة التي تواجهها سوريا والمقاومة بعد حرب لبنان في انطلاقها من جنوب لبنان والتحالف القائم بين القوى الانفصالية الانعزالية وبين اسرائيل ، قدرته على التحرك العسكري ، يعني اذا كان غير قادر على شن حرب كبيرة شاملة دون موافقة اميركية فباستطاعته ان يشن حروبا صغيرة ، ان يشغل المنطقة لفترة طويلة وان ينهكها دون ان يتأثر وضعه من جهة ودون ان يتأثر بأي ضغوط فعلا ممكن ان تمارس ضده لفترة طويلة جدا • هذا بالاضافة الى ما تؤمنه من دعم مراكز القوى الاساسية في الولايات المتحدة التي تعمل لاقصى المطالب والمطامع الاسرائيلية في المنطقة ، امام هذا الوضع كان واضحا ان مسألة التسوية ستصل الى طريق مسدود ، ولم يكن باستطاعة السادات في المقابل ان يعود الى الوراء ، لم يكن باستطاعته بعد كل مراهنته ان يعيد حساباته من جديد وان يعود الى مقاتلة اسرائيل ، كان قد قطع شوطا لا يمكنه بعده العودة الى اية حسابات من هذا النوع • وقفزته الى اسرائيل بتقديري هي نوع من الهروب للامام ، لانه التعبير عن ازمة ، عن مرحلة متقدمة جدا في ازمته وليس العكس ، لان السادات بزيارته الى اسرائيل لن يستطيع ان يحل لا ازمة اسرائيل على المدى البعيد من جهة ، ولا ازمة اميركا على المدى المتوسط او البعيد من جهة ثانية ، لن تستطيع اميركا ان تؤمن عن طريق قفزات السادات الهدوء والاستقرار في المنطقة بما يحمي مصالحها لفترة طويلة وعلى الرغم من هشاشة الوضع القائم في المنطقة في مواجهة خطوة السادات ففي تقديري ليس هناك عمل جاد ، حتى الان ، يتسم بالجدية لمواجهة خطوة السادات ، انما خطوة السادات غير طبيعية وتقيم فعلا مسارا يؤدي الى نوع من التحالف غير الطبيعي والذي من غير الممكن ان يعيش طويلا وبالتالي المنطقة ستكون عرضة للكثير من اختلاط الاوراق من الانتفاضات والتفجرات التي لن تتيح للامبريالية الاميركية ان تقيم حالة الهدوء والاستقرار طويلة المدى التي تحلم بها ، فخطوة السادات بالرغم مما تحدثه من اخطار ، مهمة جدا على المدى القريب وربما المدى المتوسط على مجمل حركة التحرر العربية وعلى حركة التقدم في المنطقة ، وهي لا تعني نهاية كل شيء •

الاخ مهدي عامل: حتى نتمكن من تحديد معنى زيارة السادات يمكن القول بشكل بسيط انها تعني عدة اشياء : تعني التخلي عن القضية الفلسطينية والتخلي عن قضية الوحدة العربية التي هي طموح اساسي للشعوب العربية منذ اكثر من قرن ، تعني عزل مصر عن العالم العربي ، عزلها عن حركة التحرر العربية ، تعني ايضا تتويج النهج المتكامل ، نهج الاستسلام امام الامبريالية واظهار هذا النهج بمظهر 'السلام'، وتعني ايضا ، محاولة اقامة تحالف بين القوى الرجعية في مصر والقوى الصهيونية برعاية الامبريالية الاميركية وباتفاق وتنسيق مع القوى الرجعية العربية ، لا سيما السعودية والشيء الملفت للنظر ان يكون ـ كما ورد في الصحف ـ موضوع رئيسي من موضوعات المحادثات بين بيغن والسادات هو الوضع في القرن الافريقي ، وكأن

الامبريالية تريد بذلك ان تجعل من مصر السادات الى جانب الرجعيات العربية والى جانب اسرائيل وكلاء لها رئيسيين ليس ، فقط ، لضرب نضال الشعوب العربية من اجل تحررها ، بل ايضا لمحاولة قمع حركات التحرر في افريقيا وهذه ظاهرة جديدة في التطور الامبريالي ، ظاهرة الاعتماد على وكلاء لها لا سيما بعد حرب فيتنام وهزيمة الامبريالية الاميركية في فيتنام • كل هذه الاشياء تعنيها زيارة السادات واشياء اخرى ايضا ، لكن بالنسبة لحركة التحرر ـ العربية ، اذا كانت هذه الزيارة تعني التخلي من قبل هذه القوى الرجعية المحافظة عن اهم قضيتين قوميتين للشعوب العربية قضية الوحدة وقضية فلسطين وحينئذ يمكن ان نقوم بطرح السؤال التالي ما الذي جعل هذه الخطوة ممكنة ؟ لأنه من الصعب عزل هذه الخطوة عن باقي الخطوات التي سبقتها • هذه خطوة تندرج في سلسلة متكاملة لها منطقها • بهذا المعنى قد تكون في الظاهر خطوة مفاجئة لكنها تجد منطقها في النهج الذي سبقها والتي هي تتويج له اذن لا بد من العودة الى المنطق الذي تندرج فيه ، هنا نقول ان هذه الخطوة يفسرها نهج الاستسلام امام الامبريالية النهج اليميني الرجعي في حركة التحرر العربية وهذا النهج لم يظهر الان • ابتداء من قبل عشر سنوات ، عمليا ممكن الرجوع به الى احداث ايلول الاسود في الاردن مرورا بالمحاولات المتكررة في لبنان لضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في الـ ٧٣ وصولا الى الحرب الاهلية في لبنان • هذا النهج اذن ، له من العمر عمليا عشر سنوات ، في مقابله نجد نهج اخر نقيض له هو النهج الوطني الثوري • والصراع في حركة التحرر قائم بين هذين النهجين • اذن خطوة السادات تندرج في اطار هذه الهجمة الامبريالية الشرسة جدا ليس فقط على المقاومة الفلسطينية بل على نضال مجمل الشعوب العربية في حركة تحررها ، هذه الهجمة امبريالية صهيونية رجعية عربية ، والذي جعل هذه الخطوة ممكنة هو بالتحديد السير في هذا النهج خطوة خطوة ، هنا يطرح سؤال آخر ، ما هي الركائز المادية لهذا النهج اليميني الرجعي في حركة التحرر ، هنا ندخل بتحليل يقودنا بعيدا في طبيعة الانظمة العربية وطبيعة قياداتها الطبقية البرجوازية وطبيعتها المعادية للديمقراطية خاصة ومحاولاتها المستمرة لضرب التنظيمات السياسية التقدمية واحزاب الطبقة العاملة ومنع الجماهير من ان تقوم بدورها في معركة التحرر •

يمكن معالجة هذا الموضوع في ندوات قادمة ، لكنني اردت في البدء ان احدد هذا الاطار ، كمقارنة اولى نلاحظ ان هذه القيادات الطبقية البرجوازية التي تسيطر على حركة التحرر العربية اوصلتنا الى هذا الفشل ، الى التخلي عن القضايا القومية ، عن قضية فلسطين ، وعن قضية الوحدة • ان الملفت للنظر ، هنا ، ان تكون هذه القوى التي تدعي انها القوى القومية تكون هي بالتحديد القوى المتخلية عن القضايا القومية • امام هذا الوضع نستطيع القول ان حركة التحرر الوطني العربية تدخل في بدايات مرحلة جديدة مهمتها لا تزال هي هي التصدي لهذه الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية العربية الشرسة ، من هي القوى التي تمثل هذا النهج البديل في حركة التحرر ، النهج الوطني الجذري ؟ كل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي ، الهجمة استهدفت مواقع الصمود الاساسية في العالم العربي ، المقاومة ، الحركات الوطنية ، ما تبقى من مواقع وطنية في انظمة سميت بالانظمة التقدمية ، لمجابهة هذه الهجمة لا بد من توطيد هذه القوى ، واذا توحدت هذه القوى فهي ، بالفعل ، تكون قادرة على التصدي وعلى الارتفاع بتطور حركة التحرر الى مستوى اعلى يفرض بالضرورة قيادات جديدة ، قيادة طبقية جديدة غير القيادة التي عرفتها حركة التحرر طوال الربع قرن الاخير التي اوصلت حركة التحرر الى الخطوة الاخيرة الساداتية • لكن في هذا المجال لا يكفي لمجابهة هذه الخطوة ونهجها اليميني الرجعي ، لا يكفي ابدا رفع شعار الصمود ، او التصدي ، يجب ترجمة هذا الشعار بخطوات عملية ملموسة ، التصدي لا يكون فقط لفظيا ، شرط اساسي لتحقيق

خطوات الصمود والتصدي ، هي توحيد هذه القوى وتحديد برنامج عمل لها ، رفع اليد عن المقاومة الفلسطينية عدم الاستمرار في محاولات ضربها باسم الحفاظ عليها ، رفع اليد عن الحركة الوطنية ، والتخلي عن محاولة ضربها ايضا باسم الحفاظ عليها وادراك ان هذه الحركة التحررية العربية هي جزء من الحركة الثورية العالمية ، تدعيم تحالفاتنا على الصعيد الدولي لا سيما مع المعسكر الاشتراكي ، المهم هو تحديد برنامج عملي فعلي ، المعركة لم تنته •• ما تزال مستمرة الصعوبات تنتظرنا اكثر فاكثر والهجمة لا شك بأنها ستزداد شراسة اكثر فأكثر ، ومن موقع ادراكنا بتحديد جوهر الصراع في هذه المرحلة التي دخلنا في بدايتها الان في حركة التحرر من حيث كونه صراع بين نهجين رئيسيين نهج يميني رجعي تخلى عن القضايا القومية ، ونهج وطني ثوري ، من هذا الموقع تتحدد المهمات وبرنامج القوى الوطنية والثورية •

الاخ بشارة مرهج « يبدو انني لن اضيف اشياء مهمة على حديث الاخوان لانني اعتقد ان التحليل متشابه كثيرا حتى الان ، ولم يظهر خلافات مهمة ، يمكن لان الاخوان ينتمون الى مدارس فكرية متشابهة مع بعضها البعض • اعتقد انه من الصعب جدا الحديث في هذا الموضوع المصيري والمهم دون الدخول في الاصول لانه اذا اقتصر الحديث على السياسة الراهنة فمن الممكن جدا ان نفشل في معالجة الموضوع ، لان الموضوع يمس القضية العربية في الصميم جوهرا وشمولا • مما لا شك فيه ان زيارة السادات لاسرائيل هي خطوة دراماتيكية جديدة في طريق قديم ومعروف ، وجاءت الزيارة كتعبير صاعق عن برنامج سياسي استسلامي مطروح ويجري العمل في اطاره منذ فترة بعيدة ، اي ان السياسة العربية الرسمية العامة والى حد ما استراتيجية القوى الوطنية عامة هي ضمن هذا الاطار اذا اخذنا بعين الاعتبار ان معظم الحركات الوطنية في الوطن العربي كانت منسجمة مع الاستراتيجية الرسمية العربية في مواجهة ما يسمى بالعدوان الصهيوني او مواجهة الوجود الاستعماري في المنطقة • الحركات الثورية السياسية العربية والتي نظرت نظرة جدية وشاملة للصراع العربي الاستعماري كانت في هذه اللحظة لحظة زيارة السادات للكنيست اما غير فعالة واما موجودة بشكل كاذب في السلطة او على مسرح الصراع •

لا شك في ان الزيارة كانت مؤثرة في الاوساط العالمية واربكت الكثير من الدوائر السياسية في العالم سواء في داخل البلاد العربية او في المعسكر الاشتراكي او في الدول الغربية ، حتى ان الصحافة الاميركية انتقدت الادارة وانتقدت كارتر على جهله لموعد الزيارة وترتيبات الزيارة مما اضطر كارتر الى ان يقول انه كان على اتصال دائم بالسادات ، الصحافة انتقدت تحول الدور الاميركي من دور مهندس للتسوية الى دور متفرج ويحاول السادات ويبغى ان يثبتوه بشكل مسرحي سياسي في المنطقة على ان هذا العمل فيه نوع من الاستقلالية وان كانت هذه الاستقلالية ضمن الاطار العام للتسوية والذي لا يختلف اطلاقا عن الاطار المرسوم من قبل الدوائر الامبريالية لكنه يشكل نوعا من الاستقلالية الداخلية والذي هو هامش يفصل بين السياسة الصهيونية والسياسة الامبريالية من جهة ويعكس ايضا دورا ذاتيا يريد السادات او النظام المصري ان يكرسه من اجل تثبيت تفوق مصر في المنطقة وشرعية قيادتها للامة العربية ، المهم ان الزيارة كانت مخرج للسادات نفسه كنظام وكطبقة وكشخص ، كانت وسيلة لابعاد شبح الحرب من جهة ، او شبح السقوط من جهة اخرى ، لم يكن من المعروف ان مؤتمر جنيف اصبح عقيم الجدوى الى حد كبير خاصة وان مسألة التمثيل الفلسطيني اصبحت مسألة محرجة لكل الاطراف ، وان مؤتمر جنيف لن يؤدي الى اية نتائج ايجابية خاصة وانه مضطر ان يتعامل مع القضية العامة في المنطقة بشكل شامل ، مؤتمر جنيف كان مضطرا ان يعالج قضية الشرق الاوسط او القضية العربية وبالضرورة القضية الفلسطينية ، اي ان مؤتمر جنيف نفسه يحمل مأزقه في داخله • ومن جهة

اخرى فالازمة الداخلية في مصر كانت متفاقمة الى درجة كبيرة سواء من الناحية الاجتماعية الاقتصادية او من الناحية السياسية او من الناحية العسكرية ، النظام المصري في ادنى مستوياته من ناحية مجابهة الاعباء الاقتصادية او العسكرية او السياسية ، الى جانب ان القوة الاسرائيلية تنامت بالحجم الى درجة كبيرة • وكان بيغن وكتلته قادرون على التهديد بالحرب فعليا وقادرون ان يفرضوا حلولا تنسجم مع مصالحهم • ولديهم القدرة ضمن الواقع العام في المنطقة والسياسة العربية السائدة ان يخوضوا معارك سواء في جنوب لبنان او في مناطق اخرى تؤدي الى ارغام الاطراف العربية على التفكير بطريق اخر غير طريق الحرب ، فمن هنا كان السادات قد فكر ان هذه الخطوة يمكن ان تشكل مخرجا من المأزق الذي تعيشه مصر كقطر ولكن بدرجة اخص واهم ، المأزق الذي تعيشه الطبقة الحاكمة في مصر ، الاساس في خطوة السادات هو من منطلق اقليمي اي مخاطبة الاستعمار والصهيونية كما تريد ، ولكننا نتذكر ان المشروع الاستعماري في المنطقة، قديما وحديثا يركز على ضرورة التعامل مع الامة العربية كأقطار ، كوحدات اقليمية ، ونلاحظ ان الاستعمار عندما تخوف من حركة محمد علي باشا وابراهيم باشا في مصر تناسى كل خلافاته في اوروبا وفي المشرق واجتمع على موقف موحد بالرغم من ان الصراع الاستعماري كان في اوجه على تقاسم العالم في ذلك الظرف ، اجتمع على موقف اعادة مصر الى حدودها الاقليمية ومنع قيام دولة عربية موحدة في المنطقة وكان الشرط الذي تم تجديده لمحمد علي باشا ان يعود الى مصر مع دور افريقي بسيط هذا هو الشرط الاساسي لبقائه في الحكم،

من هنا اعتقد ان السادات سيجني بعض المكاسب من الخطوة التي اقدم عليها ، لكن هذه المكاسب لن تكون الا في الحجم والمستوى الذي يريده الاستعمار او الذي يتيح للدور الامبريالي ان يقوم بمهمته في المنطقة ، فعندما خاطب السادات الاستعمار والصهيونية من هذا المنطلق الاقليمي كان فعلا ينسجم مع المخطط الاستعماري القديم - الحديث في المنطقة العربية ، طبعا ، هنا ندخل في ماهية الاستراتيجية الصهيونية الامبريالية في المنطقة، / انا لا أريد ان افصل كثيرا هذه الاستراتيجية لكن نقدر ان نقول / : انها استراتيجية بسيطة لكن عملياتها معقدة جدا اهمها الحؤول دون قيام وحدة عربية او دولة عربية موحدة ، وكلنا نعرف ان دور الاستعمار انسجم مع المطامح الصهيونية في اقتلاع الشعب الفلسطيني من ارضه هذا المشروع ابتدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر حينما بدأ الاستعمار يفكر بفصل مصر عن المشرق العربي والتقى مع المطامح الصهيونية في احتلال فلسطين هنا لا نريد ان ندخل في المنزلق الاقليمي بأن الشعب الفلسطيني ضحى من اجل شعب مصر هذا منطق مضاد قائم حاليا في مصر •

الاستراتيجية الصهيونية والامبريالية في المنطقة هي امتلاك الثروة العربية وهذه مسألة مهمة جدا خاصة وان الثروة العربية - وهنا طبعا الكلام الذي قاله الاخ ابو حاتم كلام واضح وصحيح ، الثروة العربية هي المواد الخام وهي رؤوس الاموال وهذا شيء جديد في العلاقات الاستعمارية في العالم لان الاستعمار كان سابقا يسيطر على المواد الخام ، الان المواد الخام ، ورؤوس الاموال ، تتجمع وتتكدس بصورة متنامية ومتزايدة في البلاد العربية ، ولتحقيق هذه الاستراتيجية فالصهيونية والاستعمار يريدون ان يكرسوا التجزئة ، واستطرادا الانتقال من التجزئة الى التثبيت لان الاستعمار اكتشف حتى ضمن التجزئة للاقطار العربية كما هي الان فان هذه الاقطار قادرة بشكل من الاشكال ، على المجابهة وعلى الحاق بعض الهزائم او الخسائر بالاستعمار • هذا ظهر في القرن التاسع عشر منذ حركة محمد علي باشا وظهر في الحروب الحديثة التي خاضتها الامة العربية سواء في حرب السويس او بتحقيق الوحدة العربية او بنمو المقاومة الفلسطينية او في حرب ٧٣ ، والتجزئة القائمة حاليا ليست كافية لتثبيت المشروع الامبريالي الصهيوني في المنطقة ، بل المطلوب ايضا المزيد من التجزئة اى الانتقال الى التفتيت والغاء فعالية الاقطار

كأقطار وتكريس الانفصالية والاقليمية بشكل ثابت ودائم وجعلها هي العقيدة الجديدة والغاء فكرة الوحدة العربية والقومية العربية ، وكلنا يتذكر ان نيكسون عندما زار مصر واستقبله السادات قال في اول حديثه للسادات انه ليس في علمه ان مصر هي بلد عربي ، والان نلاحظ ان كل المحادثات او جزء منها والتي تتم بين اميركا ومصر تعتمد على ان لمصر دور في افريقيا ، اي العودة الى تثبيت افريقية مصر وعزلها عن الامة العربية ، طبعا خطوة السادات بهذا المعنى ادت الى عزل مصر عن الامة العربية وهذا العزل ليس نهائيا او كاملا ، ويبقى في مصر ، الشعب • ولا شك ان هذه الخطوة سيكون لها ردود فعل متنامية على مر الزمن في مصر ، ان عزل مصر يؤدي الى اهتزاز الاقتصاد المصري ، لان العروبة بالنسبة لمصر ليست انتماء قوميا فحسب ، انما هي طريق مصر نحو الاستقلال ونحو التنمية ونحو التقدم وحتى نحو التحرر ، ان كل معارك مصر ، التي انتصرت فيها ، كانت ضمن الاطار العربي او بالتفاعل مع الوجود العربي ومن هنا فان فصل مصر عن مداها العربي هو تهديد للاستقلال المصري بحد ذاته ومنع مصر من السير باتجاه التقدم او باتجاه التحرر واعتقد انه حينما تضعف مصر كوجود مستقل فان الكيان القومي العربي كله يضعف بدوره ، وايضا ، الجبهة الداخلية في كل قطر عربي تهتز لان موقع مصر في الامة العربية ومكانتها وتأثيرها وحجمها ليست بحجم وقوة ومكانة اي قطر عربي اخر ، ان اي قرار مصري له انعكاسات داخلية في كل قطر عربي وبالتالي ، اعتقد ان استقلال كل قطر عربي يتهدد عندما يتهدد استقلال مصر الناتج عن عزل مصر عن الامة العربية ، هنا تبدو خطورة خطوة السادات اي الانتقال من السياسة التي كانت سائرة عليها ثورة ٢٣ تموز وهي تأكيد الانتماء العربي لمصر بالعودة الى مصرية مصر ، وهنا تكمن مهمة خطيرة تقع على عاتق القوى الوطنية والقومية في البلاد العربية بأن تفهم هذه المسألة بكثير من الحرص وبكثير من الوعي والاستيعاب ، لان ردود الفعل العفوية او الفورية تجاه الموقف الرسمي في مصر قد يؤدي الى انعكاسات سلبية على صعيد الشارع المصري ، لانه من غير المعقول ان نفهم او نوافق على الخطوات التي تمت في اكثر من قطر عربي كحرق الاعلام المصرية او علم الاتحاد الثلاثي او مهاجمة السفارات المصرية او التعرض للمصريين واعتبار قرار السادات هو قرار مصر في حين ان قرار مصر يختلف في اعتقادي اختلافا شديدا عن قرار السادات ، علينا ان نفهم ان قرار السادات لم يأت قرارا شخصيا انما هو قرار طبقة وهو استمرار النهج السياسي الاستسلامي منذ زمن بعيد ، وانه لواجب اساسي على التقدميين العرب وعلى المفكرين العرب ان يكتشفوا اين ولد هذا القرار ؟ داخل اي طبقة ، هل ولد داخل الطبقة البرجوازية الاقطاعية او داخل الطبقة القديمة ؟ لا ، لقد ولد داخل الطبقة التي نمت وترعرت واستكملت كيانها داخل حركة التحرر العربية ، طبعا ، هنا اذا اردنا ان نرجع الى الاصول سنلاحظ ان الثورة الديمقراطية لم تستكمل في مصر لان النظام المصري القديم عندما كان ينازع استطاع ان يضرب الحركة الديمقراطية نهائيا وبالتالي تقوم مجموعة من العسكريين المصريين دخلت في الكلية العسكرية (في ليلة قدر كما يسمونها) حينما سمح الوفد بدخول ضباط عسكريين وقد قامت بمهمات ثورة ٢٣ يوليو • كانت هذه الطبقة من اصول برجوازية وسطى اتية من الريف واعتقد ان هذا الوضع له مشابه في الكثير من الانظمة العربية • لكن الطبقة التي اخذت قرار الزيارة ، قرار الاستسلام ، قرار الانسجام مع المخطط الاستعماري هي طبقة ولدت داخل ما يسمى او ما تم التعارف على تسميته بطبقة التحرر الوطني ، طبعا ، مما لا شك فيه ان هذه الطبقة هي امتداد لطبقة قديمة كانت موجودة حينما كان الاستعمار بشكله القديم ، لكنها توصلت الى هذا القرار داخل حركة التحرر العربية ، وبالتالي ينبغي ان تتم عملية نقد فعال ومؤثر بالنسبة للتقييم السياسي الذي سيصدر عن الكثير من الحركات الوطنية في البلاد العربية ، هذه الطبقة

كانت استمرار للقديم اي لم تكن انقلابا حقيقيا على القديم ، كانت استمرار للاقليمية بثوب وحدوي وكانت استمرارا للدكتاتورية في ثوب ديمقراطي وكانت استمرارا للارتباط بالرأسمالية • ففي ثوب من التحرر والاشتراكية ونلاحظ ان هذه الطبقة اكدت وانتهجت نهج التنمية القطرية وكرست التجزئة بدلا من ان تنتهج نهج التنمية المرتبطة بأفق قومي شامل • وبدل ان تنتهج طريقا ديمقراطيا نحو البناء والتحرير وبدل ان تنتهج النهج الوحدوي • اذا استطعنا ان نفهم هذه الوقائع والثغرات الاساسية في تاريخنا الحديث نقدر ان نكتشف ببساطة انه لم يعد ممكنا مواجهة هذه الردة بأفق قطري او بأسلوب اقليمي اذ المفروض اكثر ـ من اية فترة سابقة ان نرسخ اسلوب المواجهة الوحدوي الذي ينطلق من الوجود العربي ككل ، وهنا تندرج مهمة اساسية بالنسبة للثورة الفلسطينية ، صحيح انه من المهم جدا تثبيت الشخصية الفلسطينية لكنني اعتقد ان هذا الهدف قد استكمل اي هدف تثبت الشخصية الفلسطينية واصبح من المهم جدا الانتقال الى المهمات المركزية للنضال العربي بعد ان تثبتت الشخصية الفلسطينية عربيا وعالميا •

ان التحليل الوطني العام الذي كان مسيطرا في المرحلة ما بعد الـ ٧٣ : انه بعد حرب تشرين ، التسوية قادمة ، وهذه التسوية لا بد ان تكون تسوية وطنية ، هناك القوة العربية المتنامية التي برزت في حرب تشرين هناك المقاومة الفلسطينية ، هناك المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي اذن الوقت اصبح ناضجا أضف الى ذلك ازمات الامبريالية الدولية وضعف اسرائيل • فالوقت اصبح ناضجا لبروز سلطة وطنية فلسطينية ، اعتقد ان هذا المنطق كله والى حد كبير ، قد سقط ويجب ان يسقط معه هذا الفهم للتسوية•

ان التسوية في المنطقة لا تكون تسوية بالمعنى القانوني او المعنى المتعارف عليه في العالم وهو ان كل طرف سوف يحقق جزءا كبيرا او مهما من اهدافه ويتنازل عن جزء بسيط منها في المقابل ، لقد ثبت ان التسوية الحقيقية في المنطقة هي التسوية الاميركية او هي الاستراتيجية الامبريالية والصهيونية التي تحدث عنها الاخ ابو حاتم ، التسوية لا تمر فقط في واشنطن ، انما تكرس سياسة واشنطن وتل ابيب في المنطقة ، هذه هي التسوية الوحيدة والواردة بذهن الامبريالية العالمية ، لان الامبريالية العالمية اخذا بعين الاعتبار وضعها ومأزقها ومستقبلها ـ وهذا يحتاج الى تفسير كثير ـ اخذا بعين الاعتبار هذه الامور ، لا تستطيع الامبريالية ان تقبل بتسوية مختلفة عن هذه التسوية • التسوية الاميركية في المنطقة تساوي الاستراتيجية الامبريالية الصهيونية • اذن ، هذا المنطق يجب ان يسقط مع منطق السلطة الوطنية • المنطق الذي يستنتج اننا نستطيع ان ننتزع من الاستعمار دولة فلسطينية منطق ثبت انه غير مطابق للحقيقة خاصة وان القضية المطروحة هي قضية مركزية بالنسبة للوجود العربي والكيان العربي والمستقبل العربي • الصراع يتم حول المركز في الامة العربية ، المركز ، بالدرجة الاولى ، هو فلسطين ومصر ، ومن هنا التسوية حسب الفهم القانوني العام شيء غير وارد ، وبالتالي فالمنطق الاخر الذي يجب ان يقود حركات التحرر عامة في الوطن العربي هو المنطق الجذري الذي يرفض التسوية رفضا منطقيا وسليما وحقيقيا ولا يتحدث عن الرفض الا بقدر ما يعمل في سبيله وهذا هو التحدي المطروح » •

الاخ د• الياس شوفاني

: « سأستمر في الحديث عن الفترة الراهنة وربما قليلا عن المستقبل لان الاخوة هنا قد اوفوا بالحديث عنه •

موقفنا من التسوية منذ البداية كان واضحا ، في الوقت الذي كان المطلوب فيه دحر العدو سياسيا وفي كل المجالات ، وقد رأينا حرب تشرين في هذا الاطار •

ففي اليوم الرابع من حرب تشرين حصل الانقلاب الذي كان واضحا الى اين سيصل ، سلوك طريق الجغرافيا • القطاع الاوسع مما يسمى بالحركات الوطنية توصل في نهاية الطريق الى التغاضي والسكوت عن مهادنة

الامبريالية الاميركية بحجة وضع اسفين بين اسرائيل والبلد الام التي هي واشنطن ، طبعا هذا كلام غيبي وخيالي ، في تقديري ان خطوة السادات اذا جاز لها ان تنجح تكون نهاية مرحلة طويلة • قرن من الزمن ظهر في بدايته وليس صدفة ثلاث حركات او ثلاثة أمور متواكبة في العالم العربي ، بروز حركة الجماهير العربية بقيادة البرجوازية العربية المنتقية افكارها من الثورة الفرنسية ويواكبها التحرك الامبريالي المكشوف من اجل تقسيم المنطقة والسيطرة عليها وضرب حركة الجماهير ، وبالتالي زرع الالغام الداخلية التي لا تزال بقاياها موجودة الى اليوم وزرع اللغم الاكبر الذي هو الكيان الصهيوني في المنطقة • بدون بروز الحركة القومية العربية ما كان ممكنا برأيي ان يقوم الكيان الصهيوني في فلسطين من اجل مواجهة هذه الحركة ، لانه مهما اخذنا في الاعتبار الظروف الذاتية لقيام الحركة الصهيونية كحركة قومية تسعى الى حل المسألة اليهودية ، بما هو في متناول يدها من افكار اوروبية في اطار الدولة القومية، هذه الرغبة الذاتية ما كانت لتتحقق بدون العوامل الخارجية التي هي فعل ورد فعل في حركة الجماهير العربية المتمثلة في الحركة القومية للتحرر والوحدة والكلام البعيد المدى عن الاشتراكية • ونقيضها او عدوها الامبريالية وهي السند للكيان الصهيوني • اذا فعملية السادات بالعقل اذا جاز لها ان تنجح ، ففي تقديري سوف تنهي او تضرب الحركة التي اصبح عمرها قرن من الزمن وقد تعيد الحلقة مرة ثانية الى النقطة التي اشار اليها الاخ بشاره : قصة محمد علي • يمكن ان ترجع في التاريخ الى امثلة قريبة ، الخلاف بين الرافدين والنيل وما بينهما مرورا بالصليبيين ومرورا بمحمد علي وعبد الناصر والسادات ، لكنني اريد ان اضيف نقطة على الوضع الراهن اليوم ، في تقديري ان المهم جدا ، ليس الخطوة النهائية وانما الخطوة الاولى لانه لن تكون خطوة ثانية اذا لم تكن هناك خطوة اولى • من المهم ان نفكر طبعا ولكن ليس كثيرا ماذا ستكون نتيجة التناقض بين البرجوازية المصرية وبين الاستيطان الصهيوني الرأسمالي بعد سنتين او ثلاث سنوات ، في تقديري المهم الان هو الثورة الفلسطينية التي هي في رأس سلم الاولويات للضرب وهذه ستكون نتيجة لمبادرة السادات •

* كيف يمكن ان يتجسد هذا الضرب ؟

قلت في الكلمة الاولى ان هناك عملية تحالف ساداتي ـ بيغيني ذات مصالح مشتركة هي انهاء جنيف واخراج السوفييت من لعبة التسوية • وهذه المصالح هي في اعلى سلم الاولويات بالنسبة للنظام المصري واتفق مع الاخ محمود سويد على انها اولوية وفيها مصلحة حيوية للكيان الصهيوني من اجل ان يسير الكيان الصهيوني مع مصر في تنفيذ الشراكة للهيمنة على المنطقة • من اجل خدمة الاستعمار الاميركي لا بد ان يدفع النظام المصري هذا الثمن للكيان الصهيوني • اليوم نحن ، موجودون في لبنان ، وليس من قبيل الصدفة ان لبنان الذي يحتفظ منذ ١٩٤٩ بحدود دولية ولم يشارك في حرب ٥٦ ـ ٦٧ ـ ٧٣ ، يصر الكيان الصهيوني على اشراكه في جنيف ، فجأة هناك كلام كثير عن لبنان ومشاركته في عملية التسوية ، التصريحات الاخيرة لكارتر ، (لبنان مغلوب على امره) لان هناك وجودا سوريا ووجودا فلسطينيا • اذن مطلوب من لبنان ان يعلن موقفه من خطوة السادات ومبادرة السادات ، وحتى يعلن هذا الموقف لا بد من الفصل بين لبنان وبين الوجود السوري ، فاذن السيناريو بشكل او بآخر يعمل لاخراج سوريا من لبنان وحشر المقاومة بين مطرقة اسرائيل وسندان الانعزاليين، هذا اذا افترضنا ان موقف التصلب السوري باق في الموقع الذي نظن انه موجود فيه ، فاذا كان وراء الاكمة ما وراءها تكون عملية الضرب والمشاركة فيها بأكثر من طرفين • لكن النقاط التي كنت أود التكلم فيها هي اولا : مدى التطور الداخلي في اسرائيل واعتقد انها عملية مهمة جدا واشار اليها الاخ محمود سويد • مسألة لها اثر كبير جدا في تقديري في خطوة السادات • في هذه السنة لاول مرة توصل الجناح التصحيحي التنقيحي

من الحركة الصهيونية الى السلطة ، وبعد وصوله الى السلطة اتخذ عدد من الاجراءات العملية ثم كرسها بقوانين ، مجمل هــذه القوانين بالنسبة للعلاقات الداخليةالاقتصادية والاجتماعية تشير الى ان هنـــاك مجموعة رأسمالية لا تمثل بالفعل دولة تريد ان تجسد اهدافها على ارض الواقع في داخل الكيان • هذه الطبقة او المجموعة او الفئة ، اذا كانت مجموعة رأسمـــالية برجوازية ذات اقتصاد رأسمالي ، وقطاع خاص ليس لها سوق في داخل الكيان ، سوقها ، خارج الكيان ، سوقها لا يمكن ان يكون في اوربا وانما في المنطقـة العربية • هذا التحول الاقتصادي في داخـل الكيان لا يمكن ان يصل الى اهدافه الا بفتح الطريق الى المنطقة المحيطة به والتي هــي السوق الطبيعي ، وامامه واحد من اثنين اما ان يعمد الى الحرب من اجل فتح هذه السوق او أن يتبرع السادات بفتح هذه السوق امامه كما حصــل •

من هنا وبالنسـبة لدوافع السادات يجب ألا يلغى تماما ، الكلام عن خطر الحرب الذي كان متوقعا • وقد أشرنا الى نصيحة غور قبل زيارة السادات بيوم والقائلة بأن السادات يخادع وما الى ذلك • لنلاحظ أن التطــور الداخلي لاسرائيل متوجـه على العموم نحــو حل الكيان الصهيوني من كيان قومي حضاري يتكلم عن حل المسألة اليهودية بشكل برجوازي الى مشروعاستيطاني رأسمالي على غرار جنوب افريقيا مع كل الامكانات المتوفرة له ، تقنيا ورأسماليا ولنعرف أنه كان هناك تطور معاكس تماما في داخل مصر منذ ٧٣ ، المشاكل الداخلية في مصر تراكمت وكبرت الى أن وجد الســادات نفسه امام مأزق كبـــــير ، هناك عدد من التحركات في الفترة الاخيرة لا يمكن ابعادها عن دوافع السادات للقيام بتحــركه او مبادرته الاخيرة ، لو أخذناها فقط منذ مجيء كارتر ، ودعوة زعماء المنطقة الى واشنطن ثم سقوط الحكومة الاسرائيلية ، وتشكيل الحكومة الجديدة ثم زيارة بيغن الخ •• كل التحركات التي لم ينتج عنها شيئا • وصدر بعدها اثناء انعقاد الدورة الاخيرة للامم المتحدة (اظن انها الدورة الـ ٣٣) البيان الاميركي ـ السوفيتي ، وهو نقطة مهمة جدا على الطريق • هذا البيــان كان تقريبا الغاء أو اهمال للقرار ٢٤٢ ، ٣٣٨ وفيــه كلام عن الحقوق المشروعة للشــعب الفلسطيني ••هذا البيان اثار موجة عارمة من الاحتجاج الرسمي في الساحة الاميركية من قبل القوى الداعمة للكيـــان الصهيوني في اميركا وكان هجومها على الادارة الاميركية هجــوما شرسا لانه بعد العمل لعدد من السنوات من اجل ابعاد السوفيات عن المنطقة يعود كارتر لاعادة السوفيات الى المنطقة ، وهكذا صدرت ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية التي تلغي تماما البيان السوفيتي ـ الاميركي ، من هنا مأزق الادارة الاميركية في علاقتها مع السوفييت، الغاء مؤتمر جنيف على يد الاطراف المحلية وان لم يكن مخططا في واشنطن فبالامكان عزوه الى تبرع الاطراف المحلية لايجاد المخرج من المأزق للاميركان في علاقتهم مع السوفييت ، مؤتمر جنيف ، برعاية الدولتين الكبيرتين ، نتج عن ان الاطراف ليس بينها علاقات ، لا يتكلمون مع بعضـــهم وبالتالي يحتاجون الى وساطة ، الان لم يعد هناك ضرورة للوساطة لان الاطراف تتحاور بشكل طبيعي ، لا شك ان تدهور موقف مصر في قيادة العالم العربي خلال مسار التسوية كان عاملا اساسيا في تفكير السادات • ان التسوية هي هــدف اميركي وعلى هذا الاساس كانت الاطراف كلها تسير فيها ، علما بأن اميركا ستـدفع ثمن التسوية لهذه الاطراف وحسب التسلسل التنظيمي ، ستنال الثمن من اميركا ، من هنا في تقديري مجمل الزحام الذي حدث خلال الـ ٤ سنوات وتخبط الاطراف العربية حتى يسر التسلسل التنظيمي وعلى رأسه السعودية وورائها مصر ، فالاردن ، ثــم ســوريا فمنظـــمة التحــرير الفلسطينية ، الخ كل طرف حاول ان يتجاوز موقعه التنظيمي كان يمنى بالفشل ، مجمل هذه الاطراف كانت تتحرك على ان الاميركان سيدفعوا ثمن التسوية ، ظهر تماما انه منذ بداية ٧٦ بدأت سوريا تلعب دورا اكبر وتأخذ اهمية اكبر في حسابات الاميركبين ازاء التسوية

في المنطقة ، وواضح تماما ان النظام المصــري كان غير راض عن بروز الدور السوري في القرار الاميركي ازاء التسوية ، السادات ازبد وارغى حول الرضوخ للاميركان في مسألة الوفد العربي الموحد الى جنيف ، كان ممتعضا جدا من ان الاميركان تراجعوا عن ورقة العمل الاميركيــة الاسرائيلية بسبب الموقف السوري • واجمالا يمكن القول ان السادات منذ حرب تشرين بدأ عملية تحــريك وفكر في ان تبــقى المبادرة السياسية في عملية التحريك السياسي بيــده حتى يحصل « في النهاية » على الثمن الذي كان يتوقعه من صاحب الشركة الاساسي ، الاميركان ، وبالتالي يصبح هو الوكيل الاول • التصور بأن المبادرة قد ضاعت من يده كان له دور هام جدا في دفع السادات نحو اتخاذه القرار بالذهاب الى اسرائيل • ملاحظة هامشية على قصة عزل مصر ، اشرت في الكلمة الاولى الى أي اتجاه يسير فيه السادات اليوم ، لا اعتقد ان هناك عملية عزل لمصر ، لا اعتقد ان التوجه هو نحو حل منفرد ، مسألة الحل المنفــرد لا تجدي السادات نفعا اذا فهمنــا التسوية بهذا الاطار ، ما يسعى اليه السادات الان هو حل شامل للمنطقة ينفذه بالاشتراك مع بيغن ، اذن ، السادات لا ينوي عزل مصر ، وانما يريد ان يكون هناك تدخلا مصريا اكثر واكثر في مجمل الاوضاع العربية ، ان منظمة التحرير لم تكن اكثر الاطراف تشددا في رفضها لمبادرة السادات وفي عدائها لموقف السادات ، ومع ذلك تم التركيز على منظمة التحرير بأنها اخرجت نفسها من المفاوضات ، انها هي التي جنت على نفسها وقضت على قرارات الرباط ، وكان تركيز كارتر ايضا ، على هــذا الكلام وتحرك السادات لبناء منظمة بديلة عن منظمة التحرير ، فمجمل هــذه الامور وكــلامه عن السوريين ، كلامه عن الاوضاع ككل لا تدل على ان السادات يريد حلا منفردا ، بالاضافة الى هذا هناك كــلام ومعلومات من الصــحف الاسرائيلية بأن الحديث الاساسي الذي دار بين السادات وبيغن اثناء المقابلة لم يكن حول القضية المصرية وانما حول قضايا المنطقة • ونفس الشيء بالنسبة لمباحثات بيغن والسادات في الاسماعيلية ؟ مشاكل المنطقة • ومثلها قال سيد مرعي في ١٩٧٧/١٢/٢١ انه بالنسبة لسيناء نحن متفقين ، الخلاف على الجولان والضفة الغربية ، هذا لا يعني ان السادات مختلف مع بيغن ماذا سيفعل بمنظمة التحرير او بسوريا، انما كيــف سيسير العمــل المشترك لترتيب الاوضاع في الجو لان أي ترتيــب الاوضاع في سوريا ، ولترتيب الاوضاع في الضفة ، ومعناه ترتيب الاوضاع الفلسطينية •

* ألا تعتقد ان هناك حلف حقيقي سياسي عسكري يجري عقده حاليا في مواجهة حــركة التحرر الوطني عربيا ودوليا ؟

في هذه المرحلة ، نعم ، وأراه بوضوح تام ، وليس ممكنا الا ان يكون بهذا التوجه ، هذا طبعا يطرح علينا مهاما ، ومفهوما اخر لعملية التصــدي للامبريالية والصهيــونية في هذه المرحلة ، نحن كثورة فلسطينية ، انطلقنا من العنف المسلح لتفجير التناقض الذي اعتقدنا انـــه موجود بــين مجمل الامــة العربية وبــين الامبريالية وبين الصهيونية • في المرحلة القادمة لا بد من استثناء قطاعات لا ينطبق عليهــا تعريف العملاء فقط ، كنا نقول هناك عملاء وخونة مع الامبريالية لكــن الان وفي تقديري سيصبح عندنا قطاعات قد نسميها طبقات في الامة العربية ، ترى ان التصدي للامبريالية هو اكثر كلفة لها اقتصاديا واجتماعيا من ضرب حركة الجماهير ، من هذا المنطلق تصبح ذات مصلحة مشتركة مع الكيان الصهيوني للتصدي لحركة الجماهير ، اي تحليل من اجل وضع خطة للتصدي مستقبلا لا بد ان يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار من ناحية الطبقة ذات المصلحة في التعاون مع الامبريالية والصهيونية ، ومن ناحية اخرى يجب ان لا يغفل موقع الجماهير التي في تحليــلنا لها مصلحة في التصــدي للامبريالية وبالتالي في الوحدة العربية وربما في الاشتراكية ، لكن في وضعها الراهن ، ونتيجة للاوضاع التي مرت بها تحــت حكم الفئات المعتبرة وطنية يجب ان تدرس ميدانيا اين هؤلاء الناس من مبادرة السادات ، واخشى ان تكون نتائج هذه الدراسة الميدانية مفاجئة لنا كما كانت مفاجأة خطوة السادات •

الاخ ابو حاتم : « هذه الندوة هي فرصة مهمة ، لا لكي يبدي كل وجهة نظره في قضية محددة مطروحة فقط ، بل ايضا فرصة مناسبة كي نتعرف على اراء بعضنا البعض ، وكيف نفكر ٠

الكل متفق ان خطوة السادات ليست خطوة مفصولة عن مسيرة كاملة ، وهناك عدة نقاط طرحت بهذا الاتجاه منها ، ان خطوة السادات وليدة النهج الاستسلامي أو وليدة نهج التسوية ككل ومنها نقطة هامة انه لا بد من البحث عن المصدر الطبقي لهذه الخطوة ، في تقديري ان هذه القضية مهمة جدا لان الامور لا تسير بطريقة عفوية ولا تسير بطريقة بوليسية على الاطلاق وليست قضية .C.I.A او مخابرات ، القضية تتطور تطورا منطقيا وطبيعيا تتطور نتيجة لظروف موضوعية تتحكم فيها الاوضاع الطبقية تحكم اساسي ، وفي هذا المجال اسمحوا لي ان ابدي وجهة نظر بهذا الموضوع الاتجاه العام ما قبل عام ٦٧ ان هناك طبقة في اكثر من قطر عربي اساسي استلمت الحكم وبدأت تقود حركة التحرر العربية وكانت هي محورها ، واصطلح علميا ولا اعرف اذا كان التعبير صحيحا ام غير صحيح ـ ان البرجوازية الوطنية هي التي استلمت الحكم ، واستخدم هذا التعبير كتعبير سياسي اكثر منه تعبير ايديولوجي ، لماذا ؟ لان البرجوازية الوطنية او الانظمة البرجوازية الوطنية ، لعبت دورا مهما في مقاومة ومقارعة الاستعمار وسارت هذه في خطين متوازيين ، دخلت في صراع مباشر مع الاستعمار والطبقات الحاكمة المدعومة من الاستعمار من اجل السيطرة على السلطة وعلى السوق ، وفي مسيرتها للوصول الى هذه النتيجة وتثبيت سلطتها وسيطرتها على السوق كان لا بد لها من تحالفات ، لذلك فعلى الصعيد الدولي بدأت عملية تغيير بالتحالفات في معسكرين ، المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي ووجدت انه ليس لها مفر من ان تتحالف دوليا مع المعسكر الاشتراكي ، وايضا لا بد لها من خوض معركتها على الصعيد العربي خصوصا في مصر ، معركتها على الصعيد العربي ضد الرجعية العربية ٠ وفي الداخل خاضت معاركها ضد الطبقة الاقطاعية وبقايا السلطة المنهارة ، فقامت بمجموعة من الاجراءات في هذا الاتجاه ، ولا شك انه في مرحلة صعودها وتصديها للامبريالية والطبقات الحاكمة كانت تحل تناقضاتها معهم عن طريق العنف ، ونسجت مجموعة من التحالفات المحلية الداخلية والعربية والدولية بما يخدم نجاح هذه المعركة ٠ ولكن في نفس الوقت فان طبيعة هذه الطبقات ، طبيعة تركيبتها املت خوض معركة داخلية شرسة ضد القوى الاكثر جذرية وضد القوى الاكثر ثورية في الداخل وصولا الى تصفية كافة القوى الثورية والتنظيمات الثورية ٠ ومن اجل نجاح معركتها، اعتمدت على منظمات جماهيرية فضفاضة من اجل تعبئة الجماهير وخوض هذه المعركة ، لذلك نجد مثلا ، السلطة المصرية في عهد الرئيس عبد الناصر في الوقت الذي خاض فيه معاركه ضد الاقطاع وعملاء الامبريالية والاستعمار ٠٠٠ الخ ٠ وانشأ التحالفات الواسعة مع المعسكر الاشتراكي بدءا بصفقة الاسلحة التشيكية سنة ٥٥ ثم تحالفه الاستراتيجي مع المعسكر الاشتراكي وخوضه المعركة ضد الرجعية العربية في نفس الوقت خاض عملية شرسة لضرب كل القوى الجذرية في داخل مصر وبدل هذه القوى الجذرية قام بعدة محاولات لتشكيل تنظيم خاص به ٠ انشأ اولا هيئة التحرير ، لتكون حزب السلطة ، ثم انشأ الاتحاد القومي ، ثم انشأ الاتحاد الاشتراكي ، المحاولات هذه ان دلت على شيء انما تدل على طبيعة النظام التي تريد الجماهير ان تتلقى القرار ، بينما في الحقيقة المفروض والمطلوب هو حزب يكون صاحب القرار ، اي حزب يحكم ، وليس حزبا للحاكم ، اثناء معركته ، او صعوده البرجوازية الوطنية، نجحت في الكثير من معاركها وصلت تناقضاتها مع اعدائها عن طريق العنف وعن طريق الصدام ولكن جاءت سنة ٦٧ وبدأ تراجع هذه الطبقات وفي حالة تراجعها بدأت تحل تناقضاتها مع الامبريالية ومع اعدائها عن طريق المساومات وعن طريق التراجع واول مظهر من مظاهر

هذا التراجع وحل قضاياها عن طريق المساومة هو قبول قرار ٢٤٢ وهو أول خطوة عملية في طريق التسوية ، بغض النظر عن كل التبريرات التي طرحت في تلك المرحلة حول الظروف ، قرار ٢٤٢ قبل به النظام المصري في حالة تقهقره وفي حالة هزيمته وهو خطوة اولى باتجاه التسوية ٠ ولكنها ليست الخضوع الكامل هناك شبكة تحالفات وموازين قوى ما زالت تمكنه من محاولة استعادة زمام المبادرة، من هنا ، خاض حرب الاستنزاف واعلن بالرغم من قبوله قرار ٢٤٢ ٠ ونحن كلنا نعرف ماذا يعني قرار ٢٤٢ ، اعلن لا صلح ، لا مفاوضات، لا اعتراف وما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وخيضت حرب الاستنزاف ولكن كان قبول مشروع روجرز هو خطوة جديدة في طريق التسوية وفي طريق مساومة هذه الطبقات مع اعدائها ، ومباشرة بعد مشروع روجرز بدأت معركة ايلول اي أن خط التسوية لم يبدأ بمعارك ايلول بدأ عربيا بهزيمة حزيران وتثبت بقرار ٢٤٢ وكرت المسبحة ، ولكن التسوية فلسطينيا ، فلسطينيا وليس عربيا ، بدأت بعد ايلول ، وهنا احب ان اتكلم ببعض التفصيل عن مساهمة الثورة الفلسطينية المقاومة الفلسطينية ليست لفظة عامة يجب ان نبحث فعلا ما هي المقاومة الفلسطينية ، هل هي كتلة متراصة ، هل هي موقف واحد هل هي موقف موحد ، هل هي اتجاه موحد ، هل هي ممارسة موحدة ؟ اية مقاومة فلسطينية، هذه القضية يجب ان نبحثها ، المقاومة الفلسطينية ايضا ساهمت مساهمة كبيرة في خط التسوية وفي خط المساومة والتراجع وساهمت ايضا في خطوة السادات ٠ فمثلا ظهور الفكر الاقليمي في داخل المقاومة الفلسطينية ، وخاصة بعد ايلول كان احد الاسباب التي كونت مجموعة من التراكمات ادت وساهمت في هذه النتيجة ، مقولة السلطة الوطنية من المنطلق الاقليمي ادت او ساهمت ايضا ، مقولة الفصل بين الضفة الشرقية والضفة الغربية ، احيانا بداعي فك وحدة الضفتين حتى تعاد على اسس ديمقراطية واحيانا للتمايز ما بين الشعبين الفلسطيني والاردني ٠ هذه المقولات ساهمت في هذه القضية ، بالاضافة الى فصل القضية الفلسطينية عن القضية العربية ، وبالتالي فصل القضية الوطنية عن القضية الاجتماعية والتي ترجم عنها برنامج او شعار ، عدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية ٠ وضمن نفس الخط وضمن المسيرة كان برنامج النقاط العشر الذي لخص في نصف نقطة فقط وتم تجاهل التسع نقاط والنصف الاخرى ، لخص النقاط العشر بالسلطة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية هي نصف نقطة من عشر نقاط ٠ هذا الاتجاه ساهم في الموضوع ، النقاط الخمسة عشر ، تركيبة المجلس الوطني الاخير ، تركيبة اللجنة التنفيذية ، تركيبة المؤسسات الفلسطينية ، الاتصالات الفلسطينية الصهيونية والامريكية ٠

هذا خط كامل للثورة الفلسطينية ، حتى نكون واضحين ، بالتأكيد الفارق كبير جدا بين بيليد والحركة الصهيونية وبين حزب راكاح ٠

وليس صدفة ابدا تركيبة المجلس الوطني الاخير تركيبة المجلس الوطني جاءت لتخدم خط التسوية ٠ كل هذا مساهمة في الموضوع ، ليس بفعل الصدفة ابدا ان تتشكل اللجنة التنفيذية بالطريقة التي تشكلت فيها وبالعناصر والاشخاص التي تشكلت منها ٠ كان هذا ضمن مسيرة التسوية ، اعادة ترتيب مكاتب منظمة التحرير ، اجهزتها ، اسلوب العلاقات التحالفية في داخلها بين المنظمات ، هذا كله يجب ان نتكلم فيه لان هذا هو من صلب القضية التي نتكلم فيها والا من المستحيل ان نصل الى الحقيقة ، المقاومة ساهمت في التسوية ، عندما صدر قرار ٢٤٢ كان موقف المقاومة واضحا لا ، لقرار ٢٤٢ بكل ما يعنيه ، بكل بنوده ، وكان النضال الفلسطيني من اجل سحب موافقة العرب على قرار ٢٤٢ ثم جاء مشروع روجرز واتخذت المقاومة الفلسطينية موقف جذري وثوري حقيقي من مشروع روجرز ، بعد ايلول ماذا حدث بدأت عملية التراجع وقيل نحن نرفض قرار ٢٤٢ لانه يتعامل مع القضية الفلسطينية كقضية

لاجئين ، بينما كان موقف الثورة الفلسطينية نحن نرفض قرار ٢٤٢ لانه يصفي القضية الفلسطينية والقضية العربية وفيه اعتراف باسرائيل وفيه انهاء حالة الحرب ، وفيه مرور البواخر الاسرائيلية من قناة السويس العربية

لاجل هذا كله نحن نرفضه وندعوا العرب لرفضه ، اما بعد التراجع اصبح يقال نحن نرفض هذا القرار لانه يتعامل مع القضية الفلسطينية كقضية لاجئين .

أما مقولة التضامن العربي كانت المقاومة وما زالت ترفعها كشعار اساسي تقاتل من اجله ، تقاتل من اجل التضامن العربي ، ماذا يعني التضامن العربي ؟ طرحت فلسفات كثيرة للتضامن العربي هل السعودية تريد ان تقاتل الامبريالية واسرائيل ؟ كلا ، هل الحسن الثاني يريد مقاتلة اسرائيل والامبريالية حتى نتضامن معه ، تضامن من مع من ؟ تضامن الانظمة العربية في ظل السعودية ؟! وهنا طرحت فلسفات ارجو ان يكون لدينا متسع من الوقت للكلام فيها ، لقد طرحت قصة التضامن العربي على اساس أن يساهم كل طرف حسب امكانياته ، امكانية السعودية اكبر بكثير وتساهم اكثر من غيرها ، امكانيات المقاومة ليست كامكانيات مصر ، فمصر تساهم بهذا الاتجاه اكثر ، امكانيات السعودية اكثر من امكانيات المقاومة وبالتالي السعودية ساهمت اكثر ، هناك فرق بين الدور الذي يلعبه النظام السعودي وبين الدور الذي يلعبه النظام المصري ، وبين النظام السوري ، وبين النظام الاردني ، وبين المقاومة الفلسطينية بين كذا وكذوا هناك فوارق ولكن هذه الفوارق ضمن الخط الواحد .

التصفية كانت مستمرة للمقاومة الفلسطينية وباستمرار رغم الموافقة على كثير من البنود ومواقف الانظمة في التسوية كان باستمرار تسعى لتصفية المقاومة الفلسطينية ، كيف سنفسر ذلك بالرغم من موافقة المقاومة على السلطة الوطنية ؟

الاخ ابو حاتم : سنفسره ، صحيح انه بعد كل المساومات ومرونة وليونة وميوعة الثورة الفلسطينية ستتم تصفيتها واكثر من ذلك حركة التحرر العربية ، الاحزاب البرجوازية العربية ، الاحزاب البرجوازية الوطنية تتم تصفيتها هذه المنطقة يراد لها ان تحكم اميركيا وليس مسموح أن يكون فيها اي نفس وطني ، ولذلك ان تصفية اي نفس وطني في المنطقة كلها مطلوب وفلسطينيا المطلوب هو ضرب وانهاء الثورة الفلسطينية دون الوصول الى الدولة الفلسطينية ، واقصى ما يمكن ان يصلوه هو شبه كيان فلسطيني تحت الوصاية اما الاسرائيلية او الاردنية واما الاسرائيلية الاردنية المشتركة في ظل الهيمنةالاميركية على كل المنطقة ولذلك لا بد من تصفية الوطنيين الفلسطينيين ، الوطنيين اللبنانيين ، الوطنيين السوريين ، الوطنيين العرب كلهم .

انا حين تكلمت عن الثورة الفلسطينية فانني اعني ايضا ان الحركة الوطنية اللبنانية مطلوب تصفيتها ايضا . ولكن ليس لانه مطلوب تصفية الحركة الوطنية اللبنانية معنى ذلك انها كلها مستهدفة تبقى نقطة اخيرة :

لا شك ان زيارة السادات اوصلتنا الى نهاية ما سيكون عليه المخطط ، المخطط هذه نهايته، التسوية الاميركية هذه طريقها ، والناس الذين كانوا « مفشوشين » في هذه التسوية ، اكتشفوا هذا الطريق ، يمكن ان يكون عندهم « مجال » لان يغيروا هذا الطريق ، ولكن نحن نبقى نعيش مرحلة جديدة ، هذه المرحلة الجديدة على المستوى الفلسطيني وعلى المستوى العربي تحتاج الى عمل جديد ، تحتاج الى برنامج جديد ، تحتاج الى اداة ثورية جديدة .

الاخ مهدي عامل : « تبين مداخلات جميع الاخوان وكأن هناك ضرورة للتكلم عن آثار زيارة السادات الى العودة لفهم المنطق الداخلي لحركة التحرر الوطني للشعوب العربية لا سيما في مراحلها السابقة حيث ان ما وصلت اليه الان في خطوة السادات مرتبط تمام الارتباط بسلبيات المراحل السابقة

وبالتالي فان منطق البحث نفسه يفرض علينا الذهاب من الاحداث الى ما يفسر الاحداث بماله من جملة علاقاتببنية هذه الحركة التحررية ، فما ورد في مداخلة الاخ بشارة مرهج الذي يقول ان القرار المصري ولد داخل الطبقة التي نمت داخل حركة التحرر الوطني العربية سماها طبقة حركة التحرر الوطني وهذه الطبقة كانت استمرارا للقديم ، لكن اذا اردنا ان نتناول منطق الحركة ، هذا الكلام بحاجة الى تدقيق اكثر .. يصعب القول ان حركة التحرر الوطني كلها من طبقة معينة او تشكل طبقة حركة التحرر الوطني حركة شعوب تناضل من اجل تحررها من الاستعمار وكحركة تاريخية داخلة في عملية ثورية موجودة تحتل فيها طبقة معينة او فئات طبقية معينة موقع قيادي ، كما انه من الصعب القبول - بدون تدقيق - بالقول ان هذا القرار المصري هو وليد طبقة نمت داخل حركة التحرر الوطني، قد يكون في هذا الكلام التباس بمعنى ان هذا القرار يبدو وكأنه جزء لا يتجزأ من هذه الحركة ، لا السادات بما يمثله سياسيا ، وبما يمثله من نهج ومصالح طبقية لطبقة برجوازية رجعية ، تسير ضد النهج العام ، للتحرر الوطني ، بل تسير حتى ضد النهج في هذه الحركة ابان المرحلة السابقة ايام عبد الناصر ، بالرغم من كل السلبيات والثغرات التي يمكن ان نسجلها على هذه المرحلة وهذه الممارسة يتبين لنا ان هذا النهج الذي يسير فيه السادات نهج الاستسلام ، نهج اليمين الرجعي، وليس فقط النهجالمضاد للثورةوالمعادي للثورة بل حتى معادي للنهج الوطنيالعام الذي سار فيه عبد الناصر ، هذا من جهة ، من جهة ثانية انه بمجرد ان ندخل في تحليل حركة التحرر الوطني نقدر ان ندقق في مفاهيمنا اكثر ، ندقق في تعابيرنا ، وان اردنا ان نقوم بتحليل طبقي معين حينئذ نخرج عن الموضوع الذي نناقشه هنا ، ويصبح موضوعا نظريا علميا قائما بذاته . وان كان الاخ ابو حاتم تعرض في مداخلته لقسم كبير من هذا الموضوع .

ملاحظة ثانية على ما ورد في مداخلة الدكتور الياس شوفاني : الملاحظة تنصب على مدى اهمية التسلسل الحدثي الذي عرض له الدكتور الياس ، على اهمية التسلسل الحدثي في خطوة السادات ، هذا التسلسل وحده غير كاف لتفسير هذه الخطوة ، ربما ليس في نية الدكتور الياس ان يقول ذلك ، ولكن قد يظهر من مداخلته ان هذه الخطوة مرتبطة بأحداث معينة متسلسلة وكأنها منقطعة عن المنطق العام الذي سارت فيه حركة التحرر العربية السابقة بقيادة قوي يمينية برجوازية تسير في نهج محدد وبالتالي الاحداث وحدها لا تكفي لهذا التفسير ، اذ لا بد من الرجوع الى طبيعة هذا النهج الذي بدأ عمليا من الـ ٦٧ وربما ما قبل ٦٧ وسار في خط من الضروري ان يوصل الى الاستسلام ، الى هذه الخيانة الوطنية .

اما الملاحظة الاخرى فهي انه يبدو من مداخلات الاخوان وكأن التناقض الاساسي ليس في هذه المرحلة فحسب ، بل في المراحل السابقة في حركة التحرر الوطني العربية في علاقتها بالقضية الفلسطينية هو القائم بين نهج التسوية ونهج رفض التسوية .

واذا اردنا ان نتكلم في المرحلة الراهنة المحددة ، عمليا التناقض قائم بين نهجين ، نهج استسلامي ونهج وطني اية تسوية ، وعن اية تسوية نتكلم ، الموقف الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية هو موقف يربط بين الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية وهو تحرير كامل التراب الفلسطيني وبين الموقف المرحلي في اطار هذا الهدف الاستراتيجي وهو اقامة سلطة وطنية على اي شبر من الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها من الاحتلال الاسرائيلي ومن الكيان الصهيوني ، وبالتالي في تكلمنا عن التناقضات المحددة لحركة ثورية لا نقدر ان نتكلم الا عن التناقض في مرحلة معينة ، في مرحلة من المراحل ، وليس فقط بشكل عام ، وفي هذه المرحلة التناقض ليس بين التسوية ورفض التسوية بل هو بين تسوية اميركية هي عمليا تخلي وضرب للقضية الفلسطينية وبين الخط الذي سارت فيه منظمة التحرير في برنامجها المرحلي .

الملاحظة الاخرى هي حول مداخلة د . الياس

في تحليله للتناقض الاساسي في هذه الحركة يقول ان التناقض هو بين مجمل الامة العربية من جهة وبين الامبريالية والصهيونية من جهة اخرى ، ربما من الضروري ان نكون اكثر تحديدا في هذا التناقض فنقول انه قائم بين حركة شعوب الامة العربية وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية •

لانه في اطار تحرك هذا التناقض العام الذي فيه تتجابه الامة العربية ضد الامبريالية وضد الصهيونية ثمة تناقض داخلي في هذه الحركة التحررية بين قوى ثورية وقوى رجعية يتبين اكثر فأكثر وبالممارسة بأنها هي التي تلعب دور وكيل للامبريالية • ولم يعد ممكنا ان نعزل هذا التناقض الداخلي بين القوى الوطنية الثورية وبين القوى الرجعية في اطار التناقض العام ضد الامبريالية ففي كلامنا عن التناقض مع الصهيونية والامبريالية لا بد ان نربط هذا التناقض بالتناقض ضد الرجعيات العربية كما تبين في السنوات الماضية ، عمليا ان الذي يمثل السياسة الامبريالية في العالم العربي هي هذه الرجعيات العربية المصرية ، الاردنية ، السعودية ، الخ •

ملاحظة اخيرة حول مداخلة الاخ ابو حاتم : بالرغم من موافقتي على كثير مما ورد في مداخلته الواسعة المستفيضة لكن لدي ملاحظة صغيرة اريد ان اقولها : صحيح ان المقاومة الفلسطينية فيها حركة شعب ، فيها من كل التيارات ومن اقصى اليمين الى اقصى اليسار لكن لا بد في هذه المرحلة بالذات ، بالرغم من كل مآخذنا على قيادات المقاومة او على هذه القيادة او تلك من قيادات المقاومة ام على هذا القائد ام ذاك ام على هذا الفصيل ام ذاك من فصائل المقاومة ، بالرغم من كل مآخذنا ويمكن ان نجد مآخذ كثيرة في تاريخ هذه الحركة التحررية ، يبقى انه الان أمام هذه الهجمة الامبريالية وأمام هذا النهج الاستسلامي الساداتي وحيث ما يزال رأس منظمة التحرير الفلسطينية هو المطلوب من قبل القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية تكون لدينا نقطة اساسية لها علاقة بالقضية الفلسطينية : رفض دولة فلسطينية ، رفض ان تكون منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، هذه نقطة اساسية يجب الا نغفلها في تكلمنا على اخطاء في ممارسات ام في سياسات انتهجتها المقاومة او هذا الفصيل او ذاك ، على كل هذا البحث ، بحث آخر ، ويجب دائما التمييز بشكل عام بين القاتل وبين القتيل ولانه اذا اختلط الامر فانه يولد الالتباسات الكثيرة ، هذه هي الملاحظات التي اردت ان اقدمها •

الاخ ابو حاتم : « الملاحظة الاولى اعتقد ان المقولة عن طبيعة التناقض او الصراع التي تحدث عنها الاخ مهدي عامل حاليا في سياق الرد على وجهة نظر الدكتور الياس ، هذه النقطة لا اذكر اذا كان قد طرحها الدكتور الياس ام لا ولكن اذكر بأنني انا الذي طرحتها ، طرحها الدكتور الياس بشكل عام ولكن انا اختلف معه ••• واذا طرحها بهذا الشكل يجب الرد عليه مباشرة • لانه في تقديري ان التناقض الاساسي او طبيعة الصراع في المنطقة هي بين جماهير الامة العربية من ناحية وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية وادواتهم في المنطقة الكيان الصهيوني (اسرائيل) والرجعية العربية كأدوات للصهيونية والامبريالية بمعنى ، ان الرجعية العربية ليست مستبعدة من الصراع ولكن دورها كأداة من ادوات الامبريالية ضد الامة العربية •

الملاحظة الثانية : انه من الغباء السياسي المساواة ما بين القاتل والقتيل ، ليس هناك احد يساوي ما بين القاتل والقتيل خصوصا في المداخلة التي ذكرناها ، وفي مداخلتي لم اكن اقيم المقاومة الفلسطينية في جميع جوانبها كتقييم عام والدور الايجابي جدا الذي لعبته في المنطقة ، ولكن بالاضافة الى الدور الايجابي ، هناك بعض النقاط السلبية كالنقاط التي كانت مطروحة وبشكل محدد قضية خطوة السادات والخط الذي ادى الى هذه الخطوة ودور مختلف الاطراف في تحديد هذا الدور ، من هنا جاء ايضا تحديد دور المقاومة

الفلسطينية ، صحيح ان المقاومة الفلسطينية هي حركة شعب فلسطيني وصحيح ان فيها مختلف التيارات ، ولكن هناك تيار في داخل المقاومة ، وتيار مؤثر جدا ، ساهم في قسط كبير في الاتجاه الساداتي ولكن اذا اردنا ان نقيم المقاومة بطريقة شاملة هناك اشياء كثيرة ممكن ان تقال ولكن الان ليس مجالها •

الاخ مهدي عامل : « شيء طبيعي جدا حينما تكون حركة التحرر الوطني للشعوب العربية التي يعتملها الان صراع بين نهجين بين خطين سياسيين خط رجعي تتمثل ذروته في سياسة السادات الخيانية ، وليس فقط السادات بل وغيره من القوى السياسية السائرة في طريق السادات وخط ثوري وطني جذري يتمثل في قوى وطنية تقدمية في مختلف ارجاء الوطن العربي برزت قوتها تماما حيث برز الصراع بشكل حاد في الساحة اللبنانية خلال الحرب الاهلية ، اذا كان هذا هو الصراع الذي يعتمل هذه الحركة في المرحلة الراهنة ، فمن الطبيعي جدا ان يخترق هذا الصراع ايضا الساحة الفلسطينية الصراع بين هذين الخطين السياسيين الكبيرين بين هذين النهجين الكبيرين • من هذا المنطلق نستطيع بشكل عام ان نقيم هذه القوة او تلك •

● نريد ان نستفسر الاخ مهدي عامل عندما طرح ان في موقف منظمة التحرير ربط بين النهج الاستراتيجي والموقف المرحلي من خلال طرح شعار السلطة الوطنية هل شعار السلطة الوطنية في هذه المرحلة بالتحديد يعبر فعلا ، عما هو مطلوب ما دام ميزان القوى يميل لصالح القوى المعادية نتيجة وجود الانظمة والقوى الرجعية ضمن خط الامبريالية ، هل شعار المرحلة هو فعلا سلطة وطنية ام ضرورة التصدي لعملية التصفية ، تقدير المرء ان معركة لبنان نفسها التي يجري الحديث عنها ، ما كانت بالفعل استمرار لمؤامرة التصفية ضد الثورة الفلسطينية • اذن لم يكن هناك سلطة وطنية ، بل مؤامرة لتصفية الثورة الفلسطينية ومن هنا الخطر في هذا الشعار انه يغير فعلا المهمة المرحلية ويضع الاوهام ويخدر اليقظة الثورية تخديرا مخل في الاستعدادات الواجبة للتصدي للمؤامرة الامبريالية واطرافها الداخلية سواء الممثلة بالفاشيين او بالانظمة الدائرة في فلك الامبريالية • كيف نقدر ان نستنتج بان منظمة التحرير وفقت في الربط بين الشعار الاستراتيجي لتحرير فلسطين وبين شعار السلطة الوطنية ؟ هل لانه فقط « مرحلي » ؟ فلسطين اكيد لن تحرر دفعة واحدة • ولكن ليس هذه هي القضية البارزة ، القضية انه في هذه المرحلة وضمن اطار هذه التسوية التي سماها الاخ مهدي عامل تسوية امبريالية وسمي نهجين نهج استسلامي ونهج وطني ثوري ، كيف يمكن ، ما دام النهج الاستسلامي هو نهج القوى والانظمة المهيمنة والقادرة من خلال ميزان القوى ان تفرض الوضع الذي تريده ، أي ما دامت سائرة في الطريق الاخر ، فهل كان بالامكان اقامة سلطة وطنية ؟ من حيث المبدأ نحن مع اي سلطة وطنية فلسطينية على اي شبر من ارض فلسطين • السؤال المطروح هل وقفت منظمة التحرير بالفعل لانها قالت صفة مرحلي ، بينما الشعار المرحلي كان المفروض ان يكون بالفعل الاستعداد لمواجهة مؤامرة التصفية •

الاخ مهدي عامل : « من غير ان ندخل في التفاصيل وتغيير موضوع الندوة ، يمكن القول بشكل بسيط ما يلي : ان ثمة هدف استراتيجي ليس فقط للشعب الفلسطيني بل للشعوب العربية كلها ، الغاء الكيان الصهيوني من هذه الارض لما تمثله اسرائيل ويمثله الكيان الصهيوني من رأس جسر للامبريالية لضرب حركة التحرر الوطني للشعوب العربية ، في طريق النضال لتحقيق الهدف الاستراتيجي• منظمة التحرير طرحت برنامجا مرحليا بسبب الشروط السياسية والتاريخية الخاصة بتطور معركتها ومعركة الشعوب العربية ، البرنامج المرحلي ، النقطة الاساسية فيه هي : ان اي قطعة من الارض يتم تحريرها من الاحتلال الصهيوني لا تعود الى الاردن بل يقام عليها دولة فلسطينية ديمقراطية وطنية بهذا المعنى

هذا شعار مرحلي ، يعني ان نرى الآن بان القضية الفلسطينية هي محور ما سمي ازمة الشرق الاوسط والمشكلة الاساسية هي هل نعطي الضفة الغربية للاردن او تبقى تحت الاحتلال الاسرائيلي ؟ ماذا نعمل بالضفة الغربية وقطاع غزة ؟ اسرائيل ترفض قيام شيء اسمه دولة فلسطينية على هذه القطعة من الارض الفلسطينية ، والقوى الرجعية العربية متواطئة مع الامبريالية والصهيونية في هدف ضرب القضية الفلسطينية وضرب علاقة التمثيل السياسي القائمة بين الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير وضرب فكرة انشاء دولة فلسطينية على هذه القطعة من الارض • هذا شعار طبيعي جدا انه لا يتعارض ، مع التصدي للهجمة الشرسة الامبريالية التي ما زالت مستمرة منذ ٦٧ وحتى الآن على هذه الحركة •

الاخ ابو حاتم : « في الواقع ان الخوض في هذه المواضيع يجر الحوار الى مواضيع اخرى وطبعا الاشياء كلها متداخلة مع بعضها البعض ، لا اعتقد ان مجال الندوة يستوعب ، ولكن بما أن الموضوع طرح فلا بد ايضا من ملاحظات عابرة ، عسى ان تسمح الظروف بأن تكون هناك ندوة حول مجمل هذه القضايا •

اولا ارغب في ان اوضح بعض النقاط حول موضوع الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية والهدف المرحلي ليس صحيحا ان الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية الذي تمثل عموده الفقري حركة فتح هو تحرير كامل التراب الفلسطيني واقامة دولة فلسطينبة ديمقراطية علمانية ، هذا ليس الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية وانما هو الهدف المرحلي لها ، الهدف الاستراتيجي كما هو محدد ، هو النضال من اجل اقامة المجتمع العربي التقدمي الموحد ، فهذا هو الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية من خلال برنامج عمودها الفقري الذي هو حركة فتح ، البرنامج المرحلي هو تحرير كامل التراب الفلسطيني ، الملاحظة الثانية هناك بديهية في اي ثورة من الثورات هدفها تحرير ارضها ، بديهي ان اي شبر تحرره تقيم سلطتها عليه ، هذه بديهية جدا ثورة تحرر جزءا من ارضها تقيم سلطتها عليه، ولكن حينما تصبح هذه البديهية برنامجا سياسيا تتم التعبئة الجماهيرية والعربية والرسمية واقامة التحالفات على اساسها وتصبح هذه البديهية برنامجا ويصبح السقف الاعلى للنضال واقامة العلاقات على اساسها من حق اي انسان ان ينظر الى هذا الموضوع نظرة اخرى وخصوصا ان البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية ليس هو برنامج السلطة الوطنية البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية من ١١ نقطة لخصت في عشر نقاط ، جزء من النقاط العشرة او من النقاط الـ ١١ هو تثبيت هذه البديهية باقامة السلطة الوطنية او السلطة الثورية على كل جزء يتحرر ، البرنامج المرحلي فبه نقاط اسقطت ، وتمت نصف النقطة وهي البديهية اي اقامة السلطة الوطنية ، ومن حقنا ومن حق كل انسان ان يتساءل عندما يجد ان البرنامج المرحلي يلخص بهذا الاتجاه ويلخص بهذه البديهية ، وتقام كل التحالفات على هذا الاساس ، ويصبح الحديث عن قضية تحرير كامل التراب الفلسطيني ، او الحديث عن البرنامج الاستراتيجي هو عبارة عن تشنج عبارة عن عدمية ، عبارة عن شعر ، ولا واقعية ولا ثورية حينئذ يصبح النظر في ما يسمى البرنامج المرحلي نظرة مشكوك فيها بكل معنى الكلمة ، ثم ما معنى خلق كافة التبريرات السياسية من اجل نقطة السلطة الوطنية ؟ ومن هذه التبريرات فصل الضفة الشرقية عن الغربية بدعوى فك هذه الوحدة لانها جاءت عن طريق الملك عبد الله وعن طريق المخاتير او العملاء ونعيد فك هذه الوحدة ثم نعيد طرحها بالطريقة الديمقراطية ، او نفس المنطق يتطور فك وحدة الضفتين للتمايز ما بين الشعب الفلسطيني والشعب الاردني ثم الغاء او تحريف حتى المفاهيم الاساسية والايديولوجية عن الصهيونية والامبريالية وطبيعة الرجعية العربية • والاخطر من ذلك ، انه وان كان قد تم وضع برنامج مهم ، ولكن

اي اداة هي التي تنفذ هذا البرنامج فالاداة لا تقل اهمية عن البرنامج نفسه ، اذا وضعنا برنامج سياسيّ ضخم ثوري جدا واعطيناه لاداة تختلف عن طبيعة البرنامج يصبح هذا البرنامج على يد هذه الاداة برنامج إنحرافي ، فمثلا برنامج النقاط العشر الذي تلخص في برنامج السلطة الوطنية على يد الاداة التنفيذية في الساحة الفلسطينية تحول الى المنطق التالي هدفنا اقامة سلطة فلسطينية ، اي دولة فلسطينية ، ولا يهمني على الاطلاق ان تأتي هذه الدولة على طبق سوفياتي او على طبق اميركي ، المهم من هي الجهة القادرة على ان تمنحني هذه الدولة ، بالتأكيد هذا المنطق هو الذي ساد في داخل حركة المقاومة ، وبالتالي من خلال هذا المنطق جرى فتح الخطوط مع الامبريالية الاميركية حتى مع الحركة الصهيونية ، ومن هذا المنطلق وبهذه الحجة بنيت التحالفات داخل المنطقة العربية مع اعتى القوى الرجعية في المنطقة واكثر القوى عمالة للامبريالية والصهيونية في المنطقة بدعوى اننا نحن حركة وطنية ، لسنا حركة ايديولوجية لسنا شيوعيين ولسنا يساريين ، نحن وطنيين ثوريين ، « بدنا » دولة فلسطينية الدولة التي تقدمها ، نضع بدنا في يدها ، هذا البرنامج الذي لخص في هذه النقطة كان ستارا وبداية لتغيير كل التحالفات الثورية في داخل الساحة الفلسطينية وداخل الساحة العربية والدولية • يجوز ان برنامج النقاط العشر لا يختلف الناس عليه كثيرا ، يجوز كبرنامج • ولكن هذا البرنامج عندما يرتبط بأداة محددة ، ضمن موازين قوى محددة يصبح عليه خلافا جذريا وهذا ما حصل ، البعض وللاسف الذي « نظر » واكثر المنظرين لهذا البرنامج هم من يوصفون او يطلقون على انفسهم انهم « اليسار » في الساحة الفلسطينية • ولكن المستفيدين من البرنامج والذين طبقوا البرنامج في الساحة الفلسطينية هم ايضا القوى والاتجاهات اليمينية • الخط السياسي ، البرنامج السياسي مرتبط ارتباطا كليا بالاداة لا اعتقد ان هذا الموضوع الطويل تستوعبه الندوة • ولكن الملاحظة الاخيرة في قضية الصراع او الخلاف ما بين النهجين النهج الاستسلامي والنهج الوطني ، النهج الاستسلامي مفهوم ، هو نهج السادات ونهج كل من سار في خط السادات ، لكن النهج الوطني الثوري هذا غير مفهوم ويحتاج فعلا الى توضيح ، لماذا ؟ لان النهج الاستسلامي هو نهج التسوية او ينطلق من منطلق التسوية في ظل موازين القوى المعروفة ، نهج التسوية في ظل هذه الموازين ادى ومن الطبيعي ان يؤدي الى الاستسلام ، ولكن الذي بحاجة الى توضيح هو النهج الوطني الثوري ، هل يمكن للنهج الوطني الثوري ان ينطلق من نفس المواقع السياسية او من نفس الارضية السياسية لنهج الاستسلام ؟ انا اعتقد ، لا ، النهجان يجب ان يتمايزا ببرنامجين سياسبين ، والصراع ليس بين نهج التسوية ورفض التسوية ، لا ، بين العقلية التي ادت الى التسوية وهي العقلية الاستسلامية وبين العقلية الوطنية الثورية التي لا يمكن ان تقبل تسوية في ظل موازين قوى هي في صالح العدو •

الاخ د • سعيد حمود :

١ ـ « تمثل زيارة السادات لاسرائيل ذروة التراجع والاستسلام امام الهجمة الامبريالية ، الصهيونية والرجعية المستهدفة تحقيق تفتيت الوطن العربي وترسيخ جذور الانفصال بين اوصاله ، وكذلك انهاء الكفاح الفلسطيني والعربي من اجل استرداد فلسطين • ان الزيارة اذن هي تتويج نهج استسلامي تراجعي ، اطلق عليه تعسفا وصف « التسوية السياسية العادلة والدائمة » لازمة المنطقة ، ولا داعي هنا لمناقشة المغالطات والتناقضات التي احتوتها المساجلات في صدد التسوية ، ولكن الامر الاساسي يبقى آن هذا النهج والسير على هديه كان لا بد ان يفرز خطوة كتلك التي حققتها الزيارة المشؤومة • من هنا فان المسؤولية التاريخية لهذه الخطيئة لا يمكن تحميلها للسادات وحده فقط ، اذ ان اطرافا عديدة تتحمل الكثير عبر اخطائها وخطاياها ايضا • لسنا معنيين في هذه اللحظة ان نضع

نسب توزيع المسؤولية ولكن الذي اشرنا اليه امر هام لا بد من وضعه في الاعتبار باستمرار ٠

كان الزيارة لاسرائيل من قبل رئيس النظام المصري الحجر العملي الاول في اقامة الحلف الثلاثي الاميركي ـ الاسرائيلي ـ المصري ٠ وما يجري الآن على امتداد ساحتنا العربية وعلى الصعيد الدولي يستهدف امرين رئيسيين : متابعة تمتين الحلف المذكور من ناحية ، وترتيب الاحلاف العسكرية والسياسية المغلفة لها او الحامية لها عسكريا وسياسيا وجغرافيا في القارة الافريقية وفي الخليج ٠

(بالاضافة ، بالطبع ، الى جملة المناورات وعمليات التمويه المرافقة لهذا التحرك ٠٠٠)

وطالما بقيت الاوضاع الاخرى في المنطقة على حالها ، اي انه اذا لم يحدث اي تغيير نوعي دراماتيكي يحمل طابعا استراتيجيا فان الآثار المترتبة والتي تتطلبتها متابعة الاجراءات المذكورة سوف تستمر بالتفاعل والتراكم دون روادع حقيقية ، ولا شك ان امورا عملية في سياق النهج السائد سوف تتحقق وترتسم الواحدة تلو الاخرى ٠ (بمعنى ان تنشأ مجموعة من الوقائع الجديدة ٠٠٠) يمكننا القول ، بكلام آخر ، انها مرحلة مشحونة ومعقدة ولكنها ذات منطوق عام لا بد ان يتابع اطواره ويأخذ مجاريه، ولا ننسى ابدا ان زعيمة الامبريالية العالمية ، الولايات المتحدة الاميركية ، تعتبر هذه المرحلة وهذه المنطقة من العالم ، موقعها الهام وربما الاخير لتأمين مستقبل اقتصادها وبالتالي ضمان التفاعلات في المجتمعات الامبريالية جمعاء ، انها مرحلة على كل ما تحويه من مرارة وصعوبة وقسوة لا بد ان تنتهي ولا بد ان تسقط في المفهوم الثوري العام لحركة التاريخ ٠ (اذ انه (التاريخ) يسير بحركة لولبية صاعدة باستمرار ٠٠) ٠

لا شك ان الخطوة الحادة الانعطاف في مسيرة التسوية ، التي مثلتها الزيارة ٠ قد درست بكفاءة عالية من كافة نواحيها ، وفي هذا السياق فان الوضع النفسي للجماهير العربية ، وكذلك العناصر الدقيقة لميزان القوى السائد (اي القوى التي يتألف عنها) اخذت جميعا بالاعتبار ، من هنا فان ما نشهده من صلف الخطوات والتصريحات ، امور مدروسة مع ردات فعلها ، وفي الوقت نفسه فان هذه العناصر هي المرشحة لان تكون عوامل التغيير، وهذا الجانب تعتبره الاهم ٠ وهو الممثل بالسؤال الكبير كيف نواجه هذا الحلف وهذه المرحلة ؟

٢ ـ « نعتقد ان الامر المركزي ، لدى البحث فيمواجهة المؤامرة الدائرة في منطقتنا والمستهدفة لقواها الثورية ولاسباب وحدتها ولكفاحها من اجل استرداد فلسطين ٠ انما يتمثل في التركيز على الاداة ٠ يمكن للمرء ان يضع تصورا لاقوى البرامج والمخططات ، وفي تاريخ شعبنا وثورتنا امثلة بارزة على وضع البرامج الثورية المتكاملة ، ومن هذا التجارب ذاتها يتبين ان الاداة هي الاساس وهي حجر الزاوية ٠ اداة المواجهة اهم في نظرنا من برنامج المواجهة ٠ هذا الكلام لا يقلل ابدا من قيمة وضع البرنامج ٠ لان للبرنامج الثوري شروطا اهمها ان يكون منسجما مع متطلبات المرحلة مرتبطا بالاهداف الاستراتيجية (بوضوح) وقابلا للتنفيذ ٠

ما هي اهم عنواين او عناصر البرنامج الثوري لهذه المرحلة ؟ يمكننا تعدادها بالنقاط التالية :

١ ـ العمل على احباط المؤامرة ، وافشال الحلف الثلاثي (الاميركي ـ الاسرائيلي المصري) وفضح احتياطه ٠

٢ ـ اقامة الجبهة الثورية العربية العريضة على قاعدتين : رسمية وشعبية ٠

٣ ـ اعادة تمتين اسس الكفاح المسلح ٠

٤ ـ التعبئة الجماهيرية الواسعة في اتجاه التغيير الثوري للاوضاع القائمة ، وعودة القوى الثورية لاستلام زمام المبادرة ٠

خطوط عريضة ، يمكننا بالفعل صياغة عناصرها بدقة وتوازن ٠ المهم هو الاداة ، اي الجبهة الثورية العربية العريضة ، كيفية قيامها ، عناصرها ، الادوار والمهمات ٠ الشرط الثوري الاول ، هو عملية تغيير ذاتية حادة وشاقة يقوم بها كل فصيل من فصائل الجبهة ، ثم عملية تحديد الامكانيات والثغرات ٠ ثم تحديد المهمات (الدور) التي يمكن لكل فصيل ان يضطلع بها ، بالتالي تنسيق الادوار والمهمات في اطار الجبهة العريضة التي لا بد ان تكون قائمة على اسس من العلاقات الواضحة ٠ ومن الوحدات التنظيمية والادارية العصرية ، وبدون شك المرتكزة على اساس برنامج سياسي وعسكري وجماهيري مشترك وواحد ٠

دون خوض عملية بناء الاداة بكل ما ستحتمه من تغييرات قد تكون حادة وهائلة ٠ ودون الخروج بتقييمات موضوعية علمية للاوضاع الذاتية لكافة فصائل الجبهة العريضة ، لا يمكننا تصور اداة فاعلة ٠ وبالتالي لا يمكننا الحديث عن مواجهة هذه المرحلة ٠

وفي الواقع لا تسمح المرحلة بالانتظار طويلا لبدء هذه العملية ، انها يجب ان تبدأ اليوم قبل الغد ٠ ولا بد ان « تنتهي » الى وقائع ملموسة في المدى الزمني المتوسط المنظور ٠ لانه من المرجح من دراستنا للبرنامج المعادي ان تتسارع فصوله (ولا ننسى ان قواه هي صاحبة المبادرة الان وهي التي تمسك بزمامها) لتحقيق عددا من حقائق الامر الواقع ٠

ولن يجوز ان يغيب عن البرنامج الثوري موضوع التحالفات واعادة ترتيبها وتنظيمها ، اذ ان تحديد معسكر الاعداء ومعسكر الاصدقاء يبقى من اهم اسس تسلح المواجهة في اية مرحلة من المراحل ٠

الاخ محمود سويد :

١ ـ « سقف الموقف الاسرائيلي »

تطرح المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية (بشقيها : الحكم والمعارضة) خيارين : الحكم الذاتي الاداري للضفة الغربية وقطاع غزة الذي تطرحه حكومة بيغن ، ولا ترفضه المعارضة المتمثلة بحزب العمل ، والحل الاقليمي الوسط الذي يتبناه المعراخ في المعارضة ، وتقبل به بعض الاطراف المشاركة في الحكم ، مثل داش ٠

أ) الحكم الذاتي الاداري :

يوفر هذا الخيار لاسرائيل :

ـ الاحتفاظ بالارض موحدة تحت اسم « ارض اسرائيل » ٠

ـ المشاركة في ادارة الضفة والقطاع ، الى جانب الاردنيين والفلسطينيين المتعاونين ٠ اما السلطة السياسية والاقتصادية والامنية فتحتفظ بها اسرائيل لنفسها ٠

ـ تكثيف الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية ، مقابل اعتماد سياسة تهجير سكانها العرب ، تحت شعار : ايجاد منطقة تعايش عربي ـ يهودي في الضفة ٠

ـ نزع سلاح الضفة والاحتفاظ بوجود عسكري اسرائيلي فيها ٠

ـ تعزيز دور الضفة كجسر لعبور الدور الامبريالي الاسرائيلي الى المنطقة العربية : اليد العاملة الرخيصة ، اسواق لتصريف الانتاج الاسرائيلي ، ملاءمة انتاجها ودمجه في الاقتصاد الاسرائيلي ٠

ـ الاحتفاظ بالقدس موحدة ، عاصمة لاسرائيل ٠

ب) الحل الاقليمي الوسط :

ويوفر هذا الخيار ، الذي ربما احتاج الى ائتلاف جديد على الساحة الاسرائيلية ، « المزايا » التالية :

ـ يعهد الى الاردن بحكم المناطق المكتظة بالسكان العرب في الضفة الغربية ٠

ـ تبقى هذه المناطق خاضعة للنفوذ الاسرائيلي ، كونها منزوعة السلاح ، وبحكم الوجود العسكري الاسرائيلي فيها ٠ واستمرار ارتباطها الاقتصادي باسرائيل (اليد العاملة ، السوق الخ ٠٠٠)

ـ يتم تهويد المناطق التي تضم الى اسرائيل ، واقامة استيطان كثيف عليها ٠

ـ لا مجال في هذا الحل ، للحديث عن قطاع غزة الذي تعمل اسرائيل منذ ١٩٦٧ على

توزيع سكانه ، ودمج اقتصاده بالاقتصاد الاسرائيلي ، واحاطته ، الى جهة سيناء ، بسور من المستوطنات ، بالاضافة الى الاستيطان في داخله ، بشكل يساعد على التخفيف من الكثافة العربية .

- الاحتفاظ بالقدس الموحدة ، عاصمة لاسرائيل .

جـ) الخياران الاسرائيليا ، كما يبدو هما - في التحليل الاخير ، خيار واحد ، يقوم على :

- رفض الاعتراف بالشخصية الفلسطينية ورفض التفاوض مع قيادتها السياسية (م.ت.ف) .

- رفض الكيان الفلسطيني المستقل والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارضه .

- الامعان في سياسة تصفية القضية الفلسطينية ، وملاحقة « الفلسطينيين » وتذويبهم في مجتمعات المنفى .

- عدم الانسحاب من « جميع » الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ويوفر هذا الخيار لاسرائيل :

١ - التطور الطبيعي ، بعد مرحلة الحصار الطويلة : فتح باب الهجرة اليهودية دون اية عوائق ، تدفق رؤوس الاموال الصهيونية والغربية ، والتخلص من الازمة الاقتصادية - الاجتماعية المزمنة .

٢ - التوسع الامبريالي الاسرائيلي : نهب الثروات العربية ، اليد العاملة الرخيصة ، الاسواق العربية والافريقية - تحت شعار : توظيف التكنولوجيا الاسرائيلية في المجال العربي .

٣ - حماية الدور الاسرائيلية عن طريق القواعد العسكرية ومراكز الانذار والمراقبة الاسرائيلية والاميركية في المناطق العربية .

٤ - ضم اجزاء من الاراضي العربية الى اسرائيل .

٥ - تعزيز الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية ، والعمل لاخلائها من السكان العرب .

٦ - تعزيز المصالح الاميركية - الامبريالية في المنطقة العربية ، واحكام قبضة الحلف الرجعي العربي - الامبريالي الاميركي ، على الشعب العربي لخنق طاقاته ، وعلى الثروة العربية لنهبها .

٢ - السادات ونهاية مرحلة :

اذا كان هذا هو الخيار الاسرائيلي ، على صعيد القضية الاساسية ، فان الاسرائيليين لم يوفروا للسادات « حل مشرفا » في سيناء على الاقل (المستوطنات ، المطارات ، الوجود العسكري ، المشاركة في استثمار الثروة النفطية) . وهذه هي النقطة التي توقفت عندها المفاوضات الاسرائيلية - المصرية ، وسط تحريك اميركي لخيوط اللعبة ، بما في ذلك اطلاق الدور الايراني في الشرق الاوسط ، مقابل تحجيم الدور السعودي . وجاء هذا التحجيم بمثابة تحذير للسعوديين الذين تعاملوا مع المبادرة الساداتية بفتور ، لانهم متضررون من اخراج مصر من ساحة الصراع العربي - الاسرائيلي ، وابقاء القضية الفلسطينية متفجرة في ساحتهم المشرقية .

وسواء تمكن الاميركيون من الحصول على حل يحفظ ماء الوجه للسادات في سيناء ، ام اضطره التصلب والصلف الإسرائيلي الى التنحي ، فان « فضل » المبادرة الساداتية (اذا كان لها فضل) هو الاجهاز على اوهام مرحلة بكاملها . فالمنطقة العربية تعيش منذ ١٩٧٣ ، في ظل الترويج الاعلامي والفكري لايديولوجيا الانظمة السائدة .

وترجمتها السياسية : امكان تحقيق حل للصراع العربي الاسرائيلي ، يقوم على الجلاء عن كل الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في كيان مستقل على جزء من ارض فلسطين ، بقيادة منظمة تحرير فلسطينية اجتهدت الانظمة العربية ، عبر محاولات عديدة ، توجتها بحرب لبنان ، في تحويلها الى واحد منها (من الانظمة) ، ولا تزال المحاولات جارية في هذا الاتجاه . اما الثمن الذي بدا ان الكثيرين سلموا بدفعة ، فهو خضوع المنطقة العربية ، بصورة كاملة ، للنفوذ الامبريالي الاميركي ، ودمج هذه المنطقة في خدمة السياسة الامبريالية

في منطقة اوسع من الشرق الاوسط ، تشمل افريقيا ، وتمتد الى اوروبا .

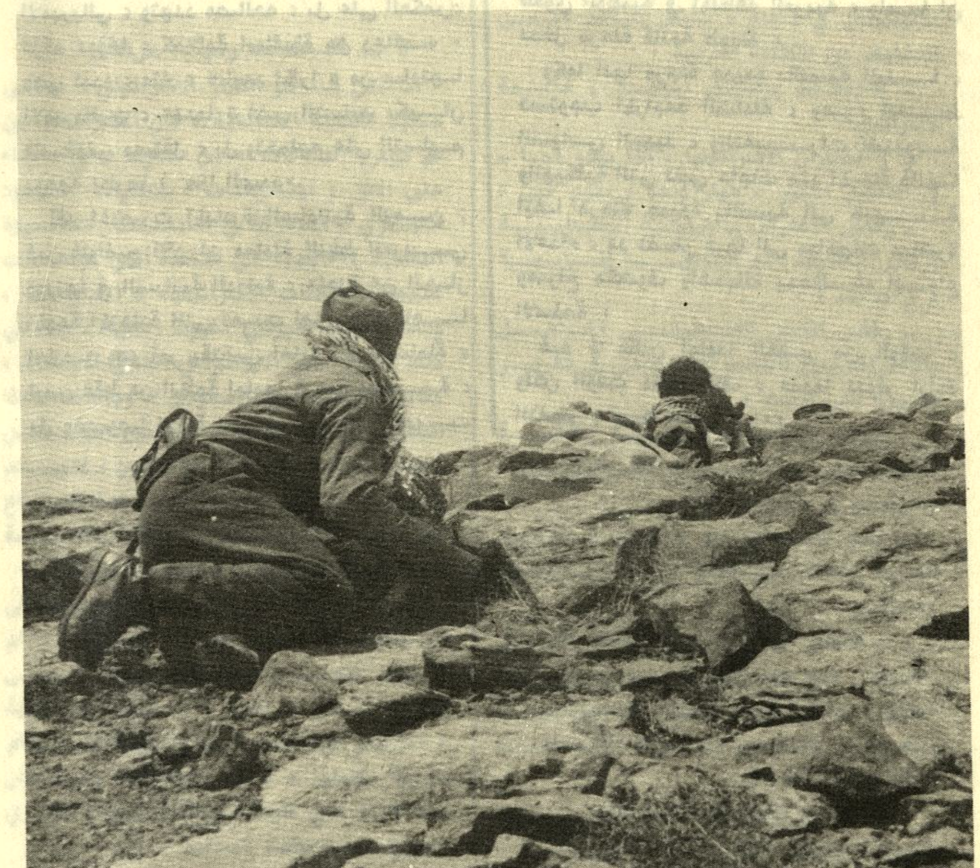
ان اسرائيل لا تحبط ، بسلوكها ، المخطط الامبريالي ، وتهدد مصالحه ، بل على العكس، تؤكد دورها ، كدعامة اساسية من دعائمه . وهي تبدو ، مثلا ، « ابعد نظرا » من سادتها الامبرياليين ، عندما ترفض التسليم بكيان فلسطيني مستقل ، بل وتحملهم على التسليم بوجهة نظرها في هذا الصدد.

لقد اختصرت المبادرة الساداتية الزمن : فمن الواضح الآن ان معادلة النفط العربي ووزنها في السياسة الدولية ، عاجزة عن انجاز المهمة المرحلية التي تصدت لها ، وذكرناها اعلاه . وهو امر يقتضي اعادة نظرة شاملة ، ليس فقط من انظمة امامها فرصة وطنية ، بل وخصوصا اعادة نظر في شؤون البيت الفلسطيني نفسه . فاما ان تكون المقاومة الفلسطينية قادرة على احداث ثورة في الثورة، وتشكيل حجر الاساس ، ومركز الاستقطاب للقوى الوطنية في المنطقة العربية ، واما ان ندخل مرحلة قاتمة طويلة .

وكما انها مرحلة جديدة بالنسبة الينا ، تستوجب المراجعة الشاملة ، وصوغ الخط السياسي الجديد ، والتغييرات البنيوية والهيكلية التي تلبي حاجات هذه المرحلة فانها ايضا مرحلة جديدة بالنسبة الى جبهة الاعداء ، قد تضطر فيها الى مواجهات مباشرة وصراع مكشوف واشتباك بمختلف انواع الاسلحة .

قد لا يكون امامنا الكثير من الوقت ، ولكن الوقت دائما كاف ، عندما تتوفر ارادة التغيير ، ويبدأ العمل » ...

صورة فلسطينية





صورة من اخر فيلم صورة الفنان الشهيد هاني جوهرية في مرتفعات عينطورة ، ويبدو الفيلم مصاباً بطلقة

تقارير

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الامانة العامة

تقريران عن الحياة الثقافية في الوطن المحتل

الفلسطينيون في الارض المحتلة يتابعون دق جدران الخــزان

● يتعرض المواطن الفلسطيني ، المتشبث بتراث وطنه في مناطق الاحتلال عام ٤٨ ، الى عملية افناء تدريجي وموت بطيء ، فهو محاصر داخل سكنه وفي مقر عمله ، مثلما هو محاصر في فنه وادبه ، انه يتعرض الى الانسحـــاق المزدوج ، انسحاق يستهدف مقومات وجـــوده المادية والثقافية ، بهدف تذويب الشخصيـــة الوطنية الفلسطينية المستقلة ،

ان خطة الدولة الصهيونية الاستيطانيـــة ، العنصرية والرأسمالية في اغلاق دائرة الحصار على الصوت والجسد الفلسطيني ، تقابـــل ، وعلى الدوام ، بمقاومة باسلة ، تدق جـــدران الخزان يوميا ، في قلب الحدث وليس علـــى اطراف الصحراء ، فالذين يغرسون اصابعهـــم في رمل وطين وصخور بلادنا ، يعلنون كـــل فجر ، انهم اقلية قومية ، انهم جزء من الشعب العربي الفلسطيني ، وليس بمقدور كل الانظمة والقوانين والاجراءات ان تطمس هذه الحقيقة ،

هنا ، تتحول البديهيات الى ساحة مواجهة ساخنة ، وحقائق التاريخ الـــى رسالة كفاحية من اجل الحاضر والمستقبل ،

● وعلى قاعدة الصراع هذه ، وبالقدر الذي تسمح به الديمقراطية الاسرائيلية المزورة ، وعبر مجلتي « الجديد » و « الغد » ، وجريدة « الاتحاد » ، ومن خلال دور النشر ، تابع المثقفون الفلسطينيون نشر نتاجهم الابداعـــي وخوض معركتهم المصيرية ، ومن حيث الموقف اكتسب هذا النتاج طابعا تقدميا ، وانحـــاز معظم كتابه الى « الحزب الشيوعي الاسرائيلي ــ راكح » ،

● ونشرت مجلة « الجديد » في العددين ٩ و ١٠ من السنة الماضية ، نص الرسالة التـــي بعث بها الكاتب الفلسطيني الكبير اميـــل حبيبي ، مؤلف رواية « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » ، الى الكاتبة الفلسطينية سحر خليفـــــة ، صاحبة رواية « الصبار » ، والرسالة صادرة من النـــاصرة ومؤرخة بـ ١ــ٨ــ٧٧ ، ومعنونة « كلنا في الهوا سوا » ،

قال اميل حبيبي في مطلع رسالتـــه انه « لا يصلح ان تقرأ الصبار الا هكذا » ، أي دفعة واحدة ، ليلة واحدة ويوما واحدا ، ووصف بعض مشاهد الرواية بالفذة والمتكاملة « حتى يصبح من الممكن نشرها على حده » ، وهـــي الفصل رقم ١٩ عن منع التجول وهدم البيوت (ص ١١١ ــ ١١٤) ، الفصول من ٤١ حتـــى ٤٥ التي تصور الحياة في السجن تصويرا صادقا وموجعا ، الفصل رقم ٤٩ عن تفتيش بيـــت اسامة الكرمي (ص ١٧٧ ــ ١٨٥) ، الفصـــل الاخير الرائع رقم « ٣٤ » عن هدم بيت العائلة وتباشير فجر جديد حين « تمتد اكف الصبر من

محاجر عيبال حتى صنوبر جرزيم » ،

ويرى صاحب « سداسية الايام الستة » ان الصبار مرجع ادبي صادق لدراسة حيـــاة الشعب في ظل الاحتلال الاسرائيلي « فسحـر خليفة تثبت بهذا الكتاب انها ابنة شعبهـــا حقـا » ،

وحول قدرة الرواية على نقل شروط العمل التي يفرضها الاحتلال على العمال العـــرب فـ « الصورة التي اوردتها سحر ، في هذا المجال هي صورة غير صحيحة بالمرة » ،

ووعدت المجلة بنشر رد الكاتبة سحر علـى الاستاذ اميل حبيبي في العدد القادم ، الذي لم يتيسر الحصول عليه ،

وكان الناقد الفلسطيني نبيه القاسم ، قد تناول الرواية نفسها بمقال نقدي في الجديد ايضا ، تحت عنوان « سحر خليفة في روايتهـا الثانية الصبار » ، اكد فيه ان شخصيـــات روايتها الاولى « لم نعد جواري لكم » ، تميزت بالرومانطقية المفرطة والانهزامية الواضحة ، ثم لخص وجهة نظره ، بعقد مقارنة مكثفـة بين الروايتين ، فقال : « ... بينما كان الملل كثيرا ما يعاوده في قراءته رواية « لـــم نعد جواري لكم » ، يبقى مشدودا ومنفعلا طـــوال مدة قراءته الصبار ، فقد نجحت الكاتبـــة في المحافظة على الخيط الرفيع ــ الهام في العمل الروائي ــ طوال الرواية وعبر كل الشخصيات ... كما ان الكاتبة ابتعدت في « الصبار » عن الهفوات التي وقعت بها في « لم نعد جواري لكم » ، فلا نجد تلك التعليقات الهامشية علـى مواقف واقوال الابطال ، ولا تلك الشطحات الوصفية التي كانت تبعد المرء عن الجـــو الخـاص » ،

● وما زالت الشاعرة الفلسطينية فـــدوى طوقان تتابع نشر مذكراتها في الجديد ، وكما قال اميل حبيبي ، في محاضرة القاها بطـــلاب جامعة حيفا عام ٧٦ ، فان « موشي دايان ، حين كان وزير امن ، رأى في كل قصيدة مـــن قصائد فدوى طوقان منبـــت عشرين فدائيا جديدا » ، ان رحلة فدوى طوقان الشعرية بدأت مع نكبة عام ٤٨ ، حيث توفي والدهـــا

« ومع ضياع فلسطين انفكت عقدة لساني ، ورحـــت اكتـــب الشعـــر الوطنـــي الذي طالما تمنى ابي لو يراني اتفرغ له فاملأ مكان ابراهيم » ، وتتداخل في الحلقة الثانية من المذكرات ، التجربة الفلسطينية النسائية في العشرينات والثلاثينات ، وتجربة الشاعرة العائلية ، مع التجربة السياسية لعمها وابيها ، واثر العادات والتقاليد في حبس المرأة داخـل المنزل ، وحجزها عن المحيط الاجتماعي ،

● ونشر العديد من الشعراء قصائد تمجيد بالشهيد احمد المصري ، شهيد مجد الكروم ، وسابع شهداء يوم الارض ، الذي عانق الارض وهو يقبض حجرا ، فقال الشاعر حسين مهنا (البقيعه) : همد الصدر ! / وتراخت اعضاء تلو الاعضاء / لكن الـــروح تسامت / فحياة الشهداء شجيرات خلود / تورق بعد المـــوت ، (الاتحاد ٩/١٢/٧٧) ، وقال الشاعر ابراهيـم عمار (باقة الغربية) : سابقى سابقى متحدا في روحك يا احمد / وساجعل هذا الليل يبصر / حبات العتمة فوق شواهد / كل قبور الشهداء المنسيين / ويوقظهم / ليعودوا ريحا / وسرابا / وعواصف ، (الاتحاد ١٦ /١٢/ ٧٧) ،

● وفي الشعر ايضا ، نشر نايف سليـــم ديوانه الجديد « جليليات » ، وتابـــع النقاد تحليلهم للديوان الزجلي « اغاني من الجليل » للزجال سعود الاسدي ، وتناول نبيه القـــاسم ديوان الشاعر نعيم عرايدي الجديد « كاحتراق الشمس في كل الفصول » الصادر عـــن دار الاسوار في عكا ، فاقر حقيقة (ان شعر القسم الكبير من شعرائنا المحليين في السنوات الثلاث الاخيرة تميز بالسطحية المتسترة وراء شعـارات الثورة على قوانين الشعر ، والشعارات الوطنية لاخفاء القصور الجمالي المطلوب .. وحتــــى اللغوي) وبعد ان يبين لنا ، ان الشاعر عرايدي اصدر اربعة دواوين ، اثنان في العربية واثنان في العبرية ، قال نبيه « لا استطيع ان اقول ان نعيم عرايدي اعطانا فيديوانه هذا القصائد المتكاملة التي نريد ، كما انني لا اقـــول انه

• لم يعط شيئا • فقصائد هذا الديوان تدل على ان نعيم يتطور بشكل سريع وجيد ، ويقترب من مفهوم القصيدة العصرية بكل فنيتها وبراعتها ورسالتها » •

● وعقب نظير مجلي على كتيب الشاعر اليهودي ي• بن يهودا (ييبي) ، المعنون بـ (لسان مؤذ) او سليط • ستون صفحة من القطع الصغير جدا ١١ سم × ١١ سم ، مكتوبة بخط ييبي نفسه ، كما هي عادته في نشر شعره ، ومن اصدار « النية الحسنة » ، العنوان الذي يصدر ييبي كتبه تحت اسمه ، وهو لا يعني دار نشر او شركة ، كما اشتمل الكتاب على احدى عشرة لوحة لفنانين عرب ويهود ، بينهم عبد عابدي وعاموس كينان • ويصف نظير مجلي الشاعر بأنه شاعر مناسبات ، خاصة تلك التي ينظمها (راكح) ، ولا يهتم بمظهره وهندامه • وهذه مقاطع من الكتيب « الغريب » :

من يريد رؤية اسرائيل تنتحر
فليدعم « غوش ايمونيم »

=

الحديث مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية
ليس عجيبا
والويل للقائهم
في ساحة القتال !!

=

لكي تحب البلاد
لا حاجة
لان تخرج في حرب واحدة
وتموت في الخامسة

=

اذا اغمضت عينيك
عن رؤية ما ينغص حياتك
فحتى الموت لن يغفر لك

● في المسرح ، ورغم منع الرقابة لمسرحية « رجال في الشمس » ، المأخوذة عن رواية الاديب الفلسطيني المبدع غسان كنفاني ، فانها عرضت في كل من الرامه وعكا وشفا عمرو والقدس والمثلث • مسرحها واخرجها ابن الطيبة (المثلث) ، وخريج المانيا الديمقراطية في المسرح ، الفنان رياض مصاروه ، وصمم ديكور المسرحية الفنان عبد عابدي ، ولاقت المسرحية نجاحا شعبيا واسعا •

وفي مقابلة نقلتها الاتحاد عن مجلة عراقية ، تبين ان الفنان الفلسطيني الممثل مطلق عثمان ، الذي يعمل مساعد مخرج في درسدن بالمانيا الديمقراطية ، كان قد بدأ حياته الفنية في فلسطين ، عندما قدم على مسارح حيفا ، مسرحية عن الشهيد فهد ، مؤسس وقائد الحزب الشيوعي العراقي ، وله الان العديد من المسرحيات التي تعرض باللغة الالمانية ، منها مسرحية عن السودان (الولد الاسمر) ، ومسرحيتان عن فلسطين (سلام فلسطين الحبيبة) و (شجرة البرتقال) •

● في العدد الاخير من « الجديد » قصة للكاتب محمد نفاع « ذات الرداء الاحمر » • القصة تأخذ رحلة نفاع نفسه من عمامة الخلوة الى التفرغ في الحزب (راكح) ، بلغة رشيقة ساخرة ، عميقة الارتباط بالريف ، بجوه وناسه والفاظه وثقافته • دقة الوصف ، والسخرية التي تقترب من المتشائل ، وضعت في قالب سردي ، واقعي مباشر ، تصويري ، مع الحفاظ على خفة الظل و « شر البلية ما يضحك » •

وينسب الكثير من النقاد ، بدء ازدهار القصة القصيرة في (فلسطين) ، الى هزيمة حزيران ٦٧ ، التي فتحت الطريق امام هذا اللون من الادب الى جانب الشعر • وكانت «سداسية الايام الستة » لاميل حبيبي ، كما وصفها محمد دكروب « اجمل تصوير قصصي فني لمأساة تمزق هذا الشعب ومعاناته وصموده وتشبثه بأرضه وكفاحه في هذا السبيل » ، وانها « سجلت قفزة رائعة كبرى ليس فقط على صعيد القصة داخل فلسطين المحتلة ، بل على صعيد القصة الجديدة في مختلف البلدان العربية » •

ورأى اميل حبيبي ان من تأثيرات حرب حزيران على القصصي محمد علي طه في

مجموعته « جسر على النهر الحزين » التي ظهرت عام ٧٤ من منشورات عربسك ، انه « اخذ يكثر من اللجوء الى الرموز •••• والتي تختلف في شفافيتها وفي محاولته ان يخفي بواسطتها صدق مشاعره ، عن الرموز التي التجأ اليها قصصي اخر هو مصطفى مرار في مجموعته « الخيمة المثقوبة » ، التي صدرت عن دار النشر العربي في تل ابيب » •

واذا كان توفيق فياض قد احتل في (الشارع الاصفر) مكانة فنية متقدمة ، وموقعا في الصفوف الاولى لكتاب القصة القصيرة في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ٤٨ ، فان محمد نفاع ، احتل نفس الموقع ، وخاصة بعد الرحيل القسري لتوفيق •

وتناول الناقد نبيه القاسم تجربة محمد نفاع بمقال تحت عنوان « محمد نفاع وهوية قصتنا المحلية » • واستوفى المقال المجموعة القصصية الاولى للكاتب « الاصيله » ، التي ضمت ستا وعشرين قصة ، كتبت ما بين سنوات ١٩٦٦ - ١٩٧٣ •

ويرى نبيه القاسم ان ادب نفاع تميز بالموقف التفاؤلي والثقة بالمستقبل المشرق رغم قسوة الماضي والحاضر ، وانه نجح في ان يدخل بالقارىء الى اغوار الريف ويعرفه على كل جوانب الحياة فيه • اما خواتمه القصصية المميزة فيرى محمد دكروب انها توحي « بتحول المأساة الى انفاضة ملحمية تصعد في قلب الموت » ، خاصة في قصصه قبل حرب حزيران•

وفي نهاية مقال الناقد نبيه القاسم ، لخص موقفه النقدي من فن محمد نفاع فقال « ان اغلب قصص مجموعة محمد نفاع عبارة عن لوحات جميلة •• وان بعض هذه اللوحات بعيدة كل البعد عن كونها قصة قصيرة او طويلة » •

واتهم محمد نفاع بجمود اسلوبه « فبينما تمكن غيره من كتاب القصة عندنا مثل توفيق فياض ومحمد علي طه وغيرهما ان يطوروا اسلوب كتابتهم ، خلال مدة تجربتهم الادبية ، ظل محمد نفاع منغمسا في اسلوب السرد » ، ويضيف « وكثيرا ، نلاحظ افتقار قصصه الى الرمز الايحائي العميق • فرغم المواقف الرائعة، واللمحات الذكية التي تميزت بها قصص محمد نفاع الا ان افتقارها للرمز الايحائي ، وللصور الفنية ابقاها دون المطلوب من كاتب اثبت قدرته الادبية ، ونعتز به » •

وتناول نبيه القاسم قصة (ودية) التي هي خارج المجموعة الاولى (الاصيلة) حيث جرب محمد نفاع التخلص من السرد واللجوء الى الايحاء والتداخل والرمز « لكن تجربته الاولى كانت بحاجة الى الصقل ، مع انها تبشر بالاتي المرجو » • ثم عاب عليه نشر « الاجتماع النسائي الاول في القرية » في مجلة الغد (العدد الخامس ٧٦) تحت تسمية قصة قصيرة •• « كيف سمحت لنفسك ان تكتب هذه التي اسميتها قصة بعد ان كتبت قصصا رائعة مثل « الاصيلة ، خفق السنديان ، لاننا نحب الارض ، حميد احمد واخرون •• وغيرها »؟

والخلاصة التي توصل اليها نبيه القاسم : « يظل محمد نفاع رغم الهنات التي ظهرت في بعض قصصه ، ورغم المراوحة في الاسلوب السردي الذي التزمه في كل قصصه ، واحدا من كتاب القصة الاوائل في ادبنا المحلي والعربي • وقصصه تبقى السجل الامين لحياة والام وامال انساننا العربي هنا ، وعلامة بارزة في بلورة هوية قصتنا المحلية » •

وسابقا قال الاديب محمد علي طه ، في ندوة حول القصة المحلية ، واقعها وآفاقها: « ان قصصنا لا تواكب المستوى والتطور الفني للقصة في العالم » • وقال رضا عزام ، المدير الاداري للمسرح الناهض «قصتنا تفتقر الىعدة مقومات ، وهي اضعف مجالات الادب عندنا ولذا فمن واجبنا ان ندعمها ونطورها » •

ان رائعة اميل حبيبي « سداسية الايام الستة » التي صورت مأساة ومعاناة وصمود الشعب الفلسطيني تحت الهيمنة ، الكولونيالية الاسرائيلية ، حملت البشارة لدور القصة القصيرة في فنون الابداع المدافعة عن الشعب الفلسطيني ، والمناهضة لقوانين وسلطة الرأسمالية الصهيونية التوسعية • وهي البذرة التي مهدت لرائعة توفيق فياض « الشارع الاصفر » ، والمجموعة محمد علي طه « جسر على النهر الحزين » والمجموعة محمد

نفاع الاولى « الاصيلة » .

ومثلما احتل اميل حبيبي دورا رائدا في القصة القصيرة - اللوحة ، فانه برواية المتشائل ، مهد الطريق ايضا امام « انت القاتل يا شيخ » لسلمان ناطور و « الى الجحيم ايها الليلك » لسميح القاسم .

ان هذا النتاج الواعد ، والخصب ، والغني ، هو جزء من النتاج الثقافي الفلسطيني تحت الاحتلال ، وبتفاعله مع مثيله في الضفة الشرقية لفلسطين وقطاع غزة ، يشكل علامة ثقافية بارزة لشعب يكافح الموت والفناء ، ويناضل من اجل دولته المستقلة ، قنطرة العبور الى دولة فلسطين الديمقراطية .

لقد دق الادباء والفنانون جدران الخزان ، وسيدقونه بانتظام ، وكل يوم .

علي حسين خلف

« ملامح الحياة الثقافية في فلسطين المحتلة » خلال العام ١٩٧٧

عند التصدي للحياة الثقافية داخل فلسطين المحتلة (مناطق ١٩٤٨ ، ١٩٦٧) لا بد ان تبرز هنا النزعة نحو الاحتراس ، فالمسألة ليست بسيطة ولا يمكن حلها من خلال استعراض النشاط الثقافي ، استعراضا عاما ، لذلك يفضل الاشارة الى ملامح الحياة الثقافية وخطوطها العريضة فقط ، خاصة واننا نتصدى هنا الى عام محدد عام ١٩٧٧ ، ولكن هذا لا يمنع من ايراد اشارات عامة ، واستخلاصات واسعة ، خاصة وأن احدا لا ينكر بأن الحياة الثقافية داخل فلسطين المحتلة ، في تصاعد مطرد ، وبالتحديد كون ادوات التعبير الثقافية سلاحا فعالا في وجه كافة محاولات التذويب الثقافي التي تمارسها السلطات الصهيونية ضد جماهير شعبنا الفلسطيني ، كما ان هذا التصدي ، والنضال ، ولا نغالي اذا توصلنا التصدي ، والنضال ، ولا نغالي اذا توصلنا لنتيجة مفادها ، ان كتابنا وادباءنا في الارض المحتلة ، لم يعملوا فحسب على تسجيل الاحداث ، - على أهمية ذلك - وانما ساهموا بتلك الاحداث ، ودفعوا بها نحو الامام ، من خلال عملية التصدي للاحتلال ومخططاته ، ونشير هنا كمثال الى الدور الذي قام به الادباء والكتاب ، سواء من حيث التحضير او التسجيل او التأجيج في تلك الانعطافات الهامة في مسيرة نضال شعبنا في الداخل ، في يوم الارض في الجليل وما سبقه وما تبعه ، وخلال الانتفاضات الشعبية التي اجتاحت الضفة منذ الاحتلال واستمرت ووصلت ذروتها ١٩٧٦ وما زالت بأشكال مختلفة ولمناسبات مختلفة .

نعود هنا لنؤكد ان تناولنا للحياة الثقافية خلال العام ١٩٧٧ لن يأخذ طابعا نقديا ، وانما سنلجأ الى التناول الوصفي مع الاستفاضة في بعض النقاط الضرورية والهدف من ذلك القاء الضوء على المجال الثقافي في فلسطين المحتلة بشكل عام ، خاصة واننا نتناول سنة محددة ، والمقصود هنا هو التحريض نحو المزيد من

الدراسات والمزيد من البحث في مسيرة الحياة الثقافية في فلسطين المحتلة ، تلك الدراسات التي لا تتناول مرحلة ما بمعزل عن سابقتها ، ولا تغفل حركة تطور الواقع المستمرة وذلك لاهمية هذا النوع من الدراسات التي تتعرض لجانب هام من جوانب حياة شعبنا الفلسطيني في الداخل ونضاله .

والاستخلاصات العامة التي ندونها هنا هي :

- اولا : هناك تنامي لبعض الجوانب الثقافية في فلسطين المحتلة ، ان تحديد اتجاه وطبيعة هذا النمو مسألة تحتاج الى دراسة مستفيضة ، وما دمنا هنا ننزع نحو الوصف ، فمن الملاحظ ان هناك نموا واضحا في الانتاج الادبي وخاصة في مجالي القصة القصيرة ، والشعر ، كما يلاحظ ظهور كتاب جدد ، وخاصة في الضفة الغربية ، قاموا بنشر انتاجهم في المجلات الثقافية المتوفرة (البيادر في القدس ، الجديد ، الغد في حيفا) اضافة لما يتم نشره في الصفحات الادبية للصحف (كالاتحاد ، الفجر ، الشعب) كما ان بعض انتاج هؤلاء الكتاب وجد طريقه من خلال دور النشر التي نشطت في الآونة الاخيرة وخاصة دار صلاح الدين في القدس ،وعربسك ، ومكتبة الاسوار - عكا القديمة ...

ثانيا : يلاحظ ان هناك اقبالا جماهيريا كبيرا على الثقافة ، خاصة وان كثيرا من القضايا الثقافية ، صارت مسألة تهم حياة الناس وترتبط بها ، فصارت المجلات الثقافية المختلفة مسألة من الصعب تجانبها ، اضافة الى ان النشاط الثقافي في فلسطين المحتلة ، يميل بشكل عام نحو القضايا السياسية المباشرة ، مع عدم تجاهل المسائل المطلبية الملحة والتي هي بالاساس تخدم هدفا سياسيا. ونلمس ذلك من خلال عدة ملاحظات اولها النشاط المتزايد لدور النشر - على صعوبة النشر من ناحية الرقابة والتكلفة - ونزوع دور النشر هذه نحو اعادة طباعة الكتب الصادرة خارج المناطق المحتلة وخلال العام ١٩٧٧ تمت طباعة عشرات الكتب الصادرة في بيروت - دمشق القاهرة ، بغداد ... من هذه الكتب ، انتاج الشهيد غسان كنفاني ، وبعض الدراسات المتعلقة بالازمة اللبنانية ، وبعض الدراسات الادبية ، وما الى ذلك . وثانيها ، تنظيم عشرات الندوات الثقافية خلال ١٩٧٧ سواء في الضفة الغربية او في مناطق ١٩٤٨ ، وتم تداول الكثير من المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية ، وبرزت في هذا المجال اللجان الثقافية التابعة للمجالس المحلية والبلدية في مناطق ١٩٤٨ ، وجامعة بيرزيت وبيت لحم في الضفة الغربية ونشير هنا الى بعض المحاولات التي قام بها مجلس اتحاد طلبة بيت لحم ومن ضمنها ، تنظيم مسابقة للقصة القصيرة ، وتشكيل لجنة برئاسة الكاتب اميل حبيبي لاختيار افضل هذه القصص ، وقد تم اختيار احدى عشر قصة قصيرة من بين ٤٩ قصة قدمت خلال شهري حزيران ، وتموز ١٩٧٧ .

كما ان الجامعة نفسها أقامت المعرض الثاني للكتاب العربي والذي عرضت فيه مجموعة كبيرة من الكتب ، وخاصة تلك التي تعالج المسألة الفلسطينية . وفي هذا المجال ايضا اقيم في الناصرة العربية ، معرض الكتاب السوفيتي .

ثالثا - فيما يتعلق بالمجلات الثقافية الصادرة في فلسطين المحتلة ، يلاحظ ان هذه المشكلة تعاني منها الضفة الغربية اكثر من مناطق ١٩٤٨ حيث ان الجديد والغد ما زالتا تصدران وتزخران بالكثير من القضايا الثقافية، بينما نجد ان المجلات التي تصدر في الضفة الغربية لم تحافظ على استمرارها باستثناء « التراث والمجتمع » التي تصدر عن جمعية انعاش الاسرة في البيره، و «البيادر» التي ما زالت تصدر منذ صدورها قبل عام رغم الصعوبات المادية التي تعاني منها وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض المجلات التي صدرت في الضفة ، لم يكتب لها الاستمرار لاسباب مختلفة اهمها الصعوبات المادية ، مع عدم تجاهل الاسباب الاخرى ، كغياب المواضيع التي تشبع حاجة القارىء في المناطق المحتلة . ومن المجلات التي صدرت ولم تستمر « فتاة فلسطين » ١٩٧١ ،

« الوان » ١٩٧١ ، « الصنارة » ١٩٧٢ ، ومجلة « المسرح » التي توقفت مؤخرا عن الصدور رغم اهمية هذا النوع من المجلات •

رابعا : يلاحظ ايضا ان الاهتمام بالادب الشعبي والفولكلور له حيز لا بأس به وخاصة من خلال ما تنشره مجلة التراث والمجتمع ، كما انه بدأ الاهتمام مجددا بالزجل الشعبي باعتباره جانبا هاما من جوانب تراثنا الشعبي، وقد صدر اكثر من مؤلف في هذا المجال ، ومن اهم ما صدر كتاب سعود الاسدي « اغاني من الجليل » وتتصدر منطقة جنين وقراها هذا الفن الشعبي في الضفة ، كما ان للجليل دورا بارزا في هذا الفن ، وقد برز كل من راجح السلفيتي (غنيم) سلفيتا ، وسعود الاسدي ، الناصره ، وعواد غنيمه ، وغيرهم •

خامسا : يبدو واضحا النقص في أدب الاطفال رغم ما قامت به دار صلاح في القدس من اعادة طباعة بعض منشورات دار الفتى العربي ورغم ما ينشره الاتحاد من قصص اطفال مترجمة الا انه يبدو هناك ثغرة واضحة في هذا المجال ـ على اهميته ـ

سادسا ـ حركة النقد الادبي ، تسير ببطء الا أن هذا لا يلغي بعض المحاولات الجادة المنشورة عبر الجديد ، والاتحاد ، والفجر والغد ، كما لا يلغي أن هناك بعض المحاولات الواعدة ، ونخص بالذكر هنا كتاب « فاروق مواسي » عرض ونقد في الشعر المحلي •

سابعا : يلاحظ أن النشاط المسرحي في الضفة الغربية ، قد توقف نسبيا رغم بعض العروض التي قدمت خلال العام ١٩٧٧ ، الا انه يمكن القول أن المسرح الفلسطيني بات في حكم التجميد باستثناء الفرقة التي يديرها « جورج ابراهيم » في القدس ، والتي قدمت بعض العروض المتخصصة بالاطفال •

وجدير بالذكر ان المسرح في الضفة الغربية كان قد وصل في السنوات السابقة الى درجة عالية من النمو والنضج على الرغم من الانقسامات التي حدثت في فرقته ، الا أن نشاطه في العام ١٩٧٧ يكاد لا يذكر بالقياس مع السنوات السابقة •

أما بالنسبة لمناطق ١٩٤٨ ، فانه من المعروف أن النشاط المسرحي يكاد يكون متخلفا بالقياس مع المجالات الثقافية الاخرى ولا بد من الاشارة هنا أن معظم الفرق التي ظهرت في فلسطين مناطق ١٩٤٨ لم تستمر طويلا ، مع انها ابرزت بعض الوجوه البارزة فنيا • وقد كان « المسرح الناهض » التابع لبيت الكرمة من ابرز الفرق التي ظهرت ، الا أن هذه الفرقة انقسمت على نفسها لعدة اسباب ، وانشق عنها « المسرح الحر » الذي قدم مسرحية « زغرودة الارض » ثم توقف عن النشاط ، أما مسرح بيت الكرمة ، فقد بقي يعاني من نتائج الازمة التي أدت الى انقسام «المسرح الناهض» •

ولعل ازمة المسرح تكمن من ناحيتين رئيسيتين :

١ ـ ان السلطات الاسرائيلية غير معنية بوجود مسرح عربي تقدمي ، ومحاربتها لهذا المجال هو جزء من محاولات المحو والتذويب للثقافة العربية •

٢ ـ غياب الوعي المسرحي لدى الجمهور العربي في مناطق ١٩٤٨ ، لذلك لم يتم توفير أسباب الحياة لمسرح عربي تقدمي ومتخصص، من هنا كانت الصفة الغالبة هي الهواية ،

وصارت مسألة الاحتراف او التخصص قضية ليست ذات شأن ، مع ان هناك طاقات تملك امكانات النجاح والاستمرار ومن هذه الطاقات، مكرم خوري ، واديب جهشان ، وغيرهما •

ويبدو أن العام ١٩٧٧ يعتبر قفزة في مجال المسرح في مناطق ١٩٤٨ ، حيث ان السبات العميق للنشاط المسرحي بدأ يتلاشى أمام بعض المحاولات المسرحية الجادة التي قدمت خلال هذا العام ونخص بالذكر منها :

مسرحية « مهما صار » التي قدمها المسرح الناهض في حيفا يوم ٧٧/١/٩ ، ومسرحية « انا راجع يمه » التي قدمتها فرقة مسرح

اذار ـ شفاعمرو ، على مسرح بلدية شفاعمرو يوم ٧٧/٩/٢ ، ومسرحية « السلام المفقود » التي قدمتها فرقة مسرح البلد ـ عبلين على مسرح بلدية شفاعمرو يوم ٧٧/١٠/٧ •

ولعل الفرقة المسرحية الواعدة هي فرقة « مسرح بيت الصداقة » في الناصرة والتي قدمت اول اعمالها عن رواية الشهيد غسان كنفاني « رجال في الشمس » حيث استطاع مخرج المسرحية « رياض مصاروه » مسرحه الرواية بكفاءة ، وقد لاقت المسرحية نجاحا عظيما عند عرضها ، مما دفع الشرطة الاسرائيلية الى مداهمة المسرح ، خلال العرض السادس لها ، وايقاف المسرحية بحجة انها لم تخضع الى موافقة المراقبة ، الا ان عرض المسرحية ، تحول الى اجتماع شعبي حاشد ، وابرز الجمهور تضامنه مع الفرقة ، وقدم لها الدعم المادي والمعنوي وقد استنكرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (راكح) هذا العمل واعتبرته تخريبا للمسرح ، وخنقا للحريات ، وعلى اثر الاحتجاج الشديد ،.تمكن الجمهور العربي من اعادة عرض المسرحية بعد ايقافها مدة طويلة •

وجدير بالذكر ان لهذه الفرقة مستقبلا جيدا في الفن المسرحي، فيما لو استمرت في تماسكها، وتنوير نفسها •

ثامنا ـ يتناهى الاهتمام بالفن التشكيلي داخل المناطق المحتلة ، اذ اقيمت خلال العام ١٩٧٧ في الضفة الغربية ، وفي مناطق ١٩٤٨ عدة معارض للفن التشكيلي ، منها الجماعية ومنها الفردية ومن ضمنها ، جولات المعرض التشكيلي الفلسطيني في كل من قطاع غزه والضفة الغربية ، والمعرض الفردي الذي اقامه الفنان عبد عابدي في الناصره ، والمعرض التشكيلي الاول للهواة من كفر ياسيف وتسجل هذه المعارض ، بمجموعها ظاهرة تنامي الحس الفني لدى جماهيرنا في فلسطين المحتلة ، خاصة وان الاعمال التي عرضت جاءت معبرة وملتزمة بالقضايا الجماهيرية والمصيرية •

واخيرا ، بعد هذه الملاحظات العامة لا بد من ذكر بعض الادبيات التي صدرت خلال العام ١٩٧٧ في كل من الضفة الغربية والناصره ، وعكا ، وحيفا •••

في مجال القصة والرواية ، صدرت عن منشورات صلاح الدين في القدس « الى الجحيم ايها الليلك » لسميح القاسم ، كما صدرت المجموعة القصصية الثانية للاديب حنا ابراهيم « ريحة الوطن » وقد سبق وأن اصدر الكاتب قبل سنوات مجموعته الاولى « ازهار برية » كما صدرت للكاتب عبد الله تايه مجموعته القصصية « من يدق الباب » وصدرت المجموعة القصصية الثانية للقاص « محمد نفاع » تحت عنوان « ودية » •

أما في مجال الشعر فهناك « كل آذار وانتم بخير » للشاعر علي الصبح ، « خواطر من الزنزانة » لمحمد عبد السلام ، « كلمات للزمن الآتي » لسميره شرباتي ، « الموت والعشق » لليلى علوش ، « كلمات عن البقاء والرحيل » لاسعد الاسعد ، « يا وطني » لفاروق مواسي ، « جليليات » لنايف سليم ، « كاحتراق كل الفصول » لنعيم عرايدي ، « دمي يطاردكم » لسميح الصباغ •

كما صدر الجزء الاول « من ديوان الحماسة » لسميح القاسم ••

وليد الجعفري

★ تصدر الطبعة الثانية من : جسر على النهر الحزين ، الاصيلة ، الى الجحيم ايها الليلك ، الصبار ، عن دار ابن رشد بالاشتراك مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين •

اجتماعات المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب

عقد المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب اجتماعا طارئا في بغداد ، يوم ٢٩ — ١١ ١٩٧٧ ، لمناقشة الاوضاع السياسية الخطيرة المترتبة على خطوات السادات الاخيرة ، ولبحث دور الصحفيين العرب في هذه المرحلة .

وكانت الامانة العامة لاتحادنا ، قد دعت لعقد اجتماعين طارئين لكل من الاتحاد العام للصحفيين العرب ، والاتحاد العام للادباء والكتاب العرب ، باعتبار ذلك جزءا من خطة التحرك التي اعتمدتها الامانة العامة للمشاركة في التصدي للاوضاع الراهنة .

وقد ترأس الامين العام الاخ ناجي علوش وفد الاتحاد الى اجتماعات المكتب . وضم الوفد الاخوة حنا مقبل امين السر وعبد القادر ياسين نائب رئيس فرع جمهورية مصر العربية وحسن الكشاف امين سر فرع العراق .

وفيما يلي نص البيان والقرارات الصادرة عن الاجتماع :

استجابة لاقتراح الاستاذ سامي المنيس نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب بدعوة المكتب الدائم لاجتماع طارىء لتدارس الموقف العربي الراهن على ضوء الزيارة الخيانية للسادات الى الارض المحتلة ، وبموافقة عدد من النقابات العربية على الاقتراح وللدعوتين الموجهتين من النقابتين العراقية والسورية لاستضافة اجتماع المكتب في بغداد او دمشق ، والمعممة من قبل الاستاذ كامل الزهيري رئيس الاتحاد على جميع النقابات ، ونظرا لما اعلنه الدكتور صابر فلحوط نائب رئيس الاتحاد رئيس اتحاد الصحفيين السوريين من موافقة على عقد الاجتماع في بغداد ، وابلاغ ذلك الى رئاسة الاتحاد والامانة العامة . واستجابة للموافقة المبدأية على عقد الاجتماع الطارىء التي تضمنتها برقية رئيس الاتحاد في ٢١ — ١١ — ١٩٧٧ . وحيث تلقى المجتمعون استجابة من نقابة الصحفيين في الاردن ونقابة المحررين في لبنان واتحاد الصحفيين في الجزائر على حضور هذا الاجتماع ، واستنادا لنص المادتين ٢٤ و ٢٥ من النظام الاساسي للاتحاد ، فقد عقد المكتب الدائم اجتماعه الطارىء يوم ٢٩ — ١١ — ١٩٧٧ في بغداد برئاسة الاستاذ قاسم حمودي النائب الاول لرئيس الاتحاد ، وبحضور السادة سامي المنيس والدكتور صابر فلحوط وملحم كرم نواب رئيس الاتحاد وعضوي الامانة العامة للاتحاد محمد العربي المساري وسجاد الغازي ، وممثلي نقابات الصحفيين في اقطار سورية ولبنان والصومال وارتيريا والمغرب وفلسطين وتونس وموريتانيا والعراق.

وقد افتتح الجلسة الاستاذ سعد قاسم حمودي بكلمة اشار فيها الى خطورة الاوضاع

في المنطقة العربية ، على ضوء زيارة السادات الخيانية التي جاءت نتيجة لنهج التسوية والاستسلام الذي شهدته المنطقة منذ فترة ، وطرح رئيس الجلسة العديد من المقترحات بهدف تمكين الاتحاد من مواجهة تطورات الموقف في المرحلة الراهنة ، وكيفية مواصلة نشاطاته في المراحل المقبلة ، بما يعزز مبادرات الصحفيين العرب كمواطنين ملتزمين بقضايا امتهم وقضايا النضال ضد الامبريالية والصهيونية .

وقد تقرر اصدار بيان بادانة زيارة السادات الخيانية للارض المحتلة . واتخذ كذلك مقررات بشأن وضع الاتحاد وتنشيط فعالياته ، وتحديد مهماته للنهوض بها ليمارس دوره كمنظمة جماهيرية فاعلة في خضم التطورات الخيرة التي تشهدها امتنا العربية ، حيث تتصاعد مخططات التآمر الامبريالي الصهيوني لفرض سياسات التسوية على شعبنا وامتنا .

وفيما يلي نص البيان الذي صدر عن الاجتماع والمقررات التي تمخضت عنه :

اولا — البيان السياسي :

عقد المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب اجتماعا طارئا في بغداد يوم ٢٩ — ١١ — ١٩٧٧ ، لمناقشة التطورات الخطيرة الناتجة عن الخطوات الخيانية لرئيس النظام المصري انور السادات .

والمكتب الدائم ، انطلاقا من الالتزام بقضايا النضال العربي ، وضرورة استمرار هذا النضال ، حتى تحقيق اهداف الامة ، وانسجاما مع اهداف الاتحاد وميثاقه ومبادئه ، يرى :

اولا : — ان اقدام رئيس النظام المصري على زيارة الكيان الصهيوني ، وما جرى خلال الزيارة وبعدها ، هو محصلة حتمية لنهج التسوية الاستسلامية ، الذي جندت نفسها لانجازه كل القوى والانظمة الرجعية في المنطقة . هذا النهج الاستسلامي الذي ظل يلبي شروط المغتصبين الصهاينة وحلفائهم الامبرياليين ، ويفتح شهيتهم للمطالبة بمزيد من التنازلات حيث جاءت زيارة السادات تتويجا لهذا المسلسل من التنازلات والتفريط المتواصل .

ثانيا : — كما ان هذه الخطوة الخيانية هي النتيجة الطبيعية للخط الاستسلامي الذي سار عليه النظام الحاكم في مصر ، هذا الخط المسؤول عن تسميم الثمار السياسية لحرب تشرين ، وهدر دماء شهدائها ، وما ترافق مع ذلك من قمع للحريات داخل مصر نفسها ، سواء بالنسبة للمواطنين المصريين او العرب ، وتحطيم مكتسبات الشعب المصري تحت دعاوى الانفتاح والارتباط بالاقتصاد الامبريالي العالمي . كما تجيء مترافقة مع قمع الحريات الديمقراطية في كثير من الاقطار العربية .

ثالثا : — يرى المكتب الدائم ان خطورة هذه الخطوة تتمثل فيما يلي :

أ — انها توجه ضربة قاصمة لنضال الاجيال السابقة والحالية ، وتسد الافق امام نضال الاجيال المقبلة . وذلك باضفائها الشرعية على الكيان الصهيوني ، والاعتراف العملي بهذا الكيان .

ب — انها تشكل اقرار من جانب النظام المصري بالمفهوم الصهيوني الامبريالي لطبيعة السلام القائم على تكامل العلاقات ، بدلا من تناقضها مع الكيان الصهيوني بكل اسباب البقاء والحياة والسيطرة .

ج — انها تشكل خيانة سافرة لعروبة القدس ، حيث زارها السادات في نفس الوقت الذي تصفها كل الدعوات والصحف ووسائل الاعلام الصهيونية بالقدس العاصمة . لقد تجاوز السادات في تنكره لعروبة القدس ، حتى أسياده في واشنطن الذين لا يعترفون حتى الان بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني .

د — انها تشكل تكريسا لمبدأ الاتصال المباشر مع العدو ، وتقديم تعهدات تضمن سلامة العدو في نفس الوقت الذي تتنكر فيه للشعب الفلسطيني وحقه المقدس في ارضه ،

وبسبب كل ما تقدم يرى المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب ان هذه الخطوة التي اقدم عليها انور السادات جريمة نكراء بحق عروبة فلسطين كلها ، وبحق النضال العربي عامة ، وتشكل ارتدادا عن القيم الكفاحية لامتنا ، كما انها تستهدف جعل الوطن كله فريسة للمخطط الامبريالي الصهيوني ،

رابعا : ان المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب يرى ان تشكيل الجبهة العربية المناهضة للتسوية ، هو الان اشد الحاحا من اي وقت مضى ، فالمعركة حاسمة ، وهجمة القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية شديدة الشراسة ، ولن يفلها الا جبهة عربية تبنى على أساس برنامج مناهض لكل اشكال التسويات ويتبنى الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير ، ان وجود القوى الوطنية العربية كله بات مهددا اليوم ، وان اي تقاعس في التصدي لن يمرر المؤامرة في حدودها الراهنة فحسب ، بل سيؤدي الى اغتيال القوى الوطنية العربية ذاتها ،

اننا مطالبون بالانتقال الى الهجوم ضد كل ما هو امبريالي وصهيوني ورجعي في وطننا العربي ،

ان الكارثة التي تتهدد الوطن العربي نتيجة خيانة السادات ، سواء بمقدماتها او بنتائجها، لا يمكن مواجهتها بالرفض اللفظي ، ولا بد من المباشرة على الفور بدعم الحركة الوطنية المصرية ونضالاتها ، ان هذه هي المهمة الرئيسية امام كل القوى الوطنية العربية ، كما ان من مهمتها ايضا اقتلاع عقلية التسوية من المنطقة التي قادت الى هذا الوضع المتردي الذي يعيشه الوطن العربي اليوم ،

خامسا : ـ كما يرى المجتمعون ان استمرار الثورة الفلسطينية واستمرار الكفاح المسلح ، يتطلب وقوف كل الجماهير العربية وقواها الوطنية والديمقراطية الى جانب شعب فلسطين في نضاله ، كما يتطلب فتح كل الحدود امام المقاتلين ، وكل الجهات لبناء قواعد الثورة ، ويستلزم محاربة الدعوات الاستسلامية ، والاتجاهات السياسية التي تبرر التصفية باسم الواقعية وغيرها ،

كما يتطلب كشف كل المحاولات الرامية الى محاصرة الثورة الفلسطينية ، وابعادها عن نقاط التماس مع العدو الصهيوني ،

سادسا : ـ كما يرى المجتمعون ان صلابة الموقف الفلسطيني ، وتمسكه بالثورة ، ووقوفه في وجه الخطوات الاستسلامية ، ضروري لتصليب الموقف العربي ، ولضرب الاتجاهات المستسلمة فيه ولهذا فان الظرف الراهن يقتضي نهوض الجماهير الفلسطينية وقواها الوطنية والديمقراطية لبناء جبهتها الصلبة ، ولتعبئة قواها ضد التسوية والاستسلام ... على الصعيدين الفلسطيني والعربي ،

سابعا : ـ كما يؤكد المجتمعون ان الولايات المتحدة الاميركية تلعب الدور الاكبر في ضرب الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية العربية ، وفي كل المساعي لاخراج مصر من حلبة الصراع، واثارة التناقضات كلها في الوطن العربي لاستنزاف قوانا وتفتيت جماهيرنا ،وهذا يتطلب اتخاذ موقف صارم من عملاء الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة ، ومن مواقعها ومصالحها، ومن كل القوى المتعاونة معها ،

ثامنا : ويشير المجتمعون الى خطر العلاقات التي تقيمها القوى الرجعية الانعزالية في لبنان مع العدو الصهيوني ، والى تحالفها المكشوف مع العدو ،

ان كل القوى الوطنية مطالبة ان تقف بحزم ضد فتح حدود جنوب لبنان مع العدو واقامة علاقات معه ، وممارسة كل اشكال الضغط لسحب قوات الثورة الفلسطينية من الجنوب ، وضربها في لبنان ،

تاسعا ـ كما ان المجتمعين يرون ان خطوات السادات ليست مفصولة عن سياسة القمع التي انتهجت في انحاء مختلفة من الوطن العربي ، والتي قادت الى مصادرة الحريات الديمقراطية،والى اعتقال المناضلين وتشريدهم ونفيهم وضرب الاحزاب والقوى السياسية الوطنية ، وفتح ابواب العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية ، وضرب العلاقات مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية والى مهادنة العدو الصهيوني وضرب الثورة الفلسطينية ، ولذلك فان المجتمعين يدينون كل اجراءات القمع ويطالبون باطلاق الحريات الديمقراطية لكل القوى الوطنية والديمقراطية ،

عاشرا : ـ يستنكر المجتمعون موقف الصحفيين الذين رافقوا السادات في زيارته او ايدوها ودافعوا عنها ، ويطالبون بوضع سجل باسمائهم وتوزيعه على النقابات وتعميمه في قائمة سوداء على كل ارجاء الوطن العربي ، وعلى رأسهم :

١ ـ يوسف السباعي ـ ٢ ـ امينة السعيد ـ
٣ ـ انيس منصور ـ ٤ ـ موسى صبري ـ
٥ ـ مرسي الشافعي ،

عاش كفاح الشعب المصري وتضحيات ابنائه في معارك الامة العربية ضد العدو ومن اجل بناء مستقبلها ،

ـ عاشت الثورة الفلسطينية المسلحة ،
ـ عاش نضال الجماهير العربية من اجل وحدتها وحريتها وتقدمها ،
ـ لترتفع عاليا رايات الجبهة الوطنية ،
ـ الخزى والعار لنظام السادات ،

ثانيا : المقررات :

ـ يطالب المكتب الدائم الزملاء الصحفيين العرب بالتصدي الحازم لادانة زيارة السادات للارض المحتلة ، والتصدي الحازم لنتائجها الخطيرة على مسيرة النضال العربي ، ويدعو جميع الصحفيين لاستخدام وسائل الاعلام كافة، بالكلمة الشجاعة المسؤولة ، لمواجهة المخطط الامبريالي الصهيوني في المنطقة الذي بدأ اوسع خطواته بزيارة العار للعدو ،

ـ كما يدين المجتمعون كل اللقاءات التي تمت مع العدو في السر او في العلن ، والتي ساعدت السادات على اتخاذ خطوته ، ويطالبون كل الجماهير العربية باتخاذ موقف حازم من مثل هذه اللقاءات ،

ان المكتب الدائم وهو يؤيد حرصه على وحدة الاتحاد وتضامنه مع نضال الصحفيين المصريين الذين كانوا دائما وما زالوا في خندق الدفاع عن القضية العربية ، يدين الصحفيين الذين ساهموا في زيارة السادات ، سواء بالمشاركة فيها ، او بمحاولة تبريرها والتبشير باهدافها ، وفي مقدمتهم يوسف السباعي وحسن الشرقاوي ، ويقرر المكتب اسقاط عضويتهم من الاتحاد وتعميم قائمة باسمائهم كرمز للخيانة الوطنية ، والطلب من الدول العربية منع دخولهم اليها ، وعدم التعامل معهم ومنع عملهم في المؤسسات الصحفية العربية ، (عارض مندوب تونس) ،

ـ يستنكر المكتب الدائم موافقة السلطات المصرية على السماح للصحف الصهيونية باعتماد مراسلين لها في القاهرة ، والذي يستهدف تكريس واقع التعايش مع العدو الصهيوني ، الذي بدأه نظام السادات ، والمكتب الدائم على ثقة بان الشعب المصري العظيم لن يسمح بان تتحول ارضه الى مرتع للاعداء الصهاينة ، وسيعرف كيف يتعامل مع هؤلاء الاعداء ،

ـ يستنكر المكتب الدائم عمليات القمع التي تعرض لها الكتاب والصحفيون الفلسطينيون في مصر وابعاد الزملاء عبد القادر ياسين واحمد عمر شاهين ومريد البرغوتي ومحمد احمد رمضان ، وهارون هاشم رشيد ،

ـ كما يدين اغلاق مكتب اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينين في القاهرة واذاعة الثورة ومكاتب الاعلام الفلسطيني ،

ـ كما يستنكر عمليات الابعاد التي تعرض لها عدد كبير من المواطنين العرب ،

ـ ان المكتب الدائم وهو يؤكد حرصه الكامل، على عودة القاهرة الى موقعها القومي ، يرى نفسه مضطرا لاتخاذ بغداد مركزا مؤقتا لنشاطات الاتحاد ، والى حين توفر الظروف التي تمكن الاتحاد من ممارسة نشاطه من القاهرة ، حيث ان الاوضاع السائدة في مصر

العربية الان لا تمكن الاتحاد من القيام بمهامه كاملة .

ـ قرر المكتب الدائم ـ

استنادا لنص المادة السادسة عشرة من النظام الاساسي لاتحاد الصحفيين العرب المصادق عليه من قبل المؤتمر الثالث للاتحاد الدعوة الى مؤتمر استثنائي يعقد خلال شهرين من تاريخه .

ويكلف نواب الرئيس باتخاذ الترتيبات المتعلقة بعقد المؤتمر والاتصال بالرئيس والامين العام حول هذا الموضوع على ان يحدد جدول اعمال التالي :

١ ـ مناقشة الموقف العربي الراهن .

٢ ـ وضع الاتحاد التنظيمي .

٣ ـ يكلف المكتب الدائم هيئة الرئاسة بالاعداد لحلقة دراسية خلال شهر واحد ، تشارك فيها النقابات الاعضاء في الاتحاد ، تخصص ابحاثها لتبيان اخطار زيارة السادات لفلسطين المحتلة والنتائج المترتبة عليها ويقوم الاتحاد بطباعة الابحاث وتعميمها على النقابات .

(موافقة على استضافتها في بغداد)

ـ يقرر المكتب تأجيل ندوة الحوار العربي الاوروبي المقرر عقدها في الاسكندرية الى ما بعد المؤتمر الاستثنائي للاتحاد ، بسبب الوضع الراهن ، ويطلب المكتب الدائم من رئيس الاتحاد وقف الاجراءات المتعلقة بهذا الحوار الى حين صدور قرار عن المؤتمر الاستثنائي المقترح .

ـ يشكر المكتب الدائم نقابة الصحفيين في القطر العراقي على استضافتها للمكتب في اجتماعه هذا .

طرابلس

اجتماع طارىء للمكتب الدائم لاتحاد الادباء والكتاب العرب

عقد المكتب الدائم لاتحاد الادباء والكتاب العرب اجتماعا طارئا في طرابلس عاصمة الجماهيرية العربية الليبية ، حيث درس خطوات السادات الاخيرة ، وقرر نزع الثقة من امين عام الاتحاد يوسف السباعي الذي شارك السادات في زيارته للارض المحتلة . وتكليف الاخ شفيق الكمالي نائب الامين العام بالقيام بمهام اعمال الامين العام ، وعقد مؤتمر استثنائي في بغداد يوم ١٩٧٨/٢/٢١ .

واصدر المكتب البيان السياسي التالي :

يواجه الوطن العربي في الظروف الراهنة مخططا امبرياليا صهيونيا رجعيا ، يرمي الى تفتيت الامة العربية ، وتصادم قواها الفاعلة ، وعزل اقطارها بعضها عن بعض ، وضرب طموحاتها وتطلعاتها القومية ، والقضاء على الطلائع الوطنية والتقدمية المناضلة في هذه الامة وعلى رأسها الثورة الفلسطينية ، تمهيدا لتصفية القضية الفلسطينية محور النضال القومي العربي ، وتصفية الانظمة والقوى التقدمية والوطنية واخضاع المنطقة للنفوذ الامبريالي الصهيوني الرجعي .

ويتم الاعتماد في تنفيذ تلك المخططات على انظمة وقوى عربية اخذت على عاتقها تحقيق ما عجز الكيان الصهيوني عن تحقيقه في الثلاثين سنة الماضية .

وجاءت زيارة السادات لفلسطين المحتلة تتويجا لمرحلة سابقة من هذا المخطط ، وبداية لمرحلة جديدة اشد خطورة ، وامضى سلاحا ، واكثر خدمة لاغراض الامبريالية والصهيونية في المنطقة العربية . لانها قدمت للعدو الصهيوني ، الامن والاعتراف ، وبالتالي المهام والاقتصاد القوي . وشجعته على مزيد من التصلب والصلف والطمع في المنطقة، واستهدفت اخراج الشعب العربي في مصر من المعركة ووضعت قواه الفاعلة ، التي يسيرها السادات، في مواجهة اهداف نضال الامة العربية من اجل تحرير الارض ، والتحرر من الاستغلال والاستعمار والسيطرة واشكال النفوذ جميعا . وساعدت الامبريالية الاميركية على خلق ظروف تمكن من تجمع الرجعية العربية حول المصالح التي يضمنها ويغذيها استمرار الوضع الجديد وازدياد تياره قوة . والاتحاد العام للادباء والكتاب العرب ، اذ ينبه الى خطورة المرحلة الراهنة وما ينتج عنها من تغيير لمفاهيم وقوى الصراع في المنطقة ، والى شمول المخطط الامبريالي الصهيوني الجديد وعنفه ، والى رغبته القائمة على تنفيذه في حسم الصراع في المنطقة بكل الوسائل ، لصالح الامبريالية والصهيونية . يرى ان واجب الانظمة العربية التي تريد ان تحافظ على ادنى قدر ممكن من المسؤولية والوطنية والقومية المشرفة .. يدعوها الى ان تقف ضد هذا المخطط، وتفضحه، وتتصدى للمتعاونين على تنفيذه ، وتشل حركة اولئك الذين وضعوا انفسهم في خدمته ، متجاوزة كل التناقضات والخلافات الثانوية ، ملتفتة الى التناقض الاساسي مع العدو الاول للعرب . والا فان شعبنا وتاريخنا العربيين لن يرحما احداً . لا السادات الذي سجل سابقة مخزية لم يسجل تاريخ الدبلوماسية والحروب مثيلا لها . ولا اولئك الذين يساعدونه او يمالئونه ، او يتخلفون عن التصدي له ، وللمخططات التي يمثلها وينفذها .

ان الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب .. اذ يدين زيارة السادات ادانة لا حدود لها ، ويدعو الى تجريمه والمشاركين له من العرب ، ليهيب بجماهير الامة العربية ، ومنظماتها الوطنية والتقدمية ، ان تبادر الى حشد صفوفها لمواجهة الانهيار السياسي الذي حدث بشكل جدي وفعال ، وان تستمر في نضالها المشرف من اجل تحقيق اهداف الشهداء الذين ضحوا كي يحقق انتصارا للنضال العربي العادل ، وتحريرا للامة العربية والانسان العربي .

ويدعو جماهير الادباء والكتاب في الوطن العربي الى الاستمرار في فضح اهداف الزيارة، واحباط نتائجها ، ومتابعة الاوضاع الناشئة في المنطقة بسببها ، بما تقتضيه مسؤولية الكلمة من شرف وشجاعة ، ليجنبوا شعبنا نكبات وكوارث جديدة . ويدعوهم الى التلاحم والتعاون لمواجهة التحديات الكبيرة المطروحة على الساحة العربية .

كما يدعوهم الى تحريض جماهير الشعب العربي ، للنضال ضد الانظمة الخائنة والعميلة ، والمتخاذلة ، وفي مقدمتها نظام السادات . والى الضغط على الانظمة التي لم تتخذ موقفا ايجابيا يؤكد الكفاح ويسهم فيه ، ويوظف الجهود من اجل انتصار النضال العربي ، كي تتخذ موقفا ايجابيا ، وموقعا متقدما الى جانب القوى العربية القومية التقدمية ، التي اخذت على عاتقها مسؤولية الصمود والتصدي ، ومواجهة اعداء الامةالعربية ومخططاتهم واطماعهم في الداخل والخارج .

والاتحاد العام للادباء والكتاب العرب .. يعلن لجماهير امتنا وللادباء والكتاب في الوطن العربي والعالم .. ادانته للادباء والكتاب الذين رافقوا السادات في زيارته للارض المحتلة وايدوا تلك الزيارة . وعلى رأس اولئك الامين العام السابق للاتحاد يوسف السباعي الذي اثبت انه غير اهل لتمثيل الاتحاد ، وخان اهداف ومقررات وتوصيات مؤتمراته ، واخل اخلالا فاضحا ومشينا بشرف الكلمة . ويرى فيه ، كما يطلب من الادباء والكتاب ان يروا فيه ، نموذجا للكاتب الخائن لفكر الامة

ونضالها ·

ان الاتحاد ، اذ يرى ما يحيط بالثورة الفلسطينية من اخطار ، يؤكد ان قضية تحرير فلسطين كاملة هي القضية الاساسية التي يجب ان يركز عليها ، ان استمرار الكفاح المسلح وتصعيده هو المهمة الاكثر الحاحا في هذه المرحلة · ولذلك يدين الاتحاد الاتجاهات الاستسلامية ويدعو الى النضال ضدها ويؤكد الحقوق القومية العربية في فلسطين عبر النضال لتحريرها وعبر الكفاح المسلح · ويناشد الاتحاد الكتاب والادباء وجميع المثقفين والاحرار والشرفاء في العالم ، ان يتفهموا اهداف النضال العربي العادل من اجل تحرير فلسطين ، واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني المشروعة في تقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني المحرر ، وان يتضامنوا مع الشعب العربي والكتاب والادباء العرب لاحباط المؤامرات الامبريالية والصهيونية ضد امتنا كما يدعو الادباء والكتاب العرب ، وجماهير الشعب العربي الى تأييد ودعم الخطوات الهادفة الى تحقيق وحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية ، ويرى ان هذه الوحدة ضرورية في هذه المرحلة خاصة ، لمواجهة المخططات الصهيونية والامبريالية لمواصلة النضال من اجل بناء المجتمع العربي التقدمي الموحد ، ويرى ان مؤتمر الشعب العربي الاخير من المبادرات الهامة في هذا المجال ·

والاتحاد العام للادباء والكتاب العرب اذ يحيي نضال الشعب العربي المصري ويمجد شهداءه وتضحياته في سبيل القضايا القومية العربية ، ودوره الايجابي والبناء في صنع الحضارة العربية ، ليدعو الى تضامن القوى التحررية والتقدمية في الوطن العربي والعالم مع الحركة الوطنية المصرية في نضالها الرامي الى وضع الشعب العربي المصري في مكانه الحقيقي من الامة العربية ونضالها ، وفي سعيه للكشف عن اهداف الحملة المضللة التي تقوم بها الاجهزة القمعية والاعلامية في نظام السادات ·

ان الاتحاد ينظر الى اوضاع لبنان بقلق ، اذ ان وحدته وعروبته ما تزالان تتعرضان للخطر ، والقوى الرجعية الانعزالية لا تزال تكدس الاسلحة وتستعد لتفجير الوضع بالتعاون العلني مع القوات الصهيونية · وهو يطالب القوى الوطنية والتقدمية العربية كلها بتوحيد موقفها لصيانة وحدة لبنان وعروبته ولاحباط المؤامرات عليه ، وللحيلولة دون سيطرة العدو الصهيوني على الجنوب ويحمل الاطراف العربية الوطنية والقومية والتقدمية كلها مسؤولياتها في هذا المجال ·

والاتحاد يرى ان هذه الظروف الصعبةوالمعقدة تستدعي الاستفادة من طاقات ابناء الوطن العربي جميعا وهذا لا يتم الا باحترام حرية التعبير وصيانة الحريات الديمقراطية واطلاق سراح الوطنيين المعتقلين بسبب آرائهم ويطالب بوقف كل اشكال الاعتقال والتعذيب وفي الختام فان الاتحاد يرى ان هذا الاجتماع بداية لمرحلة جديدة في تاريخه ، تعبر عن تطلعات اعضائه والجماهير العربية من اجل تحقيق اهداف النضال واهداف الشهداء الذين ينظر الى تضحياتهم بكامل الاعتزاز ·

بيان من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

هذا زمن الرجال الرجال

يا جماهير شعبنا الفلسطيني
يا جماهير امتنا العربية
يا كل الكتاب والصحفيين والمثقفين الثوريين،

دخلت المؤامرة على الثورة الفلسطينية ، مرحلة بالغة الدقة والخطورة ، بعد ان تكشفت كل الاوراق وبعد ان واجهت الامبريالية الاميركية حلفاءها في المنطقة بوضوح كامل ان عليهم الاستسلام اولا ، كما عبر عن ذلك الاتفاق الاميركي الاسرائيلي · وبعد ان اصبحت المهمة الاساسية للامبريالية الاميركية محاولة النفاذ الى الموقف الفلسطيني وشقه وابتزازه سواء عن طريق الاغراءات الكاذبة ، او عن طريق استخدام حلفاء المنطقة للضغط والاكراه ·

ان الولايات المتحدة عبر محاولتها جر الساحة الفلسطينية الى موائد الاستسلام تأمل ان تحقق في هذه الساحة ما انجزته في الساحات الاخرى ، ذلك ان تحطيم الموقف الفلسطيني الرافض للتسوية الاستسلامية سيفسح المجال امام انجاز مخطط التسوية والقائم اساسا على تصفية القضية الفلسطينية وانهاء الكفاح المسلح الفلسطيني وتركيع الجماهير العربية وربط المنطقة بعجلة المصالح الاميركية ·

ولعل ما يشجع الامبريالية الاميركية على المضي في مؤامراتها ، تلك النغمة النشاز التي بدأت تنطلق من بعض اطراف اليمين الفلسطيني تنادي بالتعايش مع العدو وتتحدث علنا عن امكانية القبول بوجوده · وتلك الحوارات المشبوهة التي تعقد في اطار ما يسمى بمجالس السلام بحضور قيادات صهيونية واشخاص فلسطينيين لهم مواقع رسمية ·

ان كل ذلك يضع جماهير شعبنا وكل قوى الثورة والتقدم امام مسؤولية التصدي الحازم والسريع لهذه المؤامرة الخطيرة ، والوقوف في وجه اية محاولة مهما كان مصدرها للخروج على اهداف شعبنا وميثاق منظمة التحرير ·

لقد قدم شعبنا عشرات الالوف من الشهداء دفاعا عن قضيته ودفاعا عن بنادقه ، لا من اجل ان تتحول هذه البنادق الى اقلام توقع على صك الاعتراف بالعدو ·

يا جماهير شعبنا الفلسطيني
يا جماهير امتنا العربية ،

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين انطلاقا من الالتزام بقضية شعبنا وانسجاما مع اهداف الاتحاد ومبادئه ونظامه الداخلي تعلن ما يلي :

اولا ـ اننا ندين ونستنكر بشدة كل محاولة للاعتراف بالعدو · او التفاوض معه او التنازل عن اي شبر من ارض الوطن ، مهما كانت الشعارات التي تغلف بها هذه المحاولات · وتعتبر ذلك خروجا على الشعب الفلسطيني وعلى كل تاريخه وتراثه ·

ثانيا ـ ان رفض شعبنا لقرار ٢٤٢ لم يكن فقط لانه يتعامل مع شعبنا كلاجئين ، بل

ونضالها .

ان الاتحاد ، اذ يرى ما يحيط بالثورة الفلسطينية من اخطار ، يؤكد ان قضية تحرير فلسطين كاملة هي القضية الاساسية التي يجب ان يركز عليها ، ان استمرار الكفاح المسلح وتصعيده هو المهمة الاكثر الحاحا في هذه المرحلة . ولذلك يدين الاتحاد الاتجاهات الاستسلامية ويدعو الى النضال ضدها ويؤكد الحقوق القومية العربية في فلسطين عبر النضال لتحريرها وعبر الكفاح المسلح . ويناشد الاتحاد الكتاب والادباء وجميع المثقفين والاحرار والشرفاء في العالم ، ان يتفهموا اهداف النضال العربي العادل من اجل تحرير فلسطين ، واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني المشروعة في تقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني المحرر ، وان يتضامنوا مع الشعب العربي والكتاب والادباء العرب لاحباط المؤامرات الامبريالية والصهيونية ضد امتنا كما يدعو الادباء والكتاب العرب ، وجماهير الشعب العربي الى تأييد ودعم الخطوات الهادفة الى تحقيق وحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية ، ويرى أن هذه الوحدة ضرورية في هذه المرحلة خاصة ، لمواجهة المخططات الصهيونية والامبريالية لمواصلة النضال من اجل بناء المجتمع العربي التقدمي الموحد ، ويرى ان مؤتمر الشعب العربي الاخير من المبادرات الهامة في هذا المجال .

والاتحاد العام للادباء والكتاب العرب اذ يحيي نضال الشعب العربي المصري ويمجد شهداءه وتضحياته في سبيل القضايا القومية العربية ، ودوره الايجابي والبناء في صنع الحضارة العربية ، ليدعو الى تضامن القوى التحررية والتقدمية في الوطن العربي والعالم مع الحركة الوطنية المصرية في نضالها الرامي الى وضع الشعب العربي المصري في مكانه الحقيقي من الامة العربية ونضالها ، وفي سعيه للكشف عن أهداف الحملة المضللة التي تقوم بها الاجهزة القمعية والاعلامية في نظام السادات .

ان الاتحاد ينظر الى اوضاع لبنان بقلق ، اذ ان وحدته وعروبته ما تزالان تتعرضان للخطر ، والقوى الرجعية الانعزالية لا تزال تكدس الاسلحة وتستعد لتفجير الوضع بالتعاون العلني مع القوات الصهيونية . وهو يطالب القوى الوطنية والتقدمية العربية كلها بتوحيد موقفها لصيانة وحدة لبنان وعروبته ولاحباط المؤامرات عليه ، وللحيلولة دون سيطرة العدو الصهيوني على الجنوب ويحمل الاطراف العربية الوطنية والقومية والتقدمية كلها مسؤولياتها في هذا المجال .

والاتحاد يرى ان هذه الظروف الصعبة والمعقدة تستدعي الاستفادة من طاقات ابناء الوطن العربي جميعا وهذا لا يتم الا باحترام حرية التعبير وصيانة الحريات الديمقراطية واطلاق سراح الوطنيين المعتقلين بسبب آرائهم ويطالب بوقف كل اشكال الاعتقال والتعذيب وفي الختام فان الاتحاد يرى ان هذا الاجتماع بداية لمرحلة جديدة في تاريخه ، تعبر عن تطلعات اعضائه والجماهير العربية من اجل تحقيق اهداف النضال . واهداف الشهداء الذين ينظر الى تضحياتهم بكامل الاعتزاز .

من بيانات الاتحاد

بيان من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

هذا زمن الرجال الرجال

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير امتنا العربية

يا كل الكتاب والصحفيين والمثقفين الثوريين،

دخلت المؤامرة على الثورة الفلسطينية ، مرحلة بالغة الدقة والخطورة ، بعد ان تكشفت كل الاوراق وبعد ان واجهت الامبريالية الاميركية حلفاءها في المنطقة بوضوح كامل ان عليهم الاستسلام اولا ، كما عبر عن ذلك الاتفاق الاميركي الاسرائيلي . وبعد ان اصبحت المهمة الاساسية للامبريالية الاميركية محاولة النفاذ الى الموقف الفلسطيني وشقه وابتزازه سواء عن طريق الاغراءات الكاذبة ، او عن طريق استخدام حلفاء المنطقة للضغط والاكراه .

ان الولايات المتحدة عبر محاولتها جر الساحة الفلسطينية الى موائد الاستسلام تأمل ان تحقق في هذه الساحة ما انجزته في الساحات الاخرى ، ذلك ان تحطيم الموقف الفلسطيني الرافض للتسوية الاستسلامية سيفسح المجال امام انجاز مخطط التسوية والقائم اساسا على تصفية القضية الفلسطينية وانهاء الكفاح المسلح الفلسطيني وتركيع الجماهير العربية وربط المنطقة بعجلة المصالح الاميركية .

ولعل ما يشجع الامبريالية الاميركية على المضي في مؤامراتها ، تلك النغمة النشاز التي بدأت تنطلق من بعض اطراف اليمين الفلسطيني تنادي بالتعايش مع العدو وتتحدث علنا عن امكانية القبول بوجوده . وتلك الحوارات المشبوهة التي تعقد في اطار ما يسمى بمجالس السلام بحضور قيادات صهيونية واشخاص فلسطينيين لهم مواقع رسمية .

ان كل ذلك يضع جماهير شعبنا وكل قوى الثورة والتقدم امام مسؤولية التصدي الحازم والسريع لهذه المؤامرة الخطيرة ، والوقوف في وجه اية محاولة مهما كان مصدرها للخروج على اهداف شعبنا وميثاق منظمة التحرير .

لقد قدم شعبنا عشرات الالوف من الشهداء دفاعا عن قضيته ودفاعا عن بنادقه ، لا من اجل ان تتحول هذه البنادق الى اقلام توقع على صك الاعتراف بالعدو .

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير امتنا العربية ،

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين انطلاقا من الالتزام بقضية شعبنا وانسجاما مع اهداف الاتحاد ومبادئه ونظامه الداخلي تعلن ما يلي :

اولا ـ اننا ندين ونستنكر بشدة كل محاولة للاعتراف بالعدو . او التفاوض معه او التنازل عن اي شبر من ارض الوطن ، مهما كانت الشعارات التي تغلف بها هذه المحاولات . وتعتبر ذلك خروجا على الشعب الفلسطيني وعلى كل تاريخه وتراثه .

ثانيا ـ ان رفض شعبنا لقرار ٢٤٢ لم يكن فقط لانه يتعامل مع شعبنا كلاجئين ، بل

لانه يعترف بالعدو الصهيوني ويضمن له وجوده فوق ارضنا المحتلة •

ومن هنا فان الحديث عن تعديل قرار ٢٤٢ هو محاولة التفافية تمويهية تخدم في النتيجة خط الاعتراف والتعايش •

ثالثا ـ ان المكتسبات السياسية التي حققها شعبنا ، حققها بنضاله وكفاحه ، وسيحقق هذا الشعب المزيد من المكتسبات بالمزيد من النضال •• لا بالمساومة او التنازل •

رابعا ـ ان الولايات المتحدة الاميركية هي عدوة لشعبنا ، وستظل كذلك ، وهي رأس المؤامرة التي يتعرض لها هذا الشعب • ومن هنا ، فنحن نرفض اي محاولة لحوارها او مغازلتها •

ان لغة التخاطب مع الولايات المتحدة الاميركية هي لغة التصدي لكل مصالحها في الوطن العربي •

خامسا ـ ان خطورة المرحلة التي تجتازها القضية اليوم تتطلب منا جميعا ان نرتفع الى مستوى المسؤولية فنتجاوز كل حساسيات الماضي لنعمل على ترسيخ وحدة وطنية صلبة تستند الى موقف سياسي واضح ، يرفض التلاعب على الالفاظ ويرفض في نفس الوقت الوقوع في شرك المساومات ويلتزم التزاما مبدئيا كاملا بالميثاق الوطني •

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير امتنا العربية ،

اننا ندعو كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين للبدء بنشاط واسع في كل الميادين للتنبيه الى خطورة المرحلة الى المنزلقات التي تهدد ثورتنا ••

كما تدعو الاتحادات الشعبية الفلسطينية الى التحرك السريع في نفس هذا الاطار ••

ونتوجه للاتحادات الادبية والصحفية العربية والى كل القوى الوطنية الشريفة للوقوف مع شعبنا في هذه المرحلة الحساسة والخطيرة •

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير أمتنا العربية ،

رفاق عبد الرحيم محمود وغسان كنفاني ، وكمال ناصر ، وكمال عدوان ، وهاني جوهرية ، ومحمود صالح يدعونكم اليوم لتحمل المسؤولية التاريخية للحفاظ على قضية شعبنا وعلى ثورتنا وللوقوف في وجه الانحرافات التي تحاول ان تجد لها ارضا فوق ارض لن تكون الا ارضا للثورة والشعب والقضية •

وهذا زمن الرجال الرجال

وعاشت فلسطين عربية حرة •

الامانة العامة

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيان الاتحادات الشعبية الفلسطينية اغلقوا الابواب في وجه فانس ومؤامراته

عقدت الاتحادات الشعبية الفلسطينية اجتماعا في بيروت ، يوم التاسع من كانون اول ١٩٧٧ حيث ناقشت الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية على ضوء خطوات السادات الاخيرة ثم مؤتمر طرابلس والتحرك العربي المضاد لخطوات السادات • كما درست التحركات الجديدة التي بدأت تشهدها المنطقة خلال الساعات الاخيرة ، خاصة الجولة الجديدة لسايروس فانس وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية • والدور المشبوه الذي يقوم به ملك الاردن وان الاتحادات الشعبية الفلسطينية ، وهي تستلهم كل تاريخ شعبنا النضالي وتراث امتنا الثوري العظيم انطلاقا من التزام شعبنا بمواصلة النضال حتى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ، تعلن ما يلي :

اولا : ـ لقد عرت زيارة السادات وخطواته الخيانة الاخيرة كل النهج التسووي الاستسلامي الذي شهدته المنطقة خلال السنوات الاخيرة ، واثبتت هذه الزيارة ان طريق التنازلات لا يعرف حدودا ومن هنا فان الخروج النهائي من دائرة التسوية هو الطريق الصحيح لمواجهة المؤامرة الشرسة التي تشكل خطوات السادات احدى ابرز مراحلها •

ان الاتحادات الشعبية الفلسطينية وهي تعلن تأييدها الكامل لقيام جبهة قومية تقدمية عربية على اساس برنامج نضالي واضح ومحدد الاهداف ، تدعو كل القوى الوطنية العربية لبذل كل جهد ممكن لكي تأتي هذه الجبهة معبرة عن ارادة الصمود والتصدي ولكي تضم بين صفوفها كل الانظمة وكل القوى الرافضة لنهج التسوية الاستسلامية •

ان الاتحادات الشعبية الفلسطينية ومن موقع التقدير لكل القوى التي ادانت خيانة السادات ، تناشد الجميع الارتفاع الى مستوى المسؤولية التاريخية في هذه المرحلة والنضال للقضاء على اثار زيارة السادات ولقطع الطريق على اية قوة تخطط للحاق به •

ثانيا : ـ ان الارتباط بعجلة السياسة الاميركية وفتح الابواب أمام رسلها كان العامل الرئيسي الذي اضعف الموقف العربي وشجع القوى المتخاذلة للمضي في سياسة المساومة على القضية الوطنية •

وان اي رفض حقيقي لسياسة السادات وخطواته الخيانية ، يقتضي اول ما يقتضي اغلاق الابواب نهائيا في وجه السياسة الاميركية •

ان الامبريالية الاميركية العدو الرئيسي لكل شعوب العالم ، هي عدو رئيسي ايضا لشعبنا • والتعامل مع الاعداء لا يكون الا بالتصدي •

ان فتح الابواب مجددا امام وزير خارجية امريكا يعني بالتأكيد ان منطق التسوية ما زال هو السائد في المنطقة • ومنطق التسوية لن يقود الا الى المزيد من المؤامرات والمزيد من تقديم المكاسب المجانية للعدو •

ان الجماهير العربية وكل قواها الوطنية والتقدمية مدعوة اليوم للتصدي لجولة فانس نفس تصديها لزيارة السادات ، فكلتا الزيارتين هما وجهان لعملة واحدة •

ان طريق التعامل مع الولايات المتحدة الاميركية هو طريق التصدي وطريق ضرب مصالحها واقتلاع جذور سياستها من المنطقة ، ولا مجال لطريق آخر •

ثالثا : ـ ان القوى الرجعية العربية وفي مقدمتها جزار شعبنا ملك الاردن لا يمكن الا ان تكون في صف الاعداء • ان الملك حسين واستكمالا لدوره التاريخي المشبوه يقوم اليوم بمحاولات لاستثمار الوضع العربي الراهن والالتفاف على مكاسب شعبنا والادعاء بالنطق باسمه ولا يجوز السماح له بذلك تحت اية صورة كانت •

ان النضال لتحرير فلسطين لا ينفصل اطلاقا عن النضال ضد حكم الخيانة في الاردن ، ولن ينفصل اطلاقا عن تحديد موقف واضح وحاسم من كل القوى الرجعية في المنطقة

رابعا : ـ ان الاتحادات الشعبية الفلسطينية وهي تثمن كل خطوة في مجال تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية ترى ان المعيار الحقيقي لهذه الوحدة هو مدى قدرتها على حشد كل طاقات الشعب الفلسطيني في معركة تحرير كامل التراب الوطني ، وفي عزل كل القوى والافراد الذين يخرجون عن اهداف شعبنا كما نص عليها الميثاق الوطني الفلسطيني •

ان المحاولات التي تجري الآن لابراز بعض الوجاهات الفلسطينية لا يجوز أن تمر ، وان اقتلاع جذور هذه المحاولة الشريرة يقتضي تنظيم صفوف الثورة الفلسطينية والقضاء على كل سلبيات المرحلة الماضية •

ان المرحلة القادمة مرحلة قاسية وصعبة وشاقة وعلينا ان نكون في مستوى القدرة على التصدي لها •

خامسا : ـ ان الاتحادات الشعبية الفلسطينية وهي تتوجه بالتحية لجماهير شعبنا العظيم داخل الوطن المحتل ولكل القوى الفلسطينية والعربية المناضلة ، تتوجه بالتحية لجماهير الشعب المصري الذي يواجه في هذه اللحظات اشرس حملات القمع والارهاب ، والذي سيظل دائما قلعة للنضال العربي رغم كل الظروف التي تحاول ان تحجب نور هذه القلعة •

وتدعو الاتحادات الشعبية الفلسطينية الجماهير العربية للوقوف مع المناضلين المصريين في كفاحهم البطولي من اجل اسقاط حكم السادات ومن اجل ان تظل مصر في موقعها الطبيعي ، ارضا للعرب وقاعدة لنضالهم .

عاشت الثورة الفلسطينية المسلحة

عاش نضال الجماهير العربية

الاتحاد العام لعمال فلسطين

الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين

الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين

الاتحاد العام لطلبة الاردن .

بيروت ١٠ - ١٢ - ٧٧

بيان من الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

حول المحاولة الآثمة لاغتيال المناضل حبيب صادق

اقدمت العناصر المجرمة العميلة على محاولة اغتيال المناضل الوطني حبيب صادق ، امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين ورئيس المجلس الثقافي للبنان الجنوبي .

وتأتي هذه المحاولة الآثمة استمرارا للمخطط الدموي الذي شهده لبنان طيلة الاعوام الثلاثة الماضية وحلقة اخرى من حلقات الارهاب ، تأتي لتذكر بالجرائم التي ارتكبت ولا يزال منفذوها بعيدين عن ايدي العدالة .

ان قتلة الشهيد كمال جنبلاط ما زالوا طلقاء ، والايدي الآثمة التي امتدت الى المناضل الفلسطيني ابو موسى لم تعرف بعد.

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهي تستنكر هذه الجريمة النكراء الغادرة تحيي الكتاب اللبنانيين الذين التزموا بقضية النضال العربي وقدموا في سبيل ذلك التضحيات العظيمة ، ليثبتوا دوما انهم المثال الذي يحتذى للكاتب الثوري .

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي يتخذ من « بالدم نكتب لفلسطين » شعارا له ، وقدم قوافل الشهداء على طريق الثورة والنضال ، يؤكد ان الارهاب لا يخيف المناضلين ، ويرى في محاولة اغتيال زميلنا ورفيقنا حبيب صادق تعبيرا عن عجز المجرمين وفشلهم .

ان كل الكتاب العرب مدعوون اليوم لادانة هذه الجريمة وللوقوف في وجه الارهاب الفاشي الذي يحاول ان يعم الوطن العربي .

تحية لرفيقنا حبيب صادق

والمجد لكل الكتاب والمناضلين

وعاشت فلسطين عربية حرة

الامانة العامة لاتحاد

الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

١٢ - ٩ - ١٩٧٧

بالدم نكتب لفلسطين

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين يفقد مناضلا آخر من اعضائه

الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين تنعي الى جماهير امتنا العربية والى جماهير شعبنا الفلسطيني صحفيا آخر كتب بالدم لفلسطين .

هو الشهيد المناضل

داوود خضر الحجة (ابو جاسر) الذي اغتالته عناصر مجرمة وعميلة اثبت التحقيق الذي قامت به قيادة المقاومة انهم ينتمون للجبهة الشعبية (القيادة العامة) .

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهو يشجب ويدين هذا الاسلوب البربري ، يعاهد الشهيد وكل الشهداء ان تمضي في الثورة حتى تحقيق كامل اهداف شعبنا في النصر والتحرير الشامل ..

وعاشت فلسطين عربية حرة

الامانة العامة

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

اتفاقيات تعاون

وقع اتحادنا خلال الفترة الماضية عددا من اتفاقيات التعاون مع اتحادات صديقة عربية وعالمية ، وذلك ضمن خطة الاتحاد الرامية الى تعزيز علاقات التضامن بين كل الكتاب والصحفيين التقدميين .

ولا زالت المباحثات جارية لتوقيع المزيد من هذه الاتفاقيات .

اتفاقية مع اتحاد الصحفيين السوفيات

قام وفد من الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بزيارة موسكو استغرقت اسبوعا في الفترة بين ٢٠ و ٢٧ كانون الاول ١٩٧٧ . ووقع الوفد المكون من الاخوين ناجي علوش الامين العام للاتحاد وحنا مقبل امين السر على اتفاقية تعاون مع اتحاد الصحفيين السوفيات .

وقد اجرى الوفد خلال وجوده سلسلة مباحثات مع كل من منظمة التضامن الافريقية الاسيوية واتحاد الصحفيين السوفيات واتحاد الكتاب السوفيات . كما عقد لقاءات عديدة مع الكتاب والصحفيين خاصة في جريدة البرافدا ومجلة نيوتايمز ومجلة اجنيوك ، كما زار معهد الاستشراق واجرى مباحثات مع عدد من المختصين في شؤون القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية في اكاديمية العلوم السوفياتية .

وحضر جميع اللقاءات الرسمية العميد محمد الشاعر ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الاتحاد السوفياتي .

وفيما يلي نص الاتفاقية :

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الصحفيين في الاتحاد السوفيتي ، استرشادا منهما بالطموح لتعميق علاقات الصداقة والتضامن والتعاون القائمة بين الشعب العربي الفلسطيني وشعوب الاتحاد السوفيتي قد بحثا قضية التطوير اللاحق للعلاقات الثنائية ٠

وقد اشار الجانبان الى ان الاتحادين يناضلان بنشاط في المضمار الدولي ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد بجميع اشكالها وضد الصهيونية والعنصرية ٠

ويقف الاتحادان الى جانب النضال ضد دسائس قوى الامبريالية التي تستهدف تصفية حركة التحرر الوطني العربية وخاصة حركة التحرر الفلسطينية واثارة الانشقاق في العالم العربي ولا سيما في الظروف الراهنة التي يتم فيها السعي لعقد صفقات لمصلحة الامبريالية والرجعية واسرائيل ٠

ويشير الجانبان الى ان التلاحم والتنسيق مع المنظمات الصحفية في الدول الاشتراكية وبجميع المنظمات التقدمية الصحفية في العالم يعزز مواقع صحفيي الاقطار العربية ويساهم مساهمة كبيرة في تحرير اجهزة الاعلام الجماهيري في الوطن العربي من سيطرة وكالات الانباء الغربية ، كما انه يعزز نضال شعوب العالم من اجل الحرية والتقدم ٠

ويعلن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الصحفيين في الاتحاد السوفيتي عن الدعم الكامل للنضال العادل للشعوب العربية ضد العدوان الصهيوني الاسرائيلي المستمر في الشرق الاوسط وعن مساندة جميع قرارات الامم المتحدة والمتعلقة بالجلاء التام للقوات المعتدية عن جميع الاراضي المحتلة والتي تعترف بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني بما في ذلك حقه في تقرير مصيره على ارضه ٠

وسوف يساهم الصحفيون العرب والسوفيت كما في السابق في تنفيذ اسس الوثيقة الختامية التي اقرت في مؤتمر التعاون والامن في اوروبا ، ويعملون لما فيه خير السلام في العالم بأسره ٠

واسترشادا بكل ذلك اتفق الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الصحفيين في الاتحاد السوفيتي على ما يلي :

١ ـ ان اتحاد الصحفيين في الاتحاد السوفيتي سوف يقدم مساندة شاملة للصحفيين الفلسطينيين ، وكذلك المساعدة على نشر الصحف السوفيتية موادا تتحدث عن نضال الشعب العربي الفلسطيني في سبيل حقه العيش بأمان وفي العودة الى وطنه وتقرير مصيره ٠

٢ ـ سوف يتبادل الاتحادان وفودا صحفية مرة كل سنة لغرض تبادل الخبرة والتعرف على حياة الشعبين العربي الفلسطيني والسوفيتي ٠

٣ ـ سوف يساهم الاتحادان في ارسال صحفيين فلسطينيين الى الدراسة في مدرسة اتحاد الصحفيين العالمي ، ويعرب اتحاد الصحفيين السوفيات عن استعداده لاستقبال الذين يتخرجون من هذه الدورات لقضاء فترة تدريب عملية والتعرف على مؤسسات الاعلام والصحافة في الاتحاد السوفيتي ٠ كما يقرر الاتحادان تبادل المطبوعات والنشرات الدورية المتعلقة بالشؤون المهنية ٠

٤ ـ سوف يتعاون الجانبان بنشاط في اتحاد الصحفيين العالمي وكذلك في غيره من المنظمات الصحفية المهنية الدولية بروح التضامن الاممي ورص صفوف صحفيي كافة القارات في النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد

والعنصرية والصهيونية وفي سبيل السلم والتقدم الاجتماعي ٠

٥ ـ عقدت الاتفاقية الحالية لمدة سنتين وتتجدد تلقائيا اذا لم يعرب احد الطرفين خطيا قبل ثلاثة اشهر من انتهاء مدة الاتفاقية رغبته في الغائها او ادخال اضافات او تعديلات عليها ٠

٦ ـ وضعت الاتفاقية باللغتين العربية والروسية ٠ وللنسختين نفس المفعول ٠

عن الاتحاد العام للكتاب
والصحفيين الفلسطينيين
ناجي علوش
الامين العام لاتحاد الكتاب
والصحفيين الفلسطينيين

عن اتحاد الصحفيين في
الاتحاد السوفيتي
أ٠ لوسيف
نائب رئيس اتحاد
الصحفيين في الاتحاد السوفيتي

والمنظمة العالمية للصحفيين

دعت المنظمة العالمية للصحفيين وفدا من الاتحاد لزيارة مقر المنظمة في براغ ٠ وقد تشكل الوفد برئاسة الاخ ناجي علوش الامين العام وعضوية الاخ بسام ابو شريف مسؤول العلاقات الخارجية ٠ وبدأت الزيارة يوم ٦/٩ حيث اهتمت المنظمة اهتماما خاصا بالزيارة من جميع النواحي ، واسفرت المباحثات عن توقيع اتفاقية للتعاون نصت على قيام المنظمة العالمية بتدريب الصحفيين الفلسطينيين وتقديم الخبرات لهم في كافة المجالات ، بالاضافة الى توفير كل وسائل الدعم والمساندة لهم في كفاحهم من اجل تحرير وطنهم ٠

وتنص الاتفاقية ايضا على توفير العلاج للجرحى والمرضى بحدود عشرين شخصا كل سنة ٠ كما تنص على زيارات رسمية متبادلة بين الاتحادين ٠

وستقوم المنظمة العالمية بتنظيم حلقات دراسية حول القضية الفلسطينية في الدول الاشتراكية بالتعاون مع اتحادنا ٠

هذا وسيزور مقر الاتحاد وفد من رئاسة المنظمة العالمية للصحفيين ٠

وقد صدر في اعقاب زيارة الوفد بيان سياسي اكد دعم المنظمة الثابت لنضال الشعب الفلسطيني وحقه في تحرير ارضه وتقرير مصيره ٠

وتم الاتفاق خلال هذه الزيارة على ايفاد خمسة عشر صحفيا فلسطينيا ممن يحتاجون الى العلاج والراحة الى بلغاريا ٠

ومع اتحاد الصحفيين في تشيكوسلوفاكيا

خلال زيارة وفد الاتحاد الى براغ ، عقد مفاوضات مع اتحاد الصحفيين في تشيكوسلوفاكيا حيث تم التوصل الى اتفاقية للتعاون ٠

ولقد اظهر الاتحاد التشيكي رغبة في التعاون ودعوا الى اقتراح خطوات عملية وهم على استعداد لدراستها ٠ وتم الاتفاق على ان يزور ثلاثة من الصحفيين التشيكوسلوفاك مقر الاتحاد للاطلاع على ما يجري ، وان يقوم ثلاثة من الصحفيين الفلسطينيين بزيارة براغ في اسرع ما يمكن ٠

هذا وقد لبى الزملاء التشيكيون دعوة اتحادنا ، وقام ثلاثة منهم بزيارة لنا استغرقت اسبوعين ٠

ومع اتحاد الكتاب

وخلال زيارة الوفد الى براغ ايضا عقدت اتفاقية تعاون مع اتحاد الكتاب شملت على تبادل المعلومات وتبادل الزيارات بالاضافة الى الترجمات المتبادلة ٠

وسنقوم بنشر مجموعة من الشعر التشيكي بالعربية ، في حين سيقومون بنشر مجموعة قصصية فلسطينية ودراسات ادبية وسياسية ومجموعة شعرية الى التشيكية ٠

واتفاقية مع اتحاد الصحفيين في المانيا الديمقراطية

قام وفد من الاتحاد برئاسة الاخ ناجي علوش الامين العام وعضوية الاخ جميل هلال مسؤول العلاقات المهنية للصحفيين بزيارة لالمانيا الديمقراطية ، حيث تم التوقيع على اتفاقية للتعاون مع اتحاد الصحفيين في المانيا الديمقراطية مدتها خمس سنوات ، نصت على توفير الدعم لنضال الشعب الفلسطيني وعلى تبادل الزيارات والتعاون في كل المجالات . ونصت الاتفاقية على توفير منح للصحفيين الفلسطينيين في مدرسة التضامن في المانيا الديمقراطية ،

بالاضافة الى توفير التدريب للصحفيين الفلسطينيين في المؤسسات الاعلامية الالمانية بما في ذلك التلفزيون والراديو ووكالة الانباء . كما نصت على توفير العلاج للصحفيين الفلسطينيين في المانيا الديمقراطية .

واتفاقية تعاون مع اتحاد الكتاب الليبيين

قام الاخ ناجي علوش الامين العام للاتحاد بزيارة للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، حيث اجرى مباحثات مع المؤسسة العامة للصحافة في ليبيا ومع اتحاد الكتاب الليبيين . كما التقى بعدد من المسؤولين الليبيين الذين اكدوا استعدادهم لدعم الاتحاد .

وقد تم التوصل الى اتفاقية للتعاون بين اتحادنا واتحاد الكتاب الليبيين ، جرى التوقيع عليها .

وتنص هذه الاتفاقية على تعزيز علاقات التعاون بين الكتاب الليبيين والفلسطينيين في كافة المجالات واقامة الحلقات الدراسية التي تعالج قضايا الفكر والثقافة والادب في الوطن العربي . كما تنص على التعاون في مجال النشر . وفيما يلي نص الاتفاقية :

من اخبار الاتحاد

** عممت الامانة العامة على الفروع نص النظام الداخلي المعدل للاتحاد كما اقره المؤتمر الثاني في تونس . وطلبت الامانة العامة من لجان الفروع البدء باعادة فرز العضوية على ضوء هذا النظام وابلاغ الامانة بنتائج اعمالها تمهيدا لارسال وفود الى كل الفروع لاعادة تثبيت العضوية انسجاما مع قرارات مؤتمر الاتحاد .

** تلقت الامانة العامة رسالة من اتحاد الكتاب اللبنانيين بمناسبة انتخابات الهيئة الادارية الجديدة للاتحاد ، اكدت رغبة الاتحاد اللبناني في ازدياد توثيق العلاقات الادبية والثقافية بين الكتاب اللبنانيين والفلسطينيين .
وقد ردت الامانة العامة مؤكدة حرصها التام على تعزيز هذه العلاقات وتطويرها في كل المجالات .

** استنكر الاتحاد اقدام السلطات الاردنية على اعتقال الكاتب التقدمي سالم النحاس امين سر رابطة الكتاب الاردنيين . واصدر الاتحاد بيانا بهذا الخصوص . كما ارسلت برقيات الى الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب والى جميع الاتحادات الادبية مطالبة بالتدخل لاطلاق سراح النحاس .

** اصدر الاتحاد بيانا ندد فيه بحملة الاعتقالات الاخيرة في الاردن ، خاصة اعتقال

عضوي المجلس الوطني الفلسطيني ابراهيم قبعة واسامة شنار .

** طلبت الامانة العامة من اتحاد الصحفيين العرب المساعدة في حملة التضامن لاطلاق سراح الزملاء الثلاثة من اسرة الكفاح العربي المحتجزين في ثكنة مرجعيون . كما بعثت الامانة العامة ببرقية تضامن الى نقابة الصحافة اللبنانية . وقام امين سر الاتحاد بزيارة للكفاح العربي حيث نقل لاسرتها تضامن اتحادنا واستعداده للمساهمة في اية حملة تتعلق بالزملاء الثلاثة .

** تم الاتفاق على تلبية دعوة وجهت للامين العام لزيارة موريتانيا قريبا .

** مثل الاخ صبحي النجار الاتحاد في مؤتمر النقابيين العرب والافريقيين الذي عقد في العاصمة الجزائرية اعتبارا من ١٦ تشرين الاول ١٩٧٧ .

** وجهت الامانة العامة دعوة للدكتور هانس سكرتير العلاقات الخارجية في المنظمة العالمية للصحفيين لزيارة اتحادنا .

** تلقت الامانة العامة للاتحاد برقية من اللجنة المركزية لاتحاد الصحفيين الكوريين بجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية . بمناسبة اسبوع تأييد نضال الشعب الفلسطيني

** اشترك الاتحاد في معرض الانتربرس الدولي للصور الذي سيقام في موسكو في شهر اكتوبر بمناسبة ثورة اكتوبر الاشتراكية .
وكانت الامانة قد عممت على جميع الفروع من اجل المشاركة في هذا العمل الاعلامي الهام .

الذي اقيم في العاصمة الكورية . وقد اكدت البرقية الوقوف الحازم للصحفيين الكوريين مع الصحفيين الفلسطينيين .
وقد بعثت الامانة العامة الى الرفاق الكوريين تشكرهم فيها على تضامنهم هذا مؤكدة حرص اتحادنا على اقامة اوثق العلاقات مع كل الكتاب والصحفيين التقدميين في العالم .

** بدعوة من مكتب المعلومات القبرصي . عقد في نيقوسيا في الفترة ما بين ١٨ – ٢٠ تموز « يوليو » ١٩٧٧ ، ندوة صحفية دولية حول المشكلة القبرصية حضرها نحو مئة صحفي يمثلون ٤١ دولة . وقد شارك الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في هذه الندوة بعضوين من اعضائه هما الاخ جميل هلال عضو الامانة العامة والاخ غازي الخليلي . تركزت الندوة حول المشكلة القبرصية من جميع ابعادها ، واستمع المشاركون في الندوة الى عروض وكلمات القاها ممثلو الفئات السياسية المختلفة .
وقد اتاحت الندوة لمندوبي الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاتصال بمعظم الوفود الصحفية المشاركة في المؤتمر . كما اتاحت لهما ايضا الاتصال بالقوى السياسية الوطنية والديمقراطية في قبرص ، اضافة الى الاتحاد العام للصحفيين القبارصة ، حيث تم الاتفاق على ضرورة تنمية التعاون والنضال المشترك بين الاتحادين .

** شارك الاتحاد في ندوة القصة القصيرة التي اقيمت في تونس في شهر ايار الماضي ومثل الاتحاد القاص الفلسطيني توفيق فياض .
هذا وقد ابلغنا اتحاد الكتاب التونسيين انه يعتبر الاتفاقية المبرمة بين اتحادنا والاتحاد التونسي مجددة تلقائيا .

هـذه المجلـة

لا نريد ان نقول كلاما كثيرا لتقديم هذه المجلة ، فنحن نريد منها ان تتحدث عن نفسها ، وأن تقدم نفسها للقارىء . ولكننا مع ذلك نريد ان نقول بضعة كلمات :

١ ـ ان هذه المجلة مجلة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وهي تعكس ما فيه من التزام وادب وفكر ... كما تعكس الخـط الوطني التقدمي في قيادته وقاعدته .

٢ ـ وهذه المجلة منبر للكلمات الصادقـة ، المعبرة عن مطامـح جماهيرنا ومصالحها ، وهي من هذه الزاوية منبر لكل الوطنيين والتقدميين ، الثوريين والديمقراطيين في هذا الوطن العربي ، وليست مجلـة حزب ، او فئة او جماعـة .

٣ ـ وهذه المجلة ، ليست مجلة الخبر اليومي والحدث السياسي العابر ، لانها معنية بقضايا الناس والفكر والادب والفن والتاريخ . وبالتالي فهي معنية بالسياسة من حيث هي فكر سياسي وموقف ثوري والتزام بقضايا الشعب والوطـن .

٤ ـ وهذه المجلة ايضا مفتوحة لكـل الادباء والصحفيين الوطنيين والتقدميين ، بغض النظر عن الاتجاه السياسي او الايديولوجي ، ومهما كان الخلاف في الرأي حول هذه القضية او تلك .

٥ ـ واذا كان اسم هذه المجلة « الكاتب الفلسطيني » فليس معنى ذلك انهـا « فلسطينية مغلقة » ، ومعنية بنشر انتاج الادباء والصحفيين الفلسطينيين فقط ، انها مجلة عربية ، بمقدار ما قضية فلسطين قضية عربية .

٦ ـ والمجلة معنية بكل شؤون الوطن العربي وشجونه ، ولكنها ستعطي اهتماما خاصا للقضايا المصيرية : ومنها قضيـــة تحرير الارض ، والنضال ضد الاستغلال والتخلف ـ والوقوف ضد القمع والقتل والتعذيب مع الحريات الديمقراطية وتاييد قضايا الحرية والعدالة في العالم .

٧ ـ وتصدر هذه المجلة وكثير من المجلات تتحول الى مجلات « قطرية » خاضعة لاشكال مختلفة من الرقابة ، تخضع الفكر والادب لمقتضيات الحال والعلاقات السياسية اليومية بين الانظمة ولاعتبارات اخضاع الكتاب واذلالهم . وهو ما ينظر اليه اتحادنا بقلق بالغ واهتمام شديد .

٨ ـ ولا شرط لاسرة تحرير المجلة في هذا كله غير توافر القدر اللازم من العلمية ، والقدر اللازم من الجودة في الابحاث والنماذج الادبية .

ان مجلة الكاتب الفلسطيني من هذه المواقع تدعو كل ادباء الوطن العـربي وكتابه الى المساهمة في تحريرها ، والى المشاركة في تطويرها ، وهي ترحب بكل مساهمة ، وستعطيها ما تستحق من اهتمام ...

« هيئة التحرير »